

# كِتَاب

في شفاء الغليل

مسائل القضاء والقدر

والحكمه والتعليل

تأليف

الامام شمس الدين ابي عبد الله

المعروف بابن القيم الجوزية

يطلب من

مكتبة دار الفقه الإسلامي

دار التوحيد

اصحابها احمد مدين وفتوى بارع الشريعة



# کتاب

شفاء العلیل  
فی مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعلیل

تألیف

الإمام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد شمس الدین  
أبی عبد الله محمد بن الشیخ أبی بکر المعروف بابن القيم  
الجوزیه الحنبلی المتوفی سنة ۷۵۱ نغمده الله برحمته

(عنی بتصحيحه)

السید محمد بدر الدین أبو فراس النعسانی الحلبي

الطبعة الاولى

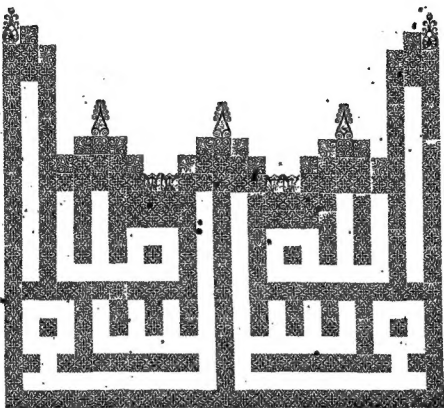
على نفقة المطبع أجدناجی الجمالی ومحمد أمين الخانجی وأخيه

سنة ۱۳۲۳

طبع بالمطبعة الحسينية المصرية

بجوار مسجد الامام الحنین رضی الله تعالى عنه

لصاحبها ومدير ادارتها محمد عبد اللطيف الخطيب



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والانعام \* وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والائمة الاعلام  
(اما بعد) فان اهم ما يجب معرفته على المكلف التمييز بين الفضل والفاضل الجليل \* ما ورد في القضاء والقدر  
والحكمة والتعليل \* فهو من اسنى المقاصد والايمان به قطب رضى التوحيد ونظامه \* ومبدأ الدين المين  
وخاتمه \* فهو أحد أركان الايمان \* وقاعدة أساس الاحسان \* التي يرجع اليها \* ويدور في جميع  
تصاريفها عليها \* فالعدل قوام الملك \* والحكمة مظهر الحمد \* والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة \*  
وكمال النعمة \* ولا اله الا الله \* وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير \* فبالقدر  
والحكمة ظهر خلقه وشرعه المين \* آله الأمر وأخلق تبارك الله رب العالمين \*

﴿فصل﴾ وقد سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد \* وأخذوا في كل طريق \*  
وتولجوا كل مضيق \* وركبوا كل صعب وذلول \* وقصدوا الوصول الى معرفته \* والوقوف على  
حقيقته \* وتكلمت فيه الامم قديما وحديثا \* وساروا للوصول الى حوزاء سيرا حثيثا \* وخاضت فيه  
الفرق على تباينها واختلافها \* وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها \* فلا أحد الا وهو  
يحدث نفسه بهذا الشأن \* ويطلب الوصول فيه الى حقيقة العرفان \* فتراها ما مترددا فيه مع نفسه أو  
مناظرا لغيره \* وكل قد اختار لنفسه قولا لا يعتقد الصواب في سواه \* ولا يرتضى الا اليه \* وكلهم  
الآمن تمسك بالوحي عن طريق الصواب مردود \* وباب الهدى في وجهه مسدود \* يحس عفا غير  
طائل \* وارتوى من ماء آجن \* قد طاف على أبواب الافكار \* فجاز بأخس الآراء والمطالب \* فرح  
بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع \* وقدم آرا من أحسن \* الظن على الوحي المنزل  
المشروع \* والصن المرفوع \* حيران \* بكل مكران \* يحسب كل شراب ماله فهو طول عمره نلما إن



\* ينادى الى الصواب من مكان بعيد \* اقبل الى الهدى فلا يستجيب الى يوم الوريد \* قد فرح بما عنده من الضلال \* وقع بانواع الباطل وأصناف المحال \* منه الكبر الذي اعتقد هدى وما هو ببالفه عن الهدى المتهدين \* ولسان حاله أقاله يقول أهؤلاء الذين من الله عليهم من ينشأ ليس الله بأعلم بالشاركين \*

❦ فصل ❧ ولما كان الكلام في هذا الباب نفيا وإثباتا موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره وأسعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين ورجب بعقله وفطرته وإعانه عن آراء المبتدئين وتضليلات المشككين وتكلفات المتطمين واستمطر ديم الهداية من كلمات أعلم الخلق برب العالمين فإن كلماته الجوامع الثوابع في هذا الباب وفي غيره كتبت وشتت وجمعت وفترقت وأوضحت وبشت وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن ثم تلاه أمهاته من بعده على نهج المستقيم وطريقه القويم فقامت كلماتهم كافة شافية مختصرة نافعة تقرب المهدى ومباشرة التلقى من تلك المشكاة التي هي مظهر كل نور ومنبع كل خير وأساس كل هدى ثم سلك آثارهم التابعون لهم بإحسان فاتفقوا طريقهم وركبوا منهاجهم واهدوا بهداهم ودعوا الى ما دعوا اليه ومضوا على ما كانوا عليه ثم نبغ في عهدهم وأواخر عهد الصحابة القدرة مجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر وأن الأمر أقف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء بحسبها حظها وأهلها ومن شاء وفقها للخير وكملها كل ذلك مردود الى مهنية العبد ومقتطع من مشيئة العزيز الجيد فابتثوا في ملكه ما لا يشاء وفي مشيئته ما لا يكون ثم جاء خلف هذا السلف فقرروا مآسئهم وأولئك من لقي القدر وسموه عدلاً وزادوا عليه لقي صفاته سبحانه وحقائق أسمائه وسموه توحيداً فالعدل عندهم إخراج أفعال الملائكة والانس والجن وحركاتهم وأقوالهم وأراداتهم من قدرته ومشيتته وخلقه والتوحيد عند متأخريهم تعطيله عن صفات كماله ولموت جلاله وأنه لا سمع له ولا بصير ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة تقوم به ولا كلام ماتكلم ولا يتكلم ولا أمر ولا يأمر ولا قال ولا يقول وإن ذلك إلا أصوات وحروف مخلوقة منه في الهواء أو في محل مخلوق ولا يستوى على عرشه فوق سبواته ولا ترفع اليه الأيدي ولا تخرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل الأمر والوحي من عنده وليس فوق العرش إله يعبد ولا رب يصلى له ويسجد ما فوقه إلا المدم المحض والثني الصرف فهذا توحيدهم وذلك عدلهم

❦ فصل ❧ ثم نبغت طائفة أخرى من القدرة ففتت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية ولاختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الامواج وأنه على الطاقة والمصية مجبور وأنه غير مبسر لما خلق له بل هو عليه مقصور ومجبور ثم تلاهم أتباعهم على آكارهم مقتدين ولما جاءهم بمقتبين فقرروا هذا المذهب واتسموا اليه وحققوه وزادوا عليه أن تكليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف مالا يطاق وانها في الحقيقة كتكليف المقدم أن يرقى الى السبع الطباق فالتكليف بالإيمان مشوا معه تكليف بما ليس من فعل العبد ولا هو له بمقدور وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير فكلف عباده بأفعاله ولبسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها ولبسوا في الحقيقة لها فاعلين ثم تلاهم على آكارهم محققون من العباد فقالوا ليس في الكون

معصية البتة إذا للفاعل مطيع لإرادة موافق للمراد كما قيل

أصبحت بمنفعلا لما يختاره متى فعل كل طاعات

ولأنوا بعض هؤلاء على فعله فقال إن كنت عصيت أمره فقد أطعت إرادته ومطيع الإرادة غير ملوم وهو في الحقيقة غير مذموم وكرر محققهم من المتكلمين هذا المذهب بأن الإرادة والمشية والحببة في حق الرب سبحانه هي واحد فحبته هي نفس مشيئته وكل ما في الكون فقد أَرَادَهُ وشاءه وكل ما شاء فقد أَحَبَّهُ وأخبرني شيخ الإسلام قدس الله روحه أنه لا م بين هذه الطائفة على محبة ما يفيض الله ورسوله فقال له الملوم المحبة تاربحرق بمن القلب ماسوى مراد المحبوب وجميع ما في الكون مراده فأى شيء أبغض منه قال الشيخ فقلت له إذا كان قد سخط على أقوالهم ولعنهم وغضب عليهم وذمهم فوالله أنت وأحببتهم وأحييت أفعالهم ورضيت بها تكون موابلا له أو معاديا قال فبنت الجبري ولم ينطق بكلمة ووزعت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنن ناصرون وللقدر مشيئون ولأحوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطفقوا في الميزان غاية التفتيش وحلوا ذنوبهم على الاقتدار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والاوزار وقالوا إنها في الحقيقة فعل الخلقي العليم وإذا سمع المتمر له به هذا قال سبحانه هذا بهتان عظيم قالتر ليس اليك والخبر كله في يديك ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن ونسبت إلى أقبح الظلم وقالوا إن أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات وكتكليف الميت إحياء الأموات والله يذب عباده أشد المذاب على فعل ما لا يقدرون على تركه وعلى ترك ما لا يقدرون على فعله بل بما يقبهم على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور ويزرى العارف منهم يشد مترقا ومن ربه متشكيا ومتظلميا

القاء في اليم مكتوبا وقال له إياك إياك أن تجعل بالماء

وليس عند القوم في نفس الأمر سب ولا غاية ولا حكمة ولا قوة في الأجسام ولا طبيعة ولا غريزة فليس في الماء قوة التبريد ولا في النار قوة التسخين ولا في الأغذية قوة الغذاء ولا في الأدوية قوة الدواء ولا في العين قوة الإبصار ولا في الأذن قوة السمع ولا في الأنف قوة الشم ولا في الحيوان قوة فاعلة ولا جاذبة ولا مسكة ولا دافعة والرب تعالى لم يفعل شيئا بشئ ولا شيئا كشئ فليس في أفعاله به تمجب والإلام تحليل وماورد من ذلك فمحصول على به المصاحبة ولأن العاقبة وزادوا على ذلك أن الأفعال لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح ولا فرق في نفس الأمر بين الصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والسجود للرحمن والسجود للشيطان والاحسان إلى الخلق والإساءة إليهم ومسبة الخالق والتناء عليه وأما نعم الحسن من ذلك فمن القبيح بمجرد الأمر والتي ولذلك يجوز التهي عن كل ما أمر به والأمر بكل ما نهى عنه ولو فعل ذلك لمكان هذا قبيحا وهذا حسنا وزاد بعض محققهم على هذا أن الأجسام كلها ميتة فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب ولا بين المسك والرجيع وأما تفرق بصفتها وأعراضها مع قائلها في الحد والحقيقة وزادوا على ذلك بأن قالوا الأعراض كلها لا تبقى زمانين ولا تستقر وقتين فإذا جمعت بين قولهم بعدم بقاء الأعراض وقولهم بتأثر الأجسام وتسمى الأفعال وإن العبد لا فضل له البتة وأنه لا سبب في

الوجود ولا قوة ولا شئزة ولا طبيعة وقولهم ان الرب تعالى ليس له محل يقوم به وفعله غير منقوله وقولهم انه ليس بمباين خلقه ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه وقولهم انه لا يتكلم ولا يكلم ولا قال ولا يقول ولا يسمع أحد خطابه ولا يسمعه ولا يراهم المؤمنون يوم القيامة جبرة بأبصارهم من فقههم أنتجت لك هذه الاصول عقلا يمارض السمع ويناقض الوحي • وقد أوصاك الاشياخ عند التعارض بتقديم هذا المقول على ما جاء به الرسول

فلو أني بليت بهاشمي • خؤله • بنو عبد المदान

لما على ما أتني ولكن • تمالوا فانظروا بمن ابتلاني

**فصل** • ولما كانت معرفة الصواب في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل واقعة في مرتبة الحاجة بل في مرتبة الضرورة اجتهدت في جمع هذا الكتاب وتهذيبه وتحريره وتقريره فجاء فردا في معناه بديعا في مغزاه وسببه (شفاء العليل • في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وجعلته أبوابا (الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض) (الباب الثاني في تقدير الرب تعالى شفاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد الاول) (الباب الثالث في ذكر احتياج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم) (الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه) (الباب الخامس في التقدير الرابع لية القدر) (الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومي) (الباب السابع في ان سبق المقادير بالسعادة والشقاوة لا يقتضي ترك الاعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالاسباب) (الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبق لهم منا الحسن) (الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر) (الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من استكمل معرفتها والايان بها فقد آمن بالقدر وذكر المرتبة الاولى) (الباب الحادي عشر في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة الكتابة) (الباب الثاني عشر في ذكر المرتبة الثالثة وهي مرتبة المشيئة) (الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة وهي مرتبة خلق الاعمال) (الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما) (الباب الخامس عشر في الطبع والحكم والقفل والغل والسد والنشأوة ونحوها وانه مفعول الرب) (الباب السادس عشر في تقدير الرب بالخلق للذات والصفات والافعال) (الباب السابع عشر في الكتب والحير ومعناها لغة واصطلاحاً واطلافاً وتقيوا آياتها) (الباب الثامن عشر في فعل وافعل في القضاء والقدر وذكر الفعل والافعال) (الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة بين جبري وسني) (الباب العشرون في مناظرة بين قدرى وسني) (الباب الحادي والعشرون في تنزيه القضاء الالهي عن الشرودخوله في المقضى) (الباب الثاني والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره وآيات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي فعل وأمر لاجلها وهو من أجل أبواب الكتاب) (الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبهة الحكمة وذكر الاجوبة المفصلة عنها) (الباب الرابع والعشرون في معنى قول السلف في الايمان بالقدر خيره وشره وحلوه وممره) (الباب الخامس والعشرون في بيان بطلان قول من قال ان الرب تعالى مرید للشر وفاعل له وامتناع اطلاق ذلك قيا وآياتا) (الباب السادس والعشرون في ابدال عليه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بربك من سخطك وأعوذ

بفوق من عقوبتك وأعوذ بك منك من تحقيق القدر وأبانه وأسراره هذا الدعاء (الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد تحت قوله ماض في حكمك عدل في قضائك وما تضمنه الحديث من قواعد الدين) (الباب الثامن والعشرون في أحكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه) (الباب التاسع والعشرون في اقسام القضاء والقدر والارادة والكتابة والحكم والامر والاذن والجلد والكلمات والبعث والارسال والتحرير والعطاء والتمتع الى كوني يتعلق بخلقه ودينى يتعلق بأمره وما في تحقيق ذلك من ازالة اللبس والاشكال) (الباب العاشر في الفطر الاولى التي فطر الله عباده عليها ويبان أنها لا تنافي القضاء والعدل بل توافقه ونجامة) \* وهذا حين الشروع في المقصود لما كان فيه من صواب فمن الله ويجده هو المان به وما كان فيه من خطا فمن ومن الشيطان والله برى منه ورسوله

فيأبى التماثل له الواقع عليه لك غنمه \* وعلى مؤلفه غرمه \* ولك فائده \* وعليه عائدته \* فمجل بانكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته ولا يحتملك شأن مؤلفه وأصحابه على ان يحرم ما فيه من القوائد التي لما لا تنظر بها في كتاب ولعل أكثر من نعتله ماتوا بحسرتها ولم يصلوا الى معرفتها والله قسم فضله بين خلقه بلمه وحكمته وهو العليم الحكيم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

### الباب الأول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض

عن عبادة بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرضه على الماء رواه مسلم في الصحيح وفيه دليل على ان خلق العرش سابق على خلق القلم وهذا أصح القولين لما روى أبو داود في مسنده عن أبي حفصة الشامي قال قال عبادة بن الصامت لابن عباس انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس منى وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التي خلق فيها لما رواه الامام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبا ثناء أوصني وأجهدي فقال اجلسوني فلما اجلسوه قال يا بني انك لن تجد طعم الايمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا أبا ثناء فكيف لي أن أعلم ما خبر القدر وشره قال تعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يا بني اذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال اكتب فخرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة يا بني ان مث وليست على ذلك دخلت التار \* وهذا الذي كتبه القلم هو القدر لما رواه ابن وهب أخبرني عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حديثه قال قال عبادة بن الصامت ادعوني يا بني وهو يموت لعل أخبره بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول شئ خلقه الله من خلقه القلم فقال له اكتب فقال يارب ماذا اكتب قال القدر قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أخره قاله بالثار وهو عن عبد الله بن عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي بإعلام أني أعلمك كلمات يحفظك الله يحفظك إله يحفظك الله تجده تجاهك إذا سألت فسل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بضرك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الألام وجفت الصور رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله أني رجل شاب وأنا أخافه على نفسي البيت ولأجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أهريرة جف القلم بما أنت لاق فاعتصم على ذلك أوذر رواه البخاري في صحيحه قال حدثنا أسبغ ثنا ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن حماد بن عمار عن ابن وهب في كتاب القدر وقال فيه فائذن لي أن أحتصم قال فسكت عني حتى قلت ذلك ثلاث مرات فقال جف القلم بما أنت لاق وقال أبو داود الطيالسي ثنا عبد المؤمن هو ابن عبد الله قال كنا عند الحسن بن زيد بن أبي مريم السلولي يوثق على غصا فقال يا أبا سعيد أخبرني عن قول الله عز وجل (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) فقال الحسن نعم والله إن الله ليقيضي القضية في السماء ثم يضرب لها أجلا أنه كائن في يوم كذا وكذا في ساعة كذا وكذا في الخاصة والعامة حتى أن الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها الإقضاء وقدر قال يا أبا سعيد والله لقد أخذتها وإنني عنها لنفسي ثم لاصبر لي عنها قال الحسن أولا ترى واحتلف في الضمير في قوله من قبل أن نبرأها فقيل هو عائد على الانقضاء لقربا منه وقيل هو عائد على الأرض وقيل عائد على المصيبة والتحقيق أن يقال هو عائد على البرية التي تم هذا كله ودل عليه السياق وقوله نبرأها فيتعلم التقادير الثلاثة انتظاما واحدا والله أعلم وقال ابن وهب أخبرني عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال قال عبد الله بن مسعود إن أول شيء خلقه الله عز وجل من خلقه القلم فقال له أكتب فكتب كل شيء يكون في الدنيا إلى يوم القيامة فيجمع بين الكتاب الأول وبين أعمال العباد فلا يخالف القلم ولا الواو ومما وعنه عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك الثور شيء أعتدى ومن أخطأ ضل قال عبد الله فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن رواه الإمام أحمد وقال أبو داود حدثنا عباس بن الوليد بن مزينة قال أخبرني أبي قال سمعت الأوزاعي قال حدثني ربيعة بن يزيد ويحيى بن أبي عمرو الشيباني قال حدثني عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو ابن العاص وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهيط فقلت خصال بلغني عنك تحدث بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من شرب الخمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وإن الشقي من شقي في بطن أمه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك الثور يئتمد أعتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله ورواه الإمام أحمد في مسنده أطول من هذا عن عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهيط وهو محاضر فتى من قرش يزن بشرب الخمر

قلت بلغني عنك حديث أن مع شرب شربة خمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وأن الشق من شقي في  
 بطن أمه وأن من أتى بيت المقدس لا ينزهه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما  
 سمع الفتى ذكر الخمر اجتنب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو لني لأجل لأحد أن  
 يقول على ما أمأ أقل سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لم يقبل  
 له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فان عاد كان حقا  
 على الله أن يسقيه من رذغة الخال يوم القيامة قال وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول  
 ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فنأصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن  
 أضلأ ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله ﷺ وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
 يقول أن سليمان بن داود سأله عز وجل ثلاثا فأعطاه اثنين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة  
 سأله تعالى حكما يصادف حكمه فأعطاه الله إياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه  
 إياه وسأله أن لا يخرج من بيته إلا بزيء الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم  
 ولدته أمه فحسن نرجو أن يكون الله تعالى عز وجل قد أعطانا إياه ورواه الحاكم في صحيحه  
 وهو على شرط الشيخين ولا علة ﷺ

الباب الثاني في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم

وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد التقدير الاول

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا في جنازة في قبعة العرق فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدم وقعدنا حوله ومعه خضرة فنكس فجعل ينكت بخضرة ثم قال ما منكم من أحد آمن نفس منسوفة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والآن قد كتبت شعبة أو سعيده قال فقال رجل يا رسول الله أفلا تمكث على كتابنا وندع العمل فقال من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرerieه إلى السرى) وكذب بالحسنى فسيسرerieه إلى العسرى) وفي لفظ اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرerieه إلى السرى) واستثنى وكذب بالحسنى فسيسرerieه إلى العسرى) \* وعن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله أعم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل فقيم بعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخارى كل يعمل لما خلق له أو لما يسره \* وعن أبي الاسود الدؤلى قال قالى جرمان بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكسبون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيها يستقبلون به عما أتاهم به بنهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضى عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلمًا قال ففرغت من ذلك فزعاجد يداؤك قلت شيء خلق الله وملك يده فاعطاهم ما عاضلهم يسألون قال فقال لى يرحك الله أنى لم أورد بما يأتك إلا لأحرز عقلك إن رجلين من مزينة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكسبون فيه شيء

فرض عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فبا يستقبلون بما آتاهم به فيهم ونبت الحجة عليهم فقال  
 بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (وقس) وسواها فإلهامها فجورها  
 وتقواها) رواه مسلم في صحيحه \* وعن شفي الأصبحي عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول  
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أندرون ما هذان الكتابان قال قلنا لا إلا أن نخبرنا  
 يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بإسماء أهل الجنة وأسماء  
 آبائهم وقبائلهم ثم أجعل عليهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص أبدا ثم قال للذي في يساره هذا كتاب أهل النار  
 بإسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجعل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب  
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا شيء نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله  
 صلى الله تعالى عليه وسلم سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يحتم له بعمل الجنة وان عمل أى عمل وان  
 صاحب النار يحتم له بعمل النار وان عمل أى عمل ثم قال بيده قبضها ثم قال فرغ ربكم عز وجل من  
 العباد ثم قال يا بني فبذبحها فقال فريق في الجنة ونبذ باليسرى فقال فريق في السعير رواه الترمذى  
 عن قتيبة عن ليث أبى قيل عن شفي وعن قتيبة عن بكر بن نصر عن أبى قيل به وقال حديث حسن  
 صحيح غريب ورواه النسائي والامام أحمد وهذا السياق له \* (وفي صحيح الحاكم) وغيره من حديث  
 أبى جعفر الرازى ثنا الربيع بن أنس عن أبى العالقة عن أبى بن كعب في قوله تعالى (واذ أخذ ربك  
 من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال جمعهم له يومئذ جمعا ما هو كائن الى يوم القيامة فقبلهم أزواجا  
 ثم صورهم واستطعمهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألمست ربكم قالوا بلى  
 شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) الى قوله المبطلون قال فأتى أشهد عليكم السموات  
 السبع والارضين السبع واشهد عليكم لباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة لم نعلم أو تقولوا انا كنا عن  
 هذا غافلين فلا تتركوا بى شيئا فأتى أرنبل اليكم رسل يذكرونكم عهدي وميثاقى وازل عليكم كتي  
 فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ورفع لهم أبوه آدم فرأى فيهم الفنى والفقير وحسن  
 الصورة وغير ذلك فقال رب لوسيت بين عبادك فقال إني أحب ان اشكر وراى فيهم الانبياء مثل  
 السرج وذكر تمام الحديث وفي صحيحه وجامع الترمذى من حديث هشام بن يزيد عن زيد بن أسلم  
 عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح  
 ظهره فمسح من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان  
 منهم وبينما من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب فقال هؤلاء ذريتك فرأى فيهم رجلا  
 أعجبه وبمس ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال ابنتك داود يكون في آخر الامم قال كم جعل له  
 من العمر قال ستين سنة قال يارب زد من عمرى أربعين سنة قال الله انا بكتب ويحتم فلا يبدل فلما  
 انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أوكم يبق من عمرى أربعون سنة قال لا أولم يجعلها لباك داود  
 قال فجحد فجحدت ذريته ونسى قسيعت ذريته وخطي خطت ذريته قال هذا على شرط مسلم (وفي)  
 موطأ مالك عن زيد بن أبى أنيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم  
 ابن يسار الجعفي ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم  
 ذرياتهم) فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله خلق آدم مسح ظهره

بجنته فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء الجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فذاب خلقت هؤلاء النار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال ان الله اذا خلق السبل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق السبل للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار قال الحاكم هذا الحديث على شرط مسلم وليس كما قاله بل هو حديث منقطع (قال أبو عمر هو حديث منقطع فان مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب بينهما لم يسمع من ربيعة هذا ان صح أن الذي رواه عن زيد بن أبي أنيسة فذكر فيه نسيم بن ربيعة إذ ليس هو بأحفظ من مالك ولا يمكن يحتاج به اذا خلفه مالك ومع ذلك فان نسيم بن ربيعة ومسلم بن يسار جميعا مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث وليس هو مسلم بن يسار المأبد البصري وانما هو رجل مدني مجهول ثم ذكر من تاريخ ابن أبي خيثمة قال قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف قال أبو عمر هذا الحديث وان كان عليل الاسناد فان معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم قد روى من وجوه كثيرة من حديث عمر بن الخطاب وغيره وعن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه في القدر على بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو سريحة الصادي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وذو النجاة الكلابي وعمران بن حصين وعائشة وأنس بن مالك وسراقة بن جشم وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت قلت وحذيفة بن اليان وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد وأبو ذر ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو عبد الله رجل من الصحابة روى عنه أبو نصر وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وعمرو بن العاص وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن الزبير وأبو امامة الباهلي وأبو الطفيل وعبد الرحمن بن عوف وبعض أحاديثهم موقوفة وسننك جميعا متفرقة في أبواب الكتاب إن شاء الله عز وجل وقال اسحاق بن راهويه أخبرنا ياقبة بن الوليد قال أخبرني الزبيدي ومحمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أن رجلا قال يا رسول الله ابتداء الأعمال أم قدمضى القضاء فقال ان الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره ما شهدهم على أنفسهم ثم أقامهم بهم في كنفه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فأهل الجنة يمسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار يمسرون لعمل أهل النار قال اسحاق وأخبرنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا الحريري عن أبي نصر أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أحبابه يودونه وهو يبكي فقالوا له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله قبض قبضته بين يديه الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي فلا أدري في أي القبضتين أنا أخبرنا عمرو بن محمد بن اسماعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم من تراب ثم جعل طينا ثم نوكه حتى اذا كان صلاصلا كالفضخ كان ابليس يمر به فيقول خلقت لأمر عظيم ثم فزع الله فيه من روحه قال يارب ما ذريته قال اختر يا آدم قال اخترت بين ربي وكنائدي ربي يمين فبسط الله كفه فإذا كل من هو كائن من ذريته في كف الرحمن أخبرنا الثضر أخبرنا أبو مشعر عن أبي سعيد المقبري ونافع مولى الزبير عن أبي هريرة قال لما أَرَادَ الله



أن يخلق آدم فذكر خلق آدم فقال له يآدم أي يدى أحبابك ان أريك ذريتك فيها قال بين ربى  
وكنتا يدى ربى بين قبسط بينه وإذا فيها ذريته كلهم ما هو خلق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته  
والمبتلى على هيئته والامياء على هيئتهم فقال الا أغشيتهم كلهم فقال انى أحببت أن أشكر وذكر الحديث  
وقال محمد بن نصر المروزي حدثنا محمد بن يحيى <sup>١</sup> سعيد بن أبي مريم انما الليث بن سعد حدثني ابن  
عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام قال خلق الله آدم ثم قال بيده  
فقبضها فقال اخترياً آدم فقال اخترب بين ربى وكنتا يدك بين قبسطها فاذا فيها ذريته فقال من هؤلاء  
يارب قال من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة الى أن تقوم الساعة (قال) ونا اسحاق بن  
راهويه أنا جعفر بن عون أنا هشام بن سعد عن زيد بن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله  
تعالى عليه وسلم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى  
يوم القيامة وذكر الحديث (وقال) اسحاق بن الملائى ثنا المسعودى عن علي بن نديم عن سعيد عن  
ابن عباس في قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال ان الله أخذ كل آدم  
ميشاقه انه ربه وكتب رزقه وأجله ومصيباته ثم أخرج من ظهره ولده كهية الذر فاخذ عليهم المشاق  
أمرهم وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم (قال) وحدثنا وكيع حدثنا الاعشى عن حبيب بن أبي ثابت  
عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فأخرج كل طيب في يمينه وفي يده الاخرى كل خبيث (وقال)  
محمد بن نصر حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى وثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن  
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكبه اليمين فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء  
تقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه اليسرى فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء  
أهل النار ثم أخذ عهده على الايمان والمعرفة به والتصديق له وبأمره من بنى آدم كلهم واشهدهم على  
أنفسهم فأمّنوا وصدقوا وعرفوا وأثروا هـ حدثنا اسحاق ثنا روح بن عباد عن محمد بن عبد الملك عن  
أبيه عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا الحديث وزاد قال ابن جريج وبلغنى  
انه أخرجهم على كفهم امثال الخردل (قال) اسحاق وأخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد  
الله بن عمرو في قوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم) قال أخذهم كما يؤخذ بالمشط وفي تفسير اسباط عن  
السدى عن أصحابه أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الحمداى عن ابن مسعود عن أناس  
من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية) قال لما أخرج الله  
آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح سفيحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ  
كهية الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهية  
الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق  
فقال ألسن بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائنين وطائفة كاهنين على وجه التقية فقال هو والملائكة  
(شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا من ههنا غافلين أو ههنا لو إنا أشرك أباًؤنا من قبل) الآية فذلك  
ليس أحد من هؤلاء آدم الا وهو يعرف ان الله به ولا مشرك الا وهو يقول إنا وجدنا آباءنا على أمة  
وإنا على آثارهم مقتدون فذلك قوله عز وجل (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وكذلك  
حين يقول (وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً) وذلك حين يقول (نزل فلقها لجة بالغة

فلو شاء لهداكم أجيبين قال يعني يوم أخذ الميثاق وقال إسحاق حدثنا ويحيى حدثنا مضى عن ابن سليل قال قال أبو بكر رضي الله عنه خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن في يمينه ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن في يده الاخرى ادخلوا النار والاولى وأخبرنا جرير عن الاعشى عن أبي طليان عن رجل من الانصار من أنجب محمد صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق قبض قبضتين بيده فقال لمن في يمينه أتم أصحاب اليمين وقال لمن في اليد الاخرى أتم أصحاب الشمال فذهبت الى يوم القيامة وقال عبيد الله بن وهب في كتاب القدر أخبرني جرير بن حازم عن أيوب السخيتي عن أبي قلابة قال ان الله عز وجل لما خلق آدم أخرج ذريته ثم بشرهم في كفهم ثم أفاضهم فأتى التي في يمينه عن يمينه والتي في يده الاخرى عن شماله ثم قال هؤلاء لهدى هؤلاء لاهلك هؤلاء لاهلك هؤلاء لاهلك وأهل النار وما هم عاملون وأهل الجنة وما هم عاملون فطوى الكتاب ورفع القلم وقال أبو داود ثنا سديد ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي صالح فذكره قال ابن وهب وأخبرني عمرو بن الحارث وعقوبة ابن سريج عن ابن أبي أسيد هكذا قال عن أبي فراس حدثنا أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله عز وجل لما خلق آدم فضه فض المروءة فأخرج من ظهره ذريته أمثال الفف قبضهم قبضتين ثم أفاضهم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير قال ابن وهب وأخبرني يونس بن يزيد عن الاوزاعي عن عبد الله بن عمرو بن الماس قال من كان يزعم ان مع الله قاضيا أو راقا أو يملك لنفسه ضرا أو نفعا أو موتا أو حياة أو نشورا نفى الله فأدخس حجته وأحرق لسانه وجعل صلاته وصيامه هباء وقطع به الاسباب وأكبه الله على وجهه في النار وقال ان الله خلق الخلق فأخذ منهم الميثاق وكان عرشه على الماء وذكر أبو داود ثنا يحيى بن حبيب ثنا مشمر ثنا أبي عن أبي العالبة في قوله عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكرهتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون قال صاروا فريقين وقال لمن سود وجوههم وغيرهم أكرهتم بعد ايمانكم قال هو الايمان الذي كان حيث كانوا أمة واحدة مسلمين قال أبو داود وحدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا أبو نامة السدي قال كنا عند أبي عثمان الهدي فحدثنا الله عز وجل فذكرناه ودعوانه فقلت لا يا بول هذا الامر أشد فرحاً مني بآخره فقال أبو عثمان بئس الله كئنا عند سلمان فحدثنا الله عز وجل وذكرناه ودعوانه فقلت لا يا بول هذا الامر أشد فرحاً مني بآخره فقال سلمان بئس الله كئنا عند الله تبارك وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج من ظهره ما هو ذارئ الى يوم القيامة غلغل الذكر والانثى والشقوة والسعادة والارزاق والآجال والاولاد ومن علم السعادة فعل الخير ومجالس الخير ومن علم الشقاوة فعل الشر ومجالس الشر وقال أبو داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد أخبرنا غطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح ربك تعالى ظهر آدم فأخرج منه ما هو ذارئ الى يوم القيامة أخذهم ودهم ومواثيقهم قال سعيد فيرون ان القلم حب وموئذ وقال الصحاح خرجوا كمنال الدر ثم أعادهم فهدم وغيرها يدل على ان الله سبحانه قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وساداتهم وشقاوتهم عقوب خلق أيهم وأرزاقهم لا بهم صورهم وأشكالهم وحلائهم وهذا والله أعلم بأعمالهم وصورهم واما تفسير قوله تعالى واذا أخذ ربك من بني آدم الأية به فية ما فيه وحديث عمر لوصي لم يكن قصيرا للآية وبيان

ان ذلك هو المراد بها فلا يدل الحديث عليه ولكن الآية دلت على ان هذا الاخذ من بنى آدم لامن آدم وانه من ظهورهم لامن ظهره وانهم ذرئهم أمة بدمائة وانه إتياد تقوم به الحجة له سبحانه فلا يقول الكافر يوم القيامة كنت غافلا عن هذا ولا يقول الولد أشرك أبى وتبعته فان ما فطرهم الله عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وخالقهم وفاطرهم حجة عليهم ثم دلت حديث عمر وغيره على امر آخر لم يدل عليه الآية وهو القدر السابق والميثاق الاول وهو سبحانه لا يحتاج عليهم بذلك وانما يحتاج عليهم برسله وهو الذى دلت عليه الآية فتضمنت الآية والاحاديد اثبات القدر والشرع واقامة الحجة والايان بالقدر فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما مثل عنها بما يحتاج القدر الى معرفته والاقرار بهما وبالله التوفيق

### الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم لا آدم صلوات الله وسلامه عليه

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا نخيتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اسطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أنقلوني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلفني بأربعين سنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى وفي رواية كتب لك التوراة بيده وفي لفظ آخر حاج آدم موسى فخرج آدم موسى فقال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى أعطاه الله علم كل شئ واصطفاه على الناس برسالته قال نعم قال أنقلوني على أمر قدر على قبل أن أخلق وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده وفضحك من روحه واسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت آتاس بجحشك الى الارض قال آدم أنت موسى الذى اسطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ وقربك نحيابكم وجبت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم هل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أنقلوني على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلفني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت الذى أخرجتنا خطيتك من الجنة وذكر الحديث متفق على صحته وهذا التقدير بعد التقدير الاول السابق بخلق السموات بمسعين ألف سنة وهو قد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المتزلة كآبى على الحيثي ومن وافقه على ذلك وقال لوصح لبطلت نبوات الانبياء فان القدر اذا كان حجة للعاصي بطل الامر والهي فان العاصي بترك الامر أو فعل النهي اذا سمحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع الامم عنه وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فان هذا حديث صحيح متفق على صحته لم يزل الامم تتلفاه بالقبول من عهد نبيا قرنا بعد قرن وقابله بالتصديق والتسليم ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله وحكوا بصحته فوالأجل الناس بالسنة ومن عرف بمداونتها وعداوتها حلتها والشهادة عليهم بأنهم مجسم ومشبّهة وحشوية وهذا الشأن ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم مؤكدين برده أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

التي تخالف قواعدهم الباطلة وهفائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية وأحاديث علو الله على خلقه وأحاديث صفاته القائمة به وأحاديث الشفاعة وأحاديث نزوله إلى سماءه ونزوله إلى الأرض للفصل بين عباده وأحاديث تكلمه بالوحي كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة إلى أمثال ذلك وكما ردت الحوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكاثر من النار بالشفاعة وغيرها وكما ردت الراضية أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكما ردت المعتزلة أحاديث الصفات والافعال الاختيارية وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء والقدر السابق وكل من أصل أصلا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرا إلى رد السنة ونحوها عن مواضعها فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلا غير ما جاء به الرسول فهو أصلهم الذي عليه يعملون وجنتهم التي إليها يرجعون \* ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى فقال فرقة أنما حجه لان آدم أبوه فحجه كما يحج الرجل ابنه وهذا الكلام لا يحصل فيه البتة فان حجة الله يجب المصير إليها مع الاب كانه أو الابن أو العبد أو السيد ولو حج الرجل أباه بحق وجب المصير إلى الحجة وقلت فرقة أنما حجه لان الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة وهذا من جنس ماقبله اذ لا تأثير لهذا في الحجة بوجه وهذه الامة تلوم الامم الخالفة لرسولها المتقدمة عليها وان كان لم تجمعهم شريعة واحدة وقبل الله شهادتهم عليهم وان كانوا من غير أهل شريعتهم وقالت فرقة أخرى أنما حجه لانه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه وهذا وان كان أقرب بما قبله فلا يصح ثلاثة أوجه أحدها ان آدم لم يذكر ذلك الوجه ولا جملته حجة على موسى ولم يقل أتؤمنى على ذنب قد تبئت منه الثاني ان موسى اعترف بالله سبحانه وإمره ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه انه قد تاب على قاعله واحتج به وهداه فان هذا لا يجوز لأحد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الرحمن الثالث ان هذا يستلزم إلغاء ما علق به النبي صلى الله عليه وسلم وجه الحجة واعتباره ما انقضى فلا يلتفت اليه وقالت فرقة أخرى أنما حجه لانه لامه في غير دار التكليف ولولامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه وهذا أيضا فاسد من وجهين أحدهما ان آدم لم يقل له لنتق في غير دار التكليف وإنما قال أتؤمنى على أمر قدر على قبل أن أخلق فلم يشرع للدار وإنما احتج في القدر السابق الثاني ان الله سبحانه يلوم المؤمنين من عباده في غير دار التكليف فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة وقالت فرقة أخرى أنما حجه لان آدم شهد الحكم وسجده على الخليفة وتقرّد الرب سبحانه بربوبيته وانه لا تحرك ذرة الإيمان عليه وانه لا راد لقضائه وقدره وانه ملشاه كان وملم يشأ لم يكن قالوا ومشاهدة السيد الحكم لا بدع له استباحت سيئة لانه شهد نفسه عندما محضا والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مريب منبر لاحية له ولا قوة له قالوا ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث وهو شر من مسلك القدرية في رده وهم انما ردوه ابطلا لهذا القول وردا على قائليه وأصابوا في ردهم عليهم وأبطل قولهم وأخطأوا في رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا المسلك لو صحت لبطلت البيانات جلية وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ولم يبق للحدود معنى ولا يلام جان على جنايته ولا تظلم على ظلمه ولا ينكر منكرا أبدا ولهذا قال شيخ المسلمين ابن سينا في اشاراته العارف لا ينكر منكرا لا يستنصره بسر الله تعالى في القدر وهذا كلام

منسأخ من الملل ومتابعة الرسل وأعرف خلق الله به رسله وأيقنوا عوهم أعظم الناس انكارا المنكر وانما أرسلوا لانكار المنكر فالعارف أعظم الناس انكارا للمنكر لبصرته بالامر والقدر فان الامر يوجب عليه الانكار والقدر يمنه عليه وينفذه له فيقوم في مقام اياك نبيدوايك تستعين وفي مقام قاعبده وتوكل عليه فتعبده بامرهم وقدره وتوكل عليه في تنفيذ أمره بقدره فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف بالله وعلى هذا أجبت الرسل من أولهم الى خاتمهم وامامهم يقول

أصبحت متعلما بختاره متى فصل كله طاعات

ويقول انا وان عصيت أمره فقد أطعت ارادته ومشيئته ويقول العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر فغارج عما عليه الرسل قاطبة وليس هو من اتباعهم وانما حكى الله سبحانه الاحتجاج في القدر عن المشركين أعداء الرسل فقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الى قوله (قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداناكم أجمعين) وقال تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) الى قوله (فهل على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا الذين آمنوا أن نعطيهم من لولياء الله لنعطيهم) وقال تعالى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم انهم الا يغرصون) فهذه أربع مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائه وشيخهم وإمامهم في ذلك عدوه الاحقر ابليس حيث احتج عليه بقضائه فقال (رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) فان قيل قد علم بالتلصوص والمقول صحة قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولو شاء الرحمن ما عبدناهم فانه لما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد قال تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فكيف أكذبهم ونفى عنهم العلم وأثبت لهم الحرس فيما هم فيه صادقون وأهل السنة جميعا يقولون لو شاء الله ما أشرك به مشرك ولا كفر به كافر ولا عصاه أحد من خلقه فكيف ينكر عليهم ما هم فيه صادقون (قيل) أنكسر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين وأخبر الفاجرين ولم ينكر عليهم صدقا ولا حقا بل أنكسر عليهم أبطل الباطل فاتهم لم يذكروا ما ذكروه إني بالقدره وربوبيته ووحدانيته وإفتقارا اليه وتوكلا عليه واستمانة به ولو قالوه كذلك لكانوا مصيبين وإنما قالوه معارضين به لشرعه ودافعين به لأمره فمارضوا شرعه وأمره ودفعوه بقضائه وقدره وواقضهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر وأيضا فاتهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على محبته لما شاءه ورضاه به واذنه فيه فجمعوا بين أنواع من الضلال معارضة الأمر بالقدر ودفعه به والإخبار عن الله أنه يجب ذلك منهم ورضاه حيث شاءه وقضاه وأن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر وقدرتهم في هذا الضلال وتسبهم عليه طوائف من الناس بمن يدعى التحقيق والمعرف أو يدعى فيه ذلك وقالوا العارف اذا شاهد الحكم سقط عنه اللوم وقد وقع في كلام شيخ الاسلام أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصاري ما يوجب ذلك فيقد أعاناه الله منه فانه قال في باب التوبة من منازل السائرين ولطائف التوبة ثلاثة أشياء \* أولها أن ننظر في الحنابة والفضية فنعرف مراد الله فيها إذ خلناك وآياتها فان الله تعالى إنما يعلى البعد والذنوب لاحد معين أن يعرف عبرته في قضائه وبره في مسيره وحلمه في إهمال رأكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته \* والثاني ليقم على البعد حجة عدله فيعاقبه

على ذنبه بحجة والعلية الثانية أن يعلم أن طلب البصير الصادق سنة لم تتبع له حسنة بحال لانه يسير بين مشاهدة المنة ويطلب عيب النفس والعمل والعلية الثالثة أن مشاهدة العبد الحكم لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصموده من جميع المعاني الى معنى الحكم فهذا الكلام الاميد تظاير يبطل استحسان الحسن واستقباح القبيح والشرائع كلها مبناه على استحسان هذا واستقباح هذا بل مشاهدة الحكم تزيد البصير استحسانا للحسن واستقباحا للقبيح وكلما ازدادت معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأمره قوى استحسانه واستقباحه فانه يوافق في ذلك ربه ورسوله ومقتضى اسمه الحسن والصفات التي وقد كان شيخ الاسلام في ذلك موافقا للأمر وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ومقاماته في ذلك شهيرة عند الخاصة والعامة وكلامه المتقدم بين في رسوخ قدمه في استقباح ما يقبحه الله واستحسان ما حسنه الله وهو كالحكم فيه وهذا متشابه فيرد الى محكم كلامه والذي يليق به ما ذكره شيخنا أبو الباس أحمد بن ابراهيم الواسطي في شرحه فذكر قاعدة في القضاء والاسطلام فقال القضاء عبارة عن اسطلام البدلية وجود الحق وقوة العلم به في البعد فيزيد بذلك يقينه به ومنفرته به وصفاته سبحانه فيذهل بذلك كما يذهل الانسان في أمر عظيم دمه فانه ربما غلب عن شعوره بما دمه من الامور المهمة مثله رجل وقف بين يدى سلطان عظيم قاهر من ملوك الارض فاذله مبالا حظه من هيئته وسلطانه عن كثير مما يشعر به وهذا تقرب والامر فوق ذلك فكيف بمن اشهد الله عز وجل فردايته حيث كان ولا شيء فرأى الاشياء موانع الاقوام لها الا بقدر تمخضها خيالها كالخيل بالنسبة الى وجود الحق تعالى وذلك في البصائر القلبية بالكشف الصحيح بعد التصفية والتدرب في القيام بأعباء الشريعة وحمل أفعالها والتخلق باخلاقتها وصلى الله عبده من درنه ويكشف لقلبه قبرى حقائق الاشياء ففى تجلت على المبدأ توار المشاهدة الحقيقية الروحية الدالة على عظمة الفردانية تلاشى الوجود الذي للعبد واضمحل كما يتلاشى الليل اذا اسفر عليه الصباح ويكون البديني ذلك أكل شارب فلا يظهر عليه شيء مقابر لنا اعتاده لكن يزداد إيمانه ويقينه حتى ربما غطى إيمانه عن قلبه كل شيء في أوقانه سكره ويبقى وجوده كالحلال قائما بالمبودية في حضرة ذى الجلال وتعود عليه البصائر الصحيحة في معرفة الاشياء عند محوه ثم يزول عنه عدم التميز وقوى على حاله فيتصرف وذلك هو البقاء بحيث يتصرف في الاشياء ولا يمحج عنه ما وجده من الايمان واليقان في حال البقاء بل يعود عليه شعوره الاول بوجود آخر يتولاه الله عز وجل مشهده فيه قيامه عليه بتدبيره ويصل الى مقام المراد بعد عبوره على مقام الريد فيصير به يسمع وبه ينطق كما جاء في الحديث الصحيح ووجه آخر وهو أن الغاني في حال فثاته قبل أن يباغ الى مقام البقاء والصحو والتميز فيستمر من قلبه محل الزهد والصبر والورع لا يمتنع أن تلك المقامات ذهبت وارتفع عنها المبدلكن بمعنى أن الشهود دست محلها من القلب وانطوت واندرجت في ضمن ما وجده اندراج الحال النازل في الحال العالي فصارت فيها وجهه الواحد من وجود الحق ضمنا وتبعا وصار القلب مشتتلا بالحال الاعلى عن الحال الادنى بحيث لو قش قلب العبد لوجد فيه الزهد والورع وحقائق الخوف والرجاء مستورا بائنا الحال من الاحوال الوجودية التي يضيق القلب عن الاتباع لجموعها وفي حال البقاء والصحو والتميز تعود عليه تلك المقامات بالله لا بوجوده اذا علمت ذلك اعمل اشكال قوله إن مشاهدة العبد لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة

لصعوده الى معنى الحكم أى ان صفة حكم الله حشت بصبره وملاها فشهد قيام الله على الاشياء  
وتصرفه فيها وحكمه عليها فرأى الاشياء كلها منه صادرة عن تقاض حكمه وتقديره وارادته التقديرية  
فغاب بما لاحظ من الجمع عن التمييز والفرق ويسمى هذا جملاً لأن المبدأ اجتمع نظره الى مولا في  
كل حكم وقع في الكون وفي ملاحظة هذا الحكم الذى صدرت عنه التصرفات اجتمع قلبه ولضعف  
قلبه حين هذا الاجتماع لم يتسع للتمييز الشرعى بين الحسن والقبيح بمعنى أنه انطوى حكم معرفته  
بحسن والقبيح في طي هذه المعرفة الساترة له عن التمييز لا بمعنى أنه ارفع عن قلبه حكم التحسين  
والتقبيح بل اندرج في مشهده وانطوى بحيث لو قش لوجد حكم التحسين والتقبيح مستورا في طي  
مشهده ذلك والله التوفيق وتلخيص ما ذكره شيخنا رحمه الله أن للفعل وجهين وجه قائم بالرب تعالى  
وهو قضاءه وقدره له وعلمه به والبعد له ملاحظتان ملاحظة للوجه الأول وملاحظة للوجه الثانى  
والكمال أن لا يغيب بأحد الملاحظتين عن الاخرى بل يشهد قضاء الرب وقدره ومشيته ويشهد مع  
ذلك فعله وجناته وطاعته ومصيته فيشهد الربوبية والعبودية فيجتمع في قلبه معنى قوله (لن شاءتمكم  
أن يستقيم مع قوله) وما شاؤن إلا أن يشاء الله وقوله (إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون  
إلا أن يشاء الله) فمن الناس من يتسع قلبه لهذه الشهودين ومنهم من يضيق قلبه عن اجتماعهما بقوة  
الوارد عليه وضيق المحل فغيب بشهود العبودية والكسب وجهة الطاعة والمعصية عن شهود الحكم  
القائم بالرب تعالى من غير إنكار له فلا يظهر عليه إلا أثر الفعل وحكمه الشرعى وهذا لا يضره اذا كان  
الايان بالحكم قائماً في قلبه ومنهم من يقب بشهود الحكم وسبقه وأولية الرب تعالى وسبقه للاشياء  
عن جهة عبوديته وكسب وطاعته ومصيته فغيب بشهود الحكم عن المحكوم به فضلاً عن صفته فاذا  
لم يشهد له فعلاً فكيف يشهد كونه حسناً أو قبيحاً وهذا أيضاً لا يضره اذا كان علمه بحسن الفعل وقبحه  
قائماً في قلبه وأما توارى عنه الاستيلاء بشهود الحكم على قلبه والله التوفيق \* فأين هذا من احتجاج  
بأعداء الله بمشيئته وقدره على إبطال أمره ونهيه وعباده هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات  
لمواهبها المشيئة السابعة ولو أغضبهم غيرهم وقصر في حقوقهم يشهدوا فعله طاعة مع أنه وافق فيه  
المشيئة فما احتج بالتقدير على إبطال الأمر والنهى الامن هو من أجهل الناس وأظلمهم وأنعم هواه  
وتأمل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على إبطال ما أمرهم به  
رسوله وأنه لو لا محبته ورضاه به لما شاءه منهم (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهذا كم أجيبين) فآخبر  
سبحانه أن الحجة عليهم برسله وكتبه وبيان ما ينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الايمان بمنزلة وأمره  
ونواحيه وأعطاهم الاسماع والابصار والعقول ثبتت حجة البالغة عليهم بذلك واضمحلت حججهم  
الباطلة عليه بمشيئته وقضائه ثم قرر تمام الحجة بقوله (فلو شاء لهذا كم أجيبين) فإن هذا يتضمن أنه  
المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه وأنه لا رب غيره ولا إله سواه فكيف يمدون معه إلهاً غيره  
قائماً بالقدر والمشيئة من تمام حجة البالغة عليهم وأن الامر كله لله وأن كل شيء مالا لله باطل  
فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد لعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك  
فكانت حجة الله على البالغة وحججهم على البالغة والله التوفيق \* اذا عرف هذا فوسى أعرف بالله  
وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعه فاجتنبه ربه بدمه وهدهد واسطفاه وآدم

أعرف بربه من أن ينجح فضله وقدره على معصيته بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت  
 الذرة ونحو وجههم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والحنة بسبب خطيئة أبيهم فقد ذكر الخطيئة تنبها  
 على سبب المعصية والحنة التي نالت الذرة ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة وفي لفظ خيبتنا  
 فأتجح آدم بالقدر على المعصية وقال إن هذه المعصية التي نالت الذرة بسبب خطيئتي كانت مكتوبة  
 بقدره قبل خلقي والقدر ينجح به في المصائب دون المعائب أي أتؤمنى على معصية قدرت على عليكم  
 قبل خلقي بكذا وكذا سنة هذا جواب شيخنا رحمه الله وقد يتوجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج  
 بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع إذا احتجج به بعد وقوعه والثوب منه وترك  
 معاودته كالمسلم آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذلك من التوحيد ومعرفته أنه الرب وصفاؤه وذكرها  
 ما ينفع به الذكر والسامع لانه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولا يطل به شريعة بل يجر الحق المحض  
 على وجه التوحيد والبراءة من الحلول والقوة \* يوضحه أن آدم قال لموسى أتؤمنى على أن علمت عملا  
 كان مكتوبا على قبل أن أخلق فإذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن  
 فأنه مؤثب عليه ولأمره حسن منه أن يحتجج بالقدر بشد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر على  
 قبل أن أخلق فانه لم يدفع بالقدر حقا ولا ذكره حجة له على باطل ولا يحذور فيه الاحتجاج به وإنما  
 الموضوع الذي يضر الاحتجاج به في الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلزمه  
 عليه لاثم فيجح بالقدر على إقامته عليه وأصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كاحتجاج  
 به المصرون على شركهم وعيادتهم غير الله فقالوا (لوشاء الله ما شركتنا ولا أبائونا ولوشاء الرحمن ما عبدناهم)  
 فأتخضوا به مصوتين لهم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يزنموا على تركه ولم يقرضوا بفساده  
 فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل الزم على أن لا يعود فإذا لاه لاثم بعد  
 ذلك قال كاننا ما كان بقدر الله \* ونكتة المسئلة أن اللوم إذا ارتفع صبح الاحتجاج بالقدر وإذا كان  
 اللوم واقفا فالاحتجاج بالقدر باطل \* فان قيل فقد احتج على بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي  
 صلى الله تعالى عليه وسلم كافي الصحيح عن علي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرقه  
 وقاطعة ليلا فقال لهم أنصتون قال قلت يا رسول الله إنما اتقنا يد الله فإذا شاء أن يمشي بها فأنصرف  
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع إلى شيء مما سمعته وهو مدير يصرب  
 نغده وهو يقول (وكان الإنسان أكبر شيء جدلا) \* قيل على لم يحتجج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم  
 وإنما قال إن تقيبه ونفس قاطعة يد الله فإذا شاء أن يوقظهما ويمت أفسهما بهما وهذا موافق لقول  
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أموا في الزاوي أن الله قبض أرواحنا حيث شاء ودها حيث شاء وهذا  
 احتجاج صحيح صاحب يميز فيه فالتام غير مفرط واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح وقد أوردنا التبع صلى  
 الله تعالى عليه وسلم إلى الاحتجاج بالقدر في الموضوع الذي ينفع البعد الاحتجاج به (فروى) مسلم في  
 صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب إلى  
 الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير لحرص على ما نبتغ الله ولا يعجز عن الله وإن أصابك شيء  
 فلا تقل لاني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فتن من هذا  
 الحديث الشريف أصولا عظيمة من أسووك الإيمان (أحدها) أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه



يجب حقيقة (الثاني) انه يجب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقه فهو القوي ويجب المؤمن القوى وهو  
 وتر يحب الوتر وجبل يحب الجمل وعليه يجب الطماء وتظليح يجب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين  
 ومحسن يحب المحسنين وصابر يحب الصابرين وشاكر يحب الشاكرين ومهنا يحب المهنة للمؤمنين تفضل  
 فيحب بعضهم أكثر من بعض ومنها ان سعادة الانسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده  
 والحرص هو بذل الجهد واستقراغ الوسع فاذا صادف ما ينفع به الحرص كان حرصه محمودا وكاله  
 كله في مجموع هذين الامرين ان يكون حرصا وان يكون حرصه على ما ينفع به فان حرص على مالا  
 ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فانه من الكلام المحسب ما فاته من ذلك فالحرص كله في الحرص على  
 ما ينفع وبما كان حرص الانسان وقوله انما هو بمجموعة الله ومشيشه وتوفيقه أمران يستين به ليجتمع  
 له مقام إياك نبيد وإياك تستعين فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم الامومة فأمه بان يعبده  
 وان يستعين به ثم قال ولا تصحز فان المحز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استماتته بالله فالحرص  
 على ما ينفعه المستعين بالله ضد الماحز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور الى ما هو من أعظم أسباب  
 حصوله وهو الحرص عليه مع الاستماتة بمن أئمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردّها اليه فان فاته  
 مما يقدر له فله حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقبه السجز الى لو ولا فائدة في لو هنا بل  
 هي مفتاح الدوم والخروج والسخط والاسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فناء صلى الله تعالى  
 عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر الى القدر وملاحظته وأنه لو  
 قدر له لم ينفعه ولم ينفعه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشية الرب لا فائدة الى توجب  
 وجود المقدور واذا انتفت امتنع وجوده فلها قال فان غلبك أمر فلا تقل لواني قلت لكان كذا ولكن  
 قل قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبه وحالة فواته فلها  
 كان هذا الحديث بما لا يستغنى عنه البعد أبدا بل هو أشد شيء اليه ضرورة وهو يتضمن اثبات القدر  
 والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حال حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق

### الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه

وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر

ما يلقاه وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك

عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الصادق المصدق ان أحدكم  
 ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علاقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك  
 ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤم بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد  
 فوالذي لا إله غيره ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الانزعاق فيسبق عليه  
 الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه  
 وبينها الانزعاق فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها متفق عليه (وعن) حذيفة بن  
 أسيد يبلغ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قل يدخل الملك على الطرفة بيد ما تستقر في الرحم  
 بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يا رب اشق أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب أذكر أم أنسى

فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص رواء مسلم (وعن) عامر بن واثله أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأثنى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري حديثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير عمل فقال له الرجل أنتجب من ذلك فأثنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إذا مرّ بالنطفة ثمان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظمها ثم قال يارب أذكر أم أئتي فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما مر ولا ينقص (وفي) لفظ آخر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأنثى هاتين بقول ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يسمو عليها الملك قال زهير بن معاوية أحسبه قال الذي يخلقها فيقول يارب أذكر أم أئتي فيجعل الله ذكرا أو أنثى ثم يقول يارب أسوي لم غير سوى فيجعل الله سويا أو غير سوى ثم يقول يارب مارزقه وما أجله وما خلقه ثم يجعل الله شقيا أو سعيدا وفي لفظ آخر إن ملكا موكلًا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئا يأنثى الله ولبضع وأربعين ليلة ثم ذكر نحوه وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة وإذا أراد أن يقضي خلقا قال الملك أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه متفق عليه (وقال) ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن سعيد بن عبد الرحمن بن حنيفة حدثهم أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أراد الله أن يخلق النطفة قال الملك الأرحام معها يارب أذكر أم أئتي فيقضى الله بأمه ثم يقول يارب شقي أم سعيد فيقضى الله أمره فهم يكتب بين عينيه ما هو لاقى حتى التئمت بينهما (قال) ابن وهب وأخبرني عبدالله بن لهيعة عن بكر بن سواد الجدي عن أبي تميم الحنثلي عن أبي ذر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إذا دخلت يعني النطفة في الرحم أربعين أي ملك النفس فرج إلى الرب فقال يارب عبدك أذكر أم أئتي فيقضى الله بما هو قاض أشقى أم سعيد فيكتب ما هو كائن وذكر بقية الحديث (وقال) ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن كعب بن علقمة عن عيسى عن هلال عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال إذا مكنت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملك فاحتجبها ثم عرج بها إلى الله تعالى أخلق بأحسن الخالقين فيقضى الله بها بما يشاء من أمره ثم يدفع إلى الملك فيسأل الملك عند ذلك فيقول يارب اسقط أم يتم فيبين له ثم يقول يارب أواجد أم توأم فيبين له ثم يقول أقطع رزقه مع خلقه فيقبضها جميعا فوالذي نفس محمد بيده لا يزال إلا ما قسم له يومئذ إذا أكل رزقه قبض (وقال) عبد الله بن أحمد أنا الملاء تأبوا الاشتتاء أبو عامر عن الزبير بن عبد الله حدثني جعفر بن مصعب قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن الله سبحانه حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول أي رب ماذا فيقول غلام أو جارية أو مائة أو مائة أو مائة أو مائة فيقول أي رب أشقى أم سعيد فيقول شقي أو سعيد فيقول أي رب ما أحبه فيقول كذا وكذا فيقول ما خلقه ما خلقه فيقول

كذا وكذا في شيء الا وهو يخلق معه في الرحم (وفي المسند) من حديث اسماعيل بن عبيد الله وهو ابن أبي المهاجر أن أم الدرداء حدثته عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرغ الله من وجهي الى كل عبد من خمس من أجله ورزقه ومضججه وأثره وشق أم سعيد (وقال) ابن حميد ثنا يقوب ابن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا وقست النطفة في الرحم تلبث أربعة أشهر وعشرا ثم تنفتح فيها الروح ثم تلبث أربعين ليلة ثم يموت إليها ملك فنفقها في فقرة الفقا وكتب شيئا أو سيدا وروى ابن أبي خيثمة ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال السعيد من سجد في بطن أمه رواء أبو داود في القدر عن عبد الرحمن بن حماد عن هشام بن حسان عن محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن ميسرة ثنا عبد الحليم بن يان ثنا خالد بن عبد الله عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وقال سعيد عن أبي اسحاق عن أبي الاسود عن عبد الله قال الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وقال شعبة عن غمار عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال ان أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد وشرا الأمور محدثاتها فاتبعوا ولا تبعدوا فان الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وان شر الروايات روايا الكذب وشرا الأمور محدثاتها وكل ما هو آت قريب رواه أبو داود في القدر وذكر الطبري من روايت أبي اسحاق عن أبي عبد الله عنه أنه كان يحيى كل يوم خميس يقوم قائما لا يجلس فيقول إنما هما اثنتان فأحسن الهدى هدى محمد وأصدق الحديث كتاب الله وشرا الأمور محدثاتها وكل محدث ضلالة ان الشقي من شقي في بطن أمه وانما السعيد من وعظ بغيره الا فلا يطولن عليكم الأمد ولا يهينكم الأمل فان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما ليس آتيا وان من شر الناس بطال النهار حيفة الليل وان قتل المؤمن كفر وان سباه فسوق ولا يجلس لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا ان شر الروايات روايا الكذب وأنه لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا ان يعد الرجل صفيه ثم لا ينجزه الا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان أصدق يهدي الى البر ويهدي الى الجنة وان الصادق يقال له صدق وبر وان الكاذب يقال له كذب وبجر واتى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد ليصدق فيكتب عند الله صدقا وأنه ليكذب حتى يكتب عند الله كذبا الا أهل تدرون ما لعضه هي القيمة التي تصد بين الناس وهذا متواتر عن عبد الله وبلغ معاوية أن الولاء اشتد بأهل دار فقال لو حولناهم عن مكانهم فقال له أبو الدرداء وكيف لك يا معاوية بأفس قد حضرت آجالها فكان معاوية وجدا على أبي الدرداء فقال له كتب يا معاوية لأحمد على أخيك فان الله سبحانه لم يدع عساحين يستمر نطقها في الرحم أربعين ليلة الا كتب خلقها وخلقتها وأجلها ورزقها ثم لكل نفس ورقة خضراء معلقة بالعرش فاذا دنا أجلها خلقت تلك الورقة حتى يمس ثم تسقط فاذا يست سقطت تلك النفس وانقطع أجلها ورزقها ذكره أبو داود عن محمود بن خالد ثنا مروان بن معاوية بن سلام حدثني أخي زيد بن سلام عن جده ابن سلام قال بلغ معاوية فذكره وقال أبو داود ثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن الحكم عن مجاهد في قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائفة

عنقه قال مامن مولود يولد الا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي اوسعيد وفي الصحيحين عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الجحش طبع يوم طبع كافر اولو حاش لارحم ابيهم طغيانا وكفرا وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت توفي صبي من الانصار فقلت طوى له عصفور من عصافير الجنة لم يسلم السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة اهلها خلقهم لها وهم في اسلاب آياتهم ولا يناقض هذا حديث سمره بن جندب الذي رواه البخاري في صحيحه من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم اطفال للمشركين حول ابراهيم الخليل في الروضة قالن الاطفال منقسمون الى شقي وسعيد كالبالغين قالذي رآه حول ابراهيم السعداء من اطفال المسلمين والمشركون وانكر على عائشة شهادتها للطفل المدين انه عصفور من عصافير الجنة فاجتمعت هذه الاحاديث والآثار على تقدير رزق البد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه واحتلفت في وقت هذا التقدير وهذا تقدير بعد التقدير الاول السابق على خلق السموات والارض وبعد التقدير الذي وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق ابيهم آدم في حديث ابن مسعود ان هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما من حصول الطفلة في الرحم وحديث انس غير مؤثت وأما حديث حفصة بن أسيد فقد وقت فيه التقدير باربعين يوما وفي لفظ باربعين ليلة وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة وفي لفظ ثلاث وأربعين ليلة وهو حديث ترويه مسلم ولم يروه البخاري وكثير من الناس يظن التمازج بين الحديثين ولا تمازج بينهما بحمد الله وان الملك الموكل بالطفلة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الاربعين الاولى حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقه وأما الملك الذي ينفخ فيه فاقما ينفخها بعد الاربعين الثالثة فيؤمر عند فزع الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالطفلة ولهذا قال في حديث ابن مسعود ثم يرسل اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات وأما الملك الموكل بالطفلة فذاك راتب معها يتلقاها باذن الله من حال الى حال فيقدر الله سبحانه شأن الطفلة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق وقدرة شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما فهو تقدير بعد تقدير فاقضت احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق بعضها وبضا ودلت كلها على إنبات القدر السابق ومراتب التقدير وما يؤتى أحد الامن غلبت الفهم أو غلبت في الرواية ومقتضى الرواية وفهمتها كما ينبغي تين أن الامر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق وبالله التوفيق

### الباب الخامس في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

قال الله تعالى (حم والكتاب المدين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق صلل أمر حكيم أمر امن عندنا إنا كنا مرسلين) وهذه هي ليلة القدر قطعا لقوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ومن زعم انها ليلة النصف من شبان فقد غلط قال سيفان عن ابي نجيح عن مجاهد ليلة القدر ليلة الحكم وقال سيفان عن محمد بن سودة عن سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون باسمهم وأسماهم آياتهم فلا ينادر منهم أحد ولا يزداد فهم ولا ينقص منهم وقال ابن عليّة تاربيعة بن كثوم قال قال رخل للحسن وأنا اسمع أرايت ليلة القدر في كل رمضان هي قال نعم والله الذي لا إله الا هو

إلهنا في كل رمضان وأنها ليلة التقدير يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس قال يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية أنك ترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموقد وقال مقاتل بقدر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة وقال أبو عبد الرحمن السلمي بقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر وهذا هو الصحيح أنه التقدير مصدر قدر الشيء يقدره قدرها فهي ليلة الحكم والتقدير وقالت طائفة ليلة القدر ليلة الشرف والمظلة من قولهم فلان قدرني الناس فإن أراد صاحب هذا القول أن لها قدرا وشرفا مع ما يكون فيها من التقدير فقد أصاب وإن أراد أن معنى القدر فيها هو الشرف والخطر فقد غلط أن الله سبحانه أخبر أن فيها يفرق أي يفصل الله ويبين ويرسم كل أمر حكيم

### الباب السادس في التقدير الخامس اليومي

قال الله تعالى (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) ذكر الحاكم في صحيحه من حديث أبي حمزة الثمالی عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ما خلق الله لولا محفوظا من درة بيضاء فذاته من باقوة حره قلبه نور وكتبه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة في كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويمن ويذل ويعل ما يشاء فذلك قوله (كل يوم هو في شأن) وقال مجاهد والكلبي وعبد ابن عمر وأبو مبسر وعطاء ومقاتل من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويمزق ويذل ويهلك عانيا ويشفي مريضا ويحب داعيا ويمطئ سائلا ويتوب على قوم ويكشف كرايا ويفقر ذنبا ويضع أقواما ويرفع آخرين دخل كلام بعضهم في بعض وقد ذكر الطبراني في المعجم والستة وعثمان بن سعيد النادومي في كتاب الرد على المريسي عن عبد الله بن مسعود قال إن ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والأرض نور وجهه وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثلث عشرة ساعة فيعرض عليه أعمالكم فيها على ما يكره فيغضب ذلك وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجذونه ثقل عليهم فيسبحه حملة العرش وسرا دقات العرش والملائكة المقررون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل في القرن فلا يبقى شيء إلا يسمع صوته فيسبجون الرحمن ثلاث ساعات حتى يتلى الرحمن عز وجل رحمة ذلك ست ساعات ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) وقوله (يحب لمن يشاء أن يهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا أو أنثى) ويجعل من يشاء عاقبا إنه علم قديم فذلك سبع ساعات ثم يؤتى بالأزواج فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (يسقط الرزق لمن يشاء ويقدر كل يوم هو في شأن) قال هنا شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى قال الطبراني ثنا بشر بن موسى ثنا يحيى بن إسحاق أنا حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن عبد الله أو عبيد الله ابن مكرز عن ابن مسعود فذكره وقال عثمان بن سعيد التماري ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبيد الله القهري أن ابن مسعود قال إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار فذكر الحديث إلى قوله فيصحه حملة العرش وسرا دقات العرش والملائكة المقررون وسائر الملائكة فهذا تقدير يومي والذي قبله تقدير حولي والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس

به والذي قبله كذلك نهد أول تخلقه وكونه مضغة والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والارض والذي قبله تقدير سابق على خلق السموات والارض بمخمين ألف سنة وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة تعريف الملائكة وعادة المؤمنين بنفسه وأسائه وقد قال تعالى (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنسخ من اللوح المحفوظ فستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعملوا فيجدون ذلك موافقا لما يصلونه فيثبت الله تعالى منه ما فيه نوابه عقاب وي طرح منه القو وذ كرامين مردويه في تفسيره من طرق إلى بقية عن أرطاة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر يرفعه أن أول ما خلق الله القلم فأخذ به وكتب ما يشاء من الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول من بر أو جور رطب أو يابس فأحصاه عند الذكر وقال اقرأ إن شئت (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه وقال آدم ثنا ورقة عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال نستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فاما يعمل الانبياء على ما استنسخ الملك من أم الكتاب وفي تفسير الإبيجع عن سفيان عن منصور عن مقسم عن ابن عباس قال كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ثم بث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكة ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ثم قرأ (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وفي تفسير الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يفرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظوا عليه ذلك كله وإذا كان النبي صمدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم

### الباب السابع في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضى

#### ترك الأعمال بل يقتضى الاجتهاد والحرص

يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا قاعدة في الأعمال وإن ماضاه الرب سبحانه وقدره لا بد من وقوعه توسط العمل لأقاعدة فيه وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأجابهم عليه فيه الشفاء والهدى في الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع النرق فأتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه خضرة فنكس فجعل يشكت بمخضرة ثم قال ما منكم من أحد بامن نفس منقوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار والآن قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا تشكل على كتابنا ونزع العمل فن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فينصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فيميسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيميسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحق فستيسره الله لليسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحق فستيسره الله لليسرى) وفي بعض طرق البخاري أفلا تشكل على كتابنا ونزع العمل فن

كان من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كل من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة وعن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال جاء سراق بن مالك بن جشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فم العمل اليوم أنما جفت به الاندام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال فقيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر رواء مسلم وعن عمار بن حصين قال قيل يارسول الله اعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل فقيم يعمل العاملون فقال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخاري كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له ورواء الامام أحمد أطول من هذا فقيل ثنا صفوان بن عيسى ثنا عروة بن ثابت عن يحيى بن عتيق عن أبي نعيم عن أبي الاسود الدؤلي قال غدت على عمران بن حصين يوما من الايام فقال ان رجلا من جنة اومر بة أنى الى التي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكفون فيمضى قضى عليهم أومضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم وأخذت عليهم الحجة قال بل شئ قضى عليهم قال فلم يعملوا اذا يارسول الله قال من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلين فيها لعملها وتصديق ذلك في كتاب الله (وقبس) وما سواها فلهما جورها وتقواها) وقال الحاملي ثنا أحمد بن المقدم ثنا المشر بن سليمان قال سمعت أبا سفيان يحدث عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنه قال نزل فتم شق وسعيد فقال عمراني الله على م لعمل على أمر قد فرغ منه أم يفرغ منه قال لا على أمر قد فرغ منه قد جرت به الاندام ولكن كل ميسر أما من أعطى وأتقى وصدق بالحسنى فستيسره اليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى فانفتحت هذه الاحاديث ولفظها على أن التقدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الانتكال عليه بل يوجب الجهد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهادا منى الآن وهذا لما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم ومحة علومهم فان التي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بالتقدير السابق وجريانه على الخلق بالاسباب فان المبدئ لما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكن منه وهي له فاذا أتى بالسبب أوصلة الى التقدير الذي سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى اليه وهنا كما اذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فانه لا يزال ذلك الابلاجهاد والحرص على التلم وأسبابه واذا قدر له أن يبرزق الولد لمثل ذلك الابلاكاح أو التسرى والوطىء واذا قدر له أن يستغل من أرضه من المثل كذا وكذا لمثل الإبلذر ونقل أسباب الزرع واذا قدر الشيخ والرى فذلك موقف على الاسباب المحصلة لتلك من الاكل والشرب واللبس وهذا شأن أمور الماش والمعادن عطل العمل انتكالا على التقدير السابق فهو بمنزلة من عطل الاكل والشرب والحركة في الماش وسائر أسبابه انتكالا على ما قدر له وقدر الله سبحانه عباده على الحرص على الاسباب التي يها مرام معاشهم ومصالحهم الدينية بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات فهكذا الاسباب التي بها مصالحهم الآخوية في معادهم فانه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو الحكيم بما نصبه من الاسباب في الماش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له فاذا علم البند أن مصالح آخرته مرتبطة بالاسباب الموصلة اليها كان أشد اجتهادا في فها من التيسر بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه وقد فقه هذا كل الفقه من قال

ما كنت أشد اجتهادا متى الآن فان البعد اذا علم ان سلوك هذا الطريق يفضي به الى رياض موقفة  
وساكنة معجبة ومساكن طيبة ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب كان خرصه على سلوكها واجتهاده  
في السير فيها بحسب علمه بما يقتضي اليه ولهذا قال ابو عثمان الهذلي لسلطان لا تأبوا هذا الامر أشد فرحا  
منى بآخره وذلك لأن ما اذا كان قد سبق له من الله سابعة وهبأ ويسره للوصول اليها كان فرحه بالسابعة  
التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالاسباب التي تأتي بها فاتها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه  
وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها وهبأ له أسبابها لتوصله اليها فالامر كله من فضله وجوده السابق  
فسبق له من الله سابعة السعادة ووسيلتها وغايتها فالؤمن أشد فرحا بذلك ممن كرون أمره بمجاولا اليه  
كما قال بعض السلف والله مالعب أن يجعل أمرى الى آله اذا كان بيد الله خيرا من أن يكون بيدي  
فالقدر السابق معين على الاعمال وما يثبت عليها ومقتضى لها لانه خاف لها وصادف عنها وهذا موضع  
مزلة قدم من ثبت قدمه فاز بالنعيم المقيم ومن زلت قدمه عنه هوى الى قرار الحميم فالتبى صلى الله  
تعالى عليه وسلم ارشد الامة في القدر الى امرين هما سبب السعادة الايمان بالاقدار فانه نظام التوحيد  
والايمان بالاسباب التي توصل الى مغيرة ونجيز عن شره وذلك نظام الشرع فأرشدهم الى نظام التوحيد  
والامر فابى المتحرفون الا القدر بانكاره في أصل التوحيد أو القدر بآبائه في أصل الشرع ولم يتسع  
عقولهم الى لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جئت الرسل جميعهم به وهو القدر والشرع والخلق  
والامر وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم  
والتي صلى الله تعالى عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الامرين للامة وقد قدم قوله  
إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان العاجز من لم يتسع للامر لله وبالله التوفيق

### الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون \*

قد تقدمت الاحاديث بوقوع أهل السعادة في إحدى القبتين وكتابتهن بسمايتهن وأسماء آبائهن في ديوان  
السعادة قبل خلقهم وفي جميع الحاكم من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن  
ابن عباس قال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال المشركون فاللائكة وعيسى  
وعزرا يسعدون من دون الله قال فزلت (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وهذا  
استاد صحيح هو قال علي بن المديني تتابعي بن آدم تتابعي بكر بن عياش عن عاصم قال أخبرني ابو زر  
عن ابي يحيى عن ابن عباس أنه قال آية لا يسأل الناس عنها لأدري اعرفوها فلم يسألوا عنها وأجهلوا  
فلا يسألون عنها فقيل له وما هي فقال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أتتم لها  
واردون) شق ذلك على قريش أو على أهل مكة وقالوا يشتم أمتنا فجاء ابن الزبيري فقال مالك قالوا  
يشتم أمتنا قال وما قال قالوا قال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أتتم لها واردون) قال  
ادعوه لي فلما دعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا محمد هذا شيء لآلتها خاصة لم لكل من عبد  
من دون الله فقال لا بل لكل من عبد من دون الله قال فقال ابن الزبيري خصيت ورب هذه البنية  
يعني الكعبة ألتست زعم ان الملائكة عباد صالحون وابن عيسى عبد صالح وان عزرا عبد صالح وهذه  
بنو مليم تعبد الملائكة وهذه الثعاري تعبد حليبي وهذه اليهود تعبد عزرا قال فضج أهل مكة فأنزل



الله عز وجل (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون جديها) قال وزلت  
(ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون) قال هو الضجيج وهذا الايراد الذي أورده ابن  
الزهرى لا يراد على الآية فانه سبحانه قال انكم وما تمبدون من دون الله ولم يقل ومن تمبدون وما لما  
لا يقل فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير وانما ذلك للاحجار ونحوها التي لا تقل وايضا فان  
السورة مكية والخطاب فيها للمباد الاصنام فانه قال انكم وما تمبدون فلفظة انكم وللفظه ما تبطل سر الله  
وهو رجل فصيح من العرب لا يخفى عليه ذلك ولكن اراد ما كان من جهة القياس والعموم المعنوي  
الذي يعم الحكم فيه بعموم علمه أي ان كان كونه معبودا يوجب أن يكون حسب جهنم فهذا المعنى  
بينه موجود في الملائكة وعزير والمسيح فاجيب بالفارق وذلك من وجود واحدتها ان الملائكة  
والمسيح وعزير ان سبقتم لهم من الله الحسنى فهم سعداء يفعلوا ما يستوجبون به النار فلا يبدون  
ببساطة غيرهم مع فضهم ونمادتهم لم فالتسوية بينهم وبين الاصنام أقبح من التسوية بين النبي والزبا  
والنبي والذكي وهذا شأن أهل الباطل وانما يسوون بين ما فرق الشرع والعدل والفضل وبينه ويفرقون  
بين ماسوى الله ورسوله بين الفرق الثاني ان الاوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة فاذا حصبت بها  
جهنم اهاة لها ولما بدا لها لم يكن في ذلك من لا يستحق العذاب بخلاف الملائكة والمسيح وعزير فانهم  
أحياء ناطقون فلو حصبت بهم النار كان ذلك لإيلا ما وتمذبا لهم الثالث ان من عبد هؤلاء بزمه فانه  
لم يبعدهم في الحقيقة فانهم لم يدعوا الى عبادتهم وانما عبدوا المشركون الشياطين وتوهموا ان العباد لم هؤلاء  
فانهم عبدوا بزمهم من ادعى انه معبود مع الله وانه معه إله وقدر الله سبحانه ملائكة والمسيح  
وعزير ان من ذلك وانما ادعى ذلك الشياطين وهم بزمهم يتعبدون انهم يرضون بان يكونوا معبودين مع  
الله ولا يرضى بذلك الا الشياطين ولهذا قال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة هؤلاء  
ما كنتم تكلمون) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون  
وقال تعالى (إنا أعهد اليك يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) وقال تعالى (وقالوا اتخذوا الرحمن ولدا) سبحانه  
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن  
أرصى وهم من خشية مشفقون ومن يقل منهم إلى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي  
الظالمين) فما بعد غير الله الا الشيطان وهذه الاجوبة من قوله (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى)  
فأتمل الآية تمجدها تلوح في صفحات ألفاظها وبالله التوفيق والمقصود ذكر الحسنى التي سبقتم من الله  
لاهل السعادة قبل وجودهم وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبو عامر  
القعدي ثنا عروة بن ثابت الانصاري ثنا الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوفان عبد الرحمن  
ابن عوف مرضى مرضا شديدا اغشى عليه فاق قال اغشى على قالوا نعم قال انه أتاني رجلان غليظان  
فاخذابيدي فقالا انطلق نحاك الى العزيز الامين فانطلقا بي فقلناهما رجل وقال أين تريدان قال نحاك  
نحاك الى العزيز الامين فقال دعاء فان ههنا من سبق له السعادة وهو في بطن أمه وقال عبد الله بن  
محمد البنوي ثنا داود بن رشيد ثنا ابن علية حدثني محمد بن محمد القرشي عن عامر بن سعد قال اقبل  
سعد من ارض له فاذا الناس عكوف على رجل فاطلع فاذا هو يسب طلحة والزبير وعليا فهنا فكأنما  
زاده لغراء فقال وبك تريدان تسب أقواما هم خير منك لتبين أو لا دعون عليك فقال كأنما يخونني

نبى من الانبياء فانطلق فدخل داراً فتوضأ ودخل المسجد ثم قال اللهم ان كان هذا قد سب أقواما قد سبقت لهم منك حتى اسخطك سبه أيامهم فارنى اليوم آية تكون للمؤمنين آية وقال فخرج بخفية من دار بنى فلان لا يريد ما شئ حتى انتهى اليه ويتفرق الناس ويحمله بين قوائمها وتطأه حتى طوى قال فلما رأيت بعدا يقيم الناس يقولون استجاب الله لك يا أبا اسحاق استجاب الله لك يا أبا اسحاق وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) أى الله سماكم من قبل القرآن وفي القرآن فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل اسلامهم وقبل وجودهم وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال ابن عباس في رواية الوالى عنه في قوله (ويشرك الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وهذا لا يخالف قول من قال انه الاعمال الصالحة التي قدموها ولا قول من قال انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبق لهم من الله في الذكر الاول السعادة بأعمالهم على يد محمد صلى الله عليه وسلم فهو خير تقدم لهم من الله قدمه لهم على يد رسوله ثم قدمهم عليه يوم لقائه وقد قال تعالى (ولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقد اختلف السلف في هذا الكتاب السابق فقال جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم لولا قضاء من الله سبق لكم يا أهل بدر في النوح المحفوظ ان الثنائم جلال لكم لما قبكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق انه لا يذب أحدا الا بعد الحاجة لما قبكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر أنه مقفور لهم وإن عملوا مشاؤا لما قبهم وقال آخرون وهو الصواب لولا كتاب من الله سبق لهذا كله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم والله أعلم

### الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر

قال سفيان عن زياد بن اسماعيل الخزومي ثنا محمد بن عباد بن جعفر ثنا أبو هريرة قال جاء مشركون فريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاضعون في القدر فنزلت هذه الآية (ان الجرمين في ضلال وسير يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر رواه مسلم وقد روى البارقي من حديث حبيب بن عمرو الانصاري عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد ابن خضابه الله وهم القدريه ولكن حبيب هذا قال البارقي مجهول والحديث مضطرب الاسناد ولا يثبت والمحاضون في القدر نوعان أحدهما من يطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما شئ كنا ولا أبأؤنا والثاني من يشكر قضاءه وقدره السابق والماضي خضابه الله قال عوف من كذب بالقدر فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر اقهارا وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقيم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم المافية بقدر وأمر ونهى وقال الامام أحمد القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال هذا يدل على دقة علم أحد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء فان انكار القدر انكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها وسالف القدريه كانوا يشكرون عليه بها وهم الذين اتفق سلف الامة على تكفيرهم وسنذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله وفي تفسير علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس في قوله تعالى (اتماحنى الله من عباده العلماء) قال الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفته بمخاتق الاسماء والصفات فإن أكثر أهل الكلام لا يؤمنون بهذه الجملة حتها ولو كانوا يقولون بها ففكرو القدر وخلق أفعال العباد لا يقولون بها على وجهها ومنكرو أفعال الرب القائمة به لا يقولون بها على وجهها بل يصرحون أنه لا يقدّر على فعل يقوم به ومن لا يقرب أن الله سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء لا يقرب أن الله على كل شيء قدير ومن لا يقرب أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وأنه سبحانه مقلب القلوب حقيقة وأنه أن شاء يقيم القلب أقامه وأن شاء أن يزيحه أو يزيله لا يقرب أن الله على كل شيء قدير ومن لا يقرب أنه استوى على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول من يسألني فأطيعه من يستغفر لي فأغفر له وأنه نزل إلى الشجرة فكلهم موسى كلمه منها وأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها وأنه يجيء يوم القيامة فيفصل بين عباده وأنه يجلي لهم بصحك وأنه يريهم نفسه المقدسة وأنه يضع رجله على النار فيضيق بها أهلها ويزوى بعضها إلى بعض إلى غير ذلك من شؤنه وأفعاله التي من لم يقربها لم يقربها أنه على كل شيء قدير فإنها كلمة من حبر أئمة وترجمان القرآن وقد كان ابن عباس شديدا على القدرية وكذلك الصحابة كما نذكر ذلك أن شاء الله تعالى

الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر  
وهي أربع مراتب (المرتبة الاولى) علم الرب سبحانه الاشياء قبل كونها (المرتبة الثانية) كتابته لها  
قبل كونها (المرتبة الثالثة) مشيئته لها (الرابعة) خلقه لها <sup>فاما</sup> المرتبة الاولى وهي العلم السابق فقد  
اتفق عليه الرسل من اولهم الى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الامة وخالفهم  
مجنوس الامة وكتابته الساعة يدل على علمه بها قبل كونها وقد قال تعالى (واذا قال ربك للملائكة اني  
جاءني بالارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن لسبح بحمدك ونقدس  
لك قال اني اعلم ما لاتعلمون) قال مجاهد علم من ابليس المصيبة وخلقها وقال قتادة كان في علمه انه  
سيكون من تلك الخليفة انبياء ورسول وقوم صالحون وساكنو الجنة وقال ابن مسعود أعلم بالانطلسون  
من ابليس وقال مجاهد ايضا علم من ابليس انه لا يسجد لآدم وقال تعالى (ان الله عنده علم الساعة  
وينزل الثيب ويعلم ما في الارحام وما يدرى نفس ماذا تكسب غدا وما يدرى نفس باي ارض تعوت ان  
الله علم خبير) وفي المستند من حديث لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا رسول  
الله هماغذكم من علم النبي فقال من ربك بغيايح خس من السيب لايصلها الا الله وأشار يده فقلت  
ما هن قال علم الميتة قد علم متى ميتة أحدكم ولاتعلمونه وعلم النبي يكون في الرحم قد علمه ولا  
تلمونه وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم ولاتعلمه وعلم يوم الثيب يشرق عليكم مشفقين فيظل  
يضحك قد علم ان غوثكم الى قريب قال لقيط لن نعلم من رب يضحك خيرا وعلم يوم الساعة وقد  
تقدم حديث على المشفق على محبة ما نمتكم من أحد ما علم نفس منقوسة الا وقد علم ما كان من الجنة أو النار  
وقال البزار حدثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي شاعيا الله بن موسى نافعيل بن مرزوق عن عطية عن

أبي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحسبه قال يؤتى بالمالك في القربة والمتو به والمولود فيقول المالك في القربة لم يأتني كتاب ولا رسول وشوق المتو به أي رب لم يجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود أي رب لم أدرك العمل قال فرفع لهم نار فيقال لهم بردوها أو قال أدخلوها فبردها من كان في علم الله سعيدا أن لو أدرك العمل قال ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا أن لو أدرك العمل فيقول تبارك وتعالى إياي عصيت فكيف رسل بالحب وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما فتحت الهمزة جمعا هل محسوس فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أفرايت من يموت منهم وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين ومعنى الحديث الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا وقد قال تعالى (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضلعه الله على علم) قال ابن عباس علم ما يكون قبل أن يخلقهم وقال أيضا على علم قد سبق عنده وقال أيضا يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب وقال سعيد ابن جبير ومقاتل على علمه فيه وقال أبو اسحاق أي على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقهم وهذا الذي ذكره جمهور المفسرين وقال الثعلبي على علم منه بمابقة أمره قال وقيل على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقهم وكذلك ذكر البيهقي وأبو الفرج بن الجوزي قال على علمه السابق فيه أنه لا يهتدى وذكر طائفة منهم المهدوي وغيره قولين في الآية هذا أحدهما قال المهدوي فأضل الله على علم علمه منه بأنه لا يستحقه قال وقيل على علم من عابد الصنم أنه لا ينفع ولا يضر وعلى الأول يكون على علم حال من الفاعل بالمعنى أضله الله علما بأنه من أهل الضلال في سابق علمه وعلى الثاني حال من المفعول أي أضله الله في حال علم الكافر بأنه ضال قلت وعلى الوجه الأول فالعلمي أضله الله علما به وباقواله وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبسببه وأنه أهل للضلال وليس أهلا أن يهدي وأنه لو هدى لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه والرب حكيم إنما يضع الأشياء في محالها الثلاثة فانتظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التي لاجلها قدر عليه الضلال وذكر الم إله الكاشف المبين لحقائق الأمور ووضع الشيء في مواضعه واعطاء الخير من يستحقه ومنه من لا يستحقه قال هذا لا يحصل بدون العلم فهو سبحانه أضله على علمه بأحواله التي تناسب ضلاله وتقضيه وتدعيه وهو سبحانه كثيرا ما يذكر ذلك مع إخباره بأنه أضل الكافر كما قال (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرا كما كنا مضد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) وقال تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويصدون في الأرض أولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) والله لا يهدي القوم الفاسقين أن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ويضل الله الظالمين كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب كذلك يطعم الله على كل قلب متكبر حيار كذلك يطعم الله على قلوب الذين لا يملكون وقد أخبر سبحانه أنه يضل ذلك عقوبة لأرباب هذه الجرائم وهذا لإضلال من بعد الإضلال الأول كما قال تعالى (وقالوا لنوليننا غفل بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) وقال تعالى (وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) وقلب أفكسهم وأبصارهم كالم يؤمنون به لأول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال (واذا قال

موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (يا ايها الذين امنوا استحيوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحكيكم واعطوا ان الله يحول بين المرء وقلبه واتاله تخشرون) أى ان تركم الاستجابة لله ورسوله عاقبتكم بان يحول بينكم وبين قلوبكم فلا تصدرون على الاستجابة بمدنك ويشبه هذا ان لم يكن بعينه قوله (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا يظنونوا) الآية في موضع آخر (تلك القرى قصص عليك هن اسئلبها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وفي هذه الآية ثلاثة اقوال أجدها قال أبو اسحاق هذا اخبار عن قوم لا يؤمنون كما قال عن نوح (ألمن يؤمن من قومك الا من قد آمن) واحتج على هذا بقوله (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قال وهذا يدل على انه قد طبع على قلوبهم وقال ابن عباس فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ مبائعتهم حين أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرها وأقروا بالاسنان وأضمرُوا التكذيب وقال مجاهد فما كانوا لواحيثناهم بعد هلاكهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم قلت وهو نظير قوله ولوردوا العادوا لما هموا عنه وقال آخرون لما جاءتهم رسلهم بالآيات التي افترحوها وطلبوها ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيتنا ومبائعتنا بما كذبوا به من قبل رؤيتنا ومبائعتنا فتمهم تكذيبهم السابق بالحق لما عرفوه من الايمان به بعد ذلك وهذه عقوبة من رد الحق أو أعرض عنه فلم يقبله فانه يصرف عنه ويحال بينه وبينه ويقلب قلبه عنه فهذا اضرار العقوبة وهو من عدل الرب في عبده وأما الاضرار السابق الذي ضل به عن قبوله أولا والاعتدائه فهو اضرار ثانى عن علم الله السابق في عبده انه لا يصلح للهدى ولا يلبق به وان عمله غير قابل له فانه أعلم حيث يضع هدايته وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته فهو أعلم حيث يجعلها أصلا وميراثا وكما انه ليس كل عمل أهلا لتحمل الرسالة عنه وأدائها الى الخلق فليس كل عمل أهلا لقبولها والتصديق بها كما قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أليس الله أعلم بالشاكرين) أى ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض فابتلى الرؤساء والسادة بالاتباع والموالي والضعفاء فاذا نظر الرئيس والمطاع الى المولى والضعيف لافعة وأتف أن يعلم وقال هذا بين الله عليه بالهدى والسعادة دونى قال الله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وهم الذين يعرفون النعمة وقد رها ويشكرون الله عليها بالاعتراف والتذل والخضوع والسجدة فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتى وتشكرونى عليها وتذكرونى بها وتخضعون لى خضوعهم وتحبوني كحبهم لنت عليكم كما منت عليهم ولكن لم تنمى محال لا تلبق الابها ولا تحسن الاعتدائها ولهذا يقرن كثيرا بين الشخصين والعلم كقبوله ههنا (أليس الله أعلم بالشاكرين) وقوله (اذ جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى نؤتى مثل ما نؤتى) رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى سبحانه المتفرد بالخلق والاختيار بما خلق وهو الاصطفاء والاجتناب ولهذا كان الوقت الثام عند قوله ويختار ثم نفي عنهم الاختيار الذى افترحوه بارادتهم وان ذلك ليس اليم بل الى الخلاق العليم الذى هو أعلم بمحال الاختيار ومواقفه لامن قال (ولا تزل هذا القرآن على رءس من الفريقين عظيم) فاختبر سبحانه انه لا يثبت الرسل باختيارهم

وان البشر ليس لهم أن يختاروا على الله بل هو الذى يخلق ما يشاء ويختار ثم نفي سبحانه أن تكون لهم الحيرة كما ليس لهم الخلق ومن زعم أن ما مفعول يختار فقد غلط اذ لو كان هذا هو المراد لكانت الحيرة منصوبة على أنها خبر كان ولا يصح المعنى ما كان لهم الحيرة فيه وحذف العائد فإن العائد هنا مجرور بحرف لم يجر الموصول بمثله فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل فلا يجوز حذفه وكذلك لم يفهم معنى الآية من قال ان الاختيار ههنا هو الإرادة كما يقوله المتكلمون أنه سبحانه فاعل بالاختيار فإن هذا الاصطلاح حادث منهم لا يحمل عليه كلام الله بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة وهو اختيار الشيء على غير موافقه يقتضى ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتهديته على غيره وهذا أمر أخس من مطلق الإرادة والمشية قال في الصحاح الحيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الأمر والحيرة أيضا يقول محمد خير قاله من خلقه وخيرة الله أيضا بالتسكين والاختيار الاصطفاء وكذلك التخير والاستخارة طلب الحيرة يقال استخراة مجر لك وخبرته بين الشئيين فوختا له الاختيار انتهى فهذا هو الاختيار في اللغة وهو أخس مما اصطلاح عليه أهل الكلام ومن هنا قوله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الحيرة من أمرهم) وقوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتا) أي اختار منهم وهذا يحصل جواب السؤال الذى تورده القدرية يقولون في الكفر والمعاصي هل هي واقعة باختيار الله أم بغير اختياره فإن قلتم باختياره فكل مختار مرضى مصطفى محبوب فتكون مرضية محبوبة له وإن قلتم بغير اختياره لم يكن بمشيئته واختياره وجوابه ان يقال ما تضمنت بالاختيار العام في اصطلاح المتكلمين وهو المشية والإرادة أم تضمنت به الاختيار الخاص الواقع في القرآن والسنة وكلام العرب وإن أردتم بالاختيار الأول فهو واقعة باختياره بهذا الاعتبار لكن لا يجوز أن يطلق ذلك عليها لما في لفظ الاختيار من معنى الاصطفاء والمحبة بل يقال واقعة بمشيئته وقدرته وإن أردتم بالاختيار معناه في القرآن ولغة العرب فهي غير واقعة باختياره بهذا المعنى وإن كانت واقعة بمشيئته فإن قيل فهل تقولون أنها واقعة بإرادته أم لا تقولون ذلك قيل لفظ الإرادة في كتاب الله نوعان إرادة كونه شاملة لجميع المخلوقات كقوله (فقال لما يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (إن كان الله يريد أن يفويكم) ونظائر ذلك وإرادة دنيئة أمرية لا يجب وقوع مرادها كقوله (يريد الله بكم اليسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فهي مرادة بالمعنى الأول غير مرادة بالمعنى الثاني وكذلك ان قيل هل هي واقعة بآذنه أم لا والاذن أيضا نوعان كونه كقوله (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) ودينى كقوله (آله أذن ليكم) وقوله (أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا) ولو لفظ الاختيار مشتق من الحيرة الخلف للشر ولما كان الأصل في الحى أنه يريد ما يقصده وما هو خير سميت الإرادة اختيارا وهذا يتضمن ان الإرادة لا ترجح نوعا على نوع الأمر رجح ذلك النوع عند الفاعل والمقصود أنه يذكر العلم عند التخصصات كقوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم على المائتين) لاختلاف بين الناس ان المعنى على علم منا بأنهم أهل الاختيار فالجمل في موضع نصب على الحال أى اخترناهم علمين بهم وبأحوالهم وما يقتضى اختيارهم من قبل خلقهم ذكر سبحانه اختيارهم وحكمته في اختيارهم إياهم وذكر علمه لذلك على مواضع حكمت واختاره ومن هنا قوله سبحانه (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين) وأصح الأقوال في الآية ان المعنى من قبل نزول التوراة فإنه سبحانه قاله (ولقد آتينا موسى وهرون

الفرقان وضياه ذكرنا للمتقين وقال (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) ثم قال ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ذلك ولهذا قطعت قبل عن الإضافة وبينت لأن المضاف منوى معلوم وإن كان غير مذكور في اللفظ وذكر سبحانه هؤلاء الثلاثة وهم أئمة الرسل وأكرم الخلق عليه محمد وإبراهيم وموسى وقد قيل من قبل أى في حال صفه قبل البلوغ وليس في اللفظ ما يدل على هذا والتسابق إنما يقتضى من قبل ما ذكر وقيل اللغى بقوله من قبل أى في سابق علمنا وليس في الآية أيضا ما يدل على ذلك ولا هو أمر مختص بإبراهيم بل كل مؤمن فقد قدوا الله هداه في سابق علمه والمقصود بقوله وكنناه عالمين قال النبوى أنه أهل للهداية والثبوت وقال أبو الفرج أى عالمين بأنه موضع لا يتأخر الرشده وقال صاحب الكشاف المتي عليه به أنه علم منه أحوالاً بديعة وأسراراً عجيبية وصفات قدر ضيها وحدها حتى أهلها لخالته ومخالسته وهذا كقولك في حجر من الناس أنا عالم بفلان فكلما ملك هذا من الإحتواء على محاسن الأوصاف وهذا كقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (ولقد اخترناهم على علم) ونظيره قوله (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) وقريب منه قوله (ولسلبان الریح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكننا بكل شيء عالين) حيث وضعا هذا التخصص في الجمل الذي يليق به من الأمان والآمانى

**فصل** وهو سبحانه كما هو العلم الحكيم في اختياره من يختاره من خلقه وإضلاله من يضلهم منهم فهو العلم الحكيم بما في أمره وشرعه من المواقف الحيدة والغايات العظيمة قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) بين سبحانه إن ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصلحة والمنفعة لهم التي اقتضت أن يختاره وأمرهم به وهم قد يكرهونه أما لعدم العلم وأما لثبوت الطبع فهذا علمه بما في عواقب أمره بما لا يعلمونه وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه فهذه الآية تضمنت الحسنى على التزام أمر الله وأن شق على النفوس وعلى الرضا بقضائه وإن كرهته النفوس وفي حديث الاستشارة اللهم أنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأقدره لي ويسر لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلمه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفه عني وأصرني عنه وقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به \* ولما كان البديححتاج في فعل ما ينفعه في معاشه ومعاده إلى علم ما فيه من المصلحة وقدرته عليه ويسره له وليس له من نفسه شيء من ذلك بل علمه بمن علم الإنسان ما لم يعلم وقدرته منه فإن لم يقدره عليه والأفوه عاجز ويسيره منه فإن لم يسيره عليه والأفوه متصرف عليه بما أقدره أرشده النبي صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم إلى محض البودية وهو جلب الخير من العالم بعواقب الأمور وقاصيها وخيرها وشرها وطلب القدرة منه فإنه ان لم يقدره والأفوه عاجز وطلب فضله منه فإن لم يفضله له ويهمله والأفوه متذرع عليه ثم إذا اختاره له بعلمه وأعاناه عليه بقدرته ويسره له من فضله فهو محتاج إلى أن يقيه عليه ويديمه بالبركة التي يرضها فيه والبركة تضمن ثبوتها وتقوم وهذا قدرنا ندعى إقداره عليه ويسيره له ثم إذا فعل ذلك كما فهو محتاج إلى أن يرشيه به فانه قد يهين له ما يكرههم فيظل ساءطاً ويكون قد خار الله له فيقال خدياً به من عمران الرجل ليستخير الله فيختاره فيسخط على ربه فلا يلبس أن ينظر في العاقبة فإذا هو قد خاره وفي المستدمن

حديث سعد بن عقیق وقاص عن النبی صلی الله تعالى علیه وسلم من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاهما قضاء الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله فالقدور يكتفه امران الاستخارة قبله والرضا بعده فمن توفيق الله لعبده وأساعده إياه أن يختار قبل وقوعه ويرضى بعد وقوعه ومن خذلانه له أن لا يستخيره قبل وقوعه ولا يرضى به بعد وقوعه وقال عمر بن الخطاب لأبالي أصبحت على ما أحب وأوعى ما أكره لاني لأدرى الخير فيما أحب وأوفيا أكره وقال الحسن لا تتركوا الثقات الواقعة والبلايا الحادثة فترك امرئ تركة فيه نجاتك ولوب أمرؤ تركة فيه عطيك

**فصل** وما يناسب هذا قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين علقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فلم الم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) بين سبحانه حكمة ما كرهه عام الحديبية من صد المشركين لهم حتى رجعوا ولم يتمروا وبين لهم أن مطلوبهم يحصل بعد هذا فحصل في العام القابل وقال سبحانه فلم الم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو صلح الحديبية فهو أول الفتح المذكور في قوله أنا فتحنا لك فتحا مبينا فان بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الاسلام وبطلان الكفر ما لم يكونوا يرجون قبل ذلك ودخل الناس بعضهم في بعض وتكلم المسلمون بكلمة الاسلام وبراهينه وأدلتهم جهره لا يخافون ودخل في ذلك الوقت في الاسلام قريب ممن دخل فيه الى ذلك الوقت وظهر لكل أحد بغي المشركين وعداوتهم وعداوتهم وعلم الأخاس والعام أن محمدا وأصحابه أولى الحق والهدى وأن أعداءهم ليس بأسيهم الألدوان والناد فان البيت الحرام لم يصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم فتحقق العرب غناد قرش وعداوتهم وكان ذلك داعية لبشر كثير الى الاسلام وزاد غناد القوم وطفياهم وذلك من أكبر العون على نفوسهم وزاد صبر المؤمنين واحتماهم والزادهم لحكم الله وطاعة رسوله وذلك من أعظم أسباب نصرهم الى غير ذلك من الامور التي علمها الله ولم يعلمها الصحابة ولهذا ساء فتحا وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفتح هو قال نعم

**فصل** ويشبه هذا قول يوسف الصديق (يا بئس هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسننى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي أن ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) فاختير أنه يلطف لما يريد فأتى به بطرق خفية لا يعلمها الناس واسمه اللطيف يتضمن علمه بالاشياء الدقيقة وايصاله الى حجة بالطرق الخفية ومنه التلطف كما قال أهل الكهف (وليتلطف ولا يشعرون بكم أحداً) فكان ظاهر ما متعجب به يوسف من مفارقة آيةه والقاءه في السجن ويومه رقيقا ثم مهراودة التي هو في بيتها عن نفسه وكذبه عليه وسجته مخنا ومصائب وباطنها لنما وفتحها ما الله سببا لسعادته في الدنيا والآخرة ومن هذا الباب ما يتلى بعباده من المصائب وأمرهم به من المنكاره ونهاهم عنه من الشهوات هي طرق يوصلهم بها الى سعادتهم في المآجل والآجل وقد حفت الجنة بالمنكاره وحفت النار بالشهوات وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ان أعطاه سراء شكر فكان خيرا له وان أصابه مضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك الا للمؤمن فالقضاء كله خير لمن أعطى الشكر والصبر جالبا ما جلب



وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليهم وسلم من الأمور التي هي في الظاهر عمن وإبتلاء وهي في الباطن طرق خفية أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم فتأمل قصة موسى والطوف له من إخراجيه في وقت ذبح فرعون للأطفال ووجهه إلى أمه أن تلقيه في النهر وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يده وهو يذبح الأطفال في طلبه فرمته في يثته وحججه على فراشه ثم قبر له سبيلاً أخرجه من مصر وأوصله به إلى موضع لا يحكم لفرعون عليه ثم قدر له سبيلاً وأوصله به إلى الشكاح والغنى بعد الزوينة والهيبة ثم ساقه إلى بلد عدوه فأقام عليه به حجة ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه وكان ذلك عين طعنتهم على أعدائهم وأهملهم وهم ينظرون وهذا كله مما بين أنه سبحانه يفعل ما يريد من العواقب الحيدة والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابقة والتعرف إلى عباده بأسائه وصفاته فكم في أكل آدم من الشجرة التي نهى عنها وإخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدي القول إلى تفاصيلها وكذلك ما قدره لسيد ولده من الأمور التي أوصله بها إلى أشرف غاياته وأوصله بالطرق الخفية فيها إلى أحد العواقب وكذلك فصله بهادته وأوليائه يوصل إليهم نعمه ويسوقهم إلى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي لا يهتدون إلى معرفتها إلا إذا لاحت لهم عواقبها وهذا أمر يعنى الجنان عن معرفة تفاصيله ويحصر اللسان عن التعبير عنه وأعرف خلق الله به أنبأؤه ورسله وأعرضهم به خاتمهم وأفضلهم وأتمه في العلم به على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله وبأسائه وصفاته وهو سبحانه قد أحاط علماً بذلك كله قبل السموات والأرض وقدره وكتبته عنده ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الأول قبيل خلق المبد فيطابق حاله وشأنه لما كتب في الكتاب ولما كتبه الملائكة لا يزد شيئاً ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبت عنده كان في علمه قبل أن يكتبه ثم كتبه كما في علمه ثم وجد كما كتبه قال تعالى (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) والله سبحانه قدير قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي عليه فهم كما علمه وإبتلاءهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه فاستحقوا المدح والثناء والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل أن يعملوا فأرسل رسله وإرسله كتبه وشرع شرائعه اعناراً إليهم وإقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا كيف تقاينا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كتبنا وقدرتنا فلما ظهر علمه فهم بأفعالهم حصل العقاب على معلومه الذي أظهره الإبتلاء والاختبار وحكما إبتلاهم بأمره ونهيه إبتلاهم بما زين لهم من الدنيا وما ركب فيها من الشهوات فذلك إبتلاء بشرعه وأمره وهذا إبتلاء بقضائه وقدره وقال تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لئنبوهم أنهم أحسن عملاً) وقال (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) فخير في هذه الآية أنه خلق السموات والأرض ليتلى عباده بأمره ونهيه وهذا من الحق الذي خلق به خلقه وأخبر في الآية التي قبلها أنه خلق الموت والحياة لئيبثهم أيضاً فإحياءهم لئيبثهم بأمره ونهيه وقدر عليهم الموت الذي يتلوا به عاقبة ذلك الإبتلاء من الثواب والعقاب وأن خير في الآية الأولى أن زين لهم ما على الأرض لئيبثهم به أيهم يؤثر مآخذهم عليه وإبتلاء بعضهم ببعض

وأبلاهم بالتم والمصاب فأنظر هذا الإبلاء عليه السابق فيهم موجوداً عياناً بعد أن كان غيباً في علمه  
 فابتلى أبوى الأنس والجن كل منهما بالآخر فأنظر أبلاء آدم معلومة منه وأبلاء إبليس معلومة منه فلماذا  
 قال للملائكة (إني أعلم ما لا تعلمون) واستمر هذا الإبتلاء في القرية الى يوم القيامة فابتلى الأبناء بهمهم وابتلى  
 أئمتهم بهم وقال لعبيده ورسوله وخليفه إني مبتليكم بقرآنك ومبتل بك وقال (ونبؤكم بالشر والخير فتنة وإنا  
 نرجعون) وقال (وجعلنا بضعكم لبعض فتنة) وفي الحديث الصحيح ان ثلاثة أراد الله أن يبتليهم أربصه  
 وأقرع وأعمى فأنظر الإبتلاء حقائقهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم فاما الأعمى فاختبره بإسماء الله  
 عليه وأنه كان أعمى فقبراً فاعطاه الله البصر والتقى وبذل للسائل ما طلبه شكر الله وأما الأقرع والأربص  
 فتكلاهما جسداً ما كان عليه قبل ذلك من سوء الحال والفقر وقال في التقى إنا أوتيته كبراً عن كبر  
 وهذا حال أكثر الناس لا يعترف بما كان عليه أولاً من نقص أو جهل وفقر وذنوب وإن الله سبحانه  
 خلقه من ذلك الى ضد ما كان عليه وأتم بذلك عليه ولهذا يفتنه سبحانه الإنسان على مبدأ خلقه  
 الضعيف من الماء الملوين ثم خلقه في أطواره من حال الى حال حتى جعله بشراً سوياً  
 يسمع وبصر ويقول وينطق ويعلم ففتنى بمبادئ وأوله وكيف كان ولم يعترف بنعم ربه عليه  
 كما قال تعالى (أطعم كل امرئ منهم أن يدخل جنة لعمى كلانا خلقناهم بما يعلمون) وأنت اذا  
 تأملت ارتباط إحدى الجنتين بالأخرى وجدت تحتها كنزاً عظيماً من كنوز المعرفة والسلام فأنظر  
 سبحانه بمبدأ خلقه بما يعلمون من النطق وما أبدعها الى موضع الحجة والآية الدالة على وجوده  
 ووحدانيته. وكأله وتفرده بالربوبية والالهية وأنه لا يحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى لا يرسل اليهم  
 رسولا ولا ينزل عليهم كتاباً وأنه لا يجوز مع ذلك أن يخلقهم بهذا ما أماتهم خلقاً جديداً ويعيشهم الى  
 دار يوفيه فيها أعمالهم من الخير والشر فكيف يطعمون في دخول الجنة وهم يكذبون ويكذبون  
 رسلي ويبذلون بي خاتي وهم يعلمون من أي شيء خلقهم ويشبه هذا قوله (نحن خلقناكم فلولا  
 تصدقون) وهم كانوا مصدقين بأنه خالقهم ولكن احتج عليهم بخلقهم على توحيدهم ومعرفة وصدق  
 رسله فدعاهم منهم ومن خلقه الى الاقرار بإسمائه وصفاته وتوحيده وصدق رسله والإيمان بالمعاد وهو  
 سبحانه يذكر عباده بنعمه عليهم ويدعوهم بها الى معرفته ومحبة وتصديق رسله والإيمان بخلقائه كما  
 تضمنته سورة التهم وهي سورة التحمل من قوله خلق الإنسان من نقطة الى قوله (والله جمل لكم بما  
 خلق فظلالاً وجبل لكم من الجبال أكتافاً وجبل لكم سرائيل تقيمكم الحر وسرايل تقيمكم بأحكامكم  
 كذلك يتم نعمت عليكم لعلكم تتقون) فقد كرمهم بأصول التعم وفروعها وعددها عليهم نعمة نعمة وأخير  
 أنه أتم بذلك عليهم ليسلوا له فتكمل نعمه عليهم بالإسلام الذي هو رأس التمس ثم أخبر عن كفرهم  
 ولم يشكروا نعمه بقوله (يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها) قال مجاهد المساكين والأنام وسرايل الثياب  
 والحديد يعرفه كفار قريش ثم يشكرونها بأن يقولوا هذا كان لأبائنا ورثناه عنهم وقال عون بن عبد  
 الله يقولون لا فلا نلكن كذا وكذا وقالوا الفراء وابن قتيبة يعرفون أن التمس من الله ولكن يقولون  
 هذه بشافة أكلنا. وقالت طائفة النعمة ههنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وإنكارهم لجددهم نبوته  
 وههنا يزور عن مجاهد والسدي وهذا أقرب الى حقيقة الإنكار فإنه إنكار لما هو أجل التمس أن  
 تكون نعمة وأما على القول الأول والثاني والثالث فأنهم لما أضاعوا النعمة الى غير الله فقد أنكروا

نعمة الله ينسبها الى غيره فان الذي قال انما كان هذا لا يائنا وراثته كابر اعن كابر جاحداً لنعمة الله عليه غير معترف بها وهو كالأبرص والاعمى الذين ذكرهما الملك بنع الله عليهما فانكرا وقالوا انما وراثتنا هذا كابر اعن كابر فقال ان كتبنا كاذبين فصبر كما الله الى ما كتبنا وكونهم موروثة عن الآباء لم يبلغ في انعام الله عليهم اذ انعم بها على آباءهم ثم وورثهم ليأها فتتمواهم وآباؤهم بنعمة وأما قول الآخرين لولا فلان لما كان كذا فيضمن قطع اضافة النعمة الى من لولاه لم تكن وأضافتها الى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نصراً وغاية أن تكون جزء من اجزاء السبب أجرى الله تعالى نعمته على يده والسبب لا يستقل بالاجاد وجعله سبباً هو معي نعم الله عليه وهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله من أسبيلها فالسبب والسبب من انعامه وهو سبحانه قد ينعم بذلك السبب وقد ينعم بدونه فلا يكون له أثر وقد يسلبه تسييته وقد يجعل لها معارضا يقاومها وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة وأما قول القائل بشفاعته آلتنا فتضمن الشرك مع اضافة النعمة الى غير والبالآله التي تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عباده وهي محضرة في الهوان وللعباد مع عابديها وأقرب الخلق الى الله وأحبهم اليه لا يشفع عنده الا من بعد إذنه ان رضاه فالشفاعة باذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له اذ ليس كل أحد أعلان لا يشفع له فن المنعم على الحقيقة سواء قال تعالى (وما بكم من نعمة فن الله) فالله لا يخرج له عن نعمته وفضله ومسته وإحسانه طرفتين لا في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا ذم الله سبحانه من آتاه شيئاً من نعمة فقال إنما أوتيته على علم عدى وفي الآية الأخرى (وإذا منى الانسان ضرده عانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) وقال البغوي على علم من الله اني له أهل وقال مقاتل على خبره الله عدى وقال آخرون على علم من الله اني له أهل ومضمون هذا القول ان الله آتاه على علمه بأنني له أهل وقال آخرون بل هو أوتيت هذا في الدنيا فلي عند الله منزلة وشرف وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف قال تعالى بل هي فتنة أي التمس التي أوتيتها فتنة تختبره فيها ومحنة تختص بها لا يدل على اضطوائه واجتباؤه المحبوب لئلا يقرب عدنا ولهذا قال في قصة قارون (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة أو أكثر جباً) فلو كان إعطاء المال والقوة والحجاء يدل على رضا الله سبحانه عن آتاه ذلك وشرف قدره وعلو منزلته عندنا أهلك من آتاه من ذلك أكثر مما آتى قارون فلما أهلكهم مع سعة هذا الطعاب بسطة علم ان عطاءه انما كان بسلامة فتنة لاجبة ورضاً وأصفاء لهم على غيرهم ولهذا قال في الآية الأخرى بل هي فتنة أي النعمة فتنة لاكرامة ولكن أكثرهم لا يعلمون ثم أكد هذا المعنى بقوله (قد قالها الذين من قبلهم فإغنى عنهم ما كانوا يكتسبون فاصحاب سيئات ما كسبوا) أي قد قال هذه للمقالة الذين من قبلهم لما آتاهم نعمتنا قال ابن عباس كانوا قد بطروا نعمة الله اذ آتاهم الدنيا وفرحوا بها وطفوا وقالوا هذه كرامة من الله لنا وقوله فإغنى عنهم ما كانوا يكتسبون المعنى انهم نزلوا أن ما آتاهم لكرامتهم علينا ولا يمكن كذلك لانهم وقوا في المناب ولم يرض عنهم ما كسبوا شيئاً وتبين أن تلك النعم لم تكن لكرامتهم علينا وهو ان من منشاها وإياها وقال أبو اسحق معنى الآية ان قولهم إنما آتانا الله ذلك لكرامتنا عليه وإلا أهلنا حبط أعمالهم فكفى عن إحباط العمل بقوله (فإغنى عنهم ما كانوا يكتسبون) ثم أبطال

سبحانه هذا الظن الكاذب منهم بقوله فأولم يعلموا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر (والمقصود ان قوله على علم عنده إن أريد به علمه نفسه كان المعنى أوتيته على ما عصى من العلم والخبرة والمعرفة التي توصلت بها إلى ذلك وحصلت بها وإن أريد به علم الله كان المعنى أوتيته على ما علم الله عندي من الخير والاستحقاق وإلى أهله وذلك من كرامتي عليه وقد يترجح هذا القول بقوله أوتيته ولم يقل حصلتهوا اكتسبته بطلني ومعرفتي فدل على اعترافه بأن غيره آتاه إياه ويدل عليه قوله تعالى (بل هي فتنة) أي حنة واختبار والمعنى أنه لم يؤت هذا لكرامته علينا بل أوتيته امتحانا منا وابتلاء واختبارا هل يشكر فيه أم يكفر وأيضا فهذا يوافق قوله (فاما الانسلا) اذا ما ابتلاه به فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرم من وأما اذا ما ابتلاه فقد رزقه فيقول ربي اعانني فهو قد اعترف بأن ربه هو الذي آتاه ذلك ولكن ظن أنه لكرامته عليه قالاية على التقدير الاول تتضمن ذم من أضاف الثم إلى نفسه وعلمه وقوته ولم يصفها إلى فضل الله وأحسانه وذلك محض الكفر بها فإن رأس الشكر الاعتراف بالنعمة وانها من اللهم وحده فاذا أضيفت إلى غيره كان جحدا لها فاذا قال أوتيته على ما عصى من العلم والخبرة التي حصلت بها ذلك فقد أضافها إلى نفسه وأعجب به كما أضافها إلى قدرته الذي قالوا من أشد منا قوة هؤلاء اغتروا بقتوتهم وهذا اغتر بعلمه فما أغنى عن هؤلاء قوتهم ولا عن هذا علمه وعلى التقدير الثاني يتضمن ذم من اعتقد أن انعام الله عليه لكونه أهلا ومستحقا لها فقد جعل سبب النعمة مقام به من الصفات التي يستحق بها على الله أن ينعم عليه وان تلك النعمة جزء له على أحسانه وخيره فقد جعل سببا مالا تصف به هولا ما قام بربه من الجود والاحسان والفضل والمنة ولم يعلم ان ذلك ابتلاء واختبار له يشكر أم يكفر ليس ذلك جزءا على ما هو منه ولو كان ذلك جزءا على عمله أو خير قام به فانه سبحانه هو المتم عليه بذلك السبب فهو المتم بالسبب والجزاء والكل محض منه وفضله وجوده وليس للبعد من نفسه مقال ذرة من الخير وعلى التهديرين فهو لم يصف النعمة إلى الرب من كل وجه وإن أضافها إليه من وجه دون وجه وهو سبحانه وحده هو المتم من جميع الوجوه على الحقيقة بالتم وأسبابها وأسبابها من نعمه على العبد وان حصلت بكسبه فكسبه من نعمه فكل نعمة من الله وحده حتى الشكر فانه نعمة وهي منه سبحانه فلا يطبق أحد أن يشكره الا بنعمته وشكره نعمة منه عليه كما قال داود يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من نعمك على تستوجب شكرا آخر فقال الآن تشكرني يا داود ذكره الامام أحمد وذكر أيضا عن الحسن قال قال داود إلهي لو ان لكل شجرة من شجري لسانين يذكر انك بالليل والنهار والدمر كله لما أدرك ما لك على من حق نعمة واحدة (والمقصود) ان حال الشاكر ضد حال القائل إنما أوتيته على علم عندي ونظير ذلك قوله (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه السرف فيؤس قنوط ولئن أدقناه رحمة منان لم يدخرنا منته ليقولن هذا) قال ابن عباس يريد من عندي وقال مقاتل يعني أنا أحق بهذا وقال مجاهد هذا يعمل وأنا محقق به وقال الزجاج هذا واجب بطلني استحقاقه فوصفه الانسان بأقبح صفتين إن مسه الشر صار إلى حال القانط ووجع وجوم الآيس فاذا مسه الخير نسي ان الله هو المتم عليه المفضل بما أعطاه فبطل وطن انه هو المستحق لذلك ثم أضاف إلى ذلك تكذيبه بالبحث فقال وما نحن الساعة قائمة ثم أضاف إلى ذلك ظنه الكاذب أنه إن بحث كان له عند الله الحسن فلم يدع هذا للجهل والغرور ومضما

﴿فصل﴾ وفي قوله تعالى (وأضله الله على علم) قول آخر انه على علم الضال كما قيل على علم مناه  
معبوده لا ينفع ولا يضر فيكون المضى أضله الله مع علمه الذى يقوم به عليه الحجة لم يضل على جهل  
وعدم علم هذا يشبه قوله (فلا تحبلوا له أن ينادوا أنهم تعلمون) وقوله (فصنعهم عن السبل وكانوا مستبصرين)  
وقوله (ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقوله (وأيامهم فيها) وقوله (موسى لفرعون  
(لقد علمت ما أنزل هؤلاء الرب السموات والأرض يصائر) وقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه  
كما يعرفون أبناءهم وان فرجنا منهم ليعلمون الحق وهم يعلمون) وقوله (فأهم لا يكذبونك ولكن  
الظالمين يأتون الله فيحذون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ونظائره  
كثيرة وعلى هذا التقدير فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عيانا كما في الحديث أشد الناس  
عذابا يوم القيامة عالم لم ينفسه الله بصله فان الضال عن الطريق قد يكون متبعا لهواه عالما بان الرشده  
والهدى في خلاف ما يعمل ولما كان الهدى هو معرفة الحق والعمل به كان له ضدان الجهل وترك  
العمل به فالأول ضلال في العلم والثاني ضلال في القصد والعمل فقد وقع قوله على علم في قوله  
تعالى (ولقد اخترناهم على علم) وفي قوله وأضله الله على علم وفي قوله قال إنما أوتيته على علم فالأول  
يرجع العلم فيه إلى الله قولا واحدا والثاني والثالث فيهما قولان والراجح في قوله وأضله الله على علم  
أن يكون كالأول وهو قول عامة السلف والثالث فيه قولان محتملان وقد ذكر توجيههما والله أعلم  
والمقصود ذكر مراتب القضا والقدر علما وكتابة ومشيفة وخلقا

### الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية وهى مرتبة الكتابة

وقد تقدم في أول الكتاب ما يدل على ذلك من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة فقد ذكرنا بعض  
ما لم نذكره قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون ان في هذا  
لإيلافا لقوم عابدين) فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لأشخاص زبور داود والذكر أم الكتاب  
الذى عند الله والأرض الدنيا وعبادة الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أصح الأقوال في  
هذه الآية وهى علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاله أخير بذلك بمكة وأهل  
الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتموهم  
في أطراف الأرض فاخبرهم بهم تبارك وتعالى انه كتب في الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من  
الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التى أنزلها على رسله والكتب قد أطلق عليه الذكر في قول النبي  
صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء  
وكتب في الذكر كل شئ فهذا هو الذكر الذى كتب فيه ان الدنيا تصير لامة محمد صلى الله عليه  
وسلم والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبور في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا  
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبور أى أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التى فيها  
الهدى والقر والذكر هنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما التوراة  
والانجيل والذكر في قوله (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) هو القرآن ففي هذه الآية  
علم بما كان قبل كونه وكتابتته له بعد علمه وقال تعالى (إننا نحن موثقى الموتى وكتب ما قدموا وآثارهم

وكل شئ\* أحصيناه في امامهم) فجمع بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم والكتاب المقارن لأعمالهم فاختير أنه يحيطهم بعد ما أماتهم للبحث وبما يزيهم بأعمالهم ونبه بكتابه لها على ذلك قال نكتب ما قدموا من خير أو شر فعلوه في حياتهم وآثارهم ما سنوا من سنة خير أو شر فأتدبى بهم فيها بعد موتهم وقال ابن عباس في رواية عطاء آثارهم ما أتروا من خير أو شر كقوله (بنا) الإنسان يومئذ بما ندم وأخر) (فان قلت) قد استفيد هذا من قوله قدموا فما أفاد قوله آثارهم على قوله (قلت) أفاد فائدة جليلة وهو أنه سبحانه يكتب ما عملوه وما تولوا من أعمالهم فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر وهو أثر أعمالهم فآثارهم هي آثار أعمالهم المتولدة عنها وهذا القول أعم من قول مقاتل وكأن مقاتلا أراد التمثيل والبيان على عادة السلف في تفسير لفظة العامة بنوع أو فرد من أفراد مدلولها تقريبا وتمثيلا لإحصاء وإحاطة وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة نزلت هذه الآية في بنى سلمة أرادوا أن يتنقلوا إلى قرب المسجد وكانت منازلهم بعيدة فلما نزلت قالوا بل نمك مكاننا واحتج أرباب هذا القول بما في صحيح البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فنزلت هذه الآية (إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم وقد روى مسلم في صحيحه نحوه فنزل حديث جابر وأنس وفي هذا القول نظر فأن سورة يس مكية وقصة بنى سلمة بالمدينة إلا أن يقال هذه الآية وحدها مدينة وأحسن من هذا أن تكون ذكرت عند هذه القصة ودلت عليها وذكرها بها عندها إمامنا صلى الله عليه وسلم وأما من جبريل فاطلق على ذلك النزول ولعل هذا مراد من قال في نظائر ذلك نزلت مرتين والمقصود أن خطاهم إلى المساجد من آثارهم التي يكتبها الله لهم قال عمر بن الخطاب لو كان الله سبحانه تارك لابن آدم شيئا لترك ما عفت عليه الرياح من أثر وقال مسروق ما خطا رجل خطوة إلا كتبت له حسنة أو سيئة والمقصود أن قوله (فكل شئ\* أحصيناه في امامهم) وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شئ\* يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها وإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والإحاطة بمددها وإثباتها فيه وقال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ\* ثم إلى ربهم يحشرون) وقد اختلف في الكتاب هنا هل هو القرآن أو اللوح المحفوظ على قولين فقالت طائفة المراد به القرآن وهذا من العام المراد به الخاص أى ما فرطنا فيه من شئ\* يحتاجون إلى ذكره ويانه كقوله (وأنت ذا الملك الكتاب تبيان لكل شئ\*) ويجوز أن يكون من العام المراد به عموم المراد أن كل شئ\* ذكر فيه بجملا ومفصلا كما قال ابن مسعود وقد لمن الواصلة والمستوصلة مالي لأن من من لئله الله في كتابه فقالت امرأة لقد قرأت القرآن فما وجدته فقال ان كنت قرأتها فقد وجدته قال تعالى (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقال الشافعى ما نزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها وقالت طائفة المراد بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شئ\* وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس وكان هذا القول أظهر في الآية والسياق يدل عليه فانه قال (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) وهذا يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والاكل والتقدير الاول وانها لم تخلق سدى

بل هى معبدة مذلة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وما نصير اليه ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فئائها  
ثم قال الى ربهم يحشرون فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله (ما فرطنا في الكتاب)  
من شئ أى كلها قد كتبت وقد رت وأحصيت قبل أن توجد فلا يناسب هذا ذكر كتاب الامر  
والنهي وانما يناسب ذكر الكتاب الاول \* ولما نسر القول الاول أن يجب عن هذا بان في ذكر  
القرآن ههنا الاخبار عن قصته لذكر ذلك والاخبار به فلم يفرط فيه من شئ بل أخبرناكم بكل ما  
كان وما هو كائن اجمالاً وتفصيلاً ويرجعه أمر آخر وهو أن هذا ذكر عقيب قوله (وقالوا لولا نزل  
عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعقلون) فنبههم على أعظم الآيات  
وأدله على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الذى يتضمن بيان كل شئ ولم يفرط فيه  
من شئ ثم نبههم بانهم أمة من جملة الامم التى فى السموات والارض وهذا يتضمن التعريف بوجود  
الخالق وكألف قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والامم التى لا يحصىها غيره وهذا يتضمن انه  
لا اله غيره ولا رب سواه وانه رب العالمين فهذا دليل على وحدانيته وصفاته كاله من جهة خلقه  
وقدره وانزال الكتاب الذى لم يفرط فيه من شئ دليل من جهة أمىء وكلامه فهذا استدلال بامره  
وقد اكمل خلقه آله اله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين \* وشهد لهذا أيضاً قوله (وقالوا لولا أنزل عليه  
آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا إليك الكتاب ينزل عليهم  
ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) ولما نسر ان المراد بالكتاب اللوح المحفوظ أن يقول  
لما سألو آية أخبرهم سبحانه بانه لم يترك أنزالها لعدم قدرته على ذلك فانه قادر على ذلك وانما لم ينزلها  
لحكمته ورحمته بهم وأحسنه اليهم اذ لو أنزلها على وفق اقتراحهم لم وجوا بالقوبة ان لم يؤمنوا ثم ذكر  
ما يدل على كمال قدرته بخلق الامم العظيمة التى لا يحصى عددها الا هو فن قدر على خلق هذه الامم  
مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهياتها فكيف يجوز عن أنزال آية ثم أخبر عن كمال قدرته  
وعلمه بان هؤلاء الامم قد أحصاهم وكتبهم وقدر أرزاقهم وأجلهم وأحوالهم فى كتاب لم يفرط فيه  
من شئ ثم نبههم ثم يحشرهم اليه والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات عن النظر والاعتبار الذى  
يؤدبهم الى معرفة ربوبيته ووحديته وصدق رساله ثم أخبر ان الآيات لا تستقل بالهدى ولو أنزلها على  
وفق اقتراح البشر بل الامر كله له من يشأ يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم فهو أظهر القولين  
والله أعلم وقال (حم والكتاب المبين انا جملناه قرأنا عربياً لعلكم تعقلون وانه فى أم الكتاب لدينا  
لعلمى حكيم) قال ابن عباس فى اللوح المحفوظ المقرئ عندنا قال مقاتل ان نسخته فى أصل الكتاب وهو  
اللوحة المحفوظ وأم الكتاب أصل الكتاب وأما كل شئ أصله والقرآن كتبه الله فى اللوح المحفوظ  
قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) واجمع الصحابة والتابعون  
وجميع أهل السنة والحديث ان كل كائن الى يوم القيامة فهو مكتوب فى أم الكتاب وقد دل القرآن  
على ان الرب تعالى كتب فى أم الكتاب ما يضلله وما يتوكله فكاتب فى اللوح أفضاله وكلامه فثبت بدا  
أنى لطف فى اللوح المحفوظ قبل وجود أبى لطف وقوله لدينا يجوز فيه أن تكون من صلة أم الكتاب  
أى انه فى الكتاب الذى عندنا وهذا اختيار ابن عباس ويجوز أن يكون من صلة الخبر انه على حكيم  
عندنا ليس هو كما عند المكذبين به أى وان كذبتم به وكفرتم فهو عندنا فى غاية الارتقاء والشرف

والاحكام وقال تعالى (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطية أى ماسبق لهم في الكتاب من الشقاوة والسعادة ثم قرأ عطية (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) والمعنى أن هؤلاء أدرهم ما كتب لهم من الشقاوة وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال يريد ماسبق عليهم في علمي في اللوح المحفوظ فالكتاب على هذا القول الكتاب الاول ونصيبهم ما كتب لهم من الشقاوة وأسبابها وقال ابن زيد والقرطبي والربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم من الارزاق والاعمال فانما فى نصيبهم وأستكملوه جاءتهم رسلنا يتوفونهم ورجع بعضهم هذا القول لمكافئ حتى التي هي لافاية يعني انهم يستوفون أرزاقهم وأعمارهم الى الموت ولن نصر القول الاول أن يقول حتى في هذا الموضع هي التي تدخل على المجلس وتصرف الكلام فيها الى الابتداء كما في كقوله \* فياعجبنا حتى كليب تسبني \* والصحيح ان نصيبهم من الكتاب يتناول الاسرين فهو نصيبهم من الشقاوة ونصيبهم من الاعمال التي هي أسبابها ونصيبهم من الامار التي هي مدة اكتسابها ونصيبهم من الارزاق التي استأنوا بها على ذلك فتمت الآية هذا التصيب كله وذكر هؤلاء بعضه وهؤلاء بعضه هذا على القول الصحيح وان المراد ماسبق لهم في أم الكتاب وقالت طائفة المراد بالكتاب القرآن قال الزجاج معنى نصيبهم من الكتاب ما أخبر الله من جزائهم نحو قوله (فانذرتمكم نارا تلظي) وقوله (يسلكه عذابا صعدا) قال أرباب هذا القول وهذا هو الظاهر لانه ذكر عذابهم في القرآن في مواضع ثم أخبر انه ينالهم نصيبهم منه والصحيح القول الاول وهو نصيبهم الذي كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ولهذا القول وجه حسن وهو أن نصيب المؤمنين منه الرحمة والسعادة ونصيب هؤلاء منه المذاب والشقاء فنصيب كل فريق منه ما احتاروه لانفسهم وآثروه على غيره كما ان حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة حفظ هؤلاء منه الضلال والحية فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نعمة وحسرة عليهم وقريب من هذا قوله (وتجملون رزقكم انكم تكذبون) أى تجملون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به قال الحسن تجملون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظهم من كتاب الله الا التكذيب به وقال تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) قال عطاء ومقاتل كل شيء فعلوه مكتوب عليهم في اللوح المحفوظ وروى حماد بن زيد عن داود بن أبى هند عن الشعبي وكل شيء فعلوه في الزبر قال كتب عليهم قبل أن يسألوه قالت طائفة المعنى انه يحصى عليهم في كتب اعمالهم وجمع أبو اسحاق بين القولين فقال مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه ومكتوب عليهم اذا فعلوه للجزاء وهذا أصح وبالله التوفيق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه بالهم ماقال أبو هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا فادرك ذلك لأحالة فزاله بين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تحي وتشي وتخرج يصدق ذلك ويكذبه وفي الصحيح أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مبرك ذلك لأحالة فالمتبين زناها النظر والاذن زناها الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب بهوى ويتجنى ويصدق الفرج ذلك كله ويكذبه وفي صحيح البخارى وغيره عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعقلت ناقى بالباب فأتاه ناس من بني نعيم فقالوا اقبلوا بشرى يا نعيم فقاموا قد بشرتنا فعطنا



مرتين ثم دخل عليه ناس من الجن فقال اقبلوا البشرى يا أهل الجن اذلم قبها بنو نعيم قالوا قد قبلنا  
يا رسول الله قالوا جئنا لنسألك عن هذا الامر قال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء  
وكتب في الله كل شئ وخلق السموات والارض فنادى مناد ذهبت ناقة بلابن الحصين فانطلقت  
فاذا هي بتقطع دونها السراب فواءه لوددت اني كنت تركتها فارب سبحانه كتب ما يقوله وما يضعه  
وما يكون بقوله وقوله وكتب مقضى أسبائه وصفاته وآثارها كما في الصحيحين من حديث أبي الزناد  
عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في  
كتابه فهو عنده فوق العرش ان رضى عليّ غضبي

### الباب الثاني عشر

في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة

وهذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من أولهم الى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله  
والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والبيان وليس في الوجود موجب ومقتض الا مشيئة  
الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم الا به والمسلمون من أولهم  
الى آخرهم يجمعون على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا  
الموضع وان كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وان يشاء ما لا يكون  
وخالف الرسل كلهم واتباعهم من نفى مشيئة الله الكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيار أو جديها  
الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة واتباعهم والقرآن والسنة معلون بتكذيب  
الطائفتين بقوله تعالى (ولو شاء الله ما اقبلت الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن احتفلوا  
فمنهم من آمن ومنهم من كفر) ولو شاء الله ما اقبلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالى (كذلك يفعل  
الله ما يشاء) وقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف  
القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم  
جميعا) وقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) وقال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال (ولو شئنا  
لآتيناك نفس هداة) وقال (ولو شاء الله لاتصبرنهم) وقال (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) وقال  
(فان يشأ الله يعثم على قلبك) وقال (ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويترك الباخرين وكان الله على ذلك قديرا)  
وقال (لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين) وقال عن نوح انه قال لقومه (انا يا أيكم به الله ان  
شاء) وقال امام الحنفية ابو الانبياء لقومه (ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل  
شئ علما) وقال الذبيح له (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) وقال خطيب الانبياء شيب (وما يكون  
لنا أن نود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا) وقال الصديق الكرم ابن  
الكرم ابن الكرم (ادخلوا مصر ان شئ الله آمين) وقال حوموسى (وما أريد أن أشق عليك ستجدني  
ان شاء الله من الصالحين) وقال كلبيم الرحمن للبخضر (ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا)  
وقال قوم موسى له (وانا ان شاء الله لمتهديون) وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه (ولا تقولن لشيئ انا  
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) وقال (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله) وقال عن أهل

الجنة (خالدين فيها مادامت السموات والأرض الامشاء ربك) وعن أهل التار كذلك لين ان الامر راجع الى مشيئة ولوشاء لكان غير ذلك وقال (ربكم أعلم بكم ان يشأ برحكم أو ان يشأ يذبحكم) وقال (يفسر لمن يشاء ويمذب من يشاء) وقال (ولو بسط الله الرزق لمباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) وقال (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وقال (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وقال (من يشأ الله ينضله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) وقال (ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء) وقال (ولكن جنتاه نوراً يهدي به من يشاء من عباده) وقال (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال (قل لوشاء الله ماتوته عليكم ولأدراكه به) وقال (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) وقال (وما يذكرون الا أن يشاء الله) وفي الآية الاخرى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فخير أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئتهم هذا وهذا وقال (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتزمن من تشاء وتبدل من تشاء) وقال (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال (ويمذب المناقذين ان شاء أو يتوب عليهم) وقوله (يخزيه) برحمته من يشاء) وقوله (ولكن الله يركي من يشاء) وقوله (والله يضاعف لمن يشاء) وقوله (نصيب برحمتنا من نشاء) وقوله (نرفع درجات من نشاء) وقوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وقوله (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقوله (فتنجي من نشاء) وقوله (فيسطي في السماء كيف يشاء) وقوله (ان ربي لطيف لما يشاء) وقوله (يؤتي الحكمة من يشاء) وقوله (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) وقوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) وقوله (ان يشأ يسكن الريح) وقوله (لو نشاء لجعلنا حطاماً لو نشاء لجعلنا جاحاً) وقوله (فسوف يفتيك الله من فضله ان شاء) وقوله (ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدهم ما يشاء) وقوله (ولو شاء الله لأعتكم) وقوله (الله يجتي اليه من يشاء) وقوله (عن كلمه موسى) ان هي الا اقتنع فضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال ففئة المشيئة بالكلية وفئة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو سبحانه تارة يجبر ان لا مافي الكون بمشيئته وتارة ان مالم يشأ لم يكن وتارة انه لو شاء لكان خلاف الواقع وانه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وانه لو شاء ماعصى وانه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فتضمن ذلك ان الواقع بمشيئته وان مالم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير عباديه فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة الا بعد إرادته وكل ذلك بمشيئته وتكوينه اذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقال (وقر في الاحرام ما نشاء) وقال (في أي صورتهما شاء ربك) وقال (الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عتقاً) وقال (يهدي الله لشوره من يشاء) وتقدم في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الحنين فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك وفي صحيح البخاري من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم اشفوا تفرجوا ورضي الله على لسان نبيه ما يشاء وفي صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب

حين طرقة النبي صلى الله عليه وسلم وقاطمة ليلا فقال الانصليان فقال علي انما أنفشنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعتنا وفي صحيحه أيضا في قصة نومهم في الوادي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردھا حين شاء وفي حديث ابن مسعود الذي في المسند وغيره في قصة رجوعهم من الحديدية ونومهم عن صلاة الصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لوشاء لم تاموا عنها ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم فيكننا لمن نام ونسى وفي لفظ آخر ان الله سبحانه لوشاء ما يقظنا ولكنه أراد أن يكون لمن بعدكم وفي مسند الامام أحمد عن طفيل بن سفيانة أخى عائشة لامها انه رأى فيها يرى الثائم كأنه من يرهط من اليهود فقال من أتم قالوا نحن اليهود قال انكم أتم القوم لولا انكم تزعمون ان عزرا ابن الله فقالت اليهود وأتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مر يرهط من النصارى فقال من أتم قالوا نحن النصارى قال انكم أتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما أسخخ أخير بها من أخير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أخبرت أحدا قال نعم فلما سلوا خطبهم حمد الله وأثنى عليه فقال ان طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم وإنكم تقولون كلمة كان ينبغي الحياء منكم زاد البقي فلا تقولوها ولكن قولوا ماشاء الله وحده لا شريك له وروى جعفر عن عون عن الاجلح عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال الرجل لرسول الله ماشاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجعلتني لله عبدا بل ماشاء الله وحده وروى سعيد عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان قال الشافعي في رواية الربيع عنه المشيئة ارادة الله قال الله عز وجل (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأعلم الله خلقه ان المشيئة له دون خلقه وان مشيئته لا تكون الا أن يشاء الله فيقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ثم شئت ولا يقال ماشاء الله وشئت قال ويقال من يطع الله ورسوله قال الله تعبد العباد بان فرض عليهم طاعة رسوله فاذا أطيع رسول الله فقد أطيع الله بطاعة رسوله وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وفي حديث التماس بن سيمان سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم بقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيما سلف من الامم قبلكم كما بين صلاة المصرا الى غروب الشمس وذكر الحديث وقال في آخره فذلك فضل أوميه من أشاء وفي صحيح البخاري مرفوعا مثل الكافر كمثل الازرة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء وقال عبد الرزاق عن معمر عن همام هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لا يقل ابن آدم يا خية الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتها قال الشافعي تأويله والله أعلم ان العرب كان شأنها

أن تدم الدهر وتسببه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك فيقولون أما  
 بهلكتنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابتهم قوارع الدهر وبادهم الدهر فيجولون الليل  
 والنهار ضلالاً الأشياء فيؤمنون الدهر بأنه الذي يفتنهم ويفعل بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لا تسبوا الدهر على أنه الذي يفتنكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء فانكم اذا سببتم فاعل هذه الأشياء  
 قائم تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هذه الأشياء وفي حديث أنس يرفعه اطلبوا الخير دهركم  
 كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله عز وجل سبحانه من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده  
 وسألو الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال  
 كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنا ولا تسرقوا فمن  
 وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك  
 شيئاً فستره الله فهو إلى الله أن شاء عذبه وإن شاء غفر له وفيها أيضاً من حديث اجتجاج الجنجوات  
 قول الله للجنة أنت رحتي أرحم بك من أشاء وللنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء وفيه أيضاً من  
 حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يغل أحدكم الله امرئاً ان شئت وأرحني ان  
 شئت وأرزقي ان شئت ليعزم مسئلة أنه يفعل ما يشاء لا مكره له وفي صحيح مسلم عنه يرفعه المؤمن  
 القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستغن بالله  
 ولا تمسج وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل  
 الشيطان وفي حديث أبي ذر يعبأدى كلكم ضالالاً من هديته الحديث وفي آخره ذلك يأتي جواد القل  
 ما شاء عطائي كلام فإذا أردت شيئاً قائماً أقول له كن فيكون وفي حديث أنس بن مالك عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم ما أنتم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيه  
 آية دون الموت وهذا الحديث الصحيح مشتق من قوله تعالى (ولو لا أذخلك جنتك قلت ما شاء الله  
 لا قوة الا بالله) وفي حديث الشفاعة فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني وفي  
 حديث آخر أهل الجنة دخولها بها فيسكت ما شاء الله أن يسكت وفيه قوله سبحانه لا هزأ بك ولكنى  
 على ما شاء قدير والحديثان في الصحيحين وفيهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل  
 نبي دعوة فإريدان شاء الله أن أحتج دعوى شفاعة لابي يوم القيامة وقال لا يدخل النار ان شاء الله من  
 أحب التجرة الذين يابسون أحتجوا أحذو قال اني لأطمع أن يكون حوضي ان شاء الله أوسع ما بين أبطالي  
 كذا وقال في المدينة لا يدخلها الطالعون ولا الدجال ان شاء الله وقال في زيارة المقابر وإن ان شاء الله بكم  
 لا حقون وقال لما حاصر الطائف أنا قافلون غدا ان شاء الله وقال لما قدم مكة منزلاً غدا ان شاء الله  
 بخيف بني كنانة وقال يوم بدر هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان ان شاء الله  
 وقال في بعض أسفاره انكم تسبرون عشيتكم وليلتكم ثم انكم تأتون المساء غدا ان شاء الله وقال  
 للإعرابي الذي عاده من الحلى لا بأس بطهوان شاء الله وأجبرني سليمان بن داود أنه قال لا طوفن  
 اليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم  
 يقل فطاف عليهن جميعاً فلم يحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد  
 بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً يجمعون وقال من حلف فقال ان شاء الله فإن

شاء مضي وان شاء رجع غير حث وقال لاغزوهم قريشاً ثم قال في الثالثة ان شاء الله وقال الاسمير  
للجنة فقلت الصحابة بمن المشركون لما يارسول الله فقال قولوا ان شاء الله وقال تعالى (واذكر ربك  
اذا نسيت) قال الحسن اذا نسيت ان قول ان شاء الله وهذا هو الاستثناء الذي كان يجوز ابن  
عباس متراخياً ويتأول عليه الآية للاستثناء في الاقرار واليمين والطلاق والعتاق وهذا من كمال علم  
ابن عباس وقفه في القرآن وقد أجمع المسلمون على ان الحالف اذا استثنى في يمينه متصلاً بها فقال  
لا تفعلن كذا ولا أفعله ان شاء الله انه لا يحنث اذا خالف ما حلف عليه لان من أصل أهل الاسلام  
انه لا يكون شيء الا بمشيئة الله فافهم علي الحالف الفعل أو الترك بالمشيئة لم يحنث عند عدم المشيئة ولا  
تجب عليه الكفارة ولو ذهبت نذكر كل حديث أو أثر جاء فيه لفظ المشيئة وتليق فعل الرب بها  
لطال الكتاب جدوا ما الارادة فورودها في نصوص القرآن والله تعالى أعلم ايضاً بكفوله (فقال لما يريد  
فأمر ربك أن يبلغا أشدهما وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا ببكم اليسر ولا يريد بكم العسر) انما أمره  
اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ومن يريد الله فتحته فلن تملك له من الله شيئاً وقول نوح (ولا  
ينفعكم نسعي ان أردت ان أصبح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) وقوله  
(نحن يريد الله أن يهديه يسره صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) وقوله (واذا  
أراد الله بقوم سوء فلا مرد له) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن  
تنبأوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفاً) وأخبر انه اذا لم يرد تطهير قلوب  
عباده لم يكن لهم سبيل الى تطهيرها فقال أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي  
ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وقال (وان الله يهدي من يريد وان الله يحكم ما يريد) وقال (ما يريد  
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقوله (فمن ملك من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح  
ابن مريم وأمه ومن في الارض جيماً) وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وقوله  
(قل من ذا الذي يمسحكم من الله ان أراد بكم سوء أو أراد بكم رحمة) وقول صاحب يس (أتأخذ من  
دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا يفتنون) وقوله (قل أو أيتم ما تدعون من  
دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) وقوله  
(يريد الله ان لا يجعل لهم حظاً في الآخرة) وقوله (من كان يريد المأجلة فجعلنا فيها ما نشاء لمن نريد)  
والنصوص النبوية في اثبات ارادة الله أكثر من ان تحضر كقوله من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين  
من يرد الله به خيراً يصب منه اذا أراد الله بالامر خيراً جعل له وزير صدق اذا أراد الله رحمة امة  
قبض نبيها قبلها اذا أراد الله هلكة امة عندها وفيها حتى فاقر عينه بهلكها اذا أراد الله بعد خيراً اعجل  
له التقوية في الدنيا اذا أراد الله بعد شرراً أمسك عنه توبيته حتى يوافي يوم القيامة كانه عبر اذا أراد  
الله قبض عبداً أرض جعل له اليها حاجة اذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق اذا  
أراد الله بقوم عذاباً أصاب من كان فيهم ثم يستأعلى بناتهم والآثار النبوية في ذلك أكثر من  
ان نستوعبها

﴿ فصل ﴾ وههنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له وبمعرفة نزول إشكالات كثيرة تعرض لمن  
لم يحط به علماً وهو ان الله سبحانه له الخلق والامر وأمره سبحانه نوحاً من كوني قدرى وأمر ديني

شرعى فشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكونى وكذلك تتعلق بما يجب وبما يكره كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يرضخ وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يرضخ فشيئته سبحانه شاملة لذلك كله وأما محبته ورضاه فتعلقة بأمره الدينى وشرعه الذى شرعه على السنة رسلا فمأ وجد منه تعلق به المحبة والمشية جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والاياء المؤمنين وما لم يوجد منه تعلق به محبته وأمره الدينى ولم تعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والنسوق والمعاصى تعلق به مشيئته ولم تعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الدينى وما لم يوجد منها لم تعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشية كونى ولفظ المحبة دينى شرعى ولفظ الإرادة ينقسم الى ارادة كونية فتكون هى المشية وإرادة دينية فتكون هى المحبة اذا عرفت هذا ف قوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) وقوله (لا يحب الفساد) وقوله (ولا يريد بكم اليسر) لا يناقض نصوص القدر والمشية العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره فان المحبة غير المشية والامر غير الحلق ونظير هذا لفظ الامر فانه نوعان أمر تكوين وأمر تشريع والثانى قد يسمى ويخالف بخلاف الاول فقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها) لا يناقض قوله (ان الله لا يأمر بالفحشاء ولا حاجة الى تكليف تقدير أمرنا مترفيا بالطاعة ففسقوا فيها بل الامر ههنا أمر تكوين وتقدير لأمر تشريع لوجوه أحدها ان المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما يند الفاء هو المأمور به كما قول أمرته فقام وأمرته فاكل كما يصرح بلفظة اهل كقوله تعالى (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وهذا كما قول دعوته فاقبل وقال تعالى (يوم يدعوك فستسجدون بحمده) الثانى ان الامر بالطاعة لا يخص المترفين فلا يصح حمل الآية عليه بل تسقط قاعدة ذكر المترفين فان جميع المبعوث اليهم مأمورون بالطاعة فلا يصح أن يكون أمر المترفين علة اهلاك جميعهم الثالث ان هذا النسق العجيب والتركيب البديع مقصود ترتيب ما يند الفاء على ما قبلها ترتب المسبب على سببه والمعلول على علته الا ترى ان النسق علة حق القول عليهم وحق القول عليهم علة لتدميرهم فهكذا الامر سبب لفسدهم ومقتضى له وذلك هو أمر التكوين لا التشريع الرابع ان ارادته سبحانه لاهلاكهم انما كانت بعد مصيبتهم ومخالفتهم لرسله فمصيبتهم ومخالفتهم قد تقدمت فأراد الله اهلاكهم فواقبهم بان قدر عليهم الاعمال التى يتحتم معها هلاكهم فان قيل فمصيبتهم السابقة سبب هلاكهم فما الفائدة في قوله (امرنا مترفيا ففسقوا فيها) وقد تقدم الفسق منهم قيل المصيبة السابقة وان كانت سببا للهلاك لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم كما هو عادة الرب تعالى المملومة في خلقه انه لا يتحتم هلاكهم بمصائبهم فلماذا أراد اهلاكهم ولا بد احدث سببا آخر يتحتم معه الهلاك الا ترى ان نمود المزمع لهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرجهم لتمام التامة ففعلوها فاهلكوا حينئذ قوم فرعون لم يهلككم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات واستحكم بينهم وعندهم حينئذ اهلكوا وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة الى لوط في صورة الاضياف فقصدهم بالفاحشة وقالوا من لوط وتواعدوه وكذلك سائر الامم اذا اراد الله هلاكها احدث لها نبيا وعدواها يأخذها على أثره وهذه علة مع عباده عموما وخصوصا فيصيه العبد وهو يوجب عنه ولا يسأله حتى اذا أراد أخذه قبض له عملا يأخذه به مضافا الى أعماله الاولى فيظن الظان انه أخذه بذلك العمل وحده وليس كذلك بل حق عليه القول بذلك وكان قبل ذلك

لم يحق عليه القول بأعماله الأولى حيث عمل ما يقتضى ثبوت الحق عليه ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يحض الحكم فإذا عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه أمضى حكمه عليه وأقنعه قال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقد توافل ذلك أغضبه بمصيبة رسوله ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليهم إذ كان يصدآن يزول بإيمانهم فلما أيس من إيمانهم قرر الغضب واستحكم فخلت العقوبة فهذا الموضع من أسرار القرآن وأسرار التقدير الإلهي وفكر البديع من أفعال الأمور له فانه لا يهتري أى المعاصي هى الموجبة التى يتختم عندها عقوبته فلا يزال بعدها والله المستعان وسنقدم لهذا الفصل نبأ في الفرق بين القضاء والكوفى والربنى نشيع الكلام فيه أن شاء الله لشدة الحاجة إليه اذ المقصود في هذا الباب مشيئة الرب وانها الموجبة لكل موجود كان عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشيء فهما الموجبان لما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه وهذا أمر يسم كل مقدور من الاعيان والأفعال والحركات والسكنات فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون وإن كان فيها ما لا يحب ولا يرضاه وإن كان يجب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له ولو شاء لو وجد

### الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء

والقدر وهى مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجادها

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الأمة فاخرجت طاعات ملائكته وأنيائه ورسله وعباده المؤمنين وهى أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيتة بل جعلهم هم الخالقون لها ولا تعلق لها بمشيئته ولا بدخل تحت قدرته وكذلك قلوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فزعمهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتديا ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصل مصليا وانما ذلك يجعلهم أنفسهم كذلك لا يجعله تعالى وقد نادى القرآن بل الكتب النبوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والمقول على بطلان قولهم وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض وصنف حزب الاسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم وهى أكثر من أن يحصيها إلا الله ولم تزل أيدي السلف وائمة السنة في أقفيتهم ونولصهم تحت أرجلهم إذ كانوا يردون باطلهم بالحق المحض وبدعهم بالسنة والسنة لا يقوم لها شيء فكانوا تمهم كالنملة مع المسلمين الى أن نبئت تافهة ردوا بدعهم ببديعة قبايلها وقابلوا باطلهم باطل من جنسه وقالوا البديع مجبور على أفعاله مقهور عليها لا تأثير له في وجودها البتة وهى واقعة بإرادته واختياره وغلا غلاتهم فقالوا بل هى عين أفعال الله ولا ينسب الى البديع الاعلى الحجاز والله سبحانه يولم البديع ويهايقه ويخلده في النار على ما لم يكن للبديع فيه صنع ولا هو فله بل هو محض فعل الله وهذا قول الخيرية وهو أن لم يكن شرا من القدرة فليش هو يدونه في البطلان واجماع الرسل واتفاق الكتب الإلهية وأدلة العقول والفطر واليمان يكذب هذا القول ويرده بالباطل فإنتان في عى عن الحق القويم والصراط المستقيم ولما رأى القاضى وغيره بطلان هذا القول وتناقضه للشرائع والمبدل والجملة قالوا قدوة البديع وإن لم تؤثر في وجود الفعل فهى مؤثرة في صفة من صفاته

وتلك الصفة تسمى كسبا وهي متعلق بالامر والتبهي والثواب والعقاب فان الحركة التي هي من طاعته والحركة التي هي من معصيته قد اشتركا في نفس الحركة وامنازت إحداها عن الأخرى بالطاعة والمعصية فذات الحركة ووجودها واقع بقدرة الله وإيجاده وكونها طاعة ومعصية واقع بقدرة العبد وتأثيره وهذا وان كان أقرب الى الصواب فالقائل به لم يوفه حقه فان كونها طاعة ومعصية هو موافقة الامر ومخالفة فتهذه الموافقة والمخالفة إما أن تكون فعلا للعبد يتعلق بقدرة واختياره وان كان لم يكن للعبد اختيار ولا فعل ولا كسب البتة فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمرا معقولا ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة كسب الاشئري وأحوال أبي هاشم وطرفة النظام ولما رأى طائفة فساد هذا قالوا المؤثر في وجود الفعل هو قدرة الرب على سبيل الاستقلال قالوا ولا يمتنع اجتماع المؤثرين على أثر واحد ولم يتوحد هؤلاء من القول بوقوع مفعول بين فاعلين ولا مقدور بين قادرين قالوا كما يمتنع وقوع معلوم بين بلبين ومراد بين مرئيين ومحجوب بين محجوبين ومكروه بين مكروهين قالوا ونحن نشاهد قادرين مستقلين كل منهما يمكنه أن يستقل بالفعل يقع بينهما مفعول واحد يشتركان في فعله والتأثير فيه قالوا وليس ممكنا ما يبطل هذا الاقول لكم ان اضافته الى أحدهما على سبيل الاستقلال يمتنع اضافته الى الآخر وإضافته اليهما وفي هذه الحجة اجبال لا بدله من تفصيل فيجوز وقوع مفعول بين فاعلين لا يستقل أحدهما به كالمتعاونين على الآخر لا يقدر عليه أحدهما وحده ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه كل منهما يستقل به على سبيل البذل وهذا ظاهر أيضا ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه وكل منهما يقدر عليه حال الاقتران كحصول جملة اثنان كل منهما يمكنه أن يستقل بمجملة وحده وكل هذه الاقسام ممكنة بل واقعة بقي قسم واحد وهو مفعول بين فاعلين كل منهما فعله على سبيل الاستقلال فهذا محال فان استقلال كل منهما بفعله ينفي فعل الآخر له فاستقلالهما ينفي استقلالهما وأكثر الطوائف يقر بوقوع مقدورين قادرين وان اختلفوا في كيفية وقوعه • فقالت طائفة الفعل يضاف الى قدرة الله سبحانه على وجه الاستقلال بالتأثير ويضاف الى قدرة العبد لكنها غير مستقلة فانما انضمت قدرة الله الى قدرة العبد صارت قدرة العبد مؤثرة على سبيل الاستقلال بتوسط اعانة قدرة الله وجعل قدرة العبد مؤثرة والقائل بهذا لم يتخلص من الخطأ حيث زعم أن قدرة العبد مستقلة باعانة قدرة الله له فساد الامر الى اجتماع مؤثرين على أثر واحد لكن قدرة أحدهما وتأثيره مستند الى قدرة الآخر وتأثيره وكأنه والله أعلم أراد أن قدرة الرب مستقلة بالتأثير في إيجاد الفعل وهذا قد قاله طائفة من العلماء وقائل هذا لم يتخلص من الخطأ حيث جعل قدرة العبد مستقلة بالتأثير في إيجاد المقدور وهذا باطل انفاضة قدرة العبد أن تكون سببا بل جزأ من السبب والسبب لا يستقل بحصول المسبب ولا يوجب وليس في الوجود ما يوجب حصول المقدور الامشيئة الله وحده وأصحاب هذا القول زعموا ان الله أعطى العبد قدرة وأرادة وفوض اليهما الفعل والتزك وخلاص وما يريد فهو يفعل ويترك بقدرته وأرادته اللتين فوض اليه الفعل والتزك بهما وقالت طائفة أخرى مقدور العبد هو عين مقدور الرب بشرط أن يفعله العبد اذا تركه الرب ولم يفعله لاعلى أنه يفعله والرب له فاعل لاستحالة خلق بين خالقيين وهذا بعينه مذهب من يقول بوقوع مفعول بين فاعلين على سبيل وهذا مذهب كثير من القدرية منهم الشحام وغيره



وقالت طائفة يجوز وقوع فعل بين فاعلين بنسبتين مختلفتين بإحدهما يكون محدثا وبالآخرى يكون كاسبا وهذا مذهب التجار وضراء بن عمرو ومحمد بن عيسى بن حفص والفرق بين هذا المذهب ومذهب الأشعرين من وجهين أحدهما أن صاحب هذا المذهب يقول البعد فاعل حقيقة وإن لم يكن محدثا مخترعا للفعل والأشعري يقول البعد ليس بفاعل وإن نسب إليه الفعل وإنما الفاعل في الحقيقة هو الله فلا فاعل سواه الثاني أنهم يقولون الرب هو المحدث والبعد هو الفاعل وقالت فرقة بل أفعال المباد فعل لله على الحقيقة وفعل البعد على الحجاز وهذا أحد قولي الأشعري وقالت فرقة أخرى منهم القلائس وأبو اسحاق في بعض كتبه أنها فعل لله على الحقيقة وفعل الإنسان على الحقيقة لأعلى معنى أنه أحدتها بل على معنى أنه كسب له وقالت طائفة أخرى وهم جهم واتباعه إن القادر على الحقيقة هو الله وحده وهو الفاعل حقا ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة ولا كاسب أصلا بل هو مضطر إلى جميع ما فيه من حركة وسكون وقول القائل قام وقعد وأكل وشرب مجاز بمنزلة مات وكبر ووقع وطلعت الشمس وغربت وهذا قول الحيزية الثلاثة وقابله طائفة أخرى فقالوا المباد موجودون لأفعالهم مخترعون لما بقدرهم وإرادتهم والرب لا يوصف بالقصور على مقدور البعد ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته كما لا يوصف المباد بمقدور الرب ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم وهذا قول جمهور القدرية وكلهم متفقون على أن الله سبحانه غير فاعل لأفعال المباد واختلفوا هل يوصف بأنه مخترعها ومحدثها وأنه قادر عليها وخالق لما جمهورهم ففوا ذلك ومن يقرب منهم إلى البنية أثبت كونها مقدورة لله وإن الله سبحانه قادر على أعيانها وإن المباد أحدثوها بقادر الله لهم على إحداثها وليس معنى قدرة الله عليها عندهم أنه قادر على فعلها هذا عندهم عين الحال بل قدرته عليها إقذارهم على إحداثها فأثما أحدثوها بقدرة واقداره وتمكينه وهؤلاء أقرب القدرية إلى السنة وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب وبعضهم أقرب إلى الصواب وبعضهم أقرب إلى الخطأ وأدلة كل منهم وحججه إنما تنض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى لأعلى إبطال ما أصابوا فيه فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته وأنه لا خالق غيره وأنه على كل شيء قدير لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح يثني أن يكون البعد قادرا مريدا فاعلا بمشيئته وقدرته وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به وأنما فعله لله لا لله وأنه قائمة به لا لله وكل دليل صحيح يقيم القدرة فأثما يدل على أن أفعال المباد فعلهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأنهم مخارون لما غير مضطرين ولا مجبورين وليس معهم دليل صحيح يثني أن يكون الله سبحانه قادرا على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين قاذلة الحيزية متطافرة صحيحة على من نفى قدرة الرب سبحانه على كل شيء من الأعيان والأفعال ونفى عموم مشيئته وخلقه لكل موجود وأثبت في الوجود شيئا بدون مشيئته وخلقه وأدلة القدرية متطافرة صحيحة على من نفى فعل البعد وقدرته ومشيئته واختياره وقال أنه ليس بفاعل شيئا والله يماقه على ما مضى ولله قدرة عليه بل هو مضطر إليه مجبور عليه وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لأمع هؤلاء ولأمع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه فكل حق مع طائفتهم الطوائف فهم يوافقهم فيه وهم براء من باطلهم فذهبهم جمع حق الطوائف بصدته إلى بعض القول

به ونصره وموالاه أهله من ذلك الوجه ونفى باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة  
أهله من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لا يجوزون إلى فئة منهم على الإطلاق ولا يردون حق  
طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلا باطلا ولا يحملهم شأن قوم ينادونهم  
ويكفرونهم على أن لا يمدوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالهم بالعدل والله سبحانه  
وتعالى أمر رسوله أن يمدل بين الطوائف فقال (فلذلك قاعد واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم  
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) فأمره سبحانه أن يدعو إلى دينه وكتابه  
وأن يستقيم في نفسه كما أمره وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق وأن يؤمن بالحق جميعه لا يؤمن  
ببعضه دون بعض وأن يمدل بين أرباب المقاتلات والبدائيات وأنت اذا تأملت هذه الآية وجدت  
أهل الكلام الباطل وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أغص الناس منها حظا وأقلهم نصيبا  
ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها وهم في هذه المسئلة وغيرها من المسائل  
أسعد بالحق من جميع الطوائف فاتهم يثبتون قدراته على جميع الموجودات من الاعيان والافعال  
ومشيئته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدس  
السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لا يشاؤون الا أن يشاء الله ولا  
يفعلون الا من بعد مشيئته وأنه لما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين  
بوجه من الوجوه والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه فلا يترك ذرة لما فوقها الا  
بمشيئته وعلمه وقدرته فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله على الحقيقة اذا قالوا غيرهم على الجواز  
اذ العالم علوه وسفله وكل شيء يفعل فعلا فان فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك الى  
فعل ومن فعل الى ترك ومن فعل الى فعل وذلك كله بالله تعالى لا بالمبدع ويؤمنون بأن من يهده الله  
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصل مصليا  
والمتحرك متحركا وهو الذي يسير عبده في البر والبحر وهو المسير والمبدع السائر وهو المحرك والمبدع  
المتحرك وهو المقيم والمبدع القائم وهو الهادي والمبدع المهتدي وأنه المظم والمبدع الطاعم وهو الهادي  
المبيت والمبدع الذي يحيي ويموت ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وادبته واختياره وفعله حقيقة لا مجازا  
وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول كاحكامهم البقوى وغيره فحركاتهم واعتقاداتهم افعال لهم  
حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته  
وتكوينه والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائلون القاعدون  
حقيقة وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاءهم منهم وخلقه لهم ومشيئته وفعله  
بعد مشيئته فما يشاؤون الا أن يشاء الله وما يفعلون الا أن يشاء الله واذا وازنت بين هذا المذهب  
وبين ما عداه من المذاهب وجدت هو المذهب الوسط والصرط المستقيم ووجدت سائر المذاهب  
خطوطا عن يمينه وعن شماله قريب منه وبين ذلك واذا أعطيت الفاتحة حقها وجدتها من  
أولها إلى آخرها منادية على ذلك دالة عليه صريحة وإن كان حجة لا تقتضي غير ذلك وكذلك كمال  
ربوبيته للعالمين لا يقتضي غير ذلك فكيف يكون الحمد كله لمن لا يقدر على مقدور أهل سمواته وأرضه  
من الملائكة والجن والانس والطير والوحش بل يفعلون مالا يقدر عليه ولا يشاءه وبشاءه مالا يفعله

كثير منهم فيشاه ما يكون ويكون ما يشاه وهل يقتضى ذلك كمال ححمه وهل يقتضيه كمال ربيوته ثم قوله (ياك نعد وياك نستين) مطل لقول الطائفتين المترقتين عن قصد السبيل فانه يتضمن اثبات فعل البدوي قيام العباد به حقيقة فهو العابد على الحقيقة وإن ذلك لا يحصل له الا بإعانة رب العالمين عز وجل له فان لم يمنه لم يقدره ولم يشأ له العباد لم يتمكن منها ولم يوجد منه البتة فالفعل منه والافتقار والاعانة من الرب عز وجل ثم قوله (اهدنا الصراط المستقيم) يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها وهي بيده ان شاء أعطاها عبده وأن شاء منعه أياها والهداية معرفة الحق والعمل به فمن لم يجهله الله تعالى عالما بالحق عاملا به لم يكن له سبيل الى الهداء فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتمام التي لا تختلف عنها وهي جعل العبد مريدا للهدى بحاله مؤثرا له عاملا به فهذه الهداية ليست الى ملك مقرب ولا نبي مرسل وهي التي قال سبحانه فيها (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) مع قوله تعالى (وانك تهدي الى صراط مستقيم) فهذه هداية بالدعوة والتعليم والارشاد وهي التي هدى بها نوح فاستجابوا للصي عليها وهي التي قال تعالى فيها (وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى بين لهم ما يتقون) فهذه هدى اليان الذي تقوم به حجة عليهم ومنهم الهداية الموجبة للاهتمام التي لا يضل من هداه بها فذلك عدله فيهم وهذا حكمته فاعطاهم ما قوم به الحجة عليهم ومنهم ما ليسوا له باهل ولا يليق بهم وسنذكر في الباب الذي بعد هذا ان شاء الله تعالى ذكر الهدى والضلال ومراتبها واقسامها فانه عليه مدار مسائل القدر والمقصود ذكر بعض ما يدل على اثبات هذه المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي خلق الله تعالى الافعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه قال تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وافضاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصا بذاته وصفاته فانه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق وصفاته سبحانه داخله في مسمى اسمه فان الله سبحانه اسم للاله الموصوف بكل صفة كمال المتز عن كل صفة نقص ومثال والعالم قسبان أعيان وافعال وهو الخالق لآعيانه وما يصدر عنها من الافعال كما انه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء من عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته قالت القدرية نحن نقول ان الله خالق افعال العباد لانه علمه محدثا ومختارها لكن على معنى انه مقدرها فان الخلق التقدير كما قال تعالى (تبارك الله أحسن الخالقين) وقال الشاعر

ولانت قري ما خلقت وبمنس القوم مخلوق ثم لا يغري

أي لانت تمضى ما قدرته وتتفذه بزمك وقدرتك وبمضى القوم بقدرهم لا قوة له ولا عزيمته على انقاذ ما يقتره وامضاته فانه تعالى مقدر افعال العباد وهم الذين أوجدوها وأحدثوها قال أهل السنة قدماءكم يشكرون تقدير الله سبحانه لاعمال العباد البتة فلا يمكنهم أن يجيبوا بذلك ومن اعترف منكم بالتقدير فهو تقدير لا يرجع الى تأثير وانما هو مجرد العلم بها والخبار عنها وليس التقدير عندكم جعلها على قدر كذا وكذا فان هذا عندكم غير مقدر للرب ولا مصنوع له وانما هو صنع العبد وادعائه فرجع التقدير الى مجرد العلم والخبار وهذا لا يسمى خلقا في لغة أمة من الامم ولو كان هذا خلقا لكان من علم شيئا وعلم اسمائه وصفاته وأخبر عنه بذلك خالقه فالتقدير الذي أتفقوا ان كان متضمنا لتأثير

في إيجاد القل هو خلاف مذهبكم وإن لم يتضمن تأثيرا في إيجادها فهو راجع الى محض العلم والخبر . قالت القدريه قوله الله خالق كل شيء من العام المراد به أخصاص ولا سببا فانكم قائم إن القرآن لم يدخل في هذا العموم وهو من أعظم الاشياء وأجلها تخصصنا منه أقوال الباد بالادلة الدالة على كونها فطهم ومنهم . قالت أهل السنة القرآن كلام الله سبحانه وكلامه صفة من صفاته وصفات الخالق وذاته لم تدخل في المخلوق فان الخالق غير المخلوق فليس ههنا تخصيصا البتة بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق وكل ما عداه مخلوق وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه إذ ليس الا الخالق والمخلوق والله وحده الخالق وما سواه كمة مخلوق واما الادلة الدالة على ان أقوال التباد صنع لهم وانما أفعالهم القائمة بهم وانهم هم الذين فعلوها فكلمها حتى نقول بموجبها ولكن لا ينبغي أن تكون أفعالهم ومخلوقه مفعولة لله فان الفعل غير المفعول ولا نقول انها فعل لله والبعد مضطر مجبور عليها ولا نقول انها فعل للبعد والله غير قادر عليها ولا جعل للبعد فاعلا لها ولا نقول انها مخلوقة بين مخلوقين مستقلين بالايجاد والتأثير وهذه الاقوال كلها باطلة . قالت القدريه يعنى قوله تعالى (الله خالق كل شيء) بما لا يقدر عليه غيره وأما أفعال الباد التي يهدر عليها الباد قضايتها اليهم ينفي اضافتها اليه والالزام وقوع مفعولين بين فاعلين وهو محال . قالت أهل السنة اضافتها اليهم فعلا وكسبا لا ينفي اضافتها اليه سبحانه خلقا ومشية فهو سبحانه الذى شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة فلو لم تكن مضافة الى مشيئته وقدرته وخلقها لاستحال وقوعها منهم إذ الباد اعجز واضعف من أن يفعلوا ما شاء الله ولم يقدر عليه ولا خلقه

فصل — وما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله (والله على كل شيء قدير) واعتراض القدريه على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله (الله خالق كل شيء) وجوابه وزيدته تقريرا ان أفعالهم أشياء ممكنة والله قادر على كل ممكن فهو الذى جعلهم فاعلين بقدرته ومشيتهم ولو شاء لخال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم كما قال تعالى (ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاهدتم الدينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جيعا) فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه وبين الانسان ونطقه وبين اليد وبطشها وبين الرجل ومشيا فكيف يظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه لا يقدر على ما يقدر عليه عباده ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرة علوا كبيرا . نعم ولا نظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه يقابل عباده على ما لم يفعله ولا قدرة لهم على فعله بل على ما فعله هو دونهم واضطرهم اليه وجبرهم عليه وذلك بمنزلة عقوبة الزمن اذ لم يطر الى السماء وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة وعقوبة الآخرس على ترك الكلام تعالى الله عن هذين المذهبين الباطلين المتحرفين عن سواء السبيل

فصل — ومن الدليل على خلق أعمال الباد قوله تعالى (والله جعل لكم ما خلق ظلالا وجعل لكم من احياء أكنانا وجعل لكم سرائيل تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأسمكم) فآخراهم هو الذى جعل السرايل وهي الدروع والياب المصنوعة وما دها لا تسمى بهرايل إلا أن بعد تهيأها

صفة الآدميين وعملهم فإذا كانت مجعولة لله فهي مخلوقة له بمجربتها صوريتها ومادتها وهياتها ونظير هذا قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم أقامتكم) فاخبر سبحانه أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتقلة مجعولة له وهي إنما صارت بيوتا بالصفة الادمية ونظيره قوله تعالى (وآية لهم أنا جعلنا ذرئهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فاخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد وأبعد من قال أن المراد بخلقه هو الأبل فإنه استخراج المناظر حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المائلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله أنه قال لقومه أنعبدون ما تخونون الله خلقكم وما تعملون فإن كانت مذهبهم كإفكده بعضهم فالاستدلال ظاهر وليس بقوى إذ لا تناسب بين أن يحكاه عليهم عبادة ما يتخونه بأيديهم وبين إخبارهم بأن الله خالق أعمالهم من عبادة تلك الالهة ونحوها وغير ذلك فالأولى أن يكون ما موصولة أي والله خلقكم وخلق آل بيتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لآلهة شركاء معه فاخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وضمنهم ولا يقال المراد مادته فإن مادته غير معموله لهم وإنما يصير معمولاً بعد عملهم

﴿فصل﴾ وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي جعل أئمة الخير يدعون إلى الهدى وأئمة الشر يدعون إلى النار تلك الإمامة والدعوة بجعله فهي مجعولة له وفصل لهم قل تعالى عن آل فرعون (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وقال عن أئمة الهدى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) فاخبر أن هذا وهذا بجعله مع كونه كسبا وفصلا للأئمة ونظير ذلك قول الخليل ربنا واجعلنا مسلمين لك فاخبر الخليل أنه سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلما وعند القدريه هو الذي جعل نفسه مسلما لأن الله جعله مسلما واجعله اماما يهدي بأمره ولا أجل الآخر اماما يدعو إلى النار على الحقيقة بل هم الجاعلون لأنفسهم كذلك حقيقة ونسبة هذا الجبل إلى الله مجاز بمعنى التسمية أي سمنا مسلمين لك وكذلك جعلناهم أئمة أي سميناهم كذلك وهم جعلوا أنفسهم أئمة رشد وضلال فمنهم الحقيقة ومنهم المجاز والتصير

﴿فصل﴾ ومن ذلك أخباره سبحانه بأنه هو الذي يلهم المبدع فجوره وقواه والالهام الالتقاء في القلب لا مجرد البيان والتعليم كما قاله طائفة من المفسرين إذ لا يقال لمن بين لغيره شيئا وعلمه إياه أنه قد ألهه ذلك هذا لا يعرف في اللغة البتة بل الصواب ما قاله ابن زيد قال جعل فيها فجورها وقواها وعليه حديث عمران بن حصين أن رجلا من مزينة أوجهية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويكسحون أمشي فضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أوفيا يستقبلون مما أتاهم به ينهم قال بل شئ فضى عليهم ومضى قال فقيم العمل قال من خلقه الله لأحدى التزلتين استعمله بعمل أهلها وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها قالها فإفجورها وقواها) ففرق الله هذه الآية عقيب إخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على أن المراد بالالهام استعمالها فيما سبق لها لا مجرد تعرضها فإن التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ما سبق به القضاء والقدر ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فمراده تعريف مستلزم لحصول ذلك لا تعريف مجرد عن الحصول فإنه لا يسمى الهاما وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ ومن ذلك قوله تعالى (واسرأقولكم أواجهوا به أنه علم بذات الصدور الإيمل من خلق وهو اللطيف الخبير) وذات الصدور كلمة لا يشتمل عليه الصدر من الاعتقادات والأرادات

والحب والبغض أى صاحبة الصدور فإنها لما كانت فيها قائمة بها نسبت إليها نسبة الصحة والملازمة وقد اختلف في اعراب من خلق هو التصب أو الزرع فإن كان مرفوعا فهو استدلال على علمه بذلك لحققة له والتقدير انه يعلم ما تضمنته الصدور وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة فإن الخلق يستلزم حياة الخالق وقدرته وعلمه ومشيته وأن كان منصوبا فاعلمنى الا يعلم مخلوقه وذكر لفظة من تقليدا ليتناول العلم العاقل وصفاته على التقديرين فالآية دالة على خلق ما في الصدور كما هي دالة على علمه سبحانه به وأيضا فإنه سبحانه خلقه لما في الصدور دليلا على علمه بها فقال الا يعلم من خلق أى كيف يخفى عليه ما في الصدور وهو الذى خلقه فهو كان ذلك غير مخلوق له لبطل الاستدلال به على العلم بخلق سبحانه للشيء من أعظم الأدلة على علمه به فأننا اتفقنا الخلق اتفق دليل العلم فلم يبق ما يدل على علمه بما يتطوى عليه إلا ما إذا كان غير خالق لذلك وهذا من أعظم الكفر برب العالمين ومحمد لما اتفقت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم وعلم بالضرورة انهم القوة الى الهم كما قالوا اللهم انه لا اله واحد لا شريك له

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم انه قال رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريقى وقوله فجعلنا ائمة من الناس تهوى اليهم وقوله تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهانية) وقوله حكاية عن زكريا انه قال عن ولده (واجعله رب رضى) وقال في الطرف الآخر (فيها نفنفسهم ميثاقهم لسانهم وجعلنا قلوبهم قاسية) وقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الاكنة والوقر هي شدة البغض والثفرة والاعراض التي لا يستطيعون معها سماعا ولا عقلا والتحقيق ان هذا ناشئ عن الاكنة والوقر فهو موجب لذلك ومقتضاه فنفسر الاكنة والوقر به فقد فسرها بما يوجبها ومقتضاهما وبكل حال تلك الثفرة والاعراض والبغض من أفعالهم وهي بحسب قوله سبحانه ان كان الرأفة والرحمة وميل الائمة الى بيته هو من أفعالهم والله جاعله فهو الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وأراداتها واعتقاداتها فذلك كله بحسب خلقه له وان كان البد فاعل له باختياره وأرادته فان قيل هذا كله معارض بقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) والبحيرة والسائبة إنما صارت كذلك بجعل المباد لها فاجبر سبحانه ان ذلك لم يكن بحسبه (قيل) لا تعارض بحمد الله بين نصوص الكتاب بوجه ما والجلل ههنا حصل شرعى أمرى لا كوفى قدرى فان الجمل في كتاب الله يتقسم الى هذه النوعين كما يتقسم اليهما الامر والاذن والقضاء والكتابة والتحريم كما سيأتى بيانه ان شاء الله فتفى سبحانه عن البحيرة والسائبة نجعله الدينى الشرعى أى لم يشرع ذلك ولا أمر به ولكن الذين كفروا افتروا عليه الكذب وجعلوا ذلك دينا له بلا علم ومن ذلك قوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فاجبر سبحانه ان هذه الفتنة الحاصلة بما أتى الشيطان هي بحسبه سبحانه وهذا جعل كوفى قدرى ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه اللهم اجعلنى لك شكرا لك ذكرا لك رهبا لك مطوعا لك محتابا لك أو اهانيا فإلله ان يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بزيادة البد واختياره وفي هذا الحديث وسدلساى وتسيديد الانسان جعله طافعا بالساد من القول ومثله قوله في الحديث الآخر اللهم اجعلنى لك مخلصا ومثله قوله

اللهم اجعلني أعظم شكرك وأكثر ذكرك واتبع نصيحتك واحفظ وصيتك ومثله قول المؤمنين ربنا  
أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا فالصبر وثبات الأقدام فصلان اختاريان ولكن التصبر والتثبيت فعل  
الرب تعالى وهو المسؤل والصبر والثبات فعلهم القائم بهم حقيقة ومثله قوله (رب أوزعني أن أشكر  
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) وقال ابن عباس والمفسرون بعده  
المعنى قال أبو إسحاق وتأويله في اللغة كفى عن الأشياء إلا نفس شكر نعمتك ولهذا يقال في تفسير  
الموزع المولع ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا بالسؤال أي مولعا به كأنه كف  
ومنع الله عنه وقال في الصحاح ووعته أزعجه وزعا كقفته فأنزع عنه لئى كف وأوزعته بالشيء أغريته  
به فأوزع به فهو موزع به واستوزعت الله شكره فأوزعني أي استأهنته فلهي فقد دار معنى اللفظة  
على معنى المعنى ذلك واجلني مفرى به وكفى عما سواه وعند القدرة أن هذا غير مقدور للرب بل  
هو غير مقدور البعد

فصل ومن ذلك قوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر  
لنتم ولكن الله حب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعيان أولئك هم  
الرافدون) فتحييه سبحانه الايمان الى عباد المؤمنين هو القاء محبة في قلوبهم وهذا لا يقدر عليه سواه  
واما تحيب البعد الشيء الى غيره قائما هو بزيينه وذكر أوصافه وما يدعو الى محبة فاحبر سبحانه انه  
جعل في قلوب عباده المؤمنين الامرين حبه وحسن الداعي الى حبه والتقى في قلوبهم كراهة ضده من  
الكفر والفسوق والعيان وان ذلك محض فضله ومته عليهم حيث لم يكن لهم الى أنفسهم بل تولى هو  
سبحانه هذا التحبيب والترزين وتكريره ضده فجاء عليهم به فضلا منه ونعمة والله عليم بمواقع فضله ومن  
يصلح له ومن لا يصلح حكيم بجمله في مواضعه ومن ذلك قوله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين  
وأنت بين قلوبهم لو أفتت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز  
حكيم واذكروا الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وتآلف  
القلوب جعل بعضها يآلف بعضها ويعمل اليه ومحبه وهو من أفاضها الاختيارية وقد أخبر سبحانه انه هو  
الذي فعل ذلك لا غيره ومن ذلك قوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا  
اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) فاحبر سبحانه يفعلهم وهو لهم وقيله وهو كفهم عما هموا به ولا  
يصح أن يقال انه سبحانه اشل أيديهم وامانهم وأزل عليهم عذابا حال بينهم وبين ما هموا به بل كف  
قدرهم وارادتهم مع سلامة حواسهم وبنيتهم وصحة آلات الفعل منهم وعند القدرة هذا محال بل هم  
الذين يكفون أنفسهم والقرآن صريح في ابطال قولهم ومثله قوله (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم  
عنهم مجملين مكة من بعد أن أظفركم عليهم) فهذا كف أيدي الفريقين مع سلامتهما وصحبا وهو بأن  
حال بينهم وبين الفعل فكف بعضهم عن بعض ومن ذلك قوله تعالى (وما بكم من نعمة من الله)  
والايمان والطاعة من أجل التمتع بل هما أجل التمتع على الإطلاق فهما منه سبحانه تملبا وارشادا والهاما  
وتوفيقا ومشيتة وخلقا ولا يصح أن يقال انها امرأ وبيانا فقط فان ذلك حاصل بالنسبة الى الكفار  
والصلاة فتكون نعمته على أكفر الخلق كنعمته على أهل الايمان والطاعة والبر منهم إذ نعمة البيان  
والارشاد مشتركة وهذا قول القدرة وقد صرح به كثير منهم ولم يجعلوا الله على البعد نعمة في مشيتة

وخلقه فعليه وتوفيحه اياه محيين فعليه وهذا من قولهم الذي ياتوا به جميع الرسل والكذب وطردهوا ذلك حين لم يجعلوا لله على اليد منة في اعطائه الجزاء بل قالوا ذلك محض حقه الذي لا منة لله عليه فيه واحتجوا بقوله (لهم أجر غير ممنون) قالوا أى غير ممنون به عليهم اذ هو جزاء أعمالهم وأجورهما قالوا والمنة تصكدر النعمة والمطية ولم يدعوا هؤلاء للجهل بالله موصفا وقاسوا منته على منة المخلوق فاتهم مشبهة في الافعال معطلة في الصفات وليست المنة في الحقيقة الا لله فهو المان بفضلته وأهل سمواته وأهل أرضه في محض منته عليهم قال تعالى (يؤمنون عليه ان أسلموا قل لا تنتموا على اسلامكم بل الله بمن عليكم ان هذاكم للإيمان ان كنتم صادقين) وقال تعالى لكليمه موسى (ولقد منّا عليك مرة أخرى) وقال (ولقد منّا على موسى وهارون) وقال (وزيد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فأنشاكم الله بي قالوا الله ورسوله آمن وقال الرسل لمقومهم (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله بمن على من يشاء من عباده) فنه سبحانه محض احسانه وفضله وروحته وما طاب عيش أهل الجنة فيها الايمته عليهم ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتساملون انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم فآخروا والمرتهم برهم ووجهه عليهم ان نجاهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم وقد قال اعلم الخلق بالله وأجهم اليه وأقربهم منه وأطوعهم له لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتقدمني الله برحمة منه وفضل وقال ان الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذب بهم وهو غير ظالم لهم ولورحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم والاول في الصحيح والثاني في المسند والسنن وصححه الحاكم وغيره فأخبر سيد الملائن والميامين انه لا يدخل الجنة بعمله وقالت القدريه أنهم يدخلونها بأعمالهم لئلا يتكبر لبيهم عليهم بمشيئة الله بل يكون ذلك التعمع عوضا عما رمى السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم القدريه عن قوس واحدة الا لظلم بدعهم ومناقضها لما بعث الله به أنبياءه ورسله فلو أني العباد بكل طاعة وكانت أغناسهم كلها طاعات لله لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المنة عليهم وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه أعظم فهو المان بفضلته فمن أنكر منته فقد أنكر احسانه وأما قوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) فلم يختلف أهل العلم بالله ورسوله وكتابه ان مناه غير مقطوع ومنه ريبا المتون وهو الموت لانه يقطع العمر

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى (وأغرنا بينهم المداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وقوله (والقينا بينهم المداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وهذا الاغراء والاتقاء محض فعله سبحانه والتعادي والتباغض أثره وهو محض فعلهم وأصل ضلال القدريه والجبرية من عدم اهتمامهم الى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد فالجبرية جعلوا التعادي والتباغض فعل الرب دون المتعادين والتباغضين والقدريه جعلوا ذلك محض فعلهم الذي لا صفة فيه ولا قدرته ولا مشيئة وأهل الصراط السوي جعلوا ذلك فعلهم وهو أثر فعل الله وقدرته ومشيتة كما قال تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) فالتفسير فعله والسير فعل العباد وهو أثر التفسير وكذلك الهدى والاضلال فعله والاهتداء والضلال أثر فعله وهما أفعالنا القائمة بنا فهو الهادي والعبد المهتدى وهو الذي يضل من يشاء والعبد الضال وهذا حقيقة وهذا



حقيقة والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكتان

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى عن خليله إبراهيم انه قال (رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنى أن يعبد الاصلنام) فهنا أمران يجنب عبادتها واجتنب به فسأل الخليل ربه أن يجنبه وفيه عبادته ليحصل منهم اجتناباً فالاجتناب فعلهم والنجيب فعله ولا سبيل الي فهم الا بعد فعله ونظير ذلك قوله يوسف الصديق (رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصباهن وأسكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن أنه هو السميع العليم) وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهن ومكرهن بالسبتن وأعمالهن وتلك أفعال احتيائية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والا تصرف أثر فعله وهو فعل النسوة ومن ذلك قوله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ولولا أن نبينا لك قد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) فالتبيت فعله والثبات فعل رسوله فهو سبحانه المثبت وعينه الثابت ومثله قوله (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويصل الله الظالمين ويصل الله ما يشاء) فآخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين واصلال الظالمين فعله فانه يفعل ما يشاء واما الثبات والصلال ففرض أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى (فبا نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) فآخبرانه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقساوة وصفها وفعلها وهي أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم بعض ماذكروا به فالآية مبطله لقول القدرة والجبرية

**(فصل)** ومن ذلك قوله تعالى (فاخرجناهم من جنات ووزروع ومقام كريم) وهم إنا خرجوا باختيارهم وقد أخبر انه هو الذي أخرجهم فالإخراج فعله حقيقة والخروج فعلهم حقيقة ولولا إخراجهم لما خرجوا وهذا بخلاف قوله (والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعدمكم فيها ويخرجكم إخراجاً) وقوله (هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر) وقوله (أخرجكم من بطون أمهاتكم) فان هذا إخراج لاصنع لهم فيه فانه بغير اختيارهم وأرادتهم وأما قوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فيحتمل أن يكون إخراجاً بقدره ومشيته فيكون من الاول ويحتمل أن يكون إخراجاً يوجب بأمره فلا يكون من هذا فيكون الإخراج في كتاب الله ثلاثة أنواع أحدها إخراج الخارج باختياره ومشيته والثاني إخراجه قهراً وكرها والثالث إخراجاً أمراً وشرعاً

**(فصل)** وقد ظن طائفة من الناس ان من هذا الباب قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وجعلوا ذلك من أدلهم على القدرة ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب فان هذا خطاب لهم في وقعة بدر حيث أزل الله سبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه فلم يرد المسلمون يقتلهم بل قتلهم الملائكة وأما رمية صلى الله عليه وسلم فقدوره كان هو الحذف والالقاء واما إيصال ما رمى به الى وجوه المدومع البعد وإيهال ذلك الى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ولكنه فعل الله وحده فالرمي بإرادته الحذف والإيصال ثابت له الحذف بقوله إذ رميت ونفى عنه الإيصال بقوله وما رميت

**(فصل)** ومن ذلك قوله (وانه هو أضحك وبكى) والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة والسببه هو الضاحك الباكي حقيقة وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام

عن ظاهره بغير موجب ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره فان اوضحاك الارض بالثبات وابكاه السحاب بالمطر واضحاك البعد وابكاه بخلق آلات الضحك والبكاء له لا ينافي حقيقة النطق وموضوعه ومعناه من انه جعل الضحك والبكاء فيه بل الجميع حق

( فصل ) ومن ذلك قوله تعالى ( هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ) ورؤية البرق أمر واقع باحساسهم فالارادة فعله والرؤية فعلنا ولا يقال ارادة البرق خلقه فان خلقه لا يسمى ارادة ولا يستلزم رؤيته بل ارادتنا له جعلنا نراه وذلك فعله سبحانه ومن ذلك قول الخضر لموسى ( فاراد ربك ان يلعنا فاشدهما ويستخرجا كثرهما ) فلوغ الاشد ليس من فعلهما واستخراج الكثر من افعالهما الاختيارية وقد أخبر ان كليهما بارادته سبحانه ومن ذلك قوله تعالى عن السحرة ( وما لهم بضارين به من أحد الا باذن الله ) وليس اذنه ها هنا أمره وشرعه بل قضاءه وقدره ومشيئته فهو إذا كوني قدرى لاديني أمرى

( فصل ) ومن ذلك قوله تعالى ( وألهمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ) وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتق الله بها وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول لا اله الا الله ثم كل كلمة يتق الله بها يهدى فهي من كلمة التقوى وقد أخبر سبحانه انه ألهمها عباده المؤمنين فخطها لازمة لهم لا ينفكون عنها فبإلزامه التزموها ولولا إلزامه لهم أياها لما التزموها والتزامها فعل اختياري تابع لإرادتهم واختيارهم فهو الملتزم وهم الملتزمون

( فصل ) ومن ذلك قوله تعالى ( ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الحر منوعا ) وهذا تفسير الهلوع وهو شدة الحرص الذي يترتب عليه الجزع والمنع فأكبر سبحانه انه خلق الانسان كذلك وذلك صريح في أن هلمه مخلوق لله كما أن ذاته مخلوقة فالانسان بمجمله ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق لله ليس فيه شيء خلق لله شيء خلق لغيره بل الله خالق الانسان بمجمله وأحواله كلها فالعلم فعله حقيقة والله خالق ذلك فيه حقيقة فليس الله سبحانه بهلوع ولا العبد هو الخالق لذلك ( فصل ) ومن ذلك قوله تعالى ( وما كان لنفس أن يؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يؤمنون ) واذنه ها هنا قضاءه وقدره لا مجرد أمره وشرعه كذلك قال السلف في تفسير هذه الآية قال ابن المبارك عن الثوري قضاء الله وقال محمد بن جرير يقول جل ذكره لئيه وما لنفس خلقها من سبيل أن يؤمن الا تصدق الا أن يأذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغنا وعيد الله ثم خلقها فان هداها بيد خالقها وما قبل الآية وما بعدها لا يدل الا على ذلك فانه سبحانه قال ( ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ) أي لا تكني دعوتك في حصول الايمان حتى يأذن الله لمن دعوته أن يؤمن ثم قال قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون قال ابن جرير يقول تعالى يا محمد قل لهؤلاء السائلينك الآيات على صحة ما تدعو اليه من توحيد الله وخلق الانداد والاولئ انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما يدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقررها واختلاف ليلها ونهارها وزوال التيت بارزاق البعاد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصديعها بنائها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلهم وتدبرهم

عظة ومعتبراً ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على حفظه وتديره ظهر يفتنكم عما سواها من الآيات وما يعني عن قوم قد سبق لهم من الله الشفاء وقضى عليهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار فهم لا يؤمنون بشئ من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى ( وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ) قال ابن جرير وكل إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله وما هو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه وهذا ما قاله الناس في الآية وهو ما طار له من الشقاء والسعادة وما طار عنه من العمل ثم ذكر عن ابن عباس قال طائره مثله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وزائل معه أينما زال وكذلك قال ابن جريج وقادة ومجاهد هو عمله زاد مجاهد وما كتب له وقال قتادة أيضاً سعادته وشقاوته بعمله قال ابن جرير فإن قال قائل فكيف قال ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت ولم يقل في يده أو رجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد قيل إن العنق هي موضع السبات وموضع القلائد والأطوق وغير ذلك مما يزين أو يشين فجري كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الاعتاق كما أضافوا جانيات أعضاء الأبدان إلى اليد فقالوا ذلك بما كسبت يداي وأما كان الذي جرم عليه لسانه أو فرجه فكذلك قوله ( ألزمناه طائره في عنقه ) وقال القراء الطائره مضاه عندهم العمل قال الأزهري والأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم عم المطيع من ذريته والماضي فكذب ماعله منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعاً وشقاوة من علمه عاصياً فطار لكل ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشأه وأما قوله في عنقه فقال أبو اسحاق إنما يقال لشئ الإلزام هذا في عنق فلان أي لزومه له كزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق قال أبو علي هذا مثل قولهم طوقك كذا وقلدتك كذا أي صرفته نحوك وألزمك إياه ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومه له في موضع القلادة ومكان الطوق وقيل إنما خص العنق لأن عمله لا يخلو أما أن يكون خيراً أو شراً وذلك بما يزين أو يشين كالخلى والفل قاضيف إلى الاعتاق قالت القدوة ألزمناه ذلك رسمه به وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة أنه سيبدأ شقي والخير عنه لانه ألزمه العمل فجعله لازماً له قال أهل السنة هذه طريقة لكم معروفة في تحريف الكلم عن مواضعه سلكتموها في الجسم والطبع والعقل وهذا لا يعرفه أهل اللغة وهو خلاف حقيقة اللفظ وما فسر به أعلم الأمة بالقرآن ولا يعرف ما قلتموه عن أحد من سلف الأمة البتة ولا فسر الآية غيركم به ولا يصح حمل الآية عليه فإن الخبر عنه بذلك والعلامة اعلم بها إنما حصل بعد طائره الإلزام له من عمله فلما ألزمه ذلك الطائر ولم يتفك عنه أخبر عنه بذلك وصارت عليه علامة وسمة ونحن قد رأيناكم أقوالاً أغما لهدى وسلف الأمة في الطائر فارتونا قولكم عن واحد منهم قاله تليكم وكل مطاعة من أهل البدع نجر القرآن إلى بدعها وضلالها وتفسره بمذاهبها وآرائها والقرآن يرى من ذلك وبالله التوفيق

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى ( وما يأتهم من رسول إلا كانوا يستهزئون كذلك نسلك في قلوب الجحريم لا يؤمنون به ) وقد وقع هذا المعنى في القرآن في موضعين هذا أحدهما والثاني في سورة الشراء في قوله ( ولو زلزلناه على بعض الأعجمين فخرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك نسلكتنا في

قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا المذابح الآلهم ) قال ابن عباس سلك الشرك في قلوب المكذبين كما سلك الحرزة في الحيط وقال أبو اسحاق أى كما قيل بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدم من الرسل كذلك سلك الضلال في قلوب المجرمين واختلقوا في مفسر الضمير في قوله لسلكه فقال ابن عباس سلكنا الشرك وهو قول الحنين وقال الزجاج وغيره هو الضلال وقال الربيع يعنى الاستهزاء وقال الفراء التكذيب وهذه الأقوال ترجع الى شيء واحد والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعلهم حقيقة وقد أخبر أنه سبحانه هو الذى سلكه في قلوبهم وعندى في هذه الأقوال شيء فان الظاهر ان الضمير في قوله لا يؤمنون به هو الضمير في قوله سلكنا مفعلا يصح أن يكون المعنى لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء فلا تصح تلك الأقوال باختلاف مفسر الضمير والظاهر اتحادهم فالذين لا يؤمنون به هو الذى سلكه في قلوبهم وهو القرآن فان قيل فما معنى سلكه آياه في قلوبهم وهم يتكبرونه قبل سلكه في قلوبهم بهذه الحال أى سلكناه غير مؤمنين به فدخل في قلوبهم مكذبا به كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقا به وهذا مراد من قال ان الذى سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال ولكن فسر الآية بالمعنى فانه اذا دخل في قلوبهم مكذبين به فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم فان قيل فما معنى ادخاله في قلوبهم وهم لا يؤمنون به قيل تقوم عليهم بذلك حجة الله فدخل في قلوبهم وعلما انه حق وكذبوا به فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضى به وتكذبهم به بعد دخوله في قلوبهم اعظم كفرا من تكذبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم فان المكذب بالحق بعد معرفته به شر من المكذب به ولم يعرفه فأنمله فانه من قبه التفسير والله الموفق للصواب

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى ( ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ) فالارسال هاهنا ارسال كوفى قدرى كالرسال الرياح وليس بالرسال ديفى شرعى فهو ارسال تسليط بخلاف قوله في المؤمنين ( ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ) فهذا السلطان المنفى عنه على المؤمنين هو الذى أرسل به جنده على الكافرين قال أبو اسحاق ومعنى الارسال ههنا التسليط تقول قد أرسلت فلانا على فلان اذا سلطته عليه كما قال ( ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من القاون ) فاعلم ان من اتبعه هو مساط عليه قلت ويشهد له قوله تعالى ( انما سلطانا على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ) وقوله ( تؤزهم أزا ) فالأز في اللغة التحريك والتيسيج ومنه يقال لتلبيان القدر الأوز لتحرك الماء عند التلبيان وفي الحديث كان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوز كأوز الرجل من البكاه وعبارات السلف تدور على هذا المعنى قال ابن عباس فترجم اغراء وفي رواية أخرى عنه تساهم سلا وفي رواية أخرى تحرهم تحريضا وفي أخرى ترجمهم للماصى ازعاجا وفي أخرى توقدهم إضادا أى كما تحرك الماء بالوقد تحته قال أبو عبيدة الأوز الالهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب يقال لزقدرك أى ألهب تحتها النار واثرت النار اذا اشتد غلبتها وهذا اختيار الاخفش والتحقيق ان اللفظة تجمع المعنيين جميعا . قالت القدسية معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين خلبنا بينهم وبينهم ليس معناه التسليط قال أبو على الارسال يستعمل بمعنى التخلية بين المرس وما يريد ففى الآية خلبنا بين الشياطين وبين الكافرين ولم يمنعهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الواحدى والى هذا الوجه يذهب القدسية في معنى الآية قال وليس المعنى على

ما ذهبوا اليه وقال أبو اسحاق والخمار أنهم أرسلوا عليهم وقضوا لهم بكفرهم كما قال تعالى ( ومن يش عن ذكر الرحمن قيقض له شيطاناً فهو له قرين ) وقال ( وقيقضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ) وإنما معنى الإرسال التبسيط قلت وهذا هو المفهوم من معنى الإرسال كما في الحديث إذا أرسلت كلبك المعلم أى سلطته ولو خلى بينه وبين الصيد من غير إرسال منه لم يسبح صيده وكذلك قوله ( وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ) أى سلطناها وسخرناها عليهم وكذلك قوله ( وأرسل عليهم طيرا لأبويل ) وكذلك قوله ( أنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ) والتخيلة بين المرسل وبين ما أرسل عليه من لوازم هذا المعنى ولا يتم التبسيط إلا به فإذا أرسل الشيء الذى من طبعه وشأنه أن تفعل فعلا ولم تمنه من فعله فهذا هو التبسيط ثم إن القهورة تناقضوا في هذا القول قائم أن جوزوا منهم منهم وعصمتهم وعادتهم فقد قضوا أصلهم فإن منع الخمار من فعله الاختيارى مع سلامة الآية وحجة بينته تدل على أن فعله وتركه مقدور للرب وهذا عين قول أهل السنة وإن قالوا لا يقدر على منهم وعصمتهم منهم وعادتهم فقد جعلوا قدرتهم ومشيئتهم بفعل ما لا يقدر الرب على المنع منه وهذا يبطل الباطل ثم قالت القدرية تؤزهم إذا تأمرهم بالماضى أمرا وحكوا ذلك عن الضحاك وهذا يلتفت إليه إذا يقال بل أمر غيره بشئ قد أوزه ولا تساعده اللغة على ذلك ولو كان ذلك صحيحا لكان يؤز المؤمنين أيضا فإنه يأمرهم بالماضى أكثر من أمر الكافرين فإن الكافر سريع الطاعة والقبول من الشيطان فلا يحتاج من أمره ما يحتاج إليه من أمر المؤمنين بل يأمر الكافر مرة ويأمر المؤمن مرارا فلو كان الأمر لم يكن له إحصاء بالكافرين

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى ( قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخائس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ) وقوله ( أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ) وقوله ( فإذا قرأت القرآن فاستمعوا له من الشيطان الرجيم ) ومن المعلوم أن الإعادة من الشيطان الرجيم ليست بامتناع ولا تعطيل آلات كيد وادعائه بأن يصمم المستعبد من أذاه له ويحول بينه وبين فعله الاختيارى له فدل على أن فعله مقدور له سبحانه أن شاء سلطه على العبد وإن شاء حال بينه وبينه وهذا على أصول القدرية باطل فلا يثبتون حقيقة الإعادة وإن أثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد وجعلوا الآية ردا على الجبرية والخبرية أثبتوا حقيقة الإعادة ولم يثبتوا حقيقة الاستعاذة من العبد بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة كما أن الإعادة فعله وقد ضل الطائفتان عن الصراط المستقيم وأصاب كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قوله تعالى ( ولصبر وما صبرك إلا بإية ) وقول هود وما توفيقى إلا بإية ومعلوم أن الصبر والتوفيق فعل اختيارى للعبد وقد أخبر أنه به لا بالعبد وهذا لا يبنى أن يكون فعلا للعبد حقيقة ولهذا أمر به وهو لا يأمر عبده بفعل نفسه سبحانه وإنما يؤمر العبد بفعله هو ومع هذا فليس فعله وإنما به وإنما هو بالخالق لكل شئ الذى ملأه كان وما لم يشأ لم يكن فالتصبر منه سبحانه وهو فعله والصبر هو القائم بالعبودية فعل العبد ولهذا أتى على من يسأله أن يصبر فقال تعالى ( ولما برزوا للحالوت وجنودهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم باذن الله ) ففى الآية أربعة أدلة أحدها قولهم أفرغ علينا صبرا والصبر فعلهم الاختيارى فسألوه ممن هو

بيده ومشيته واذنه ان شاء أعطاهموه وان شاء منعهموه . الثاني قولهم وثبت أقدامنا وثبات الاندام  
فعل اختياري ولكن التثبيت فله والثبات فعلهم ولا سبيل الى فعلهم الا بعد فله . الثالث قولهم وانصرنا  
على القوم الكافرين ) فأنلوه النصر وذلك بان تقوى عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم وينتهم ويثني في  
قلوب أعداهم الجور والخوف والرعب فيحصل النصر وأيضا فان كون الانسان منصورا على غيره  
امان أن يكون بافعال الجوارح وهو واقع بقدرة البد واختياره واما أن يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك  
أيضا فعل البد وقد أخبر سبحانه ان النصر بمجملته من عنده وأننى على من طلبه منه وعند القدرة  
لا يدخل تحت مقدور الرب . الرابع قوله فزموهم باذن الله واذنمعاهنا هو الاذن الكونى القدرى  
أى بمشيته وقضائه وقدره ليس هو الاذن الشرعى الذى بمعنى الامر فان ذلك لا يستلزم الهزيمة بخلاف  
اذنه الكونى وأمره الكونى فان المأمور المكون لا يتخلف عنه البتة .

( فصل ) ومن ذلك قوله تعالى ( ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واسيع هواء ) وفي الآية رد  
ظاهر على الطائفتين وإبطال لقولهما فانه سبحانه أغفل قلب البد عن ذكره ففعل هو فالأغفل  
فعل الله والنفلة فعل المبدىم أخير عن اتباعه هواء وذلك فعل البد حقيقة والقدرة تحرف هذا  
النص وامثاله بالتسمية والعلم فيقولون معنى أغفلنا قلبه سمينا غافلا أو وجدناه غافلا أى علمناه كذلك  
وهنا من تحريفهم بل أغفلته مثل أفته وأقدمته وأغنيته وأفقرته أى جعلته كذلك وأما أغفلته أو  
أوجدته كذلك كاحدته وأجنته وأجملته وأعجزته فلا يقع في أفعال الله البتة انما يقع في أفعال الماخر أن  
يجعل حيوانا وبهيما وعاجزا فيكون معناه صادقته كذلك وهل يخطر بقلب الداعي اللهم اقدرنى أو  
أوزعنى والهمنى أى سمنى وأعطنى كذلك وهل هذا الا كذب عليه وعلى المدعو سبحانه والفقلاء  
يملكون علما ضروريا ان الداعي انما سأل الله أن يخلق له ذلك ويشاءه له ويقدره عليه حتى القدرى  
اذا غابت عنه بدعته وما تقلده عن أشياءه واسلافه وبقي فطرته لم يخطر بقلبه سوى ذلك وأيضا فلا  
يمكن أن يكون البد هو المنقل لنفسه عن الشيء فان اغفاله لنفسه شبه مشروط بشعوره به وذلك  
مضاد لفعله عنه بخلاف اغفال الرب تعالى له فانه لا يضادعله بما يفعل عنه البد وبخلاف غفلة البد فانها  
لا تكون الا مع عدم شعوره بالفعل عنه وهذا ظاهر جدا ثبت ان الاغفال فعل الله بعبده والنفلة  
فعل البد .

( فصل ) ومن ذلك قوله تعالى اخبارا عن نية شيعبانه قال لقومه ( قد افترينا على الله كذبا ان عدنا  
في ملتكم بعد اذنحينا الله منها وما يكون لنا أن نفوذ فيها الا أن يشاء الله ربنا ) وهذا يبطل تأويل  
القدرة التثنية في مثل ذلك بمعنى الامر فقد جعلت منه من المستع على الله ان يأمر بالسفول في ملة  
الكفر والشرك به ولكن استثنوا بمشيته التى يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء ثم قال شيعبوسع  
ربنا كل شئ علما فرد الامر الى مشيته وعلمه فان له سبحانه في خلقه علم محيط ومشيته نافذة وراء  
ما يسلمه الخلاق فاستعاننا من المود فيها هو مبلغ علمونا ومشيته والله علم آخر ومشيته أخرى وراء  
علمونا ومشيته فلذلك رد الامر اليه ومثله قول ابراهيم ( ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء الله  
ربى شئاً وسع ربى كل شئ علما فلا يتذكرون ) فاعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها الى مشيته  
الرب وعلمه ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لئن انا فاعله حتى يستثنى بمشيته الله فانه ان شاء فله

وإن شاء لم يفعله وقد تقدم تقرير هذا المعنى وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده

### الباب الرابع عشر

في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومبادئه فإن أفضل ما يقدر الله عليه وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يتلبه به ويقدره عليه الضلال وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزل عليهم على أنه سبحانه يفضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وإن الهدى والاضلال بيده لا يبدد البعد وإن البعد هو الضلال أو المهتدى فالهداية والاضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل البعد وكسبه ولا بد قبل الخوض في تقرير ذلك من ذكر مراتب الهدى والضلال في القرآن فاما مراتب الهدى فاربعة أحدها الهدى العام وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أهم مراتب الهدى والمرتبة الثانية الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح البعد في مناداه وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة المرتبة الثالثة الهداية المستترة للاعتداء وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لبيده الهداية وخلق دواعي الهدى وإرادته والقدرة عليه لبيده وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل المرتبة الرابعة الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار

فصل في الهدى والمرتبة الأولى فقد قال سبحانه (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) فذكر سبحانه أربعة أمور عامة الخلق والتسوية والتقدير والهداية وجعل التسوية من تمام الخلق والهداية من تمام التقدير قال عطاء خلق فسوى أحسن ما خلقه وشاهده قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) فأحسن خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل فيها تفاوت يخل بالتناسب والاعتدال فالخلق الإيجاد والتسوية إتمامه وإحسان خلقه وقال الكلبي خلق كل ذي روح جميع خلقه وسواء بالدين والدينين والرجلين وقال مقاتل خلق لكل دابة ما يصلح لها من الخلق وقال أبو إسحاق خلق الإنسان مستويا وهذا تمثيل والافخلق والتسوية شامل للإنسان وغيره قال تعالى (ونفس وما سواها) وقال (فسواهن سبع سموات) فالسوية شاملة لجميع مخلوقاته (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) وما يوجد من التفاوت وعدم التسوية فهو راجع إلى عدم إعطاء التسوية للمخلوق فإن التسوية أمر وجودي تتعلق بالتأثير والإبداع فما عدم منها فلمع إرادة الخالق للتسوية وذلك أمر عيني يكمن فيه عدم الإبداع والتأثير فتأمل ذلك فانه يزول عنك الاشكال في قوله (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فالتفاوت حاصل بسبب عدم مشيئة التسوية كما أن الجهل والسمم والمعي والحرس والبيكم يكنى فيها عدم مشيئة خلقها وإيجادها وتتمام هذا يأتي إن شاء الله في باب دخول الشر في القضاء عند قول النبي صلى الله عليه وسلم والشر ليس إليك والمقصود أن كل

مخلوق فقد سواه خالقه سبحانه في مرتبة خلقه وان قاتنه التسوية من وجه آخر لم يخلق له  
 (فصل) وأما التقدير والهداية فقال مقاتل قدر خلق الذكر والاتي فهدى الذكر للاتي كيف  
 بأثينا وقال ابن عباس والكلي وكذلك قال عطاء قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للاتي وأحار  
 هذا القول صاحب النظم فقال معنى هدى هداية الذكر لا بيان الاتي كيف يأثينا لأن آيات ذكر ان  
 الحيوان لانائه مختلف لاختلاف الصور والخلق والهيآت فلو لا انه سبحانه جبل كل ذكر على معرفة  
 كيف يأتي أثي جنسه لما اعتدى لتلك وقال مقاتل أيضا هداية لم يشته ومرماه وقال السدي قدر مده  
 الجنين في الرحم ثم هدام بالخروج وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة  
 وقال الفراء التقدير يهدي وأصل فاكثي من ذكر أحدها بالآخر قلت الآية أعم من هذا كله  
 وأضعف الاقوال فيها قول انقراء إذ المراد هاتنا الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشه ليس المراد  
 هداية الايمان والضلال بمشيتة وهو نظير قوله (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) عطاءه الخلق  
 إيجاده في الخارج والهداية التعام والذلة على سبيل بقاءه وبالحفظه وقيمه وما ذكر مجاهد فهو تمثيل  
 منه لتفسير مطابق للآية فان الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقة وبهمه طيره ودوابه فصيحاه وأعجمه  
 وكذلك قول من قال انه هداية الذكر لا بيان الاتي تمثيل أيضا وهو فرد واحد من أفراد الهداية  
 التي لا يمحسها الا الله وكذلك قول من قال هداه للمرعى فان ذلك من الهداية فان الهداية الى النقام  
 الذي عند خروجه من بطن أمه والهداية الى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت والهداية  
 التي قد لا يمشيها من المرعى دون ما يضره منه وهداية الطير والوحش والدواب الى الافعال المجيبة  
 التي يعجز عنها الانسان كهداية التحل الى سلوك السبل التي فيها مراعيها على ثباتها ثم عودها الى بيوتها من  
 الشجر والحيال وما يفرس بنو آدم وأمر التحل في هدايتها من أعجب العجائب وذلك أن لها أميرا ومديرا  
 وهو العيسوب وهو أكبر جسم من جميع التحل وأحسن لونا وشكلا وأثبات التحل تلد في إقبال  
 الربيع وأكثر أولادها يكن اثنا واذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها بل إنما أن تطرده واما أن تقتله  
 الاطاعة يسيرة منها تكون حول الملك وذلك ان الذكر منها لا تمل شيئا ولا تكسب ثم تجتمع الامهات  
 وفراخها عند الملك فيخرج بها الى المرعى من المروج والرياض والبساتين والمراعي في أقصد الطرق  
 وأقربها فيجتنى منها كفايتها فيرجع بها الملك فاذا انتهوا الى الحلال وقف على بلها ولم يدع ذكر اولادها  
 نخلة غريبة تدخلها فاذا تكامل دخولها دخل بعدها وتواجدت التحل مقاعدتها وأما كنها فيتدنى  
 الملك بالعمل كانه يعلمها إياه فيأخذ التحل في العمل ويتسارع اليه ويترك الملك العمل ويجلس ناحية  
 بحيث يشاهد التحل فيأخذ التحل في إجماد الشمع من لزوجات الاوراق والاثوار ثم تقسم التحل  
 فرقا فثمة فرقة تازم الملك ولا تفارقه ولا تعمل ولا تكسب وهم حاشية الملك من الذكورة وثمة  
 فرقة تهيئ الشمع وتضمنه والشمع هو قمل الصل وفيه حلولة كحلولة الثين وللحل فيه غناية شديدة  
 فوق غنايتها بالصل فينظفه التحل وصفيه ويخلصه مما يخالطه من أبوالها وغيرها وفرقة تبني البيوت  
 وفرقة تسقي الماء وتحمله على متونها وفرقة تكتسب الحلالا وتنظفها من الاوساخ والحيف والزبل واذا  
 رأت بينها نخلة مينة بطلاة قطعها وقتلها حتى لا تسعد عليهن بقية العمال وتدينن ببطانها وما تهاو أول  
 ما يبنى في الخلية مقعد الملك ويته فيبنى له يتأثر بها يشبه السرير والتخت فيجلس عليه ويستدير حوله



طائفة من التحل يشبه الامراء والخدم والخواص لا يفارقه ويحمل التحل بين يديه شيئا يشبه الحوض  
يصب فيه من السلسل أسفى ما يقدر عليه ويغلا منه الحوض يكون ذلك طعاما للملك وخواصهم يأخذون  
في ايتاماليوت على خطوط متساوية كأنها سكك ومحال وتبنى بيوتها مدمسة متساوية الاضلاع كأنها قرأت  
كتاب اقليدس حتى عرفت أوفق الاشكال لبيوتها لان المطلوب من بناء الدور هو الوثاقفة والسمة  
والشكل المسدس دون سائر الاشكال اذا انقضت بعض اشكاله الى بعض صار شكلا مستديرا كاستدارة  
الرحى ولا يبقى فيه فروج ولا خلل ويشد بعضه بعضا حتى يصير طبقا واحدا محكما لا يدخل بين  
بيوته رؤس الابر قتيارك الذى ألهمها أن تبنى بيوتها هذا البناء المحكم الذى يعجز البشر عن صنع مثله  
فلعلنا انها محتاجة الى أن تبنى بيوتها من أشكال موصوفة بصفتين احدهما أن لا يكون زواياها ضيقة  
حتى لا يلقى الموضع الضيق معطلا الثانية أن تكون تلك البيوت مشكلة بأشكال اذا انضم بعضها الى  
بعضى وامتلأت المرصة منها فلا يبقى منها ضامتا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو  
المسدس فقط فان المثلثات والمربعات وان أمكن امتلاء المرصة منها الا أن زواياها ضيقة واما سائر  
الاشكال وان كانت زواياها واسعة الا انها لا تتخلل المرصة منها بل يبقى فيها فراغ فروع خالية ضامنة واما  
المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين فهذه اشباعه على بناء بيوتها على هذا الشكل من غير مسطر ولا آلة  
ولا مثال يحتذى عليه وأصنع بنى آدم لا يقدر على بناء البيت المسدس الا بالآلات الكبيرة قتيارك الذى  
هداها ان تسلك سبل مراعيها على قوتها وتأتمنا ذللا لا تستصعب عليها ولا تقص عليها وان تجتنب أطيب  
ما في المرعى والطفه وأن تمود الى بيوتها الحالية فتصب فيها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاها تأسان في ذلك  
لآيات لقوم يتفكرون فاذا فرغت من بناء البيوت خرجت خماسا تسيع سهلا وجيلا فالت من  
الحلوات المرتفعة على رؤس الازهار وورق الاشجار فتزجج بطانا وجعل سبحانه في أفواهها حارارة  
منضجة تنضج حاجته فتمده حلوة ونضجا ثم تنجيه في البيوت حتى اذا امتلأت حتمتها وسدت  
رؤسها بالشمع المصفى فاذا امتلأت تلك البيوت عمدت الى مكان آخر ان صادفته فالتخذت فيه بيوتا  
وفعلت كما فعلت في البيوت الاولى فاذا برد الهوى وأخلف المرعى وجعل بينها وبين الكسب لزمت  
بيوتها وانتخذت بما ادخرته من السلسل وهى في أيام الكسب والسعى تخرج بكرة وتسيح في المراعي  
وتستعمل كل فرقة منها بما يخصها من العمل فاذا استرجعت الى بيوتها واذا كان وقت رجوعها  
وقب على باب الحلية بواب منها ومعه أعوان فكل لحظة تتردد الدخول يشمها البواب ويتفقدنا فان  
وجد منها رائحة منكرا أو رأى بها لطفة من قدر منها من الدخول وعزلها ناحية الى أن يدخل الجميع  
فيرجع الى المزولات المنوعات من الدخول فيتفقدن ويكشف أحوالهن مرة ثانية فن وجدته قد  
وقع على شيء ممن أنجس قدمه نصفين ومن كانت جنايته خفيفة تركه خارجا غلبه هذا دأب البواب  
كل عشية وأما الملك فلا يكثر الخروج من الحلية الا نادرا اذا اشتبه التره فيخرج ومعه أمراء التحل  
والخدم فيطوف في المروج والرياض والبساتين ساعة من النهار ثم يعود الى مكانه ومن عجيب أمره  
انه ربما لحقه أذى من التحل أو من صاحب الحلية أو من خدمه فيغضب ويخرج من الحلية ويتباعد  
عنها ويقيم جميع التحل وتبقى الحلية خالية فاذا رأى صاحبها ذلك وخاف أن يأخذ التحل ويذهب  
بها الى مكان آخر احتال لا يستر جاعه وطلب رضاه فيتصرف موضعه الذى صار اليه بالتحل فيعرفه

باجتماع التحل اليه قاتها لا تفارقه. ويجتمع عليه حتى يصير عليه عقودا وهو اذا خرج غضبا جاس على مكان يرتفع من الشجرة وطافت به التحل وانضمت اليه حتى يصير كالكرة فيأخذ صاحب التحل رجلا أو قصبة طويلة ويشد على رأسه حزمة من الثياب الطيب الرائحة العطر التظليل ويدنيه الى محل الملك ويكون معه إما منهر أو براع أو شيء من آلات الطرب فيحركه وقد أدنى اليه ذلك الحفيش فلا يزال كذلك الى أن يرضى الملك فإذا رضى وزال غضبه طفر ووقع على الضفت وتبعه خدمه وسائر التحل فيحمله صاحبه الى الخلية فينزل ويدخلها هو وجنوده ولا يقع التحل على حيفة ولاه حيوان ولا طعام ومن عييب أمرها أنها تقتل الملوك الظلمة المفسدة ولا تدبر لطاعتها والتحل الصغار المجتمع الخلق هي المسألة وهي تحاول مقاتلة الطوائف القليلة النفع وأخراجها ونفيها عن الخلايا وإذا فعلت ذلك جاد السبل وتجهد أن تقتل ما يريد قتله خارج الخلية صيانة للخلية عن حيفتها ومنها صنف قليل النفع كبير الجسم وبينها وبين المسألة حرب فهي تقصدها وتنتالها وتفتح عليها بيوتها وتقصد هلاكها والمسألة شديدة التيقظ والتحفظ منها فإذا هجمت عليها في بيوتها حاولها وأجانبها الى أبواب السيوت تطلخ بالسل فلا تقدر. عن الطيران ولا يفلت منها الأكل طويل العمر فإذا اقتضت الحرب وبرد القتال عادت الى القتل فحملتها وألقيا خارج الخلية وقد ذكرنا ان الملك لا يخرج الا في الاحايين وإذا خرج خرج في جوع من الفراخ والشبان وإذا عزم على الخروج ظل قبل ذلك اليوم أو يومين يعلم الفراخ وينزلها منازلها ويرتبا فيخرج ويخرجن معه على ترتيب ونظام قد دره معهن لا يخرجن عنه وإذا تولدت عنده ذكران عرف أنهم يطلبن الملك فيجعل كل واحد منهم على طائفة من الفراخ ولا يقتل ملك منها ملكا آخر لما في ذلك من فساد الرعية وهلاكها وتفرقها وإذا رأى صاحب الخلية الملوك قد كثرت في الخلية وخاف من تفرق التحل بسبهم احتال عليهم وأخذ الملوك كلها الا واحدا ومحسن الباقي عنده في آتاه ويدع عندهم من السبل ما يكتفون به حتى اذا حدث بالملك المتصوب حدث مرض أو موت أو كان مفسدا فقتلته التحل أخذ من هؤلاء المحبوسين واحدا وجعله مكانه ثلاثا يبق التحل بلا ملك فيقتشت أمرها ومن عييب أمرها ان الملك اذا خرج منزها ومعه الامراء والجنود ربما لحقه إعياء فتحمله الفراخ وفي التحل كرام عمال لها سعى وهمة واجتهاد وفيها ثام كسالى قليلة النفع مؤثرة للبطالة فالكرام دائما تطردها وتنفيها عن الخلية ولا تسأكنها خفية ان تمدي حكرامها وتقصدتها والتحل من ألطف الحيوان واثقا ولذلك لا تنفي زيارها الا حين تطير وتكره الثن والروائح الحينة وأبكارها وفراخها أحرس وأشد اجتهادا من الكبار وأقل لسعا وأجود عسلا ولسمها اذا لست أقل ضررا من لسع الكبار ولما كانت التحل من أضعف الحيوان وأبركه قد خضعت من وحى الرب تعالى وهداياته بما لم يشركها فيه غيرها وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الاسقام والثور الذي يضئ في الظلام بمنزلة الهداة من الانام كان أكثر الحيوان أعداءه وكان أعداؤها من أقل الحيوان منفعة وبركة وهذه سنة الله في خلقه وهو المميز الحكيم

فصل في الهدى والضلال من اهدى الحيوانات وهدايتها من أعجب شيء فإن الثملة الصغيرة تخرج

من بيتها وتطلب قوتها وان بعدت عليها الطريق فإذا ظفرت به حملته وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر حتى تصل الى بيوتها فتخزن فيها أقواتها في وقت الامكان

فاذا خزنها عمدت الى ما بينت منها فقلته فلقتين ثلاثين فان كان يثبت مع قلته لاثنين فقلته بأربعة  
 فاذا أصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد انتظرت به يوماذا شمس تفرجت به فقتشه على أبواب بيوتها  
 ثم أعادته إليها ولا تغدو منها نملة مما جمعه غيرها ويكنى في هداية النمل ما حكاك الله سبحانه في القرآن  
 عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لا يحياها بقولها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم  
 سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فاستفتحت خطابها بالثناء الذي يسمعه من خاطبتة ثم أتت الاسم  
 حاليهم ثم اتبعته بما يثبت من اسم الجنس ارادة للموم ثم أمرهم بان يدخلوا مساكنهم فيحصنوا من  
 الصكر ثم أخبرت عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيبهم غمرة الجيش فيحطهم سليمان  
 وجنوده ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك وهذا من أعجب الهداية وتأمل كيف  
 عظم الله سبحانه شأن النمل بقوله (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطيرهم يومئذون)  
 ثم قال (حتى اذا أتوا على وادى النمل فاخبر أنهم باجمعهم مروا على ذلك الوادى ودل على أن ذلك  
 الوادى معروف بالنمل كوادى السباع ونحوه ثم أخبر بما دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها  
 حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكنا  
 لا يدخل عليهم فيه سواهم ثم قالت لا يحطركم سليمان وجنوده فجئت بين اسمه وعينه وعرفته بهما  
 وعرفت جنوده وقادتها ثم قالت وهم لا يشعرون فكأنها جمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم  
 لا يشعرون وبين لوم أمة النمل حيث لم يأخذوا حذرهم ويدخلوا مساكنهم ولذلك تبسم نبي الله  
 ضاحكا من قولها وأنه لموضع تعجب وتبسم وقد روى الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عيينة عن  
 ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النمل والنحلة والهدهد والصرد وفي الصحيح  
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فقصته نملة فأمر  
 بجهازة فأخرج وأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله اليه أن أجل أن قرستك نملة أحرقت أمة من  
 الامم تسبح فهلا نملة واحدة وذكر هشام بن حسان أن أهل الاخنف بن قيس لقوا من النمل شدة  
 فأمر الاخنف بكرسى فوضع عند تنويرين فجلس عليه ثم تشهد ثم قال لتنهين أولي حرقن عليكن وفعل  
 وقمل قال فذهبن وروى عوف بن أبي جميلة عن قدامة بن زهير قال قال أبو موسى الأشعري ان لكل  
 شيء سادة حتى للنمل سادة ومن عجيب هدايتها انها تعرف ربها بأنه فوق سمواته على عرشه كما رواه  
 الامام أحمد في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة يرفعه قال خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون  
 فاذاهم بمنى رافعة قوائمها الى السماء تدعو مستلقية على ظهرها فقال ارجعوا فقد كفيتم أو سقيم  
 بغيركم ولهذا الاثر عدة طرق ورواه الطحاوي في التهذيب وغيره وقال الامام احمد حدثنا  
 قال خرج سليمان بن داود يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها  
 الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ليس بنا غنا عن سقائك ورزقك فاما أن نسقينا وترزقنا  
 واما أن نهلكنا فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ولقد حدثني ابن نملة خرجت من بيتها فصادفت  
 شق جرادة فحاولت أن تحمله فلم تطق فذهبت وجاءت ممها باعوان يحمله معها قال فرقت ذلك من  
 الارض فطافت في مكانه فلم تجد فاصرفوا وتركوها قال فوضته فمادت تحاول حمله فلم تقدر فذهبت  
 وجاءت بهم فرقتهم فطافت فلم تجد فاصرفوا قال فمضت ذلك مرارا فلما كان في المرة الاخرى استدار

التمل حلقة ووضوعها في وسطها وطلوها عضوا عضوا أقل شيئا وقد حكيت له هذه الحكاية فقال هذه التمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب والتمل من أحرص الحيوان ويضرب بحرصه التمل ويذكر أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حرص التملة وشدة ادخارها للأنعام استحضرت تمل وسألها كم تأكل التملة من الطعام كل سنة قالت ثلاث حبات من الحنطة قاصر بالقائها في قارورة وسد فم القارورة وجعل معها ثلاث حبات حنطة وتركبها سنة بعد ما قالت ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة فوجد حبة ونصف حبة فقال أين زعمك أنت زعمت أن قوتك كل سنة ثلاث حبات فقالت نعم ولكن لما رأيتك مشغولا بمصالح أبناء جنسك حسبت الذي بقي من عمري فوجدته أكثر من المدة المضروبة فانتصرت على نظمت القوت واستيقبت نصفه استبقاه لنفسى فحبس سليمان من شدة حرصها وهذا من أعجب الهداية والعلمية ومن حرصها أنها تكس طول الصيف وتجمع للشاة طعامها باعواز الطلب في الشتاء وتذمر الكسب فيه وهي غلي ضفها شديدة القوى قاتها تخمن أضفاف أضفاف وزها ونحوه الى بينها ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت عضو كزبرة يابس فاديتيه إلى أفكها لم تشم له رائحة فإذا وضعت على الأرض أقيمت التملة من مكان يبعد اليه فان عجزت عن حملها ذهبت وأتت منها بصفت من التمل بمحتالونه فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها حتى أقيمت بسرعة اليه فهي تدرك بالشئ من البعد ما يدركه غيرها بالبصر أو بالسمع فتأتي من مكان بعيد الى موضع أكل فيه الانسان وبقي فيه ثبات من الحيز أو غيره فتحمله وتذهب به وان كان أكبر منها فان عجزت عن حملها ذهبت الى جحرها وجاءت معها بطائفة من أصحابها فأتوا كخيض أسود يتبع بعضهم هذا حتى يتساعدوا على حملها وقهوه هي تأتي الى السبعة فتقسمها فان وجنتها حنطة قطتها ومن ثنها وحلتها وان وجنتها شعير فأتوا لها صدق الثمن وبعد الهمة وشدة الحرس والحراة على محاولة قتل ما هو أضفاف أضفاف وزها وليس لامل قائد ورئيس يديرها كما يكون للتمل لأن لها رائدا يطلب الرزق فإذا وقف عليه أخبر أصحابه فيخرجون بمحتمات وكل تمل تجهد في صلاح العامة منها غير محتلة من الحب شيئا لنفسها دون صوابها ومن عجيب أمرها ان الرجل إذا أراد أن يحترق من التمل لا يسقط في عسل أو نحوه فإنه يحفر حفرة ويجعل حولها ماء أو يتخذ آناه كبيرا وعلاء ماء ثم يضع فيه ذلك الشيء فيأتى الذي يطيب به فلا يقدر عليه فينسلق في الحائط ويمشي على السقف الى أن يجاذى ذلك الشيء فتلقى نفسها عليه وجربنا نحن ذلك وأحصى صانع مرة طوقا بالنار ورماء على الأرض ليرد وافق ان اشتعل الطوق على نمل فتوجه في الجهات ليخرج فالحق وهو هج النار فازم المركز ووسط الطوق وكان ذلك مركزا له وهو أبعد مكان من المحيط

فصل وهذا الملهد من أهدى الحيوان وأبصره بمواضع الماء تحت الأرض لا يراه غيره ومن هدايته محاكاة الله عنه في كتابه ان قال لي الله سليمان وقد فقدته وتوعدت فلما جاءه بدري بالملذ قبل أن ينزله سليمان بالمقربة وخطابه خطابا هيج به على الاصفاء اليه والقبول منه فقال أحطت بما لم تحط به وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرقتك حق المعرفة بحيث أحطت به وهو خبر عظيم له شأن فلذلك قال وبتك من سبأ نبأ يقين والتأ هو الخبر الذي له شأن والثفوس مطلعة الى معرفته ثم وصفه بأنه نبأ يقين لأنك فيه ولا ريب فهذه مقدمة بين يدي إخباره لي الله بذلك النبأ استغرقت

قلب الخبير لثاني الخبر . وأوجبت له التشرف التام الى سماعه ومعرفته وهذا نوع من براعة الاستهلال  
وخطاب التيسير ثم كشف عن حقيقة الخبر ككشف مؤكدا بادلة التأكيد فقال اني وجدت امرأته تملكهم  
ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وانها من اجل الملوك بحيث اوتيت من كل شيء يصلح ان تؤتاها الملوك  
ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليها وانه عرش عظيم ثم أخبر بما يدعوههم الى تصدهم  
وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم الى الله فقال وجدت ما يسجدون للشمس من دون الله  
وحذف أداة المطع من هذه الجملة واتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إذ بانها هي المقصودة  
وما قبلها توطئة لها ثم أخبر عن المثنوى لهم الحامل لهم على ذلك وهو قزوين الشيطان لهم أعلمهم حتى  
صاهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده ثم أخبر ان ذلك الصداق حال بينهم وبين الهداية  
والسجود لله الذي لا ينبغي السجود الا له ثم ذكر من أفعاله سبحانه اخراج الحب في السموات والارض  
وهو الخبء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الارض وفي ذكر  
الهدد هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه اشعار بما خصه الله به من اخراج الماء الخبوء  
تحت الارض قال صاحب الكشف وفي اخراج الحب اشارة على انه من كلام الهدد لهدنت ومعرفته  
أما تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الحب في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا  
يكاد يخفى على ذي الفراسة الناظر بنور الله مخايل كل شخص بصناعة أو فن من العلم في روايته ومنطقه  
وشأنه فما عمل آدمي عملا الا أتى الله عليه رداء عمله

فصل - وهذا الحام من اعجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي أعقل الطير الحام ويرد الحام  
هي التي تحمل الرسائل والكتب ربما زادت قيمة الطير منها على قيمة الملوك والبيد فان الغرض  
الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره لانه يذهب ويرجع الى مكانه من مسيرة ألف فرسخ  
فادونها وتنتهي الاخبار والاغراض والمقاصد التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول والقيومين بأمرها  
يمتسون بالسبب اعطاء عظيم فيفرون بين ذكورها وانها وقت السفاد وتقل الذكور عن انائها الى  
غيرها والاناث عن ذكورها ويخافون عليها من فساد انسابها وحملها من غيرها ويتعرفون بصحة طريقتها  
ومحلها لا يأمنون أن تفسد الاثني ذكرنا من عرض الحام قمتريها الهجنة والقيومين بأمرها لا يحفظون  
أرحام نسائهم ويحاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم ويحاطون لها والقيومين لهم في ذلك قواعد  
وطرق يعتون بها غاية الاعتناء بحيث اذاروا حماما ساقطاً يخفى عليهم حسبا ونسبا وبهدها ويعظمون  
صاحب التجربة والمعرفة وتسمح أنفسهم بالجمل الوافر له ويختارون لمل الكتب والرسائل الذكور  
منها ويقولون هو أجن الى بيته لمكان أتمه وهو أشد متا وأقوى بذنا وأحسن اعتناء وطاقتهم  
يختارون لذلك الاناث ويقولون الذكر اذا سافر وبعد عهده حن الى الاناث وتائق نفسه اليهن فرما  
رأى أثني في طريقه ويحيه فلا يصبر عنها فيترك المسير ومال الى قضاء وطره منها وهدايتة على قدر  
التعليم والتوطين والحام موصوف باليمين والالاف للناس ويحب الناس ويحبونه وأنثى المكان وتبيت  
على الهدد والوفاء لصاحبه وان أساء اليه ويعود اليه من مسافات بعيدة وربما صد فترك وطنه عشر  
خجج وهو ثابت على الوفاء حتى اذا وجد فرصة واستطاعة عاد اليه والحام اذا أراد السفاد يلفظ  
للانثى غاية المطع فيبدأ بنشر ذنبه وارضاء جناحه ثم يمد يده من الاثني فيهدر لها ويقبها ويذوقها وينفث

ويرفع صدره ثم يقره ضرب من الوله والاشي في ذلك مرسله جناحها وكسفتها على الارض  
 فاذا قضى حاجته منها ركبته الاتى وليس ذلك في شئ من الحيوان سواء واذا علم الذكر انه اودع  
 رحم الاتى مايكون منه الولد يقدم هو والاتى يطلب القصب والحشيش وصغار البيدان فيعملان منه  
 الخوصه وينسجبانها نسمجما دخلا في الوضع الذى يكون بقدر حيان الحامه ويحملان حرونها شامخة  
 مرتفعة لئلا يتدحرج عنها البيض ويكون حصنا للحاضن ثم يتاودان ذلك المكان ويتعاقبان الاخوص  
 يسخنانه ويطيانه وينيان طباعه الاول ويحدثان فيه طبعا آخر مشتقا ومستخرجا من طباع ابدانها  
 ورائحتها لكي تقع البيضة اذا وقعت في مكان هو اشبه الموضع بارحام الحام ويكون على مقدار من الحر  
 والبرد والرخاوة والصلاية ثم اذا ضربها الخاضع بادرت الى ذلك المكان ووضعت فيه البيض فان افزعها  
 رعد قاصف رمت بالبيضة دون ذلك المكان الذى هبته كالمراء التى تسقط من الفرع فاذا وضعت البيض  
 في ذلك المكان لم يز الا يتعاقبان الحاضن حتى اذا بالغ الحاضن مداه وانتبه ايامه انصدع عن الفرع  
 فاعاناه على خروجه فيبدآن أولا بفتح الرمح في حلقه حتى تسع حوصلته علمانه ما بان الحوصلة تضيق  
 عن الغذاء فتقع الحوصلة بعد الطعام وتنفق بعد ارتفاقها ثم يملان ان الحوصلة وان كانت قد اندثرت  
 شيئا فانها في اول الامر لا تمحلل الغذاء فيزقانه بلعيا بالملتقط بالذناء وفي قوى العظم ثم يملان ان طبع  
 الحوصلة تضيق عن استمرار الغذاء وانها تحتاج الى دفع وتقوية لتكون لها بعض التانة فيلقطان  
 من الشيطان الحب البين الرخو ويزقانه الفرخ ثم يزقانه بعد ذلك الحب الذى هو اقوى واشد ولا يزالان  
 يزقانه بالحب والماء على تدريج بحسب قوة الفرخ وهو يطلب ذلك منهما حتى اذا علما انه قد اطاق اللقط  
 منعاه بعض المتع ليجتاج الى اللقط ويستاده واذا علما ان ربه قد قويوت وتمت وانما ان قطعاه  
 فطعاما قويا على اللقط ويبلغ نفسه ضرايا اذاسألها الزق ومنعاه ثم تنزع تلك الرحمة البجبية منها  
 وينسبان ذلك التطلف المتمكن حين يملان انه قد اطاق القيام بنفسه والكسب ثم يتبدآن العمل ابتداء  
 على ذلك النظام والحام يشا كل الناس في اكثر طباعه ومذاهبه فان من اناه اتى لا تريد الا زوجها  
 وفيه اخرى لا تريد دلامس واخرى لاتزال الابد الطلب الحثيث واخرى تركب من اول وهلة واوول  
 طلب واخرى لها ذكر معروف بها وهى تمكن ذكر آخر منها اذا غاب زوجها لم تمتع بمن ركبها  
 واخرى تمكن من يقبها عن زوجها وهو يراها وشاهدتها ولا يتالى بحضوره واخرى تمطع الذكر  
 وتدعوه الى نفسها واتى تركب اتى وتساقها وذكر يركب ذكرها وبسفه وكل حالة توجد في  
 الناس ذكرهم وانهم توجد في الحام وفيها من لا يبيض وان باضت افسدت البيضة كالمراء التى لا تريد  
 الولد كيلا يشغلها عن شأنها وفي اناث الحام من اذا عرض لها ذكر أى ذكر كان اسرعت هاربة ولا  
 تواق غير زوجها البتة بمنزلة المرأة الحرة ومنها ما لا تأخذ اتى بجمع بها ثم ينقل عنها الى غيرها وكذلك  
 الاتى توافق ذكر آخر عن زوجها وتنقل عنه وان كانوا جميعا في برج واحد ومنها ما يتصلح على  
 الاتى منها ذكران أو أكثر فتعيرهم كلهم حتى اذا غلب واحد منهم زلفيقه وقهره مالت اليه  
 وأعرضت عن المطلوب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى حمامة تتبع حمامة فقال شيطان  
 يتبع شيطانة ومنها ما يزق فراخه خاصة ومنها ما فيه شفقة ورحمة بالذناء يزق فراخه وغيرها ومن يجيب  
 هداها انها اذا حملت الرسائل سلكت الطرق البعيدة عن القرى ومواضع الناس لئلا يعرض لها من

يصدها ولا يرد مياهم بل يرد المياه التي لا يردها الناس ومن هدايتها أيضا أنه إذا رأى الناس في الهواء عرف أي صنف يريد به وأي نوع من الأنواع ضده فيخالف فعله ليلبس منه ومن هدايته أنه في أول نهوضه يتفلق ويبر بين النسرو المقاب وبين الرخم والبازي وبين القراب والصقر فيعرف من يقصده ومن لا يقصده وإن رأى الشاهين فكأنه يرى السم النافع وتأخذه حيرة كما يأخذ الشاة عند رؤية الذئب والحمار عند مشاهدة الأسد ومن هداية الحمام أن الذكر والآنثى يتقاسمان أمر الفراخ فككون الحضنة والتربية والكفالة على الآنثى وجلب القوت والرزق على الذكر فإن الأب هو صاحب البيال والكاسب لهم والأُم هي التي تحب وتلد وترضع ومن عيب أمرهما إذا ذكره الجاحظ أن رجلا كان له زوج حمام مقصوص وزوج طيار وللطيار فرخان قال فتحت لهما في أعلى الغرفة كوة للدخول والخروج وزق فراخهما قال فحسنى السلطان فجأة فاهتمت بشأن المقصوص غاية الاهتمام ولم أشك في موتهما لأنهما لا يقدران على الخروج من الكوة وليس عندهما ما يأكلان ويشربان قال فلما خلى سبيل لم يكن لي هم غيرهما فتفتحت البيت فوجدت الفراخ قد كبرت ووجدت المقصوص على أحسن حال ففجعت فلم ألبث أن جاء الزوج الطيار فدنا الزوج المقصوص إلى أفواههما يستطعمانها كما يستطعم الفرخ فرقاها فانظر إلى هذه الهداية فإن المقصوتين لما شاهدتا تلطف الفراخ للأيون وكيف يستطعمانها إذا اشتد بهما الجوع والمطش فملا كفعل الفرخين فأدركتهما رحمة الطيارين فرقاها كما يزقان فرخيها ونظير ذلك ما ذكره الجاحظ وغيره قال الجاحظ وهو أمر مشهور عندنا بالبصرة أنه لما وقع الطاعون الجارف أتى على أهل دار فلم يشك أهل تلك الحلة أنه لم يبق منهم أحد فعمدوا إلى باب الدار فسدوه وكان قد بقي صبي صغير يرضع ولم يفتنوا له فلما كان بعد ذلك بمدة تحول إليها بعض ورثة القوم فتفتح الباب فلما أفضى إلى عرصة الدار أذا هو بصبي يلعب مع جراء كلبة قد كانت لاهل الدار فراعته ذلك فلم يلبث أن أقبلت كلبة قد كانت لاهل الدار فلما رآها الصبي حبا إليها فامكنته من أطباها فصبا وذلك أن الصبي لما اشتد جوعه ورأى جراء الكلبة يرتضعون من أطباء الكلبة حبا إليها فمطفت عليه فلما سقته مرة أدامت له ذلك وأدام هو الطلب ولا يستبعد هذا وما هو أعجب منه فإن الذي هدى المولود إلى مص إبهامه ساعة يولد ثم هده إلى التمام حلة تدى لم يتقدم له به عادة كأنه قد قيل له هذه خزنة طعامك وشرايك التي كأنك لم تنزل بها عارفا في هدايته للحيوان إلى مصالحه ما هو أعجب من ذلك ومن ذلك أن الديك الشاب إذا لقي حبا لم يأكله حتى يعرفه فإذا حرم وشاخ أكله من غير تفريق كما قال المائي أن إياس بن معاوية مر بديك ينقر حبا ولا يفرقه فقال ينبغي أن يكون حرما فإن الديك الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله فتصيب منه والحرم قد ثبتت رغبته فليس له حمة إلا نفسه قال إياس والديك يأخذ الحبة فهو يربها الدجاجة حتى يلقبها من فيه والحرم يتلبسها ولا يلقبها للدجاجة وذكر ابن الأعرابي قال أكلت حبة بيض مكا فجل المكا بصوت ويطير على رأسها ويدنو منها حتى إذا فحصة فلما وهمت به التي حسكة فاختفت فجعلتها حتى ماتت وأنشد أبو عمرو الشيباني في ذلك قول الأسدي

إن كنت أبصرني عيلا ومصطلا فربما قتل منكأ ثمينا

وهداية الحيوانات إلى مصالح معاشها كالبحر حيث عنه ولا حرج ومن عيب هدايتها أن الثعلب إذا

امتلاً من البراغيث أخذ صوفة بضم ثم عمد إلى ماء رقيق فزل فيه قليلاً قليلاً حتى ترتفع البراغيث إلى الصوفة فيلقها في الماء ويخرج ومن عجيب أمره أن ذنباً أكل أولاده وكان الذئب أولاداً وهناك زينة فعمد الثعلب وألقى نفسه فيها وحفر فيها سداً ياباً يخرج منه ثم عمد إلى أولاد الذئب فقتلهم وجلس ناحية ينظر الذئب فلما أقبل وعرف أنها قتله حرب قدامه وهو يتبعه فالتى نفسه في الزينة ثم خرج من السرداب فالتى الذئب نفسه وراءه فلم يجد له ولم يطق الخروج فقتله أهل الناحية ومن عجيب أمره أن رجلاً كان معه دجاجة تلاحق له وخطف أحدهما وفر ثم أعمل فكره في أخذ الأخرى فقرأ في لصاحبا من يمدوني فمضى شديداً بالطائر وأطمعه في استعادتها بأن تركه وفر فظن الرجل أنها الدجاجة فأسرع نحوها وخالفه الثعلب إلى أحبتها فأخذها وذهب ومن عجيب أمره أنه أتى إلى جزيرة فيها طير فاعمل الحيلة كيف يأخذ منها شيئاً فلم يطق فذهب وجاء بضفت من حشيش وألقاه في بحري الماء الذي نحو الطير ففرغ منه فلما عرفت أنه حشيش رجعت إلى أمائها فماد لذلك مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى تواظب الطير على ذلك وألقت فعمد إلى جرزة أكبر من ذلك فدخل فيها وعبر إلى الطير فلم يشك الطير أنه من جنس ما قبله فلم تنفر منه فوثب على طائر منها وعدابه ومن عجيب أمر الذئب أنه عرض لإنسان يريد قتله فرأى معه قوساً وسهماً فذهب وجاء بضفم رأس حمل في فيه وأقبل نحو الرجل فجعل الرجل كلما رماه بهم أنقاه بذلك العظم حتى أعجزه وعابن ففاد سهمه فصادف من استعان به على طرد الذئب ومن عجيب أمر القرد ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي قال رأيت في الجاهلية قرداً وقردة زنياً فاجتمع عليهما القردود فرجوهما حتى مآا فيؤلاء القردود أقاموا حد الله حين عطشه بنو آدم وهذه البقر يضرب ببلانها المثل وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً بينا هو يسوق بقرة إذ ذكرها فقالت لم أخلق لهذا فقال الناس سبحان الله بقرة تسلك فقال فاني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم قال وبيننا رجل يرى غنا له أذعدا الذئب على شاة منها فاستنقذها منه فقال الذئب هذه استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لأراعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يسلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم ومن هداية الحمار الذي هو من أبلد الحيوان أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل فإذا خلى جاء إليه وفرق بين الصوت الذي يستوقف به والصوت الذي يحدث به على السير ومن عجيب أمر الفأر أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلا الحجرة فتقص وعز عليها الوصول إليه ذهبت وحملت في أفواهها ماء وصيته في الحجرة حتى يرتفع الزيت فتشربه والأطباء يزعمون أن الحقة أخذت من طائر طويل النكار إذا تسر عليه الذرق جاء إلى البحر المالح وأخذ بمنقاره منه واحتقن به فيخرج الذرق يسرع وهذا الثعلب إذا اشتد به الجوع انتفع ورمى بنفسه في الصحراء كأنه جيفة فتقدم له الطير فلا يظهر حركة ولا تنفساً فلا تشك أنه ميت حتى إذا قر بمنقاره وثب عليها فضمها ضمة الموت وهذا ابن عرس والقتند إذا أكلا الأفاعي والحيات عمداً إلى الصر الثوري فأكلاه كالزئياق لذلك ومن عجيب أمر الثعلب أنه إذا أصاب القتند قلبه لظهره لأجل شوكه فيجتمع القتند حتى يصير كبة شوك فيقول الثعلب على بطنه ما بين مغرز عجي إلى فكيه فإذا أصابه البول اعتراه الأسر فاقبسط فنبسله ثم الثعلب من بطنه ويأكل مسلوخه وكثير من العقلام يتعلم من الحيوانات اليهم أموراً تنفعه في معاشه وأخلاقه



وصناعته وحربه وحزمه وصبره وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا) قال أبو جعفر الباقر والله ما تقتصر على تشبيههم بالانعام حتى جعلهم أضل سبيلا منها فن هدى الاتي من السباع اذا وضعت ولدها ان ترفعه في الهواء أياما تهرب به من الذر والتمل لانه تضعه كقطعة من لحم فهي تخاف عليه الذر والتمل فلا تزال ترفعه وتضعه وتحوله من مكان الى مكان حتى يشتد وقال ابن الاعرابي قيل لشيخ من قريش من علمك هذا كله وانما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب قال علمي افة ما علم الحماة قلب بيضها حتى تغطي الوجهين جميعا ليصيبها من حضانها ولحوف طباع الأرض على البيض اذا استمر على جانب واحد وقيل لآخر من علمك اللجاج في الحاجز والصبر عليها وان استصمت حتى تظفر بها قال من علم الخفساء اذا صعدت في الحائط تسقط ثم تصعد ثم تسقط مرارا عديدة حتى تستمر صاعدة وقيل لآخر من علمك البكور في حوائك أول النهار لا تخل به قال من علم الطير تقندو خاصا كل بكرة في طلب اقواتها على قربها وبسدها لا تنام ذلك ولا تخاف ما يمرض لها في الجو والارض وقيل لآخر من علمك السكون والتحفز والهوت حتى تظفر بأربك فانما ظفرت به وثبت وثوب الاسد على فريسته فقال الذي علم السهر أن ترصد جحر الفأرة فلا تحرك ولا تنلوي ولا تخرج كأنها ميتة حتى اذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالاسد وقيل لآخر من علمك الصبر والجلد والاحمال وعدم السكون قال من علم أبا أيوب صبره على الاثقال والاحمال الثقيلة والمشى والتعب وغلظة الجمل وصبره في الثقل والكل على ظهره ومرارة الجوع والعطش في كبده وجهد التعب والمشقة ملأ جوارحه ولا يبدل بذلك عن الصبر وقيل لآخر من علمك حسن الاثثار والصحابة بالبدل قال من علم الديك يصادف الحبة في الارض وهو يحتاج اليها فلا يأكلها بل يستدعي الدجاج ويطلبن طلبا حثيثا حتى يجيئها الواحدة منهن فتلقها وهو مسرور بذلك طيب النفس به واذا وضع له الحب الكثير فرقه هاهنا وهاهنا وان لم يكن هناك دجاج لان طبعه قد ألث البذل والجلود فهو يرى من القوم أن يستبد وحده بالطعام وقيل لآخر من علمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيله قال من علم الثعلب تلك الحيل التي يعجز الفقاء عن علمها وعملها وهي أكثر من أن تذكر ومن علم الاسد اذا مشى وخاف أن يقتل أثره ويطلب عني أثر مشيته بذنبه ومن علمه أن يأتي الى شيله في اليوم الثالث من وضعه فينفخ في منخريه لان اللبوة تضمه تحمرا كاليت فلا تزال تحمسه حتى يأتي أبوه فيقبل به ذلك ومن العلم كرام الاسود وأشرفها أن لا تأكل الا من فريستها واذا مر بفريسة غيره لم يبد منها ولو جهده الجوع ومن علم الاسد ان يخضع للبر وبذل له اذا اجتمعا حتى يقال منه له ومن عيب أمراته اذا استصعى عليه شيء من السباع دعا الاسد فاجابه اجابة المملوك للمالك ثم أمره فربض بين يديه فيقول في أذنيه فاذا رأت السباع ذلك أذعنت له بالطاعة والخضوع ومن علم الثعلب اذا اشتد به الجوع أن يستلق على ظهره ويختلس نفسه الى داخل بدنه حتى يتفخ فيظن الظان أنه ميتة فيقع عليه فيقب على من اقتضى عمره منها ومن علمه اذا أصابه صدع أو جرح أن يأتي الى صبيح معروف فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم ومن علم الدب اذا أصابه كرم أن يأتي الى نبت قد عرفه وجهه صاحب الحشائش فيتداوى به فيأكل ومن علم الاتي من الفيلة اذا تناوقت ولادتها أن تأتي الى الماء فتلد فيه لانهادون

الحيوانات لا تلد الا قائمة لان أوصالها على خلاف أوصال الحيوان وهي عالية فتخاف أن تسقط على الأرض فينصدع أو ينشق فتأتي ماء وبسطا تضعه فيه يكون كالقراش واللين والوطاء الناعم ومن علم الذباب اذا سقط في مائع أن يتق بالجناح الذي فيه الداء دون الآخرون من علم الكلب اذا عاين الظباء أن يعرف المعتل من غيره والذكر من الأنثى فيقصد الذكر مع علمه بان عدو أشد وأبعد وثبة ويدع الأنثى على قصان عدوها لانه قد علم ان الذكر اذا عدا شوطا أو شوطين حقن ببوله وكل حيوان اذا اشتد فزع قاه بدركه الحقن واذا حقن الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فيقل عدوه فيدركه الكلب وأما الأنثى فتحنف بولها لسهلة التليل وسهولة المخرج فيدوم عدوها ومن علمه انه اذا كسا التاج الارض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخفض فيمل ان تحته حجر الارنب فينبشه ويصطادها علما منه بان حرارة أنفاسها تذيب بعض التلج فيرق ومن علم الذئب اذا نام أن يجمل التوم نوبا بين عينيه فينام باحداها حتى اذا لمست الأخرى نام بها وفتح النائمة حتى قال يمش العرب

بنام باحدى مقبته ويتقى باخرى التنايفهو يقطان نائم

ومن علم الصفورة اذا سقط فرمضها أن تستيت فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجي فيطيرون حول الفرج ويحركونه بفالمهم ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير منهم قال بعض الصيادين رما رأيت الصفور على الحائط قاومي بيدي كأي أرميه فلا يطير وربما أهويت الى الارض كأي أناول شيئا فلا يتحرك فان مسست بيدي أدنى حمالة أو حجر أو نواة طار قبل أن تتمكن منها يدي ومن علم الحمامة اذا حلت أن تأخذ هي والاب في بناء العش وأن يقبها له حروفا تشبه الحائط ثم يسجنه ويحدها فيه طيبة أخرى ثم يقبلان البيض في الايام ومن قسم بينهما الحضنة والكد فأكثر ساعات الحضنة على الأنثى وأكثر ساعات جلب القوت على الاب واذا خرج الفرج عما ضيق حوصلته عن الطعام فتفخا فيه نفعا متداركا حتى تنسع حوصلته ثم يزقانه العباب أو شيئا قبل الطعم وهو كالبا للطفل ثم يلمان احتياج الحوصلة الى دماغ فيزقانه من أصل الحيطان من شئ بين الملح والتراب تدبغ به الحوصلة فاذا اندبغت زقانه الحب فاذا علما انه أطاق اللقط مناه الزق على التدرج فاذا تكاملت قوته وسألمها الكفالة ضرباه ومن علمها اذا اراد السفاد أن يتدى الذكر بالدعاء فتطارد له الأنثى قليلا لتذيقه حلوة المواصله ثم تقطعه في نفسها ثم تمتع بعض التمتع ليستد طلبه وجهه ثم تنهذى وتكسل وتره مماطفها وتعرض بحاسنها ثم يحدث بينهما من التزلزل والشق والتفيل والرشف ماهو مشاهد بالبيان ومن علم المرسلة منها اذا سافرت ليلاً أن تستدل ببطون الاودية وبجاري المياه والحيال ومهاب الرب ومطلع الشمس ومغربها فتستدل بذلك وبشيره اذا ضلت فاذا عرفت الطريق مرت كل ربع ومن علم اللب وهو صنف من الثناكب أن يلطأ بالارض ويجمع نفسه فيرى الذبابة انه لاه عنها ثم يشب عليها وثوب القهد ومن علم المنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة الحكيمة وتجمل في أعلاها خيطا تم تعلق به فاذا تفرقت البعوضة في الشبكة تدلت اليها فاصطادتها ومن علم الظبي انه لا يدخل كنانة الا مستبرا ليستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفه ومن علم السور اذا رأى قارة في السقف أن يرغف رأسه كالشير اليها بالعود ثم يشير اليها بالرجوع وانما يريد أن يدهشها فتزلق فتسقط ومن علم البوع أن يحفر يته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ويجري للماء ويحمقه ثم يتخذ في زواياه

أبواب عديدة ويحمل بينها وبين وجه الأرض حاجزا رقيقا فإذا أحس بالانزلاق قطع بعضها بإيسر شيء  
 وخرج منه ولما كان كثير النسيان لم يخف ريته الا عند أكمة أو صخرة علامة له على البيت اذا ضل  
 عنه ومن علم القهء اذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر ومن علم  
 الايل اذا سقط قرنه أن يتوارى لان سلاحه قد ذهب فيسمن لذلك فإذا كل بات قرنه تعرض  
 للشمس والريح وأكثر من الحركة ليستدله ويزول السمن المانع له من البدو وهذا باب واسع جدا  
 ويكتفي فيه قوله سبحانه (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في  
 الكتاب من شيء ثم أنزلهم يحشرون والذين يكذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن  
 يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لان الكلاب أمه من الامم لأمريت  
 بقتلها وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون إخبارا عن أمر غير ممكن فله وهو أن الكلاب أمه  
 لا يمكن إفاؤها لكثرتها في الأرض فلو أمكن اعدامها من الأرض لأمريت بقتلها والثاني أن يكون مثل  
 قوله امن أجل ان قرصتك غمة أحرقت أمه من الامم تسبح فهي أمه مخلوقة بحكمة ومصلحة قاعدها  
 وإفادتها ناقض لما خلقت لاجله والله أعلم بما أراد رسوله قال ابن عباس في رواية عطاء الا أمم أمثالكم يريد  
 يرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني مثل قوله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) ومثل  
 قوله (لم تر أن الله يسبح له من في السموات ومن في الأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه)  
 ويدل على هذا قوله تعالى (لم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر  
 والتجوم والحبال والشجر والدواب) وقوله (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) ويدل  
 عليه قوله تعالى (يا جبال أوبي معه والطير) ويدل عليه قوله (وأوحى ربك الى النحل) وقوله  
 (قالت غمة يا أيها النمل اوقول سليمان (علينا منطوق الطير) وقال مجاهد أمم أمثالكم أصناف مصنفة تعرف  
 بأسمائها وقال الزجاج أمم أمثالكم في أنها تبعث وقال ابن قتبية أمم أمثالكم في طلب الغذاء واتباء الرزق  
 وتوق المهلاك وقال سفيان بن عيينة ما في الأرض آدمي الا وفيه شبه من البهائم فهم من ينصرف احتصار  
 الاسد ومنهم من يعدو العدو الذئب ومنهم من ينبس نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس  
 ومنهم من يشبه احتايز التي لو ألقي اليها الطعام الطيب عاقته فإذا قام الرجل عن رعيه ولت في  
 فذلك نجد من الآدميين من لو سمع خسين حكما لم يحفظ واحدة منها وان أخطأ رجل ترواه وحفظه  
 قال الخطابي ما أحسن ما أول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة وذلك ان الكلام اذا لم  
 يكن حكمه مطاوعا لظاهره وجب المصير الى باطنه وقد أخبر الله عن وجود المائة بين الانسان وبين كل طائر  
 ودابة وذلك مجتمع من جهة الخلقة والصورة وعدم من جهة النطق والمعرفة فوجب أن يكون منصرفا  
 الى المائة في الطباع والاخلاق واذا كان الامر كذلك فاعلم انك انما تماثر البهائم والسياع فليكن  
 حذرک منهم ومباعدتك اياهم عن حسب ذلك انتهى كلامه والله سبحانه تد جعل بعض الدواب  
 كسوبا محتملا وبعضها متوكلا غير محتال وبعض الحشرات يدخر لنفسه قوت سنة وبعضها يتكل على  
 الثقة بان له في كل يوم مقدور كفايته رزقا مضمونا أو امرام مقطوعا وبعضها يدخر وبعضها لا تكسب له وبعض  
 الذكورة يمول ولده وبعضها لا يعرف ولده البتة وبعض الاناث تكفل ولدها لاتدوه وبعضها تضع  
 ولدها وتكفل ولدها غير ها وبعضها لا تعرف ولدها اذا استغنى عنها وبعضها لاتزال تفرقه وتمطع عليه

وجعل بعض الحيوانات يتها من قبل أمهاتها وبعضها يتها من قبل آياتها وبعضها لا يتلمس الولد وبعضها يستفرغ الحلم في طلبه وبعضها يعرف الاحسان ويشكره وبعضها ليس ذلك عنده شيئا وبعضها يؤثر على نفسه وبعضها اذا ظفر بما يكفي أمة من جنسه لم يدع أحدا يدنو منه وبعضها يحب السفاد ويكثر منه وبعضها لا يفله في السنة الامرة وبعضها يتصر على آثاء وبعضها لا يقب على آثى ولو كانت أمه أو اخته وبعضها لا تمكن غير زوجها من نفسها وبعضها لا ترد يد لأمس وبعضها تألف بني آدم ويأمن بهم وبعضها يستوحش منهم ويفر غاية الفار وبعضها لا يأكل الا الطيب وبعضها لا يأكل الا الحامض وبعضها يجمع بين الامرين وبعضها لا يؤذى الا من بالغ في أذلهما وبعضها يؤذى من لا يؤذيها وبعضها حقوق لا تنسى الاساءة وبعضها لا يذكرها البتة وبعضها لا ينضب وبعضها يشتد غضبه فلا يزال بسترى حتى يرضى وبعضها عنده علم ومعرفة بأمور دقيقة لا يتهدى اليها أكثر الناس وبعضها لا معرفة له بشئ من ذلك البتة وبعضها يستحب القبيح ويفر منه وبعضها الحسن والقبيح سواء عنده وبعضها يقبل التلبيع بسرعة وبعضها مع الطول وبعضها لا يقبل ذلك بحال وهذا كله من أدل الدلائل على الخلق لها سبحانه وعلى إيمان صنعه وعجيب تدبيره ولطيف حكمته فان فيها ودعها من غرائب المعارف وغوامض الحيل وحسن التدبير والثاني لما تريد ما يستطلق الانواء بالتبسيح ويملا القلوب من معرفته ومعرفة حكمته وقدرته وما يعلم به كل عاقل انه لم يخلق عبثا ولم يترك سدى وان له سبحانه في كل مخلوق حكمة باهرة وآية ظاهرة وبرهانا قاطعا يدل على انه رب كل شئ ومليكه وانه المتفرد بكل كمال دون خلقه وانه على كل شئ قدير وبكل شئ عليم

(فصل) فانرجع الى ما ساقا الى هذا الموضع وهو الكلام على الهداية العامة التي هي قرينة الخلق في الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وتوحيده قال تعالى إخبارا عن فرعون انه قال (فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدىه) قال مجاهد أعطى كل شئ خلقه لم يعط الانسان خلق البهائم ولا الانسان خلق الانسان وأقوال أكثر المفسرين تدور على هذا المعنى قال عطية ومقاتل أعطى كل شئ صورته وقال الحسن وقتادة أعطى كل شئ صلاحه والمعنى أعطاه من الخلق والتصوير ما يصاح به لما خلق له ثم هداه لما خلق له وهداه لما يصلحه في معيشته ومطعمه ومشربه ومنكحه وقلبه وتصرفه هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين فيكون نظير قوله (قدر فهدى) وقال الكلبي والسدي أعطى الرجل المرأة والعير الثقة والذكر الاتى من جنسه ولفظ السدي أعطى الذكر الاتى مثل خلقه ثم هدى الى الجماع وهذا القول اختيار ابن قتيبة والقراء قال الفراء أعطى الذكر من الناس امرأة مثله والشاة شاة والثور بقرة ثم اهتم الذكر كيف يأتمها قال أبو اسحاق وهذا التفسير جائز لا تارى الذكر من الحيوان ياتى الاتى ولم يرد ذكر انى اتى قبله فألهه الله ذلك وهداه اليه قال والقول الاول ينتظم هذا المعنى لانه اذا هداه لمصاحته فهذا داخل في المصلحة قلت أرباب هذا القول حضموا الآية منها فان منها ما أجل وأعظم بما ذكره وقوله أعطى كل شئ ياتى هذا التفسير فان حل كل شئ على ذكر الحيوان وانه خاصة تمتع لاجله وكيف يخرج من هذا اللفظ الملائكة والجن ومن لم يتزوج من بني آدم ومن لم يسافد من الحيوان وكيف يسمى الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقا له وابن نظير هذا في القرآن

وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنى الذي ذكره ذكره بأدل عبارة عليه وأوضحها فقال (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) فخل قوله أعطى كل شيء خلقه على هذا المعنى غير صحيح فتأمله وفي الآية قول آخر قاله الضحاك قال أعطى كل شيء خلقه أعطى اليد البطش والرجل المشي واللسان التطيق والعين البصر والأذن السمع ومعنى هذا القول أعطى كل عضو من الأعضاء ما خلق له والخلق على هذا بمعنى المفعول أى أعطى كل عضو مخلوقه الذى خلقه له فإن هذه الماتى كلها مخلوقة لله أو دعها الأعضاء وهذا المعنى وإن كان صحيحا في نفسه لكن معنى الآية أعم والقول هو الاول وأنه سبحانه أعطى كل شيء خلقه المختص به ثم هداه لما خلق له ولا خلق سواء سبحانه ولا هادى غيره فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية ووجودانيته فهذا وجه الاستدلال على عدو الله فرعون ولهذا لما فرعون ان هذه حجة قاطعة لاطمن فيها وجهه من الوجوه عدل الى سؤال فاسد عن وارد فقال (فيا باللقرون الاولى) أى فبالقرون الاولى لم تقرأ بهذا الرب ولم تبده بل عبدت الاوثان والمعنى لو كان ما قوله حقا لم يخف على القرون الاولى ولهم ملوه فاحتج عليه بما يشاهده هو وغيره من آثار رب العالمين فمارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين وهذا شأن كل مبطل ولهذا صار هذا ميزانا في ورثته يعارضون لصوص الانبياء بقول الزنادقة والملاحدة وافراخ الفلاسفة والصائفة والسحرة ومبتدعة الامة وأهل الضلال منهم فاجابه موسى عن معارضته بأحسن جواب فقال (علما عند ربى) أى أعمال تلك القرون وكفرهم وشركهم معلوم لربى قد أحصاه وحفظه وأودعه في كتاب فيجازيهم عليه يوم القيامة ولم يودعه في كتاب خشية التيسان والضلال فانه سبحانه لا يبطل ولا ينسى وعلى هذا فالكتاب هاهنا كتاب الاعمال وقال الكلبي يبنى به الوجود المحفوظ وعلى هذا فهو كتاب القدر السابق والمعنى على هذا انه سبحانه قد علم أعمالهم وكتبها عنده قبل أن يعملوها فيكون هذا من تمام قوله الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فتأمل

﴿نصل﴾ وهو سبحانه في القرآن كثيرا ما يجمع بين الخلق والهداية كقوله في أول سورة أنزلنا على رسوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق الذى خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وقوله (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقوله (المنجمل له عيين) ولسانا وشفتين وهديناه التجدين فلا اتحمم العقبة) وقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميما بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) وقوله (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فابتنياه حدائق ذات بهجة) الآيات ثم قال (أمن يهديهم في ظلمات السبر والبحر) فالخلق اعطاء الوجود التينى الخارجى والهدى اعطاء الوجود العلمى الذاتى فهذا خلقه وهذا هداه وتعليمه

﴿نصل﴾ المرتبة الثانية من مراتب الهداية هداية الارشاد والبيان للمكلفين وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق وإن كانت شرطا فيه أوجز سبب وذلك لا يستلزم حصول الشروط والمسبب بل قد يتخلف عنه المقضى اما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع ولهذا قال تعالى (وأما نمود فهديناهم فاستجبوا لى على الهدى) وقال (وما كان ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فهدهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولا

بعد أن عرفوا الهدى فاعرضوا عنه فاعلمهم عنه بعد أن أراهموه وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فانه يسليه اياها بعد أن كانت نصيبه وحظه كقَالَ تَمَالَى (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بفضهم) وقال تَمَالَى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أى جحدوا بآياتا بعد أن يتقوا محبتها وقال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) وهذه الهداية هي التي أنبتها لرسوله حيث قال (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والالهام بقوله (انك لاتهدى من أحبت) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بشت داعيا ومبلغا وليس ألى من الهداية شئ وبشت ابليس مزينا ومغويا وليس اليه من الضلالة شئ قال تَمَالَى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) فجعل سبحانه بين الهداء يتيين العامة والخاصة فمم بالدعوة حجة مشيئة وعدلا وخص بالهداية نعمة مشيئة وفضلا وهذه المرتبة أخص من التي قبها. فانها هداية تخص المكلفين وهي حجة الله على خلقه التي لا يمتدح أحد الا بمداهاها عليه قال تَمَالَى (وما كنا مذبيين حتى نبعث رسولا) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (أن تقول نفس باسرا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو ان الله هداني لكانت من المتقين) وقال (كلما التي فيها فوج سألهم خزنها ألم يأتكم نذر قالوا بل قد جاءنا نذر فكذبنا وقتلنا منازل الله من شئ ان آثم الا في ضلال كبير) فان قبل كيف تقوم حجة عليهم وقد منهم من الهدى وحال بينهم وبينه قيل حجة قائمة عليهم بخليته بينهم وبين الهدى وبان الرسل لهم واراهاهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانا وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل أو صغر لا يميز منه أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رسوله فانه لا يعذب حتى يقم عليه حجة فلم يمنهم من هذا الهدى ولم يحل بينهم وبينه نعم قطع عنهم توفيقه ولم يد من نفسه اعانتهم والاقبال فلوهم اليه فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم وان حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه وهو فعله ومشيتة وتوفيقه فهذا غير مقدور لهم وهو الذي منوه وحيل بينهم وبينه فأتى هذا الموضع واعرف قدره والله المستعان

﴿فصل﴾ المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والالهام وحق المشيئة المستزمنة للفعل وهذه المرتبة أخص من التي قبلها وهي التي ضل جهال القدرة بانكارها وصاح عليهم سلف الامة وأهل السنة منهم من نواحى الأرض عصرا بعد عصر الى وقتنا هذا ولكن الحيرة ظلمتهم ولم تصفهم كما ظلموا أنفسهم بانكار الأسباب والقوى وانكار فعل البعد وقدرته وأن يكون له تأثير في الفعل البتة فلم يهدوا لقول هؤلاء بل زادهم ضلالا على ضلالهم ونمسا بكماعهم عليه وهذا شأن الباطل اذا دعى مبطلا آخر الى ترك مذهبه لقوله ومذهبه الباطل كالنصراني اذا دعى اليهودى الى التثليث وعبادة الصليب وان المسيح اله تام غير مخلوق الى أمثال ذلك من الباطل الذي هو عليه وهذه المرتبة تستلزم أمرين أحدهما فعل الرب تعالى وهو الهدى والثاني فعل البعد وهو الاحتذاء وهو أثر فعله سبحانه فهو الهدى والبعد الهدي قال تَمَالَى (من يهد الله فهو المهتد) ولا سبيل الى وجود الار

الابتهرت التام فان لم يحصل فله لم يحصل فعل البعد ولهذا قال تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) وهذا صريح في ان هذا الهدى ليس له صلى الله عليه وسلم ولوحصر عليه ولا الى أحد غير الله وان الله سبحانه اذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل الى هدايته كما قال تعالى (من يضل الله فلا هادي له) وقال تعالى (من يشأ الله يضله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشأ ويهدي من يشأ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إليه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلمه وجعل على بصره غشاوة فن يهديه من يشأ) فقال (تذكرون) وقال تعالى (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشأ) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وقال (أفريق بين الذين آمنوا ولولئله الله لهدى الناس جميعا) وقال (فن يرده الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وقال أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا لما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) ولم يزيدوا ان بعض الهدى منه وبعضه منهم بل الهدى كله منه ولولا هدايته لهم لما احتدوا وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فإله من هاد ومن يهده الله فإله من مضل أليس الله بعزيز ذوا انتقام) وقال (وما أرسلنا من رسول الا لسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وهو العزيز الحليم) وقال (ولقد نبأنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمن هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشأ) وقال تعالى (كذلك يضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وما يعلم جنود ربك الا هو) وقال (يضل به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وقال (يهدى به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم) وأمر سبحانه عباده كلهم ان يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس وذلك يتضمن الهداية الى الصراط والهداية فيه كان الضلال نوعان ضلال عن الصراط فلا يهتدى اليه وضلال فيه فالاول ضلال عن معرفته والثاني ضلال عن تفاصيله أو بعضها قال شيخنا ولما كان البعد في كل حال مقترا الى هذه الهداية في جميع ما يؤتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية فهو محتاج الى التوبة منها وأمور هدى الى أسهلها دون تفصيلها أو هدى اليها من وجه دون وجه فهو محتاج الى تمام الهداية فيها ليزداد هدى وأمور هو محتاج الى ان يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج الى الهداية وأمور لم يصلها فهو محتاج الى فعلها على وجه الهداية الى غير ذلك من أنواع الهدايات فرض الله عليه ان يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم واليلة انتهى كلامه ولا يتم المقصود الا بالهداية الى الطريق والهداية فيها فان البعد فتهتدى الى طريق قصده وتزيله عن غيرها ولا يهتدى الى تفاصيل سيره فيها وأوقات السير من غيره وزاد السير وأوقات الطريق ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى (لكل جيلنا منكم شرعة ومنهاج) قال سيلا وسنة وهذا التفسير يحتاج الى تفسير فالسبيل الطريق وهي المنهاج والسنة الشرعة وهي تفاصيل الطريق وحزونه وكيفية السير فيه وأوقات المسير وعلى هذا فقول سيلا وسنة يكون السبيل المنهاج

والسنة الشريعة فالقدم في الآية للمؤخر في التفسير وفي لفظ آخر سنة وسيلا فيكون المقدم للمقدم والمؤخر للتالي

**فصل** ومن هذا إخباره سبحانه بأنه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها وأنه أصمها عن الحق وأعمى أبصارها عنه كما قال تعالى (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) والوقف التام هنا ثم قال (وعلى أبصارهم غشاوة) كقوله (أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضلعه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غفلت بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وأخبر سبحانه أن على بعض القلوب أقفالاً تمنعها من أن تفتتح لدخول الهدى إليها وقال (قل هو الله الذي آتانا هدى وشفاة ولا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) فهذا الوفر والمعنى حال بينهم وبين أن يكون لهم هدى وشفاة وقال تعالى (إننا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأها الكوفيون وصد بضم الصاد حملا على زين وقال تعالى (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وقال (والله لا يهدي القوم الظالين) ومعلوم أنه لم ينف هدى اليان والذلة الذي تقوم به الحجة فانه حجته على عباده والقدرية ترد هذا كله الى المتشابه وتجهله من متشابه القرآن وتتأوله على غير تأويله بل تتأوله بما يقطع بطلانه وعدم ارادة المتكلم له كقول بعضهم المراد من ذلك تسمية الله البعد مهتديا وضالا فجعلوا هداه واضلاله مجرد تسمية البعد بذلك وهذا مما يعلم قطعا أنه لا يصح حمل هذه الآيات عليه وأنت اذا تأملتها وحيدتها لا تحتمل ما ذكره البتة وليس في لغة أمة من الأمم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداه بمعنى سباه مهتديا وأضله سباه ضالا وهل يصح أن يقال علمه اذا سماه عالما وفهمه اذا سماه فهما وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) فهل فهم أحد غير القدرة المحرقة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمى من يشاء مهتديا وهل فهم أحد قط من قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت) لتسمية مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم وهل فهم أحد من قول الداعي اهدنا الصراط المستقيم وقوله اللهم اهدني من عندك ونحوه اللهم سقني مهتديا وهذا من جناية القدرة على القرآن ومعناه اغتر جناية إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات وتحريفها عن مواضعها وفتحوا لزانة الملاحدة جانيهم على نصوص المواد وتأويلها بتأويلات إن لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها وفتحوا للقرامة والباطنية تأويل نصوص الأمر والتي نحو تأويلاتهم وتأويل التحريف الذي سلسلته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم وسفردان شاء الله كتابا نذكر فيه جناية المتأولين على الدنيا والدين وأنت اذا وازمت بين تأويلات القدرة والجهمية والرافضة لم تجد بينها وبين تأويلات الملاحدة والزنادقة من القرامة والباطنية وأمثالهم كبير فرق والتأويل الباطل يتضمن تعطيل ما جاء به الرسول والكذب على المتكلم إن أراد ذلك المعنى فتضمن إبطال الحق وتحقيق الباطل ونسبة المتكلم الى ما لا يليق به من التليس والانماز مع القول عليه بلا علم أنه أراد هذا المعنى فالتأويل عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذي ذكره أولا واستعمال المتكلم له في ذلك المعنى في أكثر



المواضع حتى اذا استعمله فيما يَحْتَمِلُ غيره حل على ما عهد منه استعماله فيه وعليه ان يقيم دليلا سالما من المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته الى مجازه واستعارته والا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل • وتأويل بعضهم هذه النصوص على ان المراد بها هداية اليان والعرش لا خلق الهدى في القلب فان الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هذه الطائفة وهذا التأويل من أبطل الباطل فان الله سبحانه يخبر انه قسم هدايته للعبد قسمين قسما لا يقدر عليه غيره وقسما مقدورا للعباد فقال في القسم المقدور للغير (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وقال في غير المقدور للغير (انك لاتهدي من أحيت) وقال (من ضلل الله فلا هادي له) ومعلوم قطعا ان اليان والدلالة قد تحصل له ولا تنفي عنه وكذلك قوله (فان الله لا يهدي من يضل) لا يصح حمله على هداية الدعوة واليان فان هذا يهدي وان أضله الله بالدعوة واليان وكذا قوله (وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) هل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه الى الهدى • وبين له ما نقوم به حجة الله عليه وكيف يصنع هؤلاء بالتصوصل التي فيها انه سبحانه هو الذي أضلهم يجوز لهم حملها على انه دعاهم الى الضلال فان قالوا ليس ذلك منها وانما معناها الفاهم ووجدتهم كذلك أو أعلم ملائكتهم ورسله بضالهم أو جعل على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها انهم ضلال قيل هذان من جنس قولكم ان هداية سبحانه واضلاله بتسميتهم مهتدين وضالين فهذه أربع محرفات لكم وهو انه سبحانه بذلك وعلمهم بعلامه يعرفهم بها الملائكة وأخبر عنهم بذلك ووجدتهم كذلك فالأخبار من جنس التسمية وقد بينا ان اللغة لا تحتمل ذلك وان التصوصل اذا تأملها التأمّل وجدها أبعد شيء من هذا المعنى • واما العلامة فياعجبوا لفرقة التحريف وما حجت على القرآن والإيمان في أي لغة وأي لسان يدل قوله تعالى (انك لاتهدي من احيت) على معنى انك لاتعلمه بعلامته ولكن الله هو الذي يسلّمه بها وقوله (من ضلل الله فلا هادي له) من يسلّمه الله بالضلال لم يسلّمه غيره بعلامه الهدى وقوله (ولو شئت لآتينكنا قمس هداها) لعلناها بعلامه الهدى الذي خلقته هي لنفسها وأعطته نفسها وفي أي لغة يفهم من قول الداسي اهدنا الصراط المستقيم علما بعلامه يعرف الملائكة بها اننا مهتدون وقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا لاتعلمها بعلامه أهل الزبغ وقوله بإمقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يامصرف القلوب صرف قاي على طاعتك وأمثال ذلك من النصوص في أي لغة وأي لسان يفهم من هذا علما بعلامه الثبات والعرش على طاعتك وفي أي لغة يكون معنى قوله (وجعلنا قلوبهم قاسية) علماها بعلامه القسوة أو وجدناها كذلك نعم لو نزل القرآن باللغة القديرة والجمية وأهل البدع لا يمكن حمله على ذلك أركان الحق تبعا لأهلهم وكانت نصوصه تبعا لبدع المتبعين وآراء المتحيرين وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذاهبها ويدعوا وآرائها فالقرآن عند الجمجمة جهمي وعند المعتزلة معتزلي وعند التقديرية قدرى وعند الرافضة رافضى وكذلك هو عند جميع أهل الباطل وما كانوا أولياءه أن أوليائه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وأما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بان المعنى الفاهم ووجدتهم في أي لسان وأي لغة وجدتم هديت الرجل اذ وجدته مهتديا وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجده كذلك وهل هذا الافتراء محض على القرآن واللغة فان قالوا نحن لم نقل هذا في نحو ذلك وانما قتناه في نحو أضله الله أي وجده ضالا كما قال أحمد بن الرجل وأجنته اذا

وجده كذلك أو نسبت إليه فيقال لفرقة التحريف هذا كما ورد في ألفاظ معدودة نادرة والافوض  
 هذا البناء على أنك فعلت ذلك به ولا سيما إذا كانت الهزمة للتعدية من الثلاثي كقام وأقمت وقصد وأقصدته  
 وذهب وأذهته وسمع وأسمعته ونام وأنمته وكناضل وأضله الله وأسعده وأشواق وأعطاء وأخزاه  
 وأمانه وأجياه وأزاع قلبه وأقامه إلى طاعته وأعطاه من غفله وأراه آياته وأزله منزلاً مباركاً وأسكنه  
 جنته إلى أضاع ذلك هل تجدد فيها لفظاً واحداً معناه أنه وجدته كذلك تعالى الله عما يقول الجحيفون  
 ثم انظر في كتاب فعل وأقبل هل تنظر فيه بأفعلته بمعنى وجدته مع سبعة الباب الثاني في الحرفين أو  
 الثلاثة قتلا عن أهل اللغة ثم اعلم هل قال أحد من الأولين والآخرين من أهل اللغة أن العرب  
 وضمت أضله الله وهدها وختم على سمعه وقلبه وأزاع قلبه وصرفه عن طاعته ونحو ذلك للمعنى وجدته  
 كذلك ولما أراد سبحانه الآية عن هذا المعنى قال (ووجدك ضالاً فهدى) ولم يقل وأضلك وقال في  
 حق من خالف الرسول وكفر بما جاء به وأضله على علم ولم يقل ووجدته الله ضالاً ثم أى توحيد  
 وتمجيد ولما رغب للعباد أن الأمر كله لله ويبدعه وأنه ليس لاحد من أمره شيء في مجرد التسمية والعلامة  
 ومصادقة الرب تعالى عباده كذلك ووجوده لهم على هذه الصفات من غير أن يكون له فيها صنع أو  
 خلق أو مشيئة وهل يصحز البشر عن التسمية والمصادقة والوجود كذلك فأى مدح وأى تلميح  
 على الرب تعالى بمجده ذلك فأتم وأخوانكم من الجيرة لم تعدوا الرب بما يستحق أن يمدح به ولم تتوا  
 عليه بأوصاف كماله ولم تقدروه حق قدره وأتباع الرسول وحزبه وخاصته يبرؤون منكم ومنهم في  
 باطلكم وباطلهم وهم معكم ومعهم فيما عندكم من الحق لا يخرجون إلى غير ما ينهى الرسول وجاء به ولا  
 يخفون عنه نصرة لآراء الرجال المختلفة وأهوائهم المتشعبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو  
 الفضل العظيم قال ابن مسعود علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة  
 أن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن يهدم الله فلا مضل له ومن يضلل  
 فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وقرأ ثلاث آيات (اتقوا الله حق  
 تقواه الآية اتقوا الله الذي تسامون به والارحام أن الله كان عليكم رقيماً اتقوا الله وقولوا قولا سديداً)  
 الآية قال الترمذي هذا حديث صحيح وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن خالد  
 الحذاء عن عبد الأعلى عن عبد الله بن الحارث قال خطب عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله وأثنى  
 عليه وعنده جاثليق ترجم له ما يقول فقال من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي فنفض حينه  
 كالسكر لما يقول قال عمر ما يقول قالوا يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضل أحداً قال عمر كذبت أى  
 عدو الله بل الله خلقك وقد أضلك ثم يدخلك النار أما والله لو لا عهد لك لضربت عنقك أن الله  
 عز وجل خلق أهل الجنة وما هم عاملون وخلق أهل النار وما هم عاملون فقال هؤلاء لهذه وهؤلاء  
 لهذه قال ففرق الناس وما يختلفون في القدر

فصل — المرتبة الرابعة من مراتب الهداية الهداية إلى الجنة والتأثر يوم القيامة قال تعالى  
 (أشعروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) وقال  
 تعالى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بهم) فهذه هداية بعد قتلهم فقيل  
 المعنى سيديهم إلى طريق الجنة ويصلح لهم في الآخرة بارضاء خصومهم وقبول أعمالهم وقال ابن

عباس سيديهم الى أرشد الامور ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا واستشكل هذا القول لانه أخرعن المفتولين في سبيله بأنهم سيديهم واحتاره الزحاج وقال يصلح بالهم في الماش واحكام الدنيا قال وأراد به يجمع لهم خير الدنيا والآخرة وعلى هذا القول فلا بد من حل قوله قتلوا في سبيل الله على معنى يصح معه آيات الهداية واصلاح البال

### الباب الخامس عشر

في الطبع والختم والقفل والغل والسد والنشاة والحائز بين الكافر وبين الايمان

وان ذلك مجعول للرب تعالى

قال تعالى (ان الذين كفروا وساءوا عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) حتم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غفلت بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وقال (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون أنا جعلنا في أعتاقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقد دخل هذه الآيات ونحوها طائفتا القدرة والحيرة ففرقها القدرة بأنواع من التخريف المبطل لما فيها وما أريد منها وزعمت الحيرة ان ألقا كرهاها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا ارادة ولا اختيار ولا كسب البتة بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضي ذلك بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى فلم يسر اليه سبيلا ولا اعطاه قدرة ولا مكنته منه بوجه وأراد بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورخصه منه فهدى أهل السنة والحديث واتباع الرسول لما اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. قالت القدرة لا يجوز حمل هذه الآيات على أنه منهم من الايمان وحال بينهم وبينه اذ يكون لهم الحجة على الله ويقولون كيف يأمرنا بأمر ثم يحول بيننا وبينه ويماقبتنا عليه وقد منعتنا من فعله وكيف يكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه وهل هذا الايمانية من أمر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه الباب سدا محكما لا يمكنه الدخول معه البتة ثم عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول ويمتزلة من أمره بالمشي الى مكان ثم قيده بحيث لا يمكنه معه نقل قدمه ثم أخذ يماقبه على ترك المشي واذا كان هذا قبيحا في حق المخلوق الفقير المحتاج فكيف ينسب الى الرب تعالى مع كل غناه وعلمه واحسانه ورحمته قالوا وقد كذب الله سبحانه الذين قالوا غفلت بنا غفلت وفي أكنة وانها قد طبع عليها وذهمهم على هذا القول فكيف ينسب اليه تعالى ولكن القدم لما أعرضوا وتركوا الاهتمام بهما الذي يمت به رسله حتى صار ذلك الاعراض والتفارق كالألف والطبيعة والسجدة أشبه حالهم حال من منع من الشيء وصد عنه وصار هذا وقرا في آذانهم وختم على قلوبهم وغشاوة على أعينهم فلا يخلص اليها الهدى وإنما أضاف الله تعالى ذلك اليه لان هذه الصفة قد صارت في تمكنها وقوة نباتها كالخلقة التي خلق عليها العبد قالوا وللهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

يكسبون) وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) ولعمرك ان الله الذي قاله هؤلاء حق أكثر من باطله وبحيجه أكثر من سقيه ولكن لم يوفوه حقه وعظموا الله من جهة داخلوا بتنظيمه من جهة فظموه بنزيره عن الظلم وخلاف الحكمة وأخلوا بتنظيمه من جهة التوحيد وكال القدرة ونفوذ المشيئة والقرآن يدل على صحة مقالوه في الران والطبع وانهم من وجهه وبطلانهم من وجهه وأما بحته فانه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم واعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وآية لا يهدي القوم الفاسقين) وقال (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال (وقلب أعتدناهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقد اعترف بعض القدرة بأن ذلك خلق الله سبحانه ولكنه عقوبة على كفرهم واعراضهم السابق فانه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور باضلال بعده ويثيب على الهدى بهدى بعده كما يعاقب على السيئة بسطة مثلها ويثيب على الحسنة بحسنة مثا وقال تعالى (والذين آمنوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أن تقوا الله يجعل لكم فرقا ما يكفر) ومن الفرقان الهدى الذي يفرق به بين الحق والباطل وقال في ضد ذلك (ف لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) وقال (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وهذا الذي ذهب اليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه وهو موجب العدل والله سبحانه ماض في البعد حكمه عدل في عبده قضاؤه فانه اذا دعي عبده الى معرفته وبحيته وذكره وشكره فأبى البعد الا اعراضا وكفرا فضى عليه بان اغفل قلبه عن ذكره وصدده عن الايمان به وحال بين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه فيه وتكون عقوبته بالتحتم والطبع والصد عن الايمان كمقوته له بذلك في الآخرة مع دخول النار كما قال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم) فخجابه عنهم اضلال لهم وصد عن رؤيتهم وكال معرفته كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصددها عن الايمان وكذلك عقوبته لهم بصددهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له في الدنيا وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا ولكن أسباب هذه الجرام في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة باختيارهم وارادتهم وفهمها فاذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ومن ههنا يفتح للبعد باب واسع عظيم النفع جدا في قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على البعد وان ذلك محض عدل فيه وليس المراد بالعدل ما قوله الجبرية انه الممكن فكل ما يمكن فعله بالبعد فهو عندهم عدل والظلم هو المتمتع لذاته فهو لا قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الاسباب والحكم ولا المراد به ما قوله القدرة النفاة انه انكار عموم قدرة الله ومشيتته على أفعال عباده وهدايتهم واضلالهم وعموم مشيته لذلك وان الامر اليهم لآله وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك عدل في قضائك كيف ذكر البعد في القضاء مع الحكم النافذ وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرة والجبرية فان العدل الذي أثبتته القدرة مناف للتوحيد معطل

لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته والعدل الذي أثبتته الجبرية مناف للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل والعدل الذي هو اسمه وصفته ونتمسبحانه خارج عن هذا وهذا ولم يعرفه الا بالرسول واتباعهم ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه (اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بماصيبتها ان ربي على صراط مستقيم) فاخبر عن عموم قدرته وقهوه مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء ثم اخبر انه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم وقال أبو اسحاق أي هوسبحانه وان كانت قدرته عليهم بما شاء فانه لا يشاء الا العدل وقال ابن الانباري عما قال هو آخذ بماصيبتها كان في معنى لا يخرج من قبضته وانه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة فاتبع قوله ان ربي على صراط مستقيم قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا بحسن السيرة والعقل والانصاف قالوا فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق ثم ذكر وجهها آخر فقال لما ذكر ان سلطانه قد قهر كل دابة أتبع هذا قوله ان ربي على صراط مستقيم أي لا تخفى عليه مشيئته ولا يبدل عنه هارب فذكر الصراط المستقيم وهو يعني بالطريق الذي لا يكون لاحد مسلك الاعليه كما قال ان ربك لبالمرصاد قلت فعلى هذا القول الاول يكون المراد انه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل وبمجازات المحسن باحسانه والمسيئ بسأئته ولا يظلم متقال ذرة ولا يعاقب أحدا بما لم يجنه ولا يهضمه ثواب ماعمله ولا يحمل عليه ذنب غيره ولا يأخذ أحدا بمجريرة أحد ولا يكلف نفسا ما لا تطيق فيكون من باب له الملك وله الحمد ومن باب ماض في حكمتك عدل في قضائك ومن باب الحمد لله رب العالمين أي كما انه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيتته فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه وعلى القول الثاني المراد بالهديد والوعيد وان مصر الباد اليه وطريقهم عليه لا يغوته منهم أحد كما قال تعالى (قال هذا صراط على مستقيم) قال القراء يقول مريمهم الى فاجازيمهم كقوله ان ربك بالمرصاد قال وهذا كما تقول في الكلام طرقتك على وأنا على طرقتك لمن أوعدته وكذلك قال الكلبي والكسائي ومثل قوله وعلى الله قصد السبيل على إحدى القولين في الآية وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه ومنها أي ومن السبيل ما هو جائر عن الحق ولو شاء لهذا لم أجمعين فاخبر عن عموم مشيئته وان طريق الحق عليه موصلة اليه فن سلكتها فاليه يصل ومن عدل غيافانه يضل عنه والمقصود ان هذه الايات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده والله يتصرف في خلقه بملكه وحده وعدله واحسانه فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه يقول الحق ويضلل العدل واقفه يقول الحق وهو يهدي السبيل فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يتناقضان وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه

فصل — ومن سلك من القدرية هذه الطريق قد توسط بين الطائفتين لكنه يلزمه الرجوع الى مثبتي القدر قطعاً والاتناقض أبين تناقض فانه اذا زعم ان الضلال والطبع والحتم والقفل والوقر وما يحول بين المبد وبين الايمان مخلوق لله وهو واقع بقدرته ومشيتته فقد أعطى ان أعمال العباد مخلوقة وانها واقعة بمشيئته فلا فرق بين الفصل الابتدائي والفصل الجزائي ان كان هذا مقدور الله واقفا بمشيئته والآخر كذلك وان لم يكن ذلك مقدورا ولا يصح دخوله تحت المشيئة فهذا كذلك والتفريق بين النوعين تناقض محض وقد حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الانصاري في شرحه

الارشاد فقال وقد اعترف بعض القدرية بان الحتم والطبع توابع غير انها عقوبات من الله لاصحاب الجرائم قال ومن صار الى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصري وبكر ابن أخته قال وسبيل المعاقبين بذلك سبيل المعاقبين بالنار وهؤلاء قد بقي عليهم درجة واحدة وقد تجوزوا الى أهل السنة والحديث

﴿فصل﴾ وقالت طائفة منهم الكافر هو الذي طبع على قلب نفسه في الحقيقة وحم على قلبه والشیطان أيضا فعل ذلك ولكن لما كان الله سبحانه هو الذي أقدر البعد والشیطان على ذلك نسب الفعل اليه لاقراره لفاعله على ذلك لانه هو الذي فعله قال أهل السنة والعدل هذا الكلام فيه حق وباطل فلا يشك بطلان ولا يرد مطلقا فقولكم ان الله سبحانه أقدر الكافر والشیطان على الطبع والحتم كلام باطل فانه لم يقدره الاعلى التزين والوسوسة والدعوة الى الكفر ولم يقدره على خلق ذلك في قلب البعد البتة وهو اقل من ذلك وأجيز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بشت داعيا وبلغنا وليس الى من الهداية شيء وخلق ابليس منينا وليس اليه من الضلالة شيء فقدور الشيطان أن يدعو العبد الى فعل الاسباب التي اذا فعلها ختم الله على قلبه وسمعه وطبع عليه كما يدعو الى الاسباب التي اذا فعلها عاقبه الله بالنار فبقائه بالنار كبقائه بالحتم والطبع واسباب العقاب فعله وتزينها وتحسينها فعل الشيطان والجميع مخلوق لله واماما في هذا الكلام من الحق فهو ان الله سبحانه أقدر البعد على الفعل الذي أوجب الطبع والحتم على قلبه فلو لا اقدار الله له على ذلك لمضحه وهذا حق لكن القدرية لم توف هذا الموضع حقه وقالت أقدره قدرة تصلح للضدين فكان فعل أحدهما باختياره ومشيئته التي لا تدخل تحت مقدور الرب وان دخلت قدرته الصالحة لهما تحت مقدوره سبحانه فشئتة واختياره وفعله وغير واقع تحت مقدور الرب وهذا من ابطال الباطل فان كل ماسواه تعالى مخلوق له داخل تحت قدرته واقع بمشيئته ولو لم يشأ لم يكن قلت القدرية لما عرضوا عن التدبر ولم يصنوا الى التذكر وكان ذلك مقارنا ليراد الله سبحانه حجة عليهم أضيفت أفعالهم الى الله لان حدوثها انما اتفق عند ايراد الحجة عليهم قال أهل السنة هذا من عمل الخيال أن يضيف الرب الى نفسه أمر الايضاف اليه البتة لقارنته ماهو من فعله ومن المعلوم ان الضدين يقارن الضد فالشر يقارن الخير والحق يقارن الباطل والصدق يقارن الكذب وهل يقال ان الله يحب الكفر والفسوق والمعيان لمقارنتها ما يحبه من الايمان والطاعة وان يحب ابليس لمقارنته وجوده لوجود الملازمة فان قيل قد ينسب الشيء الى الشيء لمقارنته له وان لم يكن له فيه تأثير كقوله تعالى (وانذا ما أنزلت سورة فهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وما تواوهم كافرون) ومعلوم ان السورة لم تحدث لهم زيادة رجس بل قارن زيادة رجسهم نزولها فنسب اليها قيل لم ينصر الامر في هذين الامرين الذين ذكرتموهما وهما احداث السورة الرجس والثاني مقارنته لنزولها بل ههنا أمر ثالث وهو ان السورة لما أنزلت اقتضى نزولها الايمان بها والتصديق والاذعان لأوامرها ونواهيها والعمل بما فيها فوطن المؤمنون أنفسهم على ذلك فازدادوا ايمانا بسببها فنسبت زيادة الايمان اليها اذ هي السبب في زيادته وكذبها الكافرون وجحدوها وكذبوا من جاء بها ووطنوا أنفسهم على مخالفة ماضئته وانكاهه فازدادوا بذلك رجسا فنسب اليها اذ كان نزولها ووصولها اليهم هو السبب في تلك

الزيادة فإن هذا من نسبة الافعال القبيحة عندكم التي لا تجوز نسبتها الى الله عند دعوتهم الى الايمان وتدبر آياته على ان افعالهم القبيحة لا تنسب الى الله سبحانه وانما هي منسوبة اليهم المنسوب اليه سبحانه افضاله احسنه الجلية المتضمنة للغايات المحمودة والحكم المطلوبة والحتم والطبع والقفل والاضلال افعال حسنة من الله وضعها في البقي المواضع بها اذ لا يليق بذلك المحل الحديث غيرها والشرك والكفر والمناصبي والظلم افعالهم القبيحة التي لا تنسب الى الله فهلا وان نسبت اليه خلقا خلقها غيرها والخلق غير الخلق والفعل غير المفعول والقضاء غير المقضى والفسد غير المقدور وسعربك هذه المسئلة مستوفاة ان شاء الله في باب اجتماع الرضاء والقضاء وسخط الكفر والفسوق والصيان ان شاء الله . قالت القدريه لما بلغوا في الكفر الى حيث لم يبق طريق الى الايمان لهم الا بالقسر والالاء ولم تقض حكمته تعالى أن يقسرهم على الايمان لئلا تزول حكمة التكليف عن ترك الالاء والقسر بالحتم والطبع إعلاما لهم بانهم انتهوا في الكفر والاعراض الى حيث لا يثبتون عنه الا بالقسر وتلك الغاية في وصف الحاحهم وتعمدهم في الكفر . قال أهل السنة هذا كلام باطل فانه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الايمان وارادته وعجته فيؤمنون بغير قسر ولا الاء بل ايمان اختيار وطاعة كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جيعا) واما القسر والالاء لا يسمى ايمانا ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولا يسمى ذلك ايمانا لانه عن الاء واضطرار قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وما يحصل للنفس من المعرفة والتصديق بطريق الالاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى وكذلك قوله (أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فتقولكم لم يبق طريق الى الايمان الا بالقسر باطل فانه بقي الى ايمانهم طريق لم يرهم الله إياه وهو مشيئته وتوفيقه وإمامته وإماله قلوبهم الى الهدى وأقامتها على الصراط المستقيم وذلك أمر لا يجزئ عنه رب كل شيء . ومليك . بل هو القادر عليه كقدرته على خلقه ذواتهم وصفاتهم ودرائهم ولكن منهم ذلك لحكمته وعدله فبهم وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم كما منع السفلى خصائص العلو ومنع الحار خصائص البارد ومنع الحديث خصائص الطيب ولا يقال فلم فعل هذا فان ذلك من لوازم ملكه وروبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته وهل يليق بحكمته أن يسوى بين الطيب والحديث والحسن والقيح والحيد والردي ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين وتوزيع المخلوقات وأخلاقها . فتقول القائل لم خلق الردي والحديث والتم سؤال جاهل بأسمائه وصفاته وملكه وروبيته وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفریق وذلك من كمال قدرته وروبيته فجعل منه ما يقبل جميع الكمالات الممكن ومنه ما لا يقبل شيئا منه وبين ذلك درجات متفاوتة لا يحسبها الا الخلاق البليم وهدى كل نفس الى حصول ما هي قابلة له والقابل والمقبول والقبول كله مفعوله ومخلوقه وأثر فعله وخلقته وهذا هو الذي ذهب عن الجبرية والقدريه ولم يهتدوا اليه وباللغة التوفيق . قالت القدريه الحتم والطبع هو شهادته سبحانه عليهم بانهم لا يؤمنون وعلى اسماعهم وعلى قلوبهم . قال أهل السنة هذا هو قولكم بان الحتم والطبع هو الاخبار عنهم بذلك وقد تقدم فساد هذا بما فيه كفاية وانه لا يقال في لغة من لغات الامم لمن أخبر عن غيره بانه مطبوع على قلبه وان عليه حتما أنه قد طبع على قلبه وختم عليه بل هذا كذب على اللغات وعلى القرآن وكلامك قول من قال ان حتمه على قلوبهم اطلاع على ما فيها من الكفر وكذلك قول من قال انه احصاؤه

عليهم حتى يجازيهم به وقول من قال انه اعلامها بعلامه تعرفها بها الملائكة وقد بينا بطلان ذلك بما فيه كناية . قالت القدوة لا يلزم من الطبع والحتم والقفل أن تكون مأمنة من الايمان بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منهم من الايمان بل يكون ذلك من جنس النقلة والبالدة والنشأ في الهرم فيورث ذلك اعراضا عن الحق وتعاميا عنه ولو أقم النظر وتفكر وتدبر لما أتر على الايمان غيره وهذا الذي قالوه يجوز أن يكون في أول الامر فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الايمان ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغلته وإيثار شهوته وكبره على الحق والهدى فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعا وحتم وقفلا وراثا فكان مبدء غير حائل بينهم وبين الايمان والايمان يمكن معه لو شأوا لا متوا مع مبادئ تلك الموانع فلما استحكمت لم يبق الى الايمان سبيل ونظير هذا ان العبد يستحسن ما بهواه فيميل اليه بعض الميل ففي هذه الحال يمكن صرف الداعية له اذ الاسباب لم تستحكم فإذا استمر على ميله واستدعى أسبابها واستبكت لم يمكنه صرف قلبه عن الموى والمحبة لطبع على قلبه ويحتم عليه فلا يبق فيه محل لغير ما بهواه ويحبه وكان الانصراف مقدورا له في أول الامر فلما تمكنت أسبابه لم يبق مقدورا له كما قال الشاعر

تولع بالمشق حتى عشق . فلما استقل به لم يعلق

رأى لجة غلظها موجة . فلما تمكن منها غرق

فلو أنهم بادروا في مبدأ الامر الى مخالفة الاسباب المصادة عن الهدى لسهل عليهم ولما استمعى عليهم ولقدروا عليه ونظير ذلك المبادرة الى ازالة العلة قبل استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوما لا ينفك منها فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطيب استغناء العليل منها ونظير ذلك الترحل في جماعة فانه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره اتقائه فبداى الامور مقدورة للعبد فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الا امر مقدورا له فتأمل هذا الموضوع حتى التأمل فانه من أضع الأشياء في باب القدر والله الموفق للصواب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالفه فيهم باسباب منهم وتلك الاسباب قد تكون أمورا عديمة يكفى فيها عدم مشيئة ابتداءها فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على الدم الاصلي وإن أراد من عبده الهداية فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه اعانته وتوقيفه فإذا لم يرد سبحانه من نفسه ذلك لم يحصل الهداية

**فصل** . وما ينبغي أن يعلم انه لا يتبع مع الطبع والحتم والقفل حصول الايمان بأن يشك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الحتم والطابع والقفل ويهديه بعد ضلاله ويملأه بعد جهله ويرشده بعد غيه ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يتبع أن يحوها ويكتب عليه السعادة والايمان وقرأ قارىء عند عمر بن الخطاب أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وعنده شاب فقال اللهم عليها أقفالها ونفاجها بيدك لا يفتحها سواك فمرها له عمرو زاده عنده خيرا وكان عمر يقول في دعائه اللهم ان كنت كتبتني شقيا فأعني وإكبتني سعيدا فألك تمحو ما تشاء وتثبت قلوبى تعالى لما يريد لا حرج عليه وقد ضل ههنا فريقان القدرية حيث زعمت أن ذلك ليس مقدورا للرب ولا يدخل تحت فعله اذ لو كان مقدورا له ومنه العبد لتأقضى جوده ولطفه وألحورية حيث زعمت انه سبحانه اذا قدر قدرا أو علم



شيئا فانه لا يغيره بعد هذا ولا يتصرف فيه بخلاف ما قدره وعلمه والطاقتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر احد اصلا وجميع خلقه تحت حجره شرعا وقدرها وهذه المسئلة من أكبر مسائل القدر وميسر بل ان شاء الله في باب الحو والاثبات ما يشفيك فيها والمقصود انه مع الطبع والحتم والفعل لو تعرض البعد أمكنه فك ذلك الحتم والطابع وفتح ذلك الفعل يفتح من يده مفاتيح كل شيء وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير متممة عليه وان كان فك الحتم وفتح الفعل غير مقدور له ان شرب الدواء مقدور له وزوال العلة وحصول المافية غير مقدور فاذا استحكم به المرض وصار صفة لازمة له لم يكن له عز في تماطى ماله من أسباب الشفاء وان كان غير مقدور له ولكن لما القى العلة وساكها ولم يحب زوالها ولا أثر ضدها عليها مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية والله سبحانه يهدي عبده اذا كان ضالا وهو بحسب انه على هدى فاذا تبين له الهدى لم يبدل عنه محبته وملائمته لنفسه فاذا عرف الهدى قل محبه ولم يرض به وأثر عليه الضلال مع تكرار معرفته منفعة هذا وخيره ومضرة هذا وشره فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية فهو انه في هذه الحال تعرض وانفق الى من بيده هداة وعلم انه ليس اليه هدى نفسه وانه ان لم يهده الله فهو ضال وسأل الله ان يقبل قلبه وان يقب شر نفسه وقبحه وهداه بل لو علم الله منه كراهية لما هو عليه من الضلال وانه مرض قاتل ان لم ينشفه منه أهلكه لكانت كراهته وينفض اياه مع كونه مبتلى به من أسباب الشفاء والهداية ولكن من أعظم أسباب الشفاء والضلال محبته له ورضاه به وكراهته الهدى والحق فلو ان المطبوع على قلبه المحتوم عليه كره ذلك ورغب الى الله في فك ذلك عنه وفصل مقدوره لكان هداة أقرب شيء اليه ولكن اذا استحكم الطبع والحتم حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكاه وفتح قلبه

(فصل) فان قيل فاذا جوزتم ان يكون الطبع والحتم والفعل عقوبة وجزاء على الجرائم والاعراض والكفر السابق على فعل الجرائم قيل هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس ويظنون بالله سبحانه خلاف موجب أسماؤه وصفاته والقرآن من اوله الى آخره انما يدل على ان الطبع والحتم والفتاوة لم يفعلها الرب سبحانه بسببه من أول وهلة حين أمره بالآيمان أو بينه له وانما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والارشاد وتكرار الاعراض منهم والمبالغة في الكفر والتنادي فينبغي لطبع على قلوبهم ويحكم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك والاعراض والكفر الاول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختيارا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية فتأمل هذا المعنى في قوله (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) ومعلوم ان هذا ليس حكما يعم جميع الكفار بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفارا قبل ذلك ولم يحكم على قلوبهم وعلى سمعهم فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة كما عاقب بعضهم بالمسخ قرده وخنازير وبعضهم بالطمس على أعينهم فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب كما يعاقب بالطمس على الاعين وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة وقد يعاقب به الى وقت ثم يعافي عبده ويهديه كما يعاقب بالمذاب كذلك

(فصل) وههنا عدة أمور عاقب بها الكفار بمنهم عن الايمان وهى الحتم والطبع والاكنة والنطفة والتلاف والحجاب والوقر والنشاة والاران والفعل والسدد والقفل والصمم والبكم والعشى والسدد والصرف والشدة على القلب والاضلال والاغفال والمرض وتقلب الاقدار والحول بين المرء وقلبه وأزاعة القلوب والحذلان والاركان والتشديد والتزيين وعدم ارادة هدامهم وتطهيرهم وامانة قلوبهم بمدخل الحياة فيها فتبقى على الموت الاصلى وامساك الثور عنها فتبقى في الظلمة الاصلية وجعل القلب قابلا لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورة وجعل الصدر ضيقا حرجيا لا يقبل الايمان وهذه الامور منها ما يرجع الى القلب كالحتم والطبع والقفل والاكنة والاغفال والمرض ونحوها ومنها ما يرجع الى رسوله الموصول اليه الهدى كالعجم والوقر ومنها ما يرجع الى طبيعته وراثته كالعمى والنشاة ومنها ما يرجع الى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم التلظى وهو نتيجة البكم القلبي فاذا بكم القلب بكم اللسان ولا تنص الى قول من يقول ان هذه مجازات واستعارات فانه قال بحسب مبلغه من العلم والفهم عن الله ورسوله وكان هذا القائل حقيقة القفل عنده أن يكون من حديد والحتم أن يكون يشمع أو طين والمرض أن يكون حى بنافس أو قولنج أو غيرهما من أمراض البدن والموت هو مفارقة الروح للبدن ليس الا والعشى ذهب ضوء العين الذى تبصر به وهذه الفرق من أغلظ الناس حجبا فان هذه الامور اذا اضيفت الى محالها كانت بحسب تلك المحال فنبه قتل القلب الى القلب كنبه قتل الباب الى وكذلك الحتم والطابع الذى عليه هو بالنسبة الى كالحتم والطابع الذى على الباب والصندوق ونحوهما وكذلك نسبة الصمم والعشى الى الاذن والعين وكذلك موته وحياته نظير موت البدن وحياته بل هذه الامور ازم للقلب منها للبدن فلوقيل انها حقيقة في ذلك مجاز في الاجسام المحسوسة لكان مثل قوله هؤلاء وأقوى منه وكلاهما باطل فالعمى في الحقيقة والبكم والموت والقفل للقلب ثم قال تعالى فاتها لانعمى الابصار ولكن تسمى القلوب التى في الصدور والمعنى انه معظم العمى وأصله وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم انما الربا في الضيئة وقوله انما الماء من الماء وقوله ليس النفى عن كثرة المرضي انما النفى عنى النفس وقوله ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والخمرة والتمر انما المسكين الذى لا يجد ما يبعه ولا يسطن له فيصدق عليه وقوله ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ولم يرد فى الاسم عن هذه السميات انما أراد أن هؤلاء اولى بهذه الاسماء وأحق بمن يسمونه بها فهكذا قوله لانعمى الابصار ولكن تسمى القلوب التى في الصدور وقرب من هذا قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وعلى للتقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة وهكذا جميع مناسب اليه ولما كان القلب ملك الاعضاء وهى جنوده وهو الذى يحركها ويستعملها والارادة والقوى والحركة الاختيارية تبعت كانت هذه الامثال أصلا وللأعضاء تبعا فلذلك هذه الامور مفصلة ومواقها في القرآن فقد تقدم الحتم قال الاخرى وأصله التمثلية وختم البذر في الارض اذا غطاه قال أبو اسحاق معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق منه فلا يدخله شيء كما قال تعالى أم على قلوب اقفاها وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم قلت الحتم والطبع يشتركان فياذكر ويشتقان في معنى آخر وهو ان الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا

يفارق وأما الأكنة ففي قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) هي جمع كنان كناناً واعنة وأصله من الستر والتغطية ويقال كنه وأكنه وكنان بمعنى واحد بل بينهما فرق فأكنه إذا ستره وإخفاه كقوله تعالى (أولاً كنتم في أنفُسكم) وكنه إذا صانه وحفظه كقوله بعض مكنون ويشتركان في الستر والكنان ما أكن الشيء وستره وهو كالغلاف وقد أقروا على أنفسهم بذلك فقالوا قلوبنا في أكنة بما ندعوها إليه وفي إذا تآوقر ومن يتنا ويتنك حجاب فذكروا غطاء القلب وهي الأكنة وغطاء الإذن وهو الوقر وغطاء العين وهو الحجاب والمعنى لا تفقه كلامك ولا تسمعه ولا تترك والمعنى أنا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ما تقول ولا يراك قال ابن عباس قلوبنا في أكنة مثل الكنانة التي

فيها السهام وقال مجاهد كجبة التبل وقال مقاتل عليها غطاء فلا يفقه ما تقول

**فصل** وأما الغطاء فقال تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاءهم من ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً) وهذا يتضمن معنيين أحدهما أن أعينهم في غطاء عما تفضنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده وعجائب قدرته والثاني أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاحتداه به وهذا الغطاء للقلب أولاً ثم يسرى منه إلى العين

**فصل** وأما الغلاف فقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لنهم الله بكفرهم) وقد اختلف في معنى قلوبهم قلوبنا غلف فقالت طائفة المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم فبالها لا تفهم عنك ما أتيت به أولاً محتاج إليك وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف والصحيح قول أكثر المفسرين أن المعنى قلوبنا لا تفقه ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف كأمر وحمر قال أبو عبيدة كل شيء في غلاف فهو أغلف كما يقال سيف أغلف وقوس أغلف ورجل أغلف غير محتمون قال ابن عباس وقادوت مجاهد على قلوبنا غشاوة فهي في أوعية فلا تسمى ولا تفقه ما تقول وهذا هو الصواب في معنى الآية لشكر نظائره في القرآن كقولهم (قلوبنا في أكنة) وقوله تعالى (كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) ونظائر ذلك وأما قول من قال هي أوعية للحكمة فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة وليس له في القرآن نظير يحمل عليه ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة فإن وجدت في الاستعمال قول القائل قلبي غلاف وقلوب المؤمنين السالين غلف أي أوعية للعلم والغلاف قد يكون وعاء للجدد والرديء فلا يلزم من كون القلب غلافاً أن يكون داخله العلم والحكمة وهذا ظاهر جداً فإن قيل فالأضراب يهل على هذا القول الذي قويت به مامعناه وأما على القول الآخر فظاهر أي ليست قلوبكم محلا للعلم والحكمة بل مطبوع عليها قيل وجه الاضراب في غاية الظهور وهو أنهم احتجوا بأن الله لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول ومعرفة بل جعل قلوبهم داخله في غلف فلا تفقهه فكيف تقوم به عليهم الحجة وكانهم ادعوا أن قلوبهم خلقت في غلف فهم معنورون في عدم الإيمان فأكدتهم الله وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وفي الآية الأخرى (بل لنهم الله بكفرهم) فآخبر سبحانه أن الطبع والإبعاد عن توقيفه وفضله إنما كان بكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه على الإيمان فمقابهم عليه بالطبع واللينة والمعنى لم نخلق قلوبهم غلفاً لئلا تسمى ولا تفقه ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه ولا يقفونه بل اكتسبوا أعمالاً باعقبتهم عليها بالطبع على القلوب والحتم عليها

**فصل** وأما الحجاب ففي قوله تعالى حكاية عنهم (ومن بيننا وبينك حجاب) وقوله (فإذا قرأت

القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا ( على أصح القولين والمعنى جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجاباً يحول بينهم وبين فهمه وتذيره والایمان به وبينه قوله ( وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ) وهذه الثلاثة هي الثلاثة المذكورة في قوله ( وقالوا قلوبنا في أكنة مما دعونا إليه وفي آذاننا وقرا ومن بيننا وبينك حجاب ) فأخبر سبحانه أن ذلك جعله فالجواب يمنع رؤية الحق والأكنة تمنع من فهمه والوقر يمنع من سماعه وقال الكلبي الحجاب ههنا مانع يمنعهم من الوصول إلى رسول الله بالأنبياء من الرغب ومحوه مما يصددهم عن الأقدام عليه ووضعه بكونه مستورا فقبل بمعنى سائر وقيل على النسب أي ذوستر والصحيح أنه على يابه أي مستورا عن الإصا فلا يرى ويحجب معقول بمعنى فاعل لا يثبت والنسب في معقول لم يشق من فعله كمكانه هول أي ذي هول ورجل مرطوب أي ذي رطوبة فاما معقول فهو جار على فعله فهو الذي وقع عليه الفعل كضروب ومجروح ومستور

( فصل ) وأما الران فقد قال تعالى ( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ) قال أبو عبيدة غلب عليها والخمر يرين على عقل السكران والموت يرون على الميت فيذهب به ومن هذا حديث أسيف جبهة وقول عمر فاصبح قدرين به أي غلب عليه واحاط به الرين وقال أبو مازا التحوخي الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والافتقار أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب وقال القراء كثرت الذنوب والمعاصي منهم فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وقال أبو اسحق ران غطي قال ران على قلبه الذنوب يرين رينا أي غشي قال والران كالنشاء يشي القلب ومثله الفين قلت اخطأ أبو اسحاق قالين أظف شي واره قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليمان على قاني واتى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وأما الرين والران فهو من أغاظ الحب على القلب وأكثفها وقال مجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتنفش فيموت القلب وقال مقاتل غمرت القلوب أعمالهم الحينة وفي سنن النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البعد اذا اخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تملو قلبه وهو الران الذي ذكر الله ( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ) قال الترمذي هذا حديث صحيح وقال عبد الله بن مسعود كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله فأخبر سبحانه ان ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم فكان سبب الران منهم وهو خلق الله فيهم فهو خالق السبب ومسببه لكن السبب باختيار البعد والسبب خروج عن قدرته واختياره

( فصل ) وأما الغل فقال تعالى ( لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذنان فهم مقمحوون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) قال القراء حبسناهم عن الاتفاق في سبيل الله وقال أبو عبيدة منعناهم عن الإيمان بموانع ولما كان الغل مانعا للغلول من التصرف والقلب كان الغل الذي على القلب مانعا من الإيمان فان قيل فالغل المانع من الإيمان هو الذي في القلب فكيف ذكر الغل الذي في العنق قيل لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق فاسبب ذكر محله والمراد به القلب كقوله تعالى ( وكل إنسان ألزمناه

طائر في عنقه) ومن هذا قولهم اتى في عنقك وهذا في عنقك ومن هذا قوله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) شبه الامساك عن الاتفاق باليد اذا غلت الى العنق ومن هذا قال الفراء انا جعلنا في أعناقهم أغلالا حبسناهم عن الاتفاق قال أبو اسحاق وانا يقال للشيء اللازم هذا في عنق فلان أى لزومه كزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوقتك كذا وقلدتك كذا ومنه قلده السلطان كذا أى سارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قلت ومن هذا قولهم قلدت فلانا حكم كذا وكذا كأنك جعلته طوقا في عنقه وقد سمي الله التكليف الشاة اغلالا في قوله (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) فشبها بالأغلال لشدها وصوبها قال الحسن هي الشدائد التي كانت في العبادة كقطع أثر البول وقتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الحافظة وتتبع السروق من اللحم وقال ابن قتيبة هي محرم الله سبحانه عليهم كثيرا مما أطلقه لامة محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها اغلالا لان التحريم يمنع كما يقبض الفل اليد وقوله فهي الى الاذقان قالت طائفة الضمير يود الى الايدي وان لم تذكر لدلالة السياق عليها قالوا لان الفل يكون في العنق فيجمع اليه اليد ولذلك سمي جامعة وعلى هذا ظلمنى فأيديهم أوقافا يمانهم مضمومة الى أذنانهم هذا قول الفراء والزجاج وقالت طائفة الضمير يرجع الى الأغلال وهذا هو الظاهر وقوله فهي الى الاذقان أى وابسة ولمزوزة اليها فهو غل عريض قد أحاط بالعنق حتى وصل الى الذقن وقوله فهم مقمحوں قال الفراء والزجاج المقمح هو الفاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقحاح في القفوف الرأس وغض البصر يقال أقحح البصر رأسه وقح وقال الأصمى يبرق قماح اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب قال الأزهرى لما غلت أيديهم الى أعناقهم رفعت الأغلال أذنانهم ورؤسهم صعدا كالإبل الرافعة رؤسها انتهى فان قيل فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والايان قيل أحسن وجه وأبشبه فان الفل اذا كان في العنق واليد مجموعة اليها منع اليد عن التصرف والبطش فإذا كان عريضا قد ملا العنق ووصل الى الذقن منع الرأس من تصويبه وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصب لا يستطيع له حركة ثم أكد هذا المعنى والحبس بقوله (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قال ابن عباس منعه من الهدى لما سبق في علمه والسد الذي جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذى سد عليهم طريق الهدى فأخبر سبحانه عن الموانع التي منعه بها من الايمان عقوبة لهم ومثلها بحسن تمثيل وبلغه وذلك حال قوم قد وضعت الأغلال الرقيقة الواصلة الى الاذقان في أعناقهم وضمت أيديهم اليها وجعلوا بين السدين لا يستطيعون التفوذ من بينهما وأغشيت أبصارهم فهم لا يرون شيئا واذا تأملت حال الكافر الذى عرف الحق وتبين له ثم جحدته وكفر به وعاداه أعظم معاداة وجحدت هذا المثل مطابقا له ثم مطابقة وانه قد حيل بينه وبين الايمان كما حيل بين هذا وبين التصرف والله المستعان

(فصل) واما الفل فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) قال ابن عباس يريد على قلوب هؤلاء أقفال وقال مقاتل بنى الطبع على القلب وكأن القلب بمنزلة الباب المرمج الذى قد ضرب عليه قفل فانه مامض فتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول الى ما وراءه وكذلك مامض رفع الحتم والقفل عن القلب لم يدخل الايمان والقرآن وتأمل تكبير القلب وتعرف الاقوال فان تكبير القلوب يتضمن



سيدك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع ولهذا قال ابن عباس يريدنا منها والمنع قسها واطمع عليها حتى لا تلين ولا تنشر للإيمان وهذا مطابق لما في التوراة ان الله سبحانه قال لموسى اذهب الى فرعون فاقى ساقى قلبه فلا يؤمن حتى تظهر آياتي وعجائبي بمصر وهذا الشد والتقيس من كمال عدل الرب سبحانه في أعدائه جعله عقوبة لهم على كفرهم واعراضهم كقوتبه لهم بالمصاب هو لكونه كان محمودا عليه فهو حسن منه وأقبح شئ منهم فانه عدل منه وحكمة وهو ظلم منهم وسفاهة فالتقاءه والقدر فعل عادل حكيم غنى علم يضع الخير والشر في البق المواضع وهما المقضى المقدر يكون ظلما وجورا وسفاهة وهو فعل جاهل ظالم مجتبه

(فصل) وأما الصرف فقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) فآخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدره لانهم ليسوا اهللا فالحل غير صالح ولا قابل فان صلاحية الحل بشيئين حسن فهم وحسن قصد وهؤلاء قلوبهم لا تفقه وقصودهم سيئة وقد صرح سبحانه بهذا في قوله (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولواسمعهم لئولا وهم معرضون) فآخبر سبحانه عن عدم قابلية الايمان فيهم وانهم لاخير فيهم يدخل بسببه الى قلوبهم فلم يسمعهم سماع إيمان يتفقهون به وان سمعوه سماعا قووم به عليهم حجته فسمع القوم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ثم آخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الايمان لو اسمعهم هذا السماع الحسن وهو الكبر والتولى والأعراض فالاول مانع من القوم والثاني مانع من الاتقياد والاذعان فانهم سيئة وقصود رديئة وهذه نسخة الضلال وعلم الشقاق ان نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح وقصد صالح والله المستعان وتأمل قوله سبحانه (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خيرا أو إعادة عقوبة لانصرافهم فمما قبلهم عليه بصرف آخر غير الصرف الاول فان انصرفهم كان لعدم ارادته سبحانه ومشيتته لا قباليهم لانه لاصلاحية فيهم ولا قبول فلم ينلهم الاقبال والاذعان فانصرف قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن فجازاهم على ذلك صرفا آخر غير الصرف الاول كما جازاهم على زيف قلوبهم عن الهدى ازاغة غير الزيف الاول كما قال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهكذا اذا عرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بان يمرض عنه فلا يمكنه من الاقبال عليه ولكن قصة ابليس منك على ذكر متضمنها آثم انتفاع فانه لما عصى ربه تعالى ولم يتقذر لمر مواصر على ذلك عاقبه بان جعله داعيا الى كل محبة فمما قبله على محبته الاولى بان جعله داعيا الى كل محبة وفروعا صغيرها وكبيرها وصار هذا الأعراض والكفر منه عقوبة لذلك الأعراض والكفر السابق فن عقاب البهية السيئة بعد ما كما ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فان قيل فكيف يلتم انكاره سبحانه عليهم الانصراف والأعراض عنه وقد قال تعالى (فاقي يصرفون) وأنى يؤفكون) وقال (فألهنهم عن التذكرة معرضين) فاذا كان هو الذي صرفهم وجعلهم معرضين وما فوكن فكيف ينفي ذلك عنهم قبل هم دائرون بين عمله وحجته عليهم فكيفهم وقع لهم الباب ونهج لهم الطريق وهما لهم الاسباب فارسل اليهم رسله وأزل عنهم كتبهم ودعاهم على السيرة رسله وجعل لهم عقولا يميز بين الخير والشر والنافع والضار وأبواب

الردى وأسباب الفلاح وجعل لهم اسباعا وأبصارا فأثروا الهوى على التقوى واستحووا العمى على الهدى وقالوا مصيبتك آثر عندنا من طاعتك والشرك أحب إلينا من توحيدك وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخالفهم ومليكمهم وأنصرفت عن طاعته وحبته فهذا عدله فيهم وتلك حجته عليهم فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى إرادة منهم واحتيارا فسد عليهم اضطرابا فغلاهم وما اختاروا لأنفسهم وولاهم ما تولوه ومكنهم فيما ارتضوه وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون فلا أقيح من فعلهم ولا أحسن من فعله ولو شاء خلقهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم على غير هذه النشأة ولكنته سبحانه خالق العلو والسفل والتور والظلمة والنافع والضار والطيب والخبيث والملائكة والشياطين والنساء والذباب ومعطيها آلائها وصفاتها وقواها وأفعالها ومستعملها فيما خلقت له فعضها بطباعها وبعضها بإرادتها ومشيتها وكل ذلك نجار على وفق حكته وهو موجب حمده ومقتضى كماله المقدس وملكه التام ولا نسبة لما عمله الخلق من ذلك إلى ما خفي عليهم بوجه ما أن هو الأكثرة عصفور من البحر

(فصل) وأما الاغفال فقال تعالى (ولا تعلم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أتابع هواه وكان أمره فرطا) سئل أبو العباس ثعلب عن قوله (أغفلنا قلبه عن ذكرنا) فقال جعلناه غافلا قال ويكون؟ في الكلام أغفلته سميت غافلا ووجدته غافلا قلت الغفل الشيء الفارغ والارض الغفل التي لاعلمة بها والكتاب الغفل الذي لا شكل عليه فأغفلناه تركناه غفلا عن الذكر فارغا منه فهو إغفال له على المدم الأصلي لأنه سبحانه لم يشأ له الذكر فبقى غافلا فالغفلة وصفه والاغفال فعل الله فيه بمشيته وعدم مشيته لندركه فكل منهما مقتضى لغفلته فإذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر وإذا شاء غفلته امتنع منه التذكر فان قيل فهل تضاف الغفلة والكفر والاعراض ونحوها إلى عدم مشيئة الرب اضدادها أم إلى مشيئته لوقوعها قيل القرآن قد نطق بهذا وبهذا قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم) وقال (ومن يرد الله فتنته فلن يفلح) فمن غفل له من الله شيئا ومن يرد أن يغفل فإن قيل فكيف يكون عدم السبب المقتضى موجبا للأثر قيل الأثر ان كان وجوديا فلا بد له من مؤثر وجودي وأما عدم السبب فيكون في عدم سببه وموجبه فيبقى على المدم الأصلي فإذا أضيف إليه كان من باب إضافة الشيء إلى دليه فعدم السبب دليل على عدم السبب وإذا سمي موجبا ومقتضيا بهذا الاعتبار فلا مشاحة في ذلك وأما أن يكون المدم أمرا ومؤثرا فلا وهذا الاغفال ترتب عليه اتباع هواه وتقريره في أمره قال مجاهد كان أمره فرطا أي ضياعا وقال قتادة أضاع أكبر الضيعة وقال السدي هلاكا وقال أبو الهيثم أمر فرط أي متهاون به مضيع والتفريط تقديم التجز قال أبو اسحاق من قدم التجز في أمر أضاعه وأهلكه قال الليث الفرط الأمر الذي يفرط فيه يقول كل أمر فلان فرط قال الفراء فرطا متروكا يفرط فيما لا ينبغي التفريط فيه وأتبع ما لا ينبغي اتباعه وغفل عما لا يحسن الغفلة عنه

(فصل) وأما المرض فقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) وقال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) ومرض القلب خروج عن محنته واعتداله فان سمعته أن يكون عارفا بالحق يحبا له مؤثرا له على غيره فرضه أما بالشك فيه وأما بإثارة غيره عليه فرض



المتأقين مرض شك ورب ومرض المصاة مرض غي وشهوة وقد سمي الله سبحانه كلا منهما  
مرضا قال ابن الانباري أصل المرض في اللغة الفساد مرض فلان فسد جسمه وتغيرت حاله ومرضت  
بالمرض تغيرت وفسدت قالت ليلي الاخيلية

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تبع أقصى دائها فشتاها

وقال آخر

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة فقد الحسين والبلاد اقشعرت  
والمرض يدور على أربعة أشياء فساد وضيء وهوان وظلمة ومنه مرض الرجل في الامر اذا ضايف  
فيوم يبالغ وعين مريضة النظر أى قارة ضعيفة ورجح مريضة اذا هب هبوبها كما قال

• راحت لأربعك الريح مريضة •

أى لينة ضعيفة حتى لا يبنى أثرها وقال ابن الاعرابي أصل المرض نقصان موهبة بدن مريض أى ناقص  
القوة وقلب مريض ناقص الدين ومرض في حاجتي اذا قصت حركته وقال الأزهري عن المتنزي عن  
بعض أصحابه المرض انكلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها قال والمرض الظلمة وأنشد  
وليلىة مرضت من كل ناحية بما يضيئ لها شمس ولا قمر

هذا أصله في اللغة ثم الشك والجهل والحيرة والضلال وارادة التي وشهوة التجور في القلب تمود  
الى هذه الامور الاربعة فتعاطى البعد أسباب المرض حتى يمرض فيما يقبى الله بزيادة المرض لاثاره  
أسبابه وتقاطيه لها

(فصل) وأما قلب الاثنية فقال تعالى (وقلب أقدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم  
في طغيانهم يعمهون) وهذا عطف على أنها اذا جاءت لا يؤمنون أى تحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم  
تلك الآية فلا يؤمنون واختلف في قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة فقال كثير من المفسرين المعنى  
تحول بينهم وبين الايمان لوجهاتهم الآية كما حلتا بينهم وبين الايمان أول مرة قال ابن عباس في رواية  
عطاء عنه وتقلب أقدتهم وأبصارهم حتى يرجوا الى ما سبق عليهم من على قال وهذا كقوله واعلموا  
ان الله يحول بين المرء وقلبه وقال آخرون المعنى وتقلب أقدتهم وأبصارهم لتركم الايمان به أول  
مرة فمقابلتهم بتقلب أقدتهم وأبصارهم وهذا معنى حسن فان كلف التشبيه تضمن نوعا من التليل  
كقوله (وأحسن كما أحسن الله اليك) وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم  
ويلهمكم الكتاب والحكمة ويلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذ كرم) والذي يحسن اجماع  
التليل والتشبيه الاعلام بان الجزاء من جنس العمل في الخير والشر والتقلب تحول الشيء من وجه  
الى وجه وكان الواجب من مقتضى ازال الآية ووصولهم اليها كما سألوا أن يؤمنوا اذا جاءتهم لانهم  
رأوها عيانا وعرفوا أداتها وتحققوا صدقها فان لم يؤمنوا كان ذلك تقليا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها  
الذى ينبغي أن تكون عليه وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو انه سمع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد  
يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على  
طاعتك وروى الترمذي من حديث أبي إسحاق قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثرا أن يقول ياقلب

القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله بقلبي كيف يشاء قال هذا حديث حسن وروى حماد عن أيوب وهشام ويحيى بن زياد عن الحسن قال قالت عائشة رضي الله تعالى عنها دعوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها بإقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله دعوة كثيرا ما تدعو بها قال أنه ليس من عبد إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فإذا شاء أن يقيم أقيه وإذا شاء أن يزيقه أزاقه وقوله ( ونذرهم في طغيانهم يعمهون ) قال ابن عباس أخذلهم وأدعهم في ضلالهم يتمادون

﴿ فصل ﴾ وما أزاغة القلوب فقال تعالى ( فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم ) وقال عن عباده المؤمنين أنهم سألوه ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وأصل الزينغ الميل ومنه زاعت الشمس إذا مالمت فأزاغة القلب اماله وزينه ميله عن الهدى إلى الضلال والزينغ يوصف به القلب والبصر كما قال تعالى ( وأذا زاعت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ) وقال قتادة ومقاتل شخصت فرقا وهذا اقرب للمعنى فإن الشخص خاص غير الزينغ وهو أن يفتح عينه ينظر إلى الشيء فلا يطرق ومنه شخص بصير الميت ولما مالمت الابصار عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى هؤلاء الذين أقبلوا إليهم من كل جانب اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر فالك عنه وشخصت بالنظر إلى الأحزاب وقال الكلبي مالمت أبصارهم إلا من البصر إليهم وقال القراء زاعت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها متحيرة تنظر إليه قلت القلب إذا امتلأ رجا بشغله ذلك عن ملاحظة ماسوى الخوف فراغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله ( فصل ) وأما الخذلان فقال تعالى ( أن ينصرمكم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصرمكم من بعده ) وأصل الخذلان الترك والتخلة وقال البقرة والشاة إذا تخلفت مع ولدها في المرعى وتركت صواحباتها خذول قال محمد بن اسحاق في هذه الآية أن ينصرمكم الله فلا غالب لك من الناس ولن ينصرمك خذلان من خذلك وأن يخذلك فلن ينصرمك الناس أى لا تترك أسرى للناس وارفضي الناس لا امرى والخذلان أن يخلى الله تعالى بين البسديين نفسه ويكلمها والتوفيق ضده أن لا يبدعه ونفسه ولا يكلمها بها بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه ويكلمه ككلامه الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه فمن خلى بينه وبين نفسه فقد هلك كل الهلاك ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستسقيت اصلح لي شأني كله ولا تكن لي قسى طرفه عين ولا إلى أحد من خلقك فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه ابليس فان تولاه الله لم يظفر به عدوه وإن خذله وأعرض عنه اقترسه الشيطان كما يفتس الذئب الشاة فان قيل فما ذنب الشاة اذا خلى الراعى بين الذئب وبينها وهل يمكنها أن تقوى على الذئب ونجومه قيل لعمر الله ان الشيطان ذنب الانسان كما قاله الصادق المصدق ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانا مع ضعفها فإذا أعطت يديها وسالت الذئب ودعاها قلبت دعوته وأجاب أمره ولم تخلف بل أقبلت نحوه سرية مطيعة وفارقت حمى الراعى الذى ليس للذئب عليه سبيل ودخلت في عمل الذئب الذى من دخله كان صيدا لهم فهل الذئب كل الذئب الا الشاة فكيف والراعى يحذرهما ويخوفها وينذرهما وقد أراها مصارع الشاة التي اقتردت عن الراعى ودخلت وادى

الذئب قال أحمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة سمعت ابن أبي الدنيا يقول ان الله سبحانه من العلوم ما لا يحصى يطمى كل واحد من ذلك ما لا يطمى غيره لقد حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد القطن نأعيد الله بن بكر السهمي عن أبيه ان قوما كانوا في سفر فكان فيهم رجل يمر بالطائر فيقول أندرون ما تقول هؤلاء فيقولون لا فيقول قول كذا وكذا فيجلبنا على شيء لا تدرى أصادق فيه هوام كاذب اليان مرواعى غم وفيها شاة قد خلقت على سخة لها جملت نحو عنها البهاوتغو فقال أندرون ما تقول هذه الشاة قلنا لا قال قول للسخة الحق لا يا كلك الذئب كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان قال فأنهنا الى الراعى فقلنا له ولدت هذه الشاة قبل علمك هذا قال نعم ولدت سخة عام أول قالها الذئب بهذا المكان ثم أينما تجلى قوم فيهم ظمينة على جبل لها وهو يرغبو وعنو عقه اليها فقال أندرون ما تقول هذا البعير قلنا لا قال فانه يلمن راكبه ويزعم انها رحلته على حيط وهو في سنامه قال فأنهنا اليهم فقلنا يا هؤلاء ان صاحبنا هذا يزعم ان هذا البعير يلمن راكبه ويزعم انها رحلته على حيط وانه في سنامه قال فأنهنا البعير وخطوا عنه فاذا هو كما قال فهذه شاة قد حذرت سختهنا من الذئب مرة فحذرت وقد حذر الله سبحانه ابن آدم من ذئبه مرة بعد مرة وهو بأبي إلا أن يستحب له اذا دعاه ويبت معه ويصيح (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) انى كغرت بما أنكرتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم (فصل) وأما الاركس فقال تعالى (فالكم في المتنافذين فتبين والله أركبهم بما كسبوا أنريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) قال الفراء أركبهم ردهم الى الكفر وقال أبو عبيدة يقال ركست الشيء وأركبته لغتان اذا رددته والركس قلب الشيء على رأسه أورد أوله على آخره والاركناس الارتداد قال أمية

فاركسوا في حيم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا

ومن هذا يقال للروت الركن لانه رد الى حال التجاسة ولهذا المعنى سمي رحيما والركس والتكس والمركوس والمتكوس بمعنى واحد قال الزجاج أركبهم نكسهم ورددتهم والمعنى انه ردهم الى حكم الكفار من الفل والصفار وأخير سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعدله وان كان أركسه كان بسبب كسبهم واعمالهم كما قال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فهذا توجيه وهذا عدله ما نقوله القدر المعطلة من ان التوحيد انكار الصفات والعدل والتكذيب بالقدر

فصل وأما التثييط فقال تعالى (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فططمهم وقيل أقصدوا مع القاعدین) والتثييط رد الانسان عن الشيء الذي يفعله قال ابن عباس يريد خذلهم وكشاهم عن الخروج وقال في رواية أخرى حسبهم قال مقاتل وأوحى الى قلوبهم أقصدوا مع القاعدین وقد بين سبحانه حكمته في هذا التثييط والخذلان قبل وبعد فقال (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتاب قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فططمهم وقيل أقصدوا مع القاعدین) فلما تركوا الايمان به وبلقاءه وارتابوا بما لا رب فيه ولم يريدوا الخروج في طاعة الله ولم يستبدوا له ولا اخذوا أهبة ذلك كره سبحانه انبعاث من هنا شأنه فان لم يفرغ به ورسوله أو كتابه رأسا ولم يقبل هديته التي أهداها اليه على يد أحب

خلقه اليه وأكرمهم عليه ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها بل بدلها كفرًا فان طاعة هذا  
 وخروجه مع رسوله بكره الله سبحانه فنبطه ثلاثين مائة من خروجه وأوحى الى قلبه قدره او كونا  
 أن يقدم مع القاعدين ثم اخبر سبحانه عن الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تثبيت هؤلاء عنهم فقال (لو  
 خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولا وضوا) والخبال الفساد والاضطراب فلو خرجوا مع المؤمنين  
 لافسدوا عليهم امرهم فاقوا بينهم الاضطراب والاختلاف قال ابن عباس مازادوكم الا خبالا غيرا  
 وجنا يعني يخبئوهم عن لقاء العدو بتحويل أمرهم وقمطهم في صدورهم ثم قال ولا وضوا خلاصكم  
 أي اسرعوا في الدخول بينكم للتفريق والافساد قال ابن عباس يريد ضعفوا شجاعكم يعني بالتفريق  
 بينهم لتفرق الكلمة فيجبنوا عن العدو وقال الحسن لا وضوا خلاصكم بالنسيئة لافساد ذات الدين وقال  
 الكلبي ساروا بينكم يثبونكم الميب قال ليد

أرأنا مضعين لحم عيب

وسحر بالطعام وبالشراب

أي مسرعين ومنه قول عمر بن أبي ربيعة

تألهن بالوفان لما عرفني وقلن امرؤ باغ أكل واوضا

أي اسرع حتى كالت مطية (يثبونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) قال قتادة وفيكم من يسمع كلامهم  
 ويطيعهم وقال ابن اسحاق وفيكم قوم اهل محبة لهم وطاعة فيا يدعونهم اليه لشرفهم فيهم وسناه على  
 هذا القول وفيكم اهل سمع وطاعة لهم لو يصهم هؤلاء المتناقضون افسدوهم عليكم قلت فتضمن  
 سماعين معنى مستجيبين وقال مجاهد وابن زيد والكلبي المني وفيكم عيون لهم يقولون اليهم ما يسمعون  
 منكم أي جوايسس والقول هو الاول كما قال تعالى سماعون للكذب أي قائلون له ولم يكن في  
 المؤمنين جوايسس للمتناقضين فان المتناقضين كانوا مختلطين بالمؤمنين يزولون معهم ويرحلون ويصلون معهم  
 ويخالسونهم ولم يكونوا متحيزين عنهم قد أرسلوا فيهم الميون يقولون اليهم اخبارهم فان هذا انما يقوله  
 من انحاز عن طاعة ولم يخالفها وأرصد بينهم عيونًا له فالقول قول قتادة وابن اسحاق والله اعلم فان  
 قيل انبأهم الى طاعته طاعة له فكيف يكرهها واذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضدها لا محالة  
 إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر فيكون قعودهم محبوا له فكيف يمايقهم عليه قيل  
 هذا سؤال له شأن وهو من أكبر الاسئلة في هذا الباب وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم فالجارية  
 تحيب عنه بان أماله لا تمثل بالحكم والمصالح وكل يمكن فهو جائز عليه ويجوز أن يمدحهم على فعل  
 ما يحبه ويرضاه وترك ما يفضنه ويسخطه والجانب بالنسبة اليه سواء وهذه الفرقة قد سدت على نفسها  
 باب الحكمة والتعليل والقدرية تحيب عنه على أصولها بأنه سبحانه لم يبطهم حقيقة ولم يمتنعهم بل هم  
 منعوا أنفسهم ونبطوها عن الخروج وفعلوا ما لا يريد ولما كان في خروجهم المفسدة التي ذكرها الله  
 سبحانه التي في قوسهم كراهة الخروج مع رسوله قالوا وجعل سبحانه لقاء كراهة الانبعاث في قلوبهم  
 كراهة مشيئة من غير أن يكره هو سبحانه انبأهم فانه أمرهم به قالوا وكيف يأمرهم بما يكرهه ولا  
 يخفى على من نور الله بصيرته فساد هذين الجوابين وبمدهما من دلالة القرآن فالجواب الصحيح  
 انه سبحانه أمرهم بالخروج طاعة له ولامره واتباعا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصرة له  
 وللمؤمنين وأحب ذلك منهم ورضيه لهم دينًا وعلم سبحانه ان خروجهم لو خرجوا لم يقع على هذا

الوجه بل يكون خروجهم خروجا خذلان لرسوله وللمؤمنين فكان خروجنا يتضح خلاف ما يجه  
ورضاه ويستلزم وقوع ماكرهه ويغضه فكان مكروهه له من هذا الوجه ومحبوها له من الوجه الذي  
خرج عليه أولاؤه وهو يعلم أنه لا يقع منهم الا على الوجه المكروه اليه فكرهه وعاقبهم على ترك  
الخروج الذي يجب ورضاه لاعلى ترك الخروج الذي يغضه ومسخطه وعلى هذا فليس الخروج  
الذي كرهه منهم طاعة حتى لو فعلوه لم يشبه عليه ولم يرضه منهم وهذا الخروج المكروه له ضدان  
أحدهما الخروج المرضي المحبوب وهذا الضد هو الذي يجب والثاني التخلف عن رسوله والقعود  
عن الغزو معه وهذا الضد يغضه ويكرهه أيضا وكراهته للخروج على الوجه الذي كانوا يخرجون  
عليه لا ينافي كراهته لهذا الضد فتقول للسائل فتقدمهم مبقوض له ولكن ههنا أمران مكروهان له  
سبحانه وأحدهما أكره له من الآخر لانه أعظم ففسده فان قعودهم مكروه له وخروجهم على  
الوجه الذي ذكره أكره اليه ولم يكن لهم بد من أحد المكروهين اليه سبحانه فدفعت المكروه الاعلى  
بالمكروه الأدنى فان مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه فان مفسدة قعودهم تخص  
بهم ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين فتأمل هذا الموضع فان قلت فهلا وقهم للخروج الذي  
يجب ورضاه وهو الذي خرج عليه المؤمنون قلت قد تقدم جواب مثل هذا السؤال مرارا وان حكمته  
سبحانه تأتي أن يضع التوفيق في غير محله وعند غير أهله فالله أعلم حيث يجعل هدايته وتوفيقه وفضله  
وليس كل محل يصلح لذلك ووضع الشيء في غير محله لا يليق بحكمته فان قلت وعلى ذلك فهلا جعل  
الحال كلها صالحة قلت يأباه كمال ربوبيته وملكوته وظهور آثار أنبائه وصفاته في الخلق والامر وهو  
سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوها له فانه يجب أن يذكر ويشكر ويطاع ويوحده ويسبده ولكن كان ذلك  
يستلزم قوات ما هو أحب اليه من استواء اقدام الخلائق في الطاعة والايمان وهو محبة لجهار أعدائه  
والانتقام منهم وانظار قدر أوليائه وشرفهم وتخصيصهم بفضله وبذل نفوسهم له في معاداة من عاداه  
وظهور عزه وقدرته وسلطوته وشدة أخذه وأليم عقابه واضاف اضماف هذه الحكم التي لا سبيل  
للخلق ولو تاهوا في العلم والمعرفة الى الاحاطة بها ونسبة ما عقلوه منها الى ما خفي عليهم كنقرة عصفور  
في بحر

(فصل) وأما الذين فقال تعالى (وكذلك زيننا لكل أمة عملهم) وقال: أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا  
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فاضاف الذين اليه  
منه سبحانه خلقا ومشينة وحذف قاعله تارة ونسبه الى سببه ومن أجرا على يده تارة وهذا الذين  
سبحانه حسن اذ هو ابتلاء واختبار بعيد ليشتم المطيع منهم من العاصي والمؤمن من الكافر كما قال  
تعالى (انا جعلنا ما على الارض زينة لما تبلوهم ايهم أحسن عملا) وهو من الشيطان قبيح وأيضا فزيينه  
سبحانه للبعد عمله السيئ عقوبة منه له على اعراضه عن توحيد عبوديته واينثار سبي العمل على  
حسنه فانه لا بد أن يعرفه سبحانه السيئ من الحسن فاذا أثر القبيح واختاره وأجبه ورضيه لنفسه  
زينه سبحانه له وأعمده عن رؤية قبيحه بعد أن رآه قبيحا وكل ظالم وفاجر وفسق لا بد أن يريه الله  
تعالى ظلمه وجور مفسده قبيحا فاذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه فرمى بآراء حسنا عقوبة  
له فانما يكشف لعن قبيحه بالنور الذي في قلبه وهو حجة الله عليه فاذا تمادى في غيه وظلمه ذهب

ذلك الثور فلم يرفقه في ظلمات الجهل والفسوق والظلم ومع هذا حجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتصريف الأول قزوين الرب تعالى عدل وعقوبته حكمة وتزيين الشيطان إغواء وظلم وهو السبب الخارج عن العبد والسبب الداخل فيه حبه وبنفضه وأعراضه والرب سبحانه خالق الجميع والجميع واقع بمشيئته وقدرته ولو شاء لهدى خلقه أجمعين والمصوم من عصمه الله والمخدول من خذله الله آلاله الخلق والامر ببارك الله رب العالمين

(فصل) وأما عدم مشيئته سبحانه وإرادته فكما قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطلع قلوبهم) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وعدم مشيئته لشيء مستلزم لعدم وجوده كما أن مشيئته تستلزم وجوده فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده وقد أخبر سبحانه أن العباد لا يشاؤون إلا بعد مشيئته ولا يفعلون شيئا إلا بعد مشيئته فقال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقال (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) فإن قيل فهل يكون الفعل مقدورا للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله قيل إن أريد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل ومحة أعضائه ووجود قواه وتمكينه من أسباب الفعل وتهبته طريق فعله وفتح الطريق له فثم هو مقدور بهذا الاعتبار وإن أريد بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهي الموجبة له التي إذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار وتقرر ذلك أن القدرة نوعان قدرة مصححة وهي قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف وهذه مقدمة على الفعل غير موجبة له وقدرة مقارنة للفعل مستلزمة له لا يتخلف الفعل عنها وهذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فإيمان من لم يشأ الله إيمانه وطاعة من لم يشأ طاعته مقدور باعتبار الأول غير مقدور باعتبار الثاني وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق كما يأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى فإذا قيل هل خلق لمن علم أنه لا يؤمن قدرة على الإيمان أم لم يخلق له قدرة قيل خلق له قدرة مصححة مقدمة على الفعل هي مناط الامر والتهيؤ ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل مستلزمة له لا يتخلف عنها فهذه فضله يؤتيه من يشاء وتلك عدله التي تقوم بها حجة على عبده فإن قيل فهل يمكنه الفعل ولم يخلق له هذه القدرة قيل هذا هو السؤال السابق بعينه وقد عرفت جوابه وبالله التوفيق.

(فصل) وأما إمامة قلوبهم ففي قوله (أنك لا تسمع الموتى) وقوله (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقوله (لنذر من كان حيا) وقوله (وما أنت بمسمع من في القبور) فوصف الكافر بأنه ميت وأنه بمنزلة أصحاب القبور وذلك أن القلب الحى هو الذى يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فإذا مات القلب لم يبق فيه احساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا إرادة للحق وكرهية للباطل بمنزلة الجسد الميت الذى لا يحس ببلذة الطعام والشراب وألم تقدمهما وكذلك وصف سبحانه كتابه ووجهه بأنه روح لحصول حياة القلب به فيكون القلب حيا ويزداد حياة بروح الوحي فيحصل له حياة على حياة ونور على نور الوحي على نور الفطرة قال (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا تهدى به من نشاء من عبادنا) فجعله روحا لم يحصل

به من الحياة ونور الما يحصل به من الهدى والاضاءة وذلك نور وحياء زائدة على نور الفطر وحياتها فهو نور على نور وحياء على حياة ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلا بمثل متوقد النار التي ذهب عنه ضوؤها وبصاحب الصيب الذي كان حظه منه الصواعق والظلمات والرعد والبرق فلا استثار بما أوقد من النار ولا حي بما في الصيب من الماء ولذلك ضرب هذين المثلين في سورة الرعد ملء استجاب له تحصل على الحياة والنور ولمن لم يستجبه له وكان حظه الموت والظلمة فأخبر عن أمسك عنه نوره بأنه في الظلمة ليس له من نفسه نور فقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور ولم يجعله فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) أو كظلمات في بحر لمحي ينشأ موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا فلما من نور وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فذلك أقول جف القلم على علم الله وقال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم) وهذه الظلمات ضد الانوار التي يتقلب فيها المؤمن فان نور الايمان في قلبه ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور ومشيته في الناس نور وكلامه نور ومعيه الى نور والكافر بالضد ولما كان النور من أسمائه الحسن وصفاته كان دينه نورا ورسوله نورا وكلامه نورا وداره نورا يتلأأ والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجرى على السنتهم ويظهر على وجوههم وكذلك لما كان الايمان واسمه المؤمن لم يعطه إلا أحب خلقه اليه وكذلك الاحسان صفته وهو المحسن ويجب المحسنين وهو صابر يجب الصابرين شاكر يجب الشاكرين عفو يجب أهل العفو حتى يجب أهل الحياء ستر يجب أهل السر قوى يجب أهل القوة من المؤمنين علم يجب أهل العلم من عباده جواد يجب أهل الجود جميل يجب المتجملين بر يجب الابرار رحم يجب الرحماء عدل يجب أهل العدل رشيد يجب أهل الرشاد وهو الذي جعل من يجه من خلقه كذلك وأعطاه من هذه الصفات ملثاء وأمسكها عن ينفضه وجعله على أصدائها فهذا عدله وذاك فضله والله ذو الفضل العظيم

**فصل** وأما جعله القلب قاسية فقال تعالى (فما تقضهم ميثاقهم لنهائم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) والقسوة الشدة والصلابة في كل شيء قال حجر قاس وأرض قاسية لا تثبت شيئا قال ابن عباس قاسية عن الايمان وقال الحسن طبع عليها والقلوب ثلاثة قلب قاس وهو الباس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تطيع فيه وضد القلب اللين التماسك وهو السلم من المرض الذي يقبل صورة الحق يليه ويحفظه تماسكه بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما يطيع فيه ليمانه ورخاوة كالمائع الذي اذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين ولكن رخاوة تمنعه من حفظها غير القلوب القلب الصلب الصافي اللين فهو يرى الحق بصفاته وقلبه يليه

ويحفظه بصلابته وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم القلوب آية الله في أرضه فأجها إليه أصلها وأرقها وأصفها وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ولبيع الذين أتوا العلم أنه الحق من ربهم يؤمنون) فاختب له قلوبهم فذكر القلب المريض وهو الضعيف المتحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبل ولا تطيع فيه فهذان القلبان شقيان مبذبلان ذكر القلب المحبب المطمئن إليه وهو الذي يتنفع بالقرآن ويذكره قال الكلبي فاختب له قلوبهم فترقة للقرآن قلوبهم وقد بين سبحانه حقيقة الأخبات ووصف المحبتين في قوله (وبشر المحبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أساءهم والمقيمين الصلاة وما رزقناهم ينفقون) فذكر للمحبتين أربع علامات وجل قلوبهم عند ذكره والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة وصبرهم على أقداره وأتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرا وباطنا واحسانهم الى عبادهم بالانفاق بما آتاهم وهذا انما يتأتى للقلب المحبب قال ابن عباس المحبتين المتواضعتين وقال مجاهد المطمئنين الى الله وقال الأحنف الحاشمتين وقال ابن جرير الحاضعتين قال الزجاج اشتقاقه من الحبب وهو المنخفض من الارض وكل غبت متواضع فالأخبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله فان قيل فاذا كان معناه التواضع والخشوع فكيف عدى إلى في قوله (واخبتوا الى ربهم) قيل ضمن معنى أتوا وأطعوا وتواضعوا وهذه عبارات السلف في هذا الموضوع والمقصود ان القلب المحبب ضد القاسي والمريض وهو سبحانه الذي جعل بعض القلوب محببا إليه وبعضها قاسيا وجعل للقسوة آثارا وللأخبات آثارا فنحن آتاء للقسوة تحريف الكلم عن مواضعه وذلك من سوء الفهم وسوء التقصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ومنها نسيان ما ذكره وهو ترك ما أمر به علما وعملا ومن آثار الأخبات وجل القلوب لذكره سبحانه والصبر على أقداره والاخلاص في عبوديته والاحسان الى خلقه

﴿نصل﴾ وأما تضيق الصدر وجعله حرجا لا يقبل الايمان فقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) والحرج هو التضيق في قول أهل اللغة جميعهم يقال رجل حرج وحرج أى تضيق الصدر قال الشاعر  
 \* لإحرج الصدر ولا عتيف \* وقال عبيد بن عمير قرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قالوا الوادئ الكثير الشجر الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال إيتوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا فأثوبه فقال عمر ياتني ما الحرجة فيكم فقال الشجرة تحمد بها الأشجار الكثيرة فلانصل إليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب الكافر لا يصل إليه شيء من الخير قال ابن عباس يجعل صدره ضيقا حرجا إذا سمع ذكر الله أشاء قلبه وإن ذكر شيء من عبادة الأصنام ارتاح الى ذلك ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والمحبة والانتابة وكانت هذه الأشياء إنما تدخل في القلب إذا اتسع لها فاذا أراد الله هداية عبد وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته وإذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه فلم يجد محلا يدخل فيه فيبدل عنه ولا يسكنه وكل اناء فارغ اذا دخل فيه الشيء ضاق به وكلما أفرغت فيه الشيء ضاق الا القلب الالين فيكلما أفرغ فيه الايمان والعلم اتسع وانسع



وهذا من آيات قدرة الرب تعالى وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل النور القلب اتضح وانشرح قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الاثابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الضرر والاستعداد للموت قبل نزوله فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى وتضيقة من أسباب الضلال كما ان شرحه من أجل التعم وتضيقة من أعظم التعم فالؤمن منشراح الصدر منفسحه في هذه الدار على ما ناله من مكروهها واذا قوى الايمان وخلطت بشاشته القلوب كان على مكارها انشرح صدرا منه على شهوراتها ومخاها فاذا فارقتها كان انفساح روحه والنشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير كحال من خرج من سجن ضيق الى قضاء واسع موافق له فانها سجن المؤمن فاذا بعث الله يوم القيامة رأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله اليه فشرح الصدر كما سبب الهداية فهو أشل كل نعمة وأساس كل خير وقد سأل كلهم الرحمن موسى بن عمران ربه أن يشرح له صدره لما علم انه لا يمكن من تبليغ رسالته والقيام بأعبائها الا اذا شرح له صدره وقد عدد سبحانه من نعمه على خاتم أنبيائه ورسله شرح صدره وأخير عن أتباعه انه شرح صدورهم للإسلام \* فان قلت فاما الاسباب التي تشرح الصدور والتي تضيقه قلت السبب الذي يشرح الصدر الثور الذي يغذفه الله فيه فاذا دخله ذلك الثور اتسع بحسب قوة الثور وضعفه واذا فقد ذلك الثور أضيق وتضايق \* فان قلت فهل يمكن اكتساب هذا الثور أم هو وهى قالت هو وهى وكسبي واكتسابه أيضا مجرد موهبة من الله تعالى فالامر كله لله والحد كله له والخير كله بيده وليس مع البعد من نفسه شئ البتة بل الله واهب الاسباب وميسرتها وتباعها أسبابا ومنحها من يشاء وما نالها من يشاء اذا أراد ببعد خيرا وقفه لاستفراغ وسعته وبذل جهده في الرغبة والرهبة اليه فانها ماذا التوفيق فيقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق \* فان قلت فالرغبة والرهبة بيده لا بيد البعد قلت نعم والله وهما مجرد فضله ومته وانما يجيها في الحال الذي يليق بهما ويحبسهما عن لا يصلح لهما فان قلت فما ذنب من لا يصلح قلت أكثر ذنوبه انه لا يصلح لان صلاحيته بما احتاره لنفسه وآثره واجبه من الضلال والذي على بصيرة من أمزه فآثر هواءه على حق وبه ومرضاته واستجب العمى على الهدى وكان كفر التعم عليه بصنوف التعم وتوجداً لهيته والشرك به والسعي في مساخطه أحب اليه من شكره وتوحيده والسعي في مرضاته فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكه وأى ذنب فوق هذا فاذا أسلك الحكم العدل توفيقه عن هذا شأنه كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد فاطلم قلبه فضاق عن دخول الاسلام والايمان فيه فلو جاءته كل آية لم تزد الا ضلالا وكفرا واذا تأمل من شرح الله صدره للإسلام والايمان هذه الآية وما تضمنته من أسرار التوحيد والمذر والعدل وعظمته شأن الربوبية صار قلبه عبودية أخرى ومعرفة خاصة وعلم انه عبد من كل وجه وبكل اعتبار وان الرب تعالى رب كل شئ ومليك من الاعيان والصفات والافعال والامر كله بيده والمجد كله له وأزمة الامور بيده ومرجها كلها اليه ولهذه الآية شأن فوق عقولنا وأجل من أفهامنا وأعظم بمقالاتها المتكلمون الذين ظلموها مناعها وأتعبهم كانوا يظنون بالله لقد غلظت عليها حجباهم وكثفت عنها أفهامهم ومنعهم من الوصول الى المراد بها أصولهم التي أصولها وقوا عدهم التي أسسوها فانها تضمنت اثبات التوحيد والعدل الذي بعث الله به رسله وأنزله به كتبه والعدل الذي يقوله معطلو الصفات ونفاة القدر

وقضت اثبات الحكمة والقدر والشرع والقدر والسبب والحكم والذنب والمعقوبة ففتحت للقلب الصحيح بابا واسعا من معرفة الرب تعالى باسمائه وصفاته كماله ونوره جلاله وحكمته في شرعه وقدره وعدله في عقابه ونفسه في ثوابه وقضت كمال توحده وربوبيته وقبوميته وإلهيته وأن مصادر الأمور كلها عن محض إرادته ومردّها إلى كمال حكمته وأن المهدى من خضه الله هدايته وشرح صدره لدينه وشرعيته وأن الفضل من جمل صدره ضيقا حرجا عن معرفته ومحبة كائنات يتصاعد في السماء وليس ذلك في قدرته وإن ذلك عدلي في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره وجحد كمال ربوبيته وكثر تبعته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته فسد عليه باب توقيفه وهدايته وفتح عليه أبواب غيه وضلاله فضلق صدره وقسا قلبه وتعلقت من عبودية ربها جوارحه وامتلات بالظلمة جوانحه والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والنسيان ورضى بموالة الشيطان وهانت عليه معاداة الرحمن فلا يحدث نفسه بالرجوع إلى مولاه ولا يزعم يوما على إقلاعه عن هواه قد ضاقت الله في أمره بحب ما يفضيه ويهبط ما يحبه وبوالى من يماذيه ويمادى من بواليه بغضب إذا رضى الرب ويرضى إذا غضب هذا وهو يتقلب في أحسانه ويسكن في داره ويتغذى برزقه ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدك منه سبحانه غما يصفه به الجاهلون والظالمون إذا جعل الوحي على أمثال هذا من الذين لا يؤمنون .

﴿فصل﴾ واذا شرب الله صدر عبده بنوره الذى يغذيه في قلبه أراه في ضوء ذلك النور حقائق للأسماء والصفات التى تفضل فيها معرفة البعد اذ لا يمكن أن يعرفها البعد على ما هي عليه في نفس الامر وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان وحقائق العبودية وما يصحها وما يفسدها وتفاوت معرفة الأسماء والصفات والإيمان والأخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور قال تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقال (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستويا على عرش الإيمان في قلب البعد المؤمن فيشهد بقلبه ربا عظيما قاهرا قادرا أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله السموات السبع قبضة إحدى يديه والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والحيا على أصبع والشجر على أصبع والذى على أصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك فالسموات السبع في كفه كخردلة في كف اليد يحيط ولا يحاط به ويحصر خلقه ولا يحصره ويذكرهم ولا يذكر كونه لو أن الناس من لدن آدم إلى آخر الخلق قاموا صفوا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ثم يشهد في علمه فوق كل علم وفي قدرته فوق كل قدر وفي جوده فوق كل جواد وفي رحمته فوق كل رحيم وفي جماله فوق كل جميل حتى لو كان جبال الخلائق كلهم على شخص واحد منهم ثم أعطى الخلق كلهم مثل ذلك الجمال لكانت نسبته إلى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف إلى ضوء الشمس ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حلة العرش ولو كان جودهم على رجل واحد وكل الخلائق على ذلك الجود لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى

البحر وكذلك علم الخلائق اذا نسب الى علمه كان كنفرة عصفور من البحر وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعته وبصره وارادته فلو فرض البحر المحيط بالارض مدادا محيط به سعة البحر وجسيم أشجار الارض شيئا بعد شيء أقلام لفنى ذلك المداد والأقلام ولا تنفى كلماته ولا تنفذ فهو أكبر في علمه من كل عالم وفي قدرته من كل قادر وفي جوده من كل جواد وفي غناه من كل غني وفي علوه من كل عال وفي رحمته من كل رحيم استوى على عرشه واستولى على خلقه متفرد بتدبير مملكته فلا قبض ولا يمس ولا يمنع ولا هدى ولا ضلال ولا ساعدة ولا شقاوة ولا موت ولا حياة ولا تقع ولا ضرر الا ايده لا ممالك غيره ولا مدبر سواه لا يستقل أحد معه بملك مثقال ذرة في السموات والارض ولا له شراكة في ملكها ولا يحتاج الى وزير ولا نظير ولا معين ولا يقبض في خلقه غيره ولا يبيح فيعينه سواه ولا يتقدم أحد بالشقاوة بين يديه الأمن بعد اذنه لمن شاء وفيمن شاء فهو أول مشاهد المعرفة ثم يترقى منه الى مشهد فوقه لا يتم الا به وهو مشهد الألية فيشهد سبحانه متجليا في كماله بأمره ونهيه ووعدده وعويده ونوابه وعقابه وفضله في نوابه فيشهد ربنا قيوما متكلمنا آمرا ناهيا يحب ويغض ويرضى وينضب قد أرسل رسله وأنزل كتبه وأقام على عبادته الحجة البالغة وأتم عليهم نعمته السائفة يهدي من يشاء منه نعمة وفضلا ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا ينزل اليهم أوامره وتعرض عليه أعباؤهم لم يخلفهم عبثا ولم يتركهم سدى بل أمره جار عليهم في حركاتهم وسكناتهم وظواهرهم وبواطنهم فله عليهم حكم وأمر في كل تحريكه وتسكينة ولحظة ولقطة وتكشف له في هذا النور عدله وحكمته ورحمته ولطفه وإحسانه وبره في شرعه وأحكامه وأنها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم قد برزت حكمته الأقول وأقرت بها القطر وشهدت لمنزلها بالوحداية ولما جاء بها بالرسالة والتبوة وتكشف له في ضوء ذلك النور اثبات صفات الكمال وتنزيه سبحانه عن النقص والمثال وان كل كمال في الوجود فمطية وخالقه أحق به وأولى وكل نقص وعيب فهو سبحانه منزّه مثال عنه ويتكشف له في ضوء هذا النور حقائق الماد واليوم الآخر وما أخبره الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عيانا وكأنه يخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه ووعدده وعويده وإخبار من كأنه قد رأى وطأين وشاهد ما أخبره فمن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا فاتسع له وانفتح ومن أراد ضلّاته جعل صدره من ذلك في ضيق وحرّج لا يجد فيه مسلكا ولا منفذا وانه الموفق المعين وهذا الباب يكفي اليب في معرفة التقدير والحكمة ويطلع على العدل والتوحيد الذي تضمنهما قوله (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام)

### الباب السادس عشر

فما جاء في الستة من تفرد الرب تعالى بمخلوق أعمال العباد كما

هو تفرد بمخلوق ذواتهم وصفاتهم

قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد حدثنا علي بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك

عن ربيع بن خراش عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعه قال البخاري وتلا بعضهم عند ذلك (والله خلقكم وما تعملون) حدثنا محمد أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة نحوه موقوفا عليه وأما استشهاد بعضهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) يحمل ماعلى المصدر أى خلقكم وأعمالكم فالظاهر خلاف هذا وإنها موصولة أى خلقكم وخلق الاصنام التى تعملونها فهو يدل على خلق أعمالهم من جهة اللزوم فإن الصنم اسم للآلة التى حل فيها العمل المخصوص فإذا كان مخلوقاً لغيره كان خلقه متاولاً لمادته وصورته قال البخاري وحدثنا عمرو بن محمد حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن طاووس عن ابن عمر كل شئ بقدر حتى وضعت يدك على خدك قال البخاري وحدثني اسحاق بن مالك عن زياد بن جعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس قال أدركت ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر حتى العجز والكيس ورواه مسلم في صحيحه عن طاووس وقال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس قال البخاري وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس (أنا كل شئ خلقناه بقدر) حتى العجز والكيس قال البخاري سمعت عبد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة قال البخاري حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخرك بملكك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمى حاجته قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فقوله إذا هم أحدكم بالأمر صريح في أنه الفعل الاختياري المتعلق بإرادة العبد وإذا علم ذلك فقوله أستقدرك بقدرتك أى أسألك أن تقدرني على فعله بقدرتك ومعلوم أنه لم يسأل القدرة المصححة التى هي سلامة الاعضاء وبحة البنية وإنما سأل القدرة التى توجب الفعل فلم أتمها مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله فانك تقدر ولا أقدر أى تقدر أن تفعل ما أقدر ولا أقدر أن أجعل نيتي كذلك وكذلك قوله تعلم ولا أعلم أى حقيقة العلم بواقف الأمور وما لها والنافع منها والضار عنده وليس عندي وقوله يسر لي أو اصرفه عني فإنه طلب من الله تيسيره أن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه أن كان فيه مفسدة وهذا التيسير والصرف متضمنان لداعية الفعل في القلب أو إلقاء داعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك امتنع الفعل وعند القدرة ترجيح فاعلية العبد على الترك منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير فطلب هذا التيسير منه لا معنى له عندهم فان تيسير الأسباب التى لاقدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد وقوله ثم رضني به يدل على أن حصول الرضا وهو فعل اختياري من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذى يجعل نفسه راضياً وقوله فاصرفه عني واصرفني عنه صريح في أنه سبحانه هو الذى يصرف عبده عن فعله الاختياري إذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى في حق يوسف الصديق (كذلك لنصرف عنه

السوء والفحشاء) وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله اليهما فينصرفان عنه بصرف دواعيهما وقوله وأتدبرني الخير حيث كان يعم الخير المقدور للبد من طاعته وغير المقدور له فلم أن فصل البد للطاعة والخير أمر مقدور لله أن لم يقدره الله لبد له لم يقع من البد ففي هذا الحديث الشفاء في مسألة التقدير وأمر النبي صلى الله عليه وآله تعالى عليه وسلم الداعي بدان يقدم بين يدي هذا الدعاء ركنين عبودية منه بين يدي نحواه وإن يكونا من غير الفريضة ليتجرد فعلهما لهذا الغرض المطلوب ولما كان الفعل الاختياري متوقفا على العلم والقدرة والارادة لا يحصل إلا بما توسل الداعي إلى الله بسلمه وقدرته وارادته التي يؤتيه بها من فضله وأما كذا المعنى يجزوه وبرائه من ذلك فقال أنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأمر الداعي أن يعلق التيسير بالخير والصرف بالشر وهو علم الله سبحانه تحقيقا للتفويض إليه واعترافا بجعل البد بعواقب الأمور كما اعترف بعجزه ففي هذا الدعاء إعطاء العبودية حقها وإعطاء الربوبية حقها وبالله المستعان . وفي الترمذي وغيره من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت أنك تقضي ولا يقضي عليك أنه لا يذل من واليت تباركت وتمالت . فقله اهدني سؤال للهداية المطلقة التي لا تخلف عنها الامتناء وعند القدرة أن الرب سبحانه وتعالى عن قولهم لا يقدر على هذه الهداية وإنما يقدر على هداية البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار وقوله فيمن هديت فيه فوائد أحدها أنه سؤال له أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم الثانية توسل إليه بحسنة وإنعامه أي ياربي قد هديت من عبادك بشرا كثيرا فضلا منك وأحسانا فاحسن إلي كما أحسنت إليهم كما يقول الرجل للملك اجنبي من جملة من أغنيته وأعطيته وأحسن إلي الثالثة أن ما حصل لاولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بانفسهم وإنما كان منك فانت الذي هديتهم وقوله وعافني فيمن عافيت إنما يسأل به العافية المطلقة وهي العافية من الكفر والفسوق والعصيان والفنلة والاعراض وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه فهذا حقيقة العافية ولهذا ما سأل الرب شيئا أحب إليه من العافية لأنها كلمة جامعة لتخلص من الشركه وأسبابه وقوله وتولني فيمن توليت سؤال للتولي الكامل ليس المراد به فقله بالكافرين من خلق القدرة وسلامة الآلة وبيان الطريق فإن كان هذا هو ولايته للمؤمنين فهو ولي الكفار كما هو ولي المؤمنين وهو سبحانه يتولى أوليائه بأمور لا توجد في حق الكفار من توفيقهم والهامهم وجعلهم مهديين مطيعين ويدل عليه قوله أنه لا يذل من واليت فانه منصور عزيز غالب بسبب توليك له وفي هذا تنبيه على أن من حصل له ذل في الناس فهو ينقصان مافاته من من تولى الله والأفعى الولاية الكاملة ينتق الذل كله ولو سلط عليه بالأذى من في أقطارها فهو العزيز غير الذليل وقوله وقني شر ما قضيت يتضمن أن الشر بقضائه فانه هو الذي يقني منه وفي المسند وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لماذا بن حبل يماماذ والله أتى لأجلك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وهذه أفضل اختياري وقد سألت الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لامعنى له عند القدرة فإن الاعانة عندهم الاقدار والتحكين وإزاحة الاعتذار وسلامة الآلة وهذا حاصل للسائل وللکفار أيضا والإعانة التي سألتها أن يجعلها فأكرأ شاكرا محسنا للعبادة كما في حديث ابن

عباس عنه صلى الله عليه وسلم في دعائه المشهور رب أعني ولائني على وانصرني ولا تنصر على وامكر لي ولا تمكر على واحددني ويسر الهدى لي وانصرني على من بغى على رب اجعلني لك شكرا لك ذكرا لك رهبا لك مطوعا لك محتبا لك اواها متبيا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسئل سحبة صدرى رواه الامام أحمد في المسند وفيه أحد وعشرون دليلا فتأملها وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد اقتضاء صلاته لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ففي هذا نفي الشريك عنه بكل اعتبار وأثبت عموم الملك له بكل اعتبار وأثبت عموم الحمد وأثبت عموم القدرة وأن الله سبحانه إذا أعطى عبدا فلا مانع له وإذا منعه فلا معطي له وعند القدرة أن العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطى من منعه فانه يفضل باختياره عطاء ومنعنا لم يشأ الله ولم يجزله معطيا مانعا فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولن يمنع معط وفي الصحيح أن رجلا سأله أن يدلّه على عمل يدخل به الجنة فقال إنه ليس على من يسره الله عليه فقبل على أن التيسير الصادر من قبله سبحانه يوجب اليسر في العمل وعدم التيسير يستلزم عدم العمل لانه ملزومه والمزوم يتبقى لانتفاء لازمه والتيسير بمعنى التمكين وخلق الفعل وإزاحة الاعتار وسلامة الاعضاء حاصل للمؤمن والكافر والتيسير المذكور في الحديث أمر آخر وراء ذلك وبالله التوفيق والتيسير وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا ي مومي الا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقاها بالقبول وهي شافية كافية في أثبات القدر وإبطال قول القدرية وفي بعض الحديث إذا قال العبد قال الله أسلم عبدي واستسلم وفي بعضه فوض الى عبدي قال بعض المتسبين للقدرية كانت القدرة بالنسبة الى الفعل والى الترك بمحصل الدواعي على التسوية ومادام الامر كذلك امتنع صدور الفعل فإذا رجح جانب الفعل على الترك بمحصل الدواعي وإزالة الصوارف حصل الفعل وهذه القوة هي المشار اليها بقولنا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وشأنه الكلمة أعظم مما قال فان العالم العلوي والسفلي له محول من حال الى حال وذلك التحول لا يقع الا بقوة وقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل في هذا كل حركة في العالم العلوي والسفلي وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو ارادية أو طوعية وسواء كانت من الوسط أو الى الوسط أو على الوسط وسواء كانت في الكم أو الكيف أو في الأين كحركة الثببات وحركة الطيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب والقوة على هذه الحركات التي هي حول فلا حول ولا قوة الا بالله ولما كان الكنز هو المال النفس المجتمع الذي يغني على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيتها النبي صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمه الامور بيديه وفوض أمره اليه وفي المسند والسنن عن أبي الدليلى قال آتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه عني من قلبي فقال إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولورحمتهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أفتت مثل أحد ذهبا ما قبله الله

منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولومت على غير ذلك كنت من أهل النار قال قايت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثني بمثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه وله شأن عظيم وهو دال على ان من يتكلم به أعرف الخلق بالله وأعظمهم له توحيدا وأكثرهم له تعظيما وفيه الشفاء الثام في باب العدل والتوحيد فانه لا يزال يجول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والامر والهي وكيف يجتمع العدل والمقاب على المقضى المقدر الذي لا بد للعدل من فعله ثم سلك كل طائفة في هذا المقام واديا وطريقا فسلكت الحيرة وادى الخير وطريق المشيئة الخضة الذي يرجح مثلا على مثل من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة قالوا وكل يمكن عدل والظلم هو المتمتع لذاته فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان متصرفا في ملكه والظلم تصرف القادر في غير ملكه وذلك مستحيل عليه سبحانه قالوا ولما كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم تكن الاعمال سببا للنجاة فكانت رحمته للعباد هي المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطّلوا جانب الحمد والله سبحانه له الملك وله الحمد وسلكت القدرة وادى العدل والحكمة ولم يوفوه حقه وعطّلوا جانب التوحيد وحاروا في هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه وربما قابله كثير منهم بالتكذيب والردنه وان الرسول لم يقل ذلك قالوا وأى ظلم يكون أعظم من تعذيب من استغنى أوقات عمره كلها واستغنى قواه في طاعته وفعل ما يحبه ولم يصبر طرفة عين وكان يعمل باسمه دائما فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان تعذيب هذا يكون عدلا لظلمنا قالوا ولا يقال ان حقه عليهم وما ينبغي له أعظم من طاعتهم فلا تقع تلك الطاعات في مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لمدبهم يحقه عليهم لانهم اذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكلفوا بشيء فكيف يذنبون على ترك ما لاقدرة لهم عليه وهل ذلك الا بجزلة بمدبهم على كونهم لم يخلقوا السموات والارض ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم قالوا فلا وجه لهذا الحديث الا ردّه أو تأويله وحمله على معنى يصح وهو انه لو أراد مدبهم جعلهم أمة واحدة على الكفر فلو عذبهم في هذه الحال لكان غير ظلم لهم وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لمدبهم وهو غير ظالم لهم ثم أخبر انه لو عذبهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ثم أخبر انه لا يقبل من المبد عمل حتى يؤمن بالقدر والتقدير هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها ووقفت طائفة أخرى في وادى الحيرة بين القدر والامر والثواب والعقاب فتارة يغلب عليهم شهود القدر فيغيثون به عن الامر وتارة يغلب عليهم شهود الامر فيغيثون عن القدر وتارة يقولون في حيرة وعسى وهذا كله انما سببه الاصول الفاسدة والقواعد الباطلة التي بنوا عليها ولو جمعوا بين الملك والحمد والربوبية والالوية والحكمة والقدرة وأثبتوا له الكمال المطلق ووسفوه بالقدرة التامة الشاملة والمشيئة التامة النافذة التي لا يوجد كائن الا به وجودها والحكمة البالغة التي ظهرت في كل موجود لعلوا حقيقة الامر وزالت عنهم الحيرة ودخلوا الى الله سبحانه من باب أوسع من السموات السبع وعرفوا انه لا يلبق بكماله المقدس الا ما أخبره عن نفسه على أسنة رسله وان ما خلفه نلتون كاذبة وأوهام باطلة تولدت بين أفكار باطلة وآراء مظلمة فتقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله الرب تبارك اسمه وتعالى جده ولا اله

غيره هو التمتع على الحقيقة يصنوف النعم التي لا يحصى أهل سمواته وأرضه فإعجابهم نعمة منه وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه وإعطاؤهم الاسماع والابصار والقول نعمة منه وإدراار الارزاق عليهم على اختلاف أنواعها وأصنافها نعمة منه وترضهم نفسه بإسماؤه وصفاته وأفعاله نعمة منه وأجرأه ذكره على أنفسهم ومحبة ومعرفة على قلوبهم نعمة منه وحفظهم بعد إيمانهم نعمة منه وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها نعمة منه وهدايتهم إلى أسباب مصالحهم ومعايشهم نعمة منه وذكر نعمة على سبيل التفصيل لا سبيل الإيولا قدرة للبشر عليه ويكنى أن النفس من أدنى نعمة التي لا يكادون يدونها وهو أربعة وعشرون ألف نفس في كل يوم وليلة فله على البعد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم وليلة دع ما عدا ذلك من أصناف نعمة على البعد ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر يستدعيه ويقضيه فإذا وزعت طاعات البعد كما على هذه النعم لم يخرج قسط كل نعمة منها إلا جزء يسير جدا لأن نسبة له إلى قدر تلك النعمة توجه من الوجود قال أنس بن مالك ينشر للبعد يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه ذنوبه وديوان فيه العمل الصالح فيأمر الله تعالى أصغر نعمة من نعمة تقوم فتستوعب عمله كله ثم يقول أي رب وعزتك وجلالك ما استوفيت ثمنى وقد بقيت الذنوب والنعم فإذا أراة الله بعد خيرا قال ابن آدم ضفت حسناتك ونجاوزت عن سيئاتك ووهبت لك لمعى فيأبى وينك وفي صحيح الحاكم حديث صاحب الزمالة الذي عبد الله خمسمائة سنة يأكل كل يوم رمانة تخرج له من شجرة ثم يقوم إلى صلاته فسأل ربه وقت الاجل أن يقبضه ساجدا وإن لا يحمل للأرض عليه سيلا حتى يموت وهو ساجد فإذا كان يوم القيامة وقف بين يدي الرب فيقول تعالى ادخلوا الجنة برحمتي فيقول رب بل بعمل فيقول الرب جل جلاله قايسوا عبادي بنعمتي عليه وعمله فؤخذ نعمة البصر بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبادي النار فبجر إلى النار فينادى رب برحمتك ادخلني الجنة فيقول ردوه فوق بقية بين يديه فيقول يا عبادي من خلقك ولم تكن شيئا فيقول أنت يارب فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يارب فيقول من أتلك في جبل وسط الهبة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل يوم رمانة وأتما تخرج مرة في السنة وسألتني أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك فيقول أنت يارب فيقول الله فذلك وبرحمتي أدخلك الجنة رواه من طريق يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والاسناد صحيح ومثناه صحيح لأرب فيه فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يجو أحد منكم بعمله وفي لفظة لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الآن يتعبدني الله برحمة منه وفضل فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يجي أحد عمله من الأولين ولأمن الآخرين الآن يرجمه ربه سبحانه فتكون رحمة خيرا له من عمله لأن رحمة نجيحه وعمله لا يجيحه فلم أنه سبحانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذب بهم بعض حقه عليهم ومما يوضحه أنه كلما كملت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه وكان ما يطلب به من الشكر أكثر مما يطلب من دونه فيكون حق الله عليه أعظم وأعماله لا تفي بحقه عليه وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف الله وعرف نفسه هذا كله لو لم يحصل للعبد من النعمة والأعراض والذنوب ما يكون في قبالة طاعاته فكيف إذا حصل له من ذلك ما يوازي طاعاته أو يزيد عليها فإن من حق الله على عبده أن يعبد لا يشرك به



شيئا وإن يذكره ولا ينساه وإن يشكره ولا يكفره وإن يرضى به ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وليس الرضا بذلك مجرد إطلاق هذا اللفظ وحاله وأرادته وتكذبه ومخالفه فكيف يرضى به ربا من يستخط ما يقضيه له إذا لم يكن موافقا لأرادته وهواه فيظل ساخطا به متبرما يرضى وربه غضبان ويغضب وربه راض فهذا أنا رضى من ربه حظا لم يرض بالله ربا وكيف يدعى الرضا بالإسلام ديننا من يبتدأ أصوله خلف ظهره إذا خالفت بدعته وهواه وفروعه ورأه أذنا لم يوافق مرغضه وشهوته وكيف يصح الرضا بمحمد رسولا من لم يحكمه على ظاهره وباطنه ويتلق أصول دينه وفروعه من مشكاته وحده وكيف يرضى به رسولا من يترك ما جاء به لقول غيره ولا يترك قول غيره لقوله ولا يحكمه ويحتج بقوله إلا إذا وافق تقليده ومذهبه فإذا خالفه لم يلتفت إلى قوله والقصود أن من حقه سبحانه على كل أحد من عبده أن يرضى به ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا وإن يكون حبه كله لله ويغضبه في الله وقوله لله وتركه لله وإن يذكره ولا ينساه ويطيعه ولا يعصيه ويشكره ولا يكفره وإذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله بل ذلك نفسه من نعم الله عليه حيث وفقه له ويسره وأعانه عليه وجعله من أهله واحتص به على غيره فهو يستدعى شكرا آخر عليه ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبدا فعم الله تعالى بالشكر وأعماله لا تقابلها وذنوبه وغفله وتقصره قد تستغفد عمله فديوان التعم وديوان الذنوب يستغفد أن طاعاته كلها هذا وأعمال العبد مستحقة عليه بمقتضى كونه عبدا مملوكا مستعملا فيما أمر به سيده نفسه مملوكا وأعماله مستحقة بموجب العبودية فليس له شيء من أعماله كأنه ليس له ذرة من نفسه فلا هو مالك لنفسه ولا صفاته ولا أعماله ولا ما بيده من المال في الحقيقة بل كل ذلك ملكوك عليه مستحق عليه ماله أكبر أعظم استحقاقا من سيد اشترى عبدا بئال الله ماله ثم قال اعمل وأدلى فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء فلو عمل هذا العبد من الأعمال ما عمل فإن ذلك كله مستحق عليه لسيده وحق من حقوقه عليه فكيف بالنعم المالك على الحقيقة الذي لا تعد نمته وحقوقه على عبده ولا يمكن أن تقابلها طاعاته بوجه فلو عذبه سبحانه لمذبه وهو غير ظالم له وإذا رحمه فرحمته خير له من أعماله ولا تكون أعماله ثمنا لرحمته البتة فلو لا فضل الله ورحمته ومغفرته ما هنا أحدا عيش البتة ولا عرف خالقه ولا ذكره ولا آمن به ولا أطاعه فكما أن وجود العبد محض وجوده وفضله ومنته عليه وهو المأمود على إيجاده فتوابع وجوده كلها كذلك ليس للعبد منها شيء كإلنيس له في وجوده شيء فالجدة كله لله والفضل كله له والأمان كله له والحق له على جميع خلقه ومن لم ينظر في حقه عليه وتقصره وعجزه عن القيام به فهو من أجهل الخلق يربه وبنفسه ولا تنفعه طاعاته ولا يسمع دعاؤه قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا جري بن حازم عن وهب قال بلغني أن نبي الله موسى مر برجل يدعو ويضرع فقال يارب ارحم فاني قد رحت فاحسني الله تعالى إليه لودعاني حتى ينقطع فؤاده ما استجبت له حتى ينظر في حق عليه والعبد يسير إلى الله سبحانه بين مشاهدة منته عليه ونعمه وحقوقه وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتقريطه واضاعته فهو يعلم أن ربه لو عذبه أشد العذاب لكان قد عدل فيه وإن أفضيته كلها عدل فيه وإن مافيه من الخير فجرد فضله ومنته وصدقته عليه ولهذا كان في حديث سيد الاستغفار أبوه لك بعميتك على وأبوه بذني فلا يرى نفسه إلا مقصرا مذنباً ولا يرى ربه إلا معسنا

مفضلًا وقد قسم الله خلقه الى قسمين لآلئهما تآئين وظالمن فقال (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وكذلك جعلهم قسمين معذبين وآتين فن لم يتب فهو معذب ولا بد قال تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وأمر جمع المؤمنين من أولهم الى آخرهم بالتوبة ولا يستقى من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وعدد سبحانه من جهة نعمه على خير خلقه وأكرمهم عليه وأطوعهم ولأخفاهم له ان تاب عثيه وعلى خواص آتباعه فقال (لقد تاب الله على التائبين) والمهاجرين والانصار الذين أتجوه في ساعة العسرة من بصد ماكد يزبغ قلوب فريق منهم) ثم كرر توبته عليهم فقال (ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم) وقدم توبته عليهم على توبة الثلاثة الذين خلفوا واخبر سبحانه ان الجنة التي وعدھا أهلها في التوراة والانجيل انها يدخلها التائبون فذكر عموم التائبين أولاً ثم خص النبي والمهاجرين والانصار بها ثم خص الثلاثة الذين خلفوا فبذلك احتياج جميع الخلق الى توبته عليهم ومغفرته لهم وعفوه عنهم وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه إليه عفا الله عنك فهذا خبر منه وهو أصدق القائلين أو دعاء لرسوله بغفوه عنه وهو طلب من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده أقرب ما يكون من ربه أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى تمام عليك أنت كما أتيت على نفسك وقال لا طوع نساء الامة وأفضلهن وخيرهن الصديقة بنت الصديق وقد قالت له يارسول الله لئن وافقت ليلة القدر فأدعوا به قال قولي اللهم أنك عفو رحيم الغفواف عني قال الترمذي حديث حسن صحيح وهو سبحانه أحبته للعفو والثوبة خلق خلقه على صفات وهيئات وأحوال فتضى توبتهم اليه واستغفارهم وطلبهم عفوه ومغفرته وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم والله تعالى يحب التوابين والثوبة من أحب الطاعات اليه ويكفي في محبتها شدة فرحه بها كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله أه أفرح بتوبة عبده من أحدكم بمجد ضالته في القلاة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فاستيقظ وقد ذهب فطلبها حتى ادركه العطش ثم قال أرجع الى المكان الذي كنت فيه فأنا ثم أموت فوضع رأسه على ساعده ليحوت فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه قاله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده وفي صحيح مسلم عن التمران بن بشير رفته الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير ثم سار حتى كان بغلاة فأدركته القائلة فزل فقال تحت شجرة فقلبت عينه وانسل بغيره فاستيقظ فسمى شرفاً فلم ير شيئاً ثم سعى شرفاً فأبى ثم سعى شرفاً فمات فمير شيئاً فأقبل حتى أتى الى مكانه الذي قال فيه فينا هو قاعه فيه إذ جاء بغيره يمشي حتى وضع خطامه في يده قاله أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا حين وجد بغيره فتأمل محبته سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها فإن من زعم أن أحداً من الناس يستغنى عنها ولا حاجة

به اليها فقد جهل حتى الربوبية ومرتبة المبودية وينقص عن أغناه بزعمه عن التوبة من حيث زعم أنه معظم له إذ عطله عن هذه الطاعة العظيمة التي هي من أجل الطاعات والقربة الشريفة التي هي من أجل القربات وقال لست من أهل هذه الطاعة ولا حاجة بك اليها فلا قدر الله حتى قدره ولا قدر المبد حتى قدره وقد جعل بعض عباده غنيا عن مغفرة الله وعفوه وتوبته اليه وزعم أنه لا يحتاج الى ربه في ذلك وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب عن أحدكم من رجل كلف على راحلته بأرض فلاة فافلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع وقد يش من راحلته فينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبيدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وأكل الخلق أكلهم توبة وأكثرهم استغفارا وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله أتى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكث من سبعين مرة ولا سمع أبو هريرة هذا من النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول مارواه الامام أحمد في كتاب الزهد عنه أتى لاستغفر الله في اليوم واليلة اثني عشر ألف مرة بقدر ديني ثم ساقه من طريق آخر وقال بقدر ذنبه وقال عبادة ابن الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي هريرة قال ماجلست الى أحد أكثر استغفارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرجل وما جلست الى أحد أكثر استغفارا من أبي هريرة وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبي واتى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي السنن والمسند من حديث ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب علي أنك أنت التواب الرحيم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن عيسى عن حميد بن حلال عن أبي بردة قال جلست الى شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الكوفة فحدثني قال سمعت رسول الله أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل واستغفروه فأتى أنوب الى الله واستغفره كل يوم مائة مرة قال الامام أحمد وتناجي عن شعبة تنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا بردة قال سمعت الأغر يحدث ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى ربكم عز وجل فأتى أنوب اليه في اليوم مائة مرة وقال أحمد ثنا يزيد أنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجنبي من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أسأوا استغفروا وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في أول الصلاة عند الاستفتاح بعد التكبير اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعتزفت بذنبي فأغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لالحسن الاخلاق لا يهدي لالحسن الا أنت ليك وسعديك والخير في يديك وأنا بك واليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك رواه مسلم وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في دعائه اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي بالماء والتلج والبرد وكان يقول هذا سرا لم يعلم به من خلفه حتى سأله عنه أبو هريرة وروى عنه علي بن أبي طالب انه كان اذا استفتح الصلاة قال لا اله الا أنت ظلمت نفسي وعملت سوأ فأغفر لي انه لا يغفر

الذنوب الا أنت وفي الصحيحين انه كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا ومحمدك  
 اللهم اغفر لي وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع  
 رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملأ السموات وملأ الارض وملأ  
 ما شئت من شيء بعد اللهم طهرني بالكحل والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى  
 الثوب الأبيض من الوسخ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 كان يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره وفي مسند الإمام  
 أحمد انه كان يقول في سلاته اللهم اغفر لي ووسع علي في ذاتي وبارك لي فيما رزقتني وفي صحيح  
 مسلم عن فروة بن نوفل قال قلت لمائشة حديثي بشي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به  
 في صلاته قالت نعم كان يقول اللهم اني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم وكان يقول بين  
 السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني وكان يقول في قيامه الى الصلاة لليل  
 اللهم لك الحمد الحديث وفيه فاعف عن ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما  
 أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري  
 وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وحقيقة الامر ان العبد فقير  
 الى الله من كل وجه وبكل اعتبار فهو فقير الى الله من جهة ربوبيته له واحسانه اليه وقيامه بمصالحه  
 وتديره له وفقير اليه من جهة إلهيته وكونه مصوبه وإلهه ومحجوبه الاعظم الذي لا سلاح له ولا فلاح  
 ولا نعيم ولا سرور الا بان يكون أحب شيء الى الله فيكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله ووالده  
 وولده ومن الخلق كله وفقير اليه من جهة معاقبته له من أنواع البلاء فانه لم يعافه منها هلك  
 بعضها وفقير اليه من جهة عفوه عنه ومغفرته له فان لم ينف عن العبد ويفر له فلا سبيل الى  
 النجاة فأنجي أحد الابدان ولا دخل الجنة الا برحمة الله وكثير من الناس ينظر الى نفس ما يتأب  
 منه فيراه قصا ولا ينظر الى كمال الغاية الحاصلة بالتوبة وان العبد بعد التوبة النصوح خير منه قبل  
 الذنب ولا ينظر الى كمال الربوبية وتفرد الرب بالكمال وحده وان لوازم البشرية لا يفك منها  
 البشر وان التوبة غاية كل أحد من ولد آدم وكآله كما كانت هي غايته وكآله فليس للعبد كمال بدون  
 التوبة البتة كما أنه ليس له انفسك عن سببها فانه سبحانه هو المتفرد المستأثر بالثبني والحمد من كل  
 وجه وبكل اعتبار والعبد هو الفقير المحتاج الى المضطر اليه بكل وجه وبكل اعتبار فرحمته للعبد خير  
 له من عمله فان عمله لا يستقل بنجاحه ولا سعادته ولو وكل الى عمله لم ينج به البتة فهذا بعض ما يتعلق  
 بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم وما  
 يوضحه ان شكره سبحانه مستحق عليهم بمجة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومحاليه وذلك يوجب  
 عاقبتهم ان ينفروهم ويضطموه ويقرؤا اليه وتقربوا اليه تقرب العبد المحب الذي يتقلب في نعمه ولا غناه  
 به عنه طريقة عين فهو يدأب في التقرب اليه بمجده ويستغفر في ذلك وسعه وطاقته ولا يعدل به سواء  
 في شيء من الأشياء ويؤثر رضا سيده على ارادته وهواه بل لا هوى له ولا ارادة الا بما يريد سيده  
 ويحبه وهذا يستلزم علوما وأعمالا وارادات وغرائم لا يمارضا غيرها ولا يبقى له منها التفات الى

غيره بوجه ومعلوم ان ما يطبع عليه البشر لا يني بذلك وما يستحقه الرب تعالى لذاته وانه أهل أن  
يمد أعظم مما يستحقه لاسانه فهو المستحق لتأية العبادة والخضوع والذل لذاته ولإسائه وإنامه  
وفي بعض الآثار لو لم أخلق جنة ولا ناراً لكنت أهلاً أن أعبد ولهذا يقول أعبد خلقه له يوم  
القيامة وهم الملائكة سبحانه ما عبدك حق عبادتك فن كرمه وجوده ورحمته ان رضى من  
عباده بدون اليسير مما ينبغي ان يمد به ويستحقه لذاته وإحسانه فلا نسبة للواقع منهم الى ما يستحقه  
بوجه من الوجوه فلا يسهم الا عفوه وتجاوزوه وهو سبحانه أعلم بعباده منهم بأنفسهم فلو عذبهم  
لمذهب بما يلهيه منهم وان لم يحيطوا به علماً ولو عذبهم قبل أن يرسل رسوله اليهم على أعمالهم لم يكن  
ظالماً لهم كما أنه سبحانه لم يظلمهم بمقتله لهم قبل ارسال رسوله على كفرهم وشركهم وقبائحهم فانه  
سبحانه نظر الى أهل الارض ففتحهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ولكن أوجب على  
نفسه اذ كتب عليها الرحمة أنه لا يمتدب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه برسائله ورسائله وسر المسئلة انه  
لما كان شكر النعم على قدره وعلى قدر نعمه ولا يقوم بذلك أحد كان حقه سبحانه على كل أحد  
وله المطالبة به وان لم يغفر له ويرحمه والا عذبه فحاجتهم الى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم الى  
حفظه وكلامته ورزقه فان لم يحفظهم هلكوا وان لم يرزقهم هلكوا وان لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا  
وخسروا ولهذا قال أبوهم آدم وأمه حواء (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من  
الخاسرين) وهذا شأن ولده من بعده وقد قال موسى كلمه سبحانه (رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى)  
وقال (سبحانك تبت اليك وأنا اول المؤمنين) وقال (رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وأنت  
أرحم الراحمين) وقال (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وقال خليله ابراهيم (رب اجعلنى  
مقيم الصلاة ومن ذريقى ربنا وقبيل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)  
وقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى قوله والذى أطعم أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين وقال أول رسله  
الى أهل الارض رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من  
الخاسرين وقال لا كرم خلقه عليه وأحبه اليه (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وقال (أنا أنزلنا  
اليك الكتاب بالحق الى قوله واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما وقال (أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً  
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) وقد تقدم  
حديث ابن عباس في دعائه صلى الله عليه وسلم رب اغفر لى ولا تمن على وفيه رب قبل توبتي واغسل  
حوقى الحديث وقد أخبر سبحانه عن أعبد البشر داود انه استغفر ربه وخر راکماً وأناب وقال  
تعالى (فغفرنا له ذلك) وقال عن نبيه سليمان (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال  
رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقال عن نبيه يونس انه  
ناداه في الظلمات (لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين) وقال صديق الامة وخيرها وأبرها  
وأقها لله بعد رسوله يارسول الله علمنى دعاء أدعوه به في صلاتي فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى  
ظلماً كبيراً ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم  
فاستفتح الخبر عن نفسه باداء التوكيد التى تقتضى تقرير ما بعدها ثم ثنى بالإخبار عن ظلمه لنفسه ثم  
وصف ذلك الظلم بكونه ظلماً كبيراً ثم طلب من ربه ان يغفر له بمغفرة من عنده أى لا يبلغها

علمه ولا سعيه بل هي محض منتهاه واحسانه وأكبر من عمله فإذا كان هذا شأن من وزن بالامة  
فرجع بهم فكيف بمن دونه

### الباب السابع عشر

في الكسب والجبر ومعناها لغة واصطلاحاً واطلاقها نفيًا وإثباتًا

وما دل عليه السمع والعقل من ذلك \* أمّا الكسب فاصله في اللغة الجمع قاله الجوهري وهو طلبُ  
الرزق يقال كسبت شيئاً واكتسبته بمعنى وكسبت أهلي خيراً وكسبت الرجل مالا فكسبه وهذا بما  
جاء على فله قتل والكواصب الجوارح وتكسب تكاف الكسب انتهى والكسب قد وقع في القرآن  
على ثلاثة أوجه أحدها عقد القلب وعزمه كقوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن  
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) أي بما عزمتم عليه وقصدتموه وقال الزجاج أي يؤاخذكم بزمكم على  
أن لا تبرأ وأن لا تموتوا وأن تملوا في ذلك بأنكم حلفتم وكأنه التفت إلى لفظ المؤاخذه وأنها تقتضي  
تعذيباً فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان العين والقول الاول أصح وهو قول  
جمهور أهل التفسير فإنه قابل به لغو العين وهو أن لا يقصد العين فكسب القلب المقابل للغو العين  
هو عقده وعزمه كما قال في الآية الأخرى (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان) فتعديده الإيمان هو  
كسب القلب (الوجه الثاني) من الكسب كسب المال من التجارة قال تعالى (يأبها الذين آمنوا أتقوا  
من طيات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض) فالاول للتجار والثاني للزراع (الوجه الثالث)  
من الكسب السعي والعمل كقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها لما كسبت وعليها ما اكتسبت)  
وقوله (بما كنتم تكسبون) وذكر به أن يسئل نفس بما كسبت فهذا كله للعمل واختلف الناس في  
الكسب والاكتساب هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق فقالت طائفة معناهما واحد قال أبو الحسن  
على بن أحمد وهو الصحيح عند أهل اللغة ولا فرق بينهما قال ذو الرمة  
\* ألقي أباه بذاك الكسب يكتسب \* وقال الآخرون لا اكتساب أخص من الكسب لان الكسب  
ينقسم الى كسبه لنفسه ولغيره ولا يقال يكتسب قال الخطيب

ألقيت كاسهم في قمر مظلمة فافغر هذاك ملك الناس يا عمر

قلت والاكتساب اقتعال وهو يستدعي اهتئاماً وتعملاً واجتهاداً وأما الكسب فيصح نسبته بآدنى  
شئ ففي جانب الفضل جعل لما مالاً فيه أدنى سعى وفي جانب العدل لم يجعل عليها الا مالاً فيه اجتهد  
واهتئام وأما الجبر فيرجع في اللغة الى ثلاثة أصول أحدها أن يفنى الرجل من فقر أو يجبر عظمه  
من كسر وهذا من الاصلاح وهذا الاصل يستعمل لازماً ومتعدياً يقول جبريت العظم وجبر وقد  
جمع العجاج بينهما في قوله \* قد جبر الدين الإله بغير \* الاصل الثاني الإكراه والقهر وأكثر  
ما يستعمل هذا على أفضل يقال اجبرته على كذا إذا كرهته عليه ولا يكاد يجيء جبرته عليه الا  
قليلاً والاصل الثالث من العز والامتناع ومنه نحلة جبراة قال الجوهري والحيار من التخل ما طال  
وفات اليد قال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله عليه بابيل من الطير تنب

وقال الاخفش في قوله تعالى ان فيها قوما جبارين قال أراد الطول والقوة والعظم ذهب في هذا الى الجبار من التخل وهو الطويل الذي قات الايدى ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبها بالجبار من التخل قال قتادة كانت لهم اجسام وخلق عجيب ليست لغيرهم وقيل الجبار ههنا من جبره على الامر اذا اكرهه عليه قال الازهرى وهي لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها وكان السلفي رحمه الله يقول جبره السلطان ويجوز أن يكون الجبار من أجبره على الامر اذا اكرهه قال الفراء لم أسمع فعلا من أفضل الا في حرفين وهما جبار من أجبر ودراك من أدرك وهذا اختيار الزجاج قال الجبار من الناس الماتى الذى يجبر الناس على ما يريد وأما الجبار من أساء الرب تعالى فقد فسره بانه الذى يجبر الكبير ويغنى الفقير والرب سبحانه كذلك ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار ولهذا قرنه باسمه المتكبر وأما هو الجبروت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة فالجبار اسم من أسماه العظيم كالتكبر والملك والعظيم والقهار قال ابن عباس في قوله تعالى الجبار المتكبر هو العظيم وجبروت الله عظمته والجبار من أسماه الملوك والخواير الملك والحيازة الملوك قال الشاعر \* وأنعم صاحباً أيها الخير \* أى أيها الملك وقال السدى هو الذى يجبر الناس ويضربهم على ما يريد وعلى هذا فالجبار معناه القهار وقال محمد بن كعب انما سمي الجبار لانه جبر الخلق على ما أراد والخلق أذق شأنا من أن يعصوا ربهم طرفة عين الا بمشيئته قال الزجاج الجبار الذى جبر الخلق على ما أراد وقال ابن الانبارى الجبار في صفة الرب سبحانه الذى لا يتايل ومنه قولهم نخلة جبارة اذا قامت يد المتناول فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع الى ثلاثة معان الملك والقهر واللو بان النخلة اذا طالت وارتفعت وقامت الايدى سميت جبارة ولهذا خيل سبحانه اسمه الجبار مقرونا بالعزيز والمتكبر وكل واحد من هذه الاسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين وهذه الاسماء الثلاثة نظير الاسماء الثلاثة وهى الخالق البارئ المصور فالجبار المتكبر مجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز كما ان البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق فالجبار من أوصافه يرجع الى كمال القدرة والعزة والملك ولهذا كان من أسماؤه الحسنى وأما الخلق فأتصافه بالجبار ذم له ونقص كما قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار رأى مسلط قهرهم وتكرهمهم على الإيمان وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال القر يظلمهم الناس

﴿فصل﴾ اذا عرف هذا فلفظ الكسب تطلقه القدرة على معنى والجبرية على معنى وأهل السنة والحديث على معنى فكسب القدرة هو وقوع الفعل عندهم بإيجاد المبدأ واحداً ومشيشته من غير أن يكون الله شاه أو أوجده وكسب الجبرية لفظ لا معنى له ولا حاصل نعمته وقد اختلفت عباراتهم فيه وضربوا له الامثال وأطالوا فيه المقال فقال القاضي الكسب ما وجدوا عليه قدرة محدثة وقيل أنه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث وقيل أنه المقدور بالقدرة الحادثة قالوا ولستأريد بقولنا ما وجدوا عليه قدرة محدثة أنها قدرة على وجوده فان القادر على وجوده هو الله وحده وأما نحن بذلك ان للكسب تملقا بالقدرة الحادثة لأمن باب الحدوث والوجود وقال الاسفرائينى حقيقة الخلق من الخالق وقوعه بقدرة من حيث صح أفراداه به وحقيقة الفعل وقوعه بقدرة وحقيقة

الكسب من المكتسب وقوعه بقدرته مع اقتراده به ويختص القديم تعالى بالخلق ويشترك القديم  
والحدث في القتل ويختص بالحدث بالكسب قلت مراده ان اطلاق لفظ الخلق لا يجوز الا على الله  
وحده واطلاق لفظ الكسب يختص بالحدث واطلاق لفظ القتل يصح على الرب سبحانه والعبد  
وقال أيضا كل فعل يقع على التعاون كان كسبا من المستعين قلت يريد ان الخلق يستقل بالخلق  
والايجاد والكسب اما يقع منه الفعل على جهة المماواة والمشاركة منه ومن غيره لا يمكنه أن يستقل  
بإيجاد شيء البتة وقال آخرون قدرة المكتسب تعلق بمقدوره على وجهه ما وقدرة الخالق تشمل به  
من جميع الوجوه قالوا وليتق كون الفعل كسبا من حقائقه التي تخصه بل هو معنى طرأ عليه كما  
يقول منازعوننا من المعتزلة ان هذا الحركة لطف وهذا الفعل لطف وصيغة أفعل تصير أمرا بالإرادة  
لأنها حدثت بالإرادة واعتقاد الشيء على ما هو به يصير علما بسكون النفس اليه لانه يحدث كذلك به  
والاشياء قد تتقن في الوجود فتغير أوصافها وأحكامها قالوا فالحركة اذا صادفت المتحرك بها على  
وجه مخصوص تسمى سباحة مثلا ولطما ومشيا ورقصا وقال الأشعرى وابن الباقلاني الواقع بالقدرة  
الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه  
معلوما ولخص بعض متأخريهم هذه الببارات بان قال الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين  
القدرة الحادثة والفعل فان الله سبحانه أجرى المادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وادارته لاهمافها  
الاقتران هو الكسب ولهذا قال كثير من العقلاء ان هذا من محالات الكلام وانه شقيق أحوال أبي  
هاشم وطرقة النظام والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه الفالولون به كلاما وشيء من ذلك غير معقول  
ولا متصور والذي استقر عليه قول الأشعرى ان القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدوره وما يقع  
المقدور ولا صفته من صفاته بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه وتابعه  
على ذلك عامة أصحابه والقاضي أبو بكر يوافقه مرة ومرة يقول القدرة الحادثة لا تؤثر في اثبات القات  
واحداثها ولكنها تقتضى صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالا له ثم تارة يقول تلك الصفة التي  
هي من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى ولم يتمتع من اثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا  
الوجه وقد اضطربت آراء اتباع الأشعرى في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا  
كثيرا وقد ذكره كما أبو القاسم سليمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد وذكر اختلاف طرائقهم  
واضطرابهم فيه ثم قال وقد قال الأستاذ في المختصر قول أهل الحق في الكسب لا يرجع الى اثبات  
قدرة للعبد عليه كما يقال أنه معلوم له الا ان الامام ادعى على الأستاذ انه أثبت للقدرة الحادثة أثر في  
الحدوث فانه لما نفي الاحوال وأثبت للقدرة الحادثة أثرا فلا يخل الجمع بينهما الا أن يكون الأثر في  
الحدوث ثم ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وأقرده به عن الاحتجاب وهو  
قريب من مذهب المعتزلة والخلاف بينه وبينهم فيه في الاسم قال وهذه المقدمة التي تورط الاصحاب  
فيها في الكسب شبيهة بالمقدمة التي وقعت بين الأئمة في القراءات والمقروء قال وما ذكره الامام في النظامية  
له وجه غير انه مما أقرده بطلانه ولكل ناظر نظره والله يرحمنا وإياه قلت الذي قاله الامام في النظامية  
أقرب الى الحق مما قاله الأشعرى وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال قد قرر  
عند كل حاطة يعقله متروك عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه يطالب عباده



بإعمالهم في حياتهم ودوايعهم اليها ومشيهم ومعاقهم عليها في مآلهم وتبين بالتصوص التي لا تعرض  
للتأويلات أنه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به ومكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف  
عن مواقع الزجر ولو ذهبت اتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرأ ولا حاجة الى ذلك مع  
قطع السبب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن الفواحش  
الموقوت وما يبط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من  
تصديق المرسلين في الانباء عما يتوجه على المردة العتاة من الحساب والعقاب وسوء الثقلب والمآب  
وقول الله لهم لم تعدتم وعصيتم وأيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل  
وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس على حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة  
على حسب إيتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله  
ففي المصير اليه أنه لا أثر لقدرة البعد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون  
فان زعم من لم يوفق لتبليغ الرشاد أنه لا أثر لقدرة البعد في مقدوره أصلا وإذا طوبى بمتعلق بطلب  
أنه بفعل البعد محرم ما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال الله أن يفعل ما يشاء ولا يتعرض  
للاعتراض عليه المعترضون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق  
أريد بها بطل نعم بفعل الله ما يشاء وبحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف وقيض الصدق وقد  
فهنا بضرورات المقول من الشرع المتقول أنه عزت قدرته طالب عباد بما أخبر أنهم يمكنون من  
الوفاء به فلم يكلفهم الا على مبلغ الطاقة والوسع في مواضع الشرع ومن زعم أنه لا أثر لقدرة الحادثة  
في مقدورها كما لا أثر للعلم في معلومه فوجه مطالبة البعد بإفاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه  
ألا تاودرا كالت وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والحال وفيه إبطال الشرع ورد  
مأمله به التبيين فإذا زعم المصير بان القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها واستحال إطلاق القول بان  
البعد خالق أعماله فان فيه الخروج عما درج عليه سلف الامة واقترام ورطات الضلال ولا سبيل  
الى المصير الى وقوع فعل البعد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه  
بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع قدرة الله استقل بها وأسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل  
ان يقع بضه بقدرة الله تعالى فان الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا  
مرشد موفق اذ المرء بين أن يدعى الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع  
وفيه إبطال دعوة المرسلين وبين أن يثبت نفسه شريكا لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام  
بجمعها باطلة ولا ينجي من هذه الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان  
قالوا لا قال البعد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب سبحانه خالق لما البعد مكتسب له قيل له  
فما الكسب وما مشاء وأديرت الاقسام المتقدمة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا ثم قال فتقول قدرة  
البعد مخلوقة لله تعالى بانفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ولكنه  
يضاف الى الله سبحانه تقديره وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة فلا للبعد وانما هي مقتوهي  
ملك لله وخلق له فانما كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا  
وقد ملك الله تعالى البعد اختيارا يصرف به القدرة فاذا أوقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله

من حيث أنه وقع فعل الله ولو اهتمت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن يتنا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع واخرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا وتبين تميزنا عنهم بتبريع المذميين فاما لما أضفنا فعل البعد الى تقدير الاله سبحانه قلنا أحدث الله تعالى القدرة في البعد على اقدار أحاط بها علمه وهيا أسباب الفعل وسلب البعد العلم بالتفاصيل وأراد من البعد ان يفعل فحدث فيه دواع مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال تستع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة فالتى اخترعها البعد على ماعلم وأراد اختيارهم وانصافهم بالافتداء والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلمها وقضاء وخلقها من حيث أنه نتيجة لما انفرد بخلقها وهو القدرة ولو لم يرد وقوع ومقدورها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدى لهذا ما استمر له الحق المين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منى وقوله تقدير لله من أدلة خلق مقضى ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول البعد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فاذن له في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزى الى السيد من حيث ان سيده اذنه ولولا اذنه لم ينفذ بالتصرف ولكن البعد يؤمر بالتصرف وينهى ويوجب على المخالفة وبما قب فهذا والله الحق الذى لا غطاء دونه ولا مرء فيه لمن وعاه حق وعيه وأما الفرقة الضالة فانهم اعتقدوا انفراد البعد بالخلق ثم ساروا الى انه اذا عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره له فكان البعد على هذا رأى الفاسد من احما لربه في التدبير موقفا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كرهه فان قيل على ماذا تحملون آيات الطبع والحكم والاضلال في القرآن وهي متضمنة اضطراب الرب سبحانه للاشقياء الى ضلالهم قلنا اذا أباح الله حل هذا الاشكال والجواب عن هذا السؤال لم يبق على ذوى البصائر بدمه غموض فنقول أولا من أنبأ الله سبحانه عن الطبع على قلوبهم كانوا مغايبين بالايان مغالبين بالاسلام والتزام الاحكام مطالبة تكليف ودعاهم وصفهم بالتسكين والافتقار والايثار كما سبق تقريره ومن اعتقد انهم كانوا ممنوعين بأمرين مصدورين قهرا مدعورين فالتكليف عنده اذا بمثابة ما لو شدد من الرجل يده ورجلاه وابطا والتى في البحر ثم قيل له لا تبطل وهذا أمر لا يحمل شرائع الرسل عليه الاعائب بنفسه مجتري على ربه ولا فرق عند هذا القائل بين أمر التسخير والتكوين في قوله (كونوا فردة خاشعين) وقوله (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وبين أمر التكليف فاذا بطل ذلك قالوجه في الكلام على هذه الآى وقد غوى في حقائقها أكثر الفرق أن يقول اذا أراد الله بعبد خيرا أكمل عقله وأتم بصيرته ثم صرف عنه الموانع والدوافع وأزاح عنه الموانع ووفق له قرءه الخير وسهل له سبله وقطع عنه الملويات وأسباب الغفلات وقضى له ما يقربه الى القربات فيوافيها ثم يتادها ويعرن عليها واذا أراد الله بعبد شرا قدر له ما يبعده عن الخير وقصيه وهيا له أسباب تمادي في التلى وحب اليه التشوف الى الشهوات وعرضه للافات وكلما غلبت عليه دواعى النفس خفست دواعى الخير ثم يستمر على الشرور حتى مر الدهور ويأتى مهاويا ويتعاون عليه الوسواس ونزغات الشيطان ونزغات النفس الامارة بالسوء فتتسج الغفلة على قلبه غشاوة بقضاء الله وقدره فذلکم الطبع والحكم والاكنة وأنا أضرب في ذلك مثلا فاقول لو فرضنا شابا حديث العهد بمجمله لم تهذب المناهيز ولم تحنك التجارب وهو على نهاية في غلمته وشهوته وقد استمكن من بلنتمن الحظام

وخص بمسحة من الجمال ولم يسم عليه قوام زرعه عن ورطات الردى ويثمه عن الارتباك في شبكات  
الهموى ووافاه أخذان الفساد وهو في غلواء شباه يحدث نفسه بالبقاء أمدا بعيدا فأقرب من هذا  
وصفه من خلع العذار والبدار الى شيم الاشرار وهو مع ذلك كله مؤثر مختار ليس مجبرا على  
المعاصي والزلات ولا مصدودا عن الطاعات ومعه من العقل ما يستوجب به الثلاثة اذا عصى فمن هذا  
سبيله لا يستحيل في العقل تكليفه قاته ليس ممنوعا ولكن ان سبق له من الله سوء القضاء فهو صائر  
الى حكم الله الحزم وقضائه الفصل محجوج بحجة الله الا ان يتعمده الله برحمته وهو أرحم الراحمين  
وهذا الذي ذكرته بين في معاني الآيات لا يتماهى فيه موقوف قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من  
بعد ذلك فهي كالحجارة أو أدهنهن واستمر وعلى المخالفات وأصروا بانهاك الحرمات قست قلوبهم وقال  
تعالى ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فقد جمعت بين تقويض الأمور كلها نعمها وضرها خيرا  
وشرها الى الاله جلست قدرته وبين اثبات حقائق التكليف وتقرير قواعد الشرع على الوجه الملقول  
ألت في هذا أهدي سبيلا وأقوم قولا عن يقدر الطبع منا والحزم صدا ودفعنا ثم ينفي التكليف  
بزعمه وقد افترق الخلق في هذا المقام فرقا فذهب زاهبون الى أن الخدولين ممنوعون مدفوعون  
لا اقتدار لهم على اجابة دعاء الحق وهم مع ذلك ملزمون وهذا خطب جسيم وأمر عظيم وهو طعن  
في الشرائع وإبطال للدعوات وقد قال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) وقال لا يليس  
(ما منعك أن تسجد) نموذج الله من سوء النظر في مواقع الخطر وذهب طوائف من الفسالة الى ان  
المبد يعصى والرب لما يأتى به كاره فهذا خطب في الاحكام الالهية ومزاحة في الربوبية ولو لم يرد الرب  
من الفجار ماعلم منهم في ازلته لما فطرهم مع علمه بهم كيف وقد اكمل قوامهم وأمدهم بالعدد  
والمدد والعتاد وسهل لهم طريق الحيد عن السداد فان قيل فعل ذلك بهم ليطيعوه قلنا انى يستقيم  
ذلك وقد علم أنهم بصونه ويهلكون أنفسهم ويهلكون أوليائهم وأولياءهم مو يشقون شقاوة لا يسمعون بها أبدا  
ولو علم سيد عن وحى أو اخبر نبي أنه لو أمد عبده بالمال لعتى وأبق وقطع الطريق فامده بالمال  
زاعما أنه يريد منه ابتداء القنطار والمساجد وهو مع ذلك يقول أعلم أنه لا يضل ذلك قطعا فهذا السيد  
مفسد عبده وليس مصلحا له باتفاق من أرباب الالباب فقد زاعت الفتان وضلت الفرقان واعتزست  
احداهما على القواعد الشرعية وزاحت الاخرى أحكام الربوبية واقتصد الموقفون فقالوا مراد الله  
من عباده ماعلم أنهم اليه يصيرون ولكنه لم يسلمهم قدرتهم ولم يمنهم مرادهم فقرت الشريعة في  
نصابها وجرت العقيدة في الاحكام الالهية على صوابها فان قيل كيف يريد الحكيم السفة فقد أوضحنا  
ان الافعال متساوية في حق من لا يتنعم ولا يتضرر ولكن اذا أخبرناه مكلف مطالب عباده مزيج  
علمهم فقول له الحق وكلامه الصدق وأقرب أمر يمارضون به ان الحكيم منا اذا رأى جواريه وعبيده  
يخرج بعضهم في بعض وهم على محارمهم بمرأى منه ومسمع فلا يحسن تركهم على ما هم عليه والرب  
سبحانه يطلع على سوء أفعالهم ويستدرجهم من حيث لا يظنون ثم قال قد أطلقت أعفاسى ولكن لو  
وجدت في اقتباس هذا العلم من يسرد لى هذا الفصل لكان وحق التائم على كل نفس بما كسبت  
أحب الى من ملك الدنيا بخذا فبها اطول امدها انتهى كلامه بلفظه وهذا توسط حسن بين الفريقين  
وقد أنكره عليه عامة اصحابه منهم الانصارى شارح الارشاد وغيره وقالوا هو اقرب من مذهب

المترلة ولا يرجع الخلاف بينه وبينهم الا الى الاسم فقط وان هذا مما انفرد به ولكن بقي عليه في امور منها انه نفى كراهة الله لما قدره من المصالح بناء على اصله ان كل مراد له فهو محبوب له وانه اذا كان قد قدر الكفر والفسوق والمصيان فهو يريد به ويحب ولا يبكره وان كانت قدرة العبد واختياره مؤثرة في إيجاد الفعل عنده باقدار الرب سبحانه وقد اصاب في هذا واجاد ولكن القول بان الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والمصيان ولا يبكره اذا كان واقفا قول في غاية البطلان وهو مخالف لصريح العقل والنقل والذي قاده الى ذلك قوله ان المحبة هي الارادة والمشيئة وان كل ما شاءه فقد اراده واحبه ومن لم يفرق بين المشيئة والمحبة لزمه احد امرين باطلين لا بد له من التزامه اما القول بان الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والمصيان او القول بانه ما شاء ذلك ولا قدره ولا قضاء وقد قال بكل من المتلازمين طائفة قالت طائفة لا يحبها ولا يرضاها فاشاءها ولا قضاها وقالت طائفة هي واقفة بمشيئته وارادته فهو يحبها ويرضاها فاشترك الطائفتان في هذا الاصل وتباينا في لازمه وقد انكر الله سبحانه على من احتج على محبته بمشيئته في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة الانعام والتحل والزخرف فقال تعالى (سيعقوب الذين اشركوا لو شاء الله ما شركنوا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبعونا الا الظن وان اتهم الاغرضون) وكذلك حكى عنهم في التحل ثم قال (كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقال في الزخرف (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخبرون) فاحتجوا على محبته لشركهم ورضاه به يكون اقرهم عليه وانه لو لا محبته له ورضاه به لما شاءه منهم وعارضوا بذلك امره ونهيه ودعوة الرسل قالوا كيف يأمر بالشيء قد شاء منا خلافه وكيف يبكره منا شيئا قد شاء وقوعه ولو كرهه لم يمكننا منه ولحال بيننا وبينه فكذبهم سبحانه في ذلك واخبر ان هذا تكذيب منهم لرسله وان رسله متفقون على انه سبحانه يبكره شركهم وينفضه ويمقتهم وانه لو لا بنفضه وكراهته لما اذاق المشركين بالله عذابه فانه لا يذب عبده على ما يحبه ثم طالهم بالعلم على صحة مذهبهم بان الله اذن فيه وانه يحبه ويرضاه به وبمجرد اقراره لهم قدرا لا يدل على ذلك عند احد من العقلاء والا كان الظلم والفواحش والسعي في الارض بالفساد والبغى محبوبا له مرضيا ثم اخبر سبحانه ان مستندهم في ذلك اما هو الظن وهو اكذب الحديث وانهم لذلك كانوا اهل الحرص والكذب ثم اخبر سبحانه ان له الحجة عليهم من جهتين احدهما ما ركبهم فهم من العقول التي يفرون بها بين الحسن والقبيح والباطل والاسماع والابصار التي هي آلة ادراك الحق والتي يفرق بها بينه وبين الباطل والثانية ارشاد رسله وازال كتمه وتمكينهم من الايمان والاسلام ولم يؤاخذهم بأحد الامرين بل بمجموعهما لكمال عدله وقسطا لعذرهم من جميع الوجوه ولذلك سمي حجة عليهم بالغة اى قد بلغت غاية البيان واقتضاء بحيث لم يبق معها مقال لقائل ولا عذر لمعذر ومن اعتذر اليه سبحانه بصذر صحيح قبله ثم ختم الآية بقوله (فلو شاء لهداكم اجمعين) وانه لا يكون شيء الا بمشيئته وهذا من تمام حجة البالغة فانه اذا امتنع الشيء لعدم مشيئته لزم وجوده عند مشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كان هذا من أعظم أدلة التوحيد ومن أبين أدلة بطلان ما أتم عليه من الشرك واتخاذ الالاداد من دونه فما احتججت به من المشيئة على ما أتم عليه من الشرك هو من

أظهر الأدلة على بطلانه وفساده فلو أنهم ذكروا القدر والمشيئة توحيدا له وافترقا والتجاء اليه وبراءة من الحول والقوة الا به ورغبة اليه أن يقيهم عما لو شاء أن لا يقع منهم لما وقع لنعمهم ذلك ولفتح لهم باب الهداية ولكن ذكروه معارضين به أمره ومبطلين به دعوة الرسل فما ازدادوا بها الا ضلالا والمقصود انه سبحانه قد فرق بين حجبته ومشيتته وقد حكى أبو الحسن الأشعري في مقالته اتفاق أهل السنة والحديث على ذلك والذي حكى عنه ابن فورك في كتاب تجريدہ لمقالته انه كان يفرق بين ذلك قال وكان لا يفرق بين الود والحب والإرادة والمشيئة والرضا وكان لا يقول ان شيئا منها يخص بعض المرادات دون بعض بل كان يقول ان كل واحد منها بمعنى صاحبه على جهة التقيد الذي يزول معه الإبهام وهو ان المؤمن محبوب لله ان يكون مؤثما من أهل الخير كما علم والكافر أيضا مراد أن يكون كافرا كما علم من أهل الشر ويجب أن يكون ذلك كذلك كما علم وكذلك كان يقول في الرضا والاصطفاء والاختيار ويقيد اللفظ بذلك حتى لا يتوهم فيه الخطأ انتهى والذي عليه أهل الحديث والسنة قاطبة والفقهاء كلهم وجهور المتكلمين والصوفية انه سبحانه يكره بعض الاعيان والافعال والصفات وان كانت واقعة بمشيئته فهو يفيضها ويمقتها كما يفيض ذات ابلس وذوات جنوده ويفيض أعمالهم ولا يجب ذلك وان وجد بمشيئته قال الله تعالى ( والله لا يحب الفساد ) وقال ( والله لا يحب الظالمين ) وقال ( ان الله لا يحب كل مختال فخور ) وقال ( لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ) وقال ( ولا تتدوا ان الله لا يحب المتعدين ) وقال ( أن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ) فهذا اخبار عن عدم محبة هذه الامور ورضاه بها بعد وقوعها فهذا صريح في ابطال قول من تأول التصوص على أنه لا يجبها عن لم تقع منه ومحبها اذا وقعت فهو يحبها عن وقعت منه ولا يجبها عن لم تقع منه وهذا من أعظم الباطل والكذب على الله بل هو سبحانه يكرها ويفيضها قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها فاتها قبائح وخبائث والله مزه عن محبة القبيح والخبيث بل هو أشكره شيء اليه قال الله تعالى ( كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ) وقد أخبر سبحانه أنه يكره طاعات المنافقين ولاجل ذلك يسطهم عنها فكيف يجب نفاتهم ورضاه ويكون أهله محبين له مصطفين عنده مرضيين ومن هذا الاصل الباطل نشأ قولهم باستواء الافعال بالنسبة الى الرب سبحانه وانها لا تنقسم في نفسها الى حسن وقبيح فلا فرق بالنسبة اليه سبحانه بين الشكر والكفر ولذلك قالوا لا يجب شكره على نعمة عقلا فمن هذا الاصل قالوا ان مشيئته هي عين محبته وان كل منشاءه فهو محبوب له ومرضى له ومصطفى ومختار فلم يمكنهم بعد تأصل هذا الاصل أن يقولوا انه يفيض الاعيان والافعال التي خلقها ويحب بعضها بل كل ماضيه وخلقها فهو محبوب له والمكروه المنقبوض مالم يشاء ولم يخلقها وانما أسلوا هذا الاصل محافظة منهم على القدر فثنا على الشرع والقدر والترمو لاجله لوازم شوشوا بها على القدر والحكمة وكابروا لاجلها صريح العقل وسوا بين أقبح القبائح وأحسن الحسنات في نفس الامر وقالوا هما سواء لا فرق بينهما الا بمجرد الامر والنتي فالكذب عندهم والظلم والبنى والمدون مسلو لاصدق والمدل والاحسان في نفس الامر ليس في هذا ما يقتضي حسنه ولا في هذا ما يقتضي قبحه وجعلوا هذا المذهب شعارا لاهل السنة والقول بخلافه قول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم ولعمري الله انه لمن أبطل الافوال وأشد هانفاة

للتقل والشرع ولقطرة الله التي فطر عليها خلقه وقد بينا بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً في كتاب المفتاح والمقصود انه لما انضم القول به الى القول بانه سبحانه لا يجب شيئاً ويقتض شيئاً بل كل موجود فهو محبوب له وكل معدوم فهو مكروه له وانضم الى هذين الآخرين انكار الحكم والمقالات المطلوبة في أفعاله سبحانه وانه لا يفعل شيئاً لمعنى البتة وانضم الى ذلك انكار الاسباب وانه لا يفعل شيئاً بشئ وانكار القوى والطباع والفرائض وأن تكون أسباباً أو يكون لها أثر اسند عليهم بآية الضوابط في مسائل القدر والتزموا لهذه الأصول الباطلة لوازم هي أظهر بطلاناً وفساداً وهي من أدل شيء على فساد هذه الأصول وبطلانها فان فساد اللازم من فساد ملزومه فان قيل الكراهة والحجة ترجع الى المنافرة والملائمة للطبع وذلك محال في حق من لا يوصف بطبع ولا منافرة ولا ملائمة قيل قد دلت التصوص التي لا بدفع على وصفه تعالى بالحجة والكراهة فتبينكم حقائق مادلت عليه بالتحريض على ملائمة الطبع ومنافرته باطل وهو كنفى كل مبطل حقائق أسماه وصفاته بالتبشير عنها بعبارة اصطلاحية توصل بها الى نفى ما وصف به نفسه كنسبة الجملة المطلقة صفاته اعراضاً ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفىها وسموا أفعاله القائمة به حوادث ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفىها وقالوا لا تلحق الحوادث كما قالت المطلقة لا تقوم به الاعراض وسموا علوه على خلقه واستواءه على عرشه وكونه قاهراً فوق عباده تحيزاً ونجسماً ثم توصلوا بنفى ذلك الى نفى علوه عن خلقه واستواءه على عرشه وسموا ما أخبر به عن نفسه من الوجه واليدين والاصابع جوارح واعضاء ثم فحوا ما أثبتته لنفسه بتسميته له بتغير تلك الاسماء ان هي الا أسماء سميتوها أنهم وأياؤكم ما أنزل الله بهامهم سلطان ان تبكون الا الفتن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتوصلوا بالتشبيه والتجسيم والتركيب والحوادث والإعراض والتحيز الى تعطيل صفات كماله ونفوت جلاله وأفعاله وأخلوا تلك الاسماء من معانيها وعطلوها من حقائقها فيقال ان نفى محبته وكراهته لاستزاده بمائيل الطبع ونفوته ما لفرق بينك وبين من نفى كونه مريداً لاستزاد الارادة حركة النفس الى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها ونفى سمعه وبصره لاستزاد ذلك تأثر السمع والبصر بالمسموع والمبصر وانطباع صورة المرئي في الرائي وحمل الهواء الصوت المسموع الى اذن السامع ومن نفى علمه لاستزاده انطباع صورة المعلوم في النفس الناطقة ونفى غضبه ورضاه لاستزاد ذلك حركة القلب وانفعاله بما يرد عليه من المؤلم والنار ونفى كلامه لاستزاد الكلام محلاً يقوم به ويظهر منه من شفة ولسان ولهاوت ولما لم يمكن أحداً آخر بوجود رب العالمين طرد ذلك وقع في التناقض ولا بد فانه أي شيء أثبت لزومه فيه ما ألزم كمن أثبت ما ناقه هو من غير فرق البتة ولهذا قال الامام احمد وغيره من أئمة السنة لا تزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشعين والمقصود اننا لا نجد محبته تعالى لما يحبه وكراهته لما يكرهه تسمية التثنية ذلك ملائمة ومنافرة وبغنى التفطن لهذا الموضوع فانه من اعظم اصول الضلال فلا نسعى الدرس حيزاً ولا نسعى الاستواء تحيزاً ولا نسعى الصفات اعراضاً ولا الافعال حوادث ولا الوجه واليدين والاصابع جوارح واعضاء ولا اثبات صفات كماله التي وصف بها نفسه نجسماً وتشبيهاً فتجني جانبين عظيمين جنباً على اللفظ وجنباً على المعنى فتبدل الاسم ونمط معناه وتظهر هذا تسمية خلقه سبحانه لافعال عباده وقضاة السابق جبراً ولذلك أنكر أئمة السنة كالوزاعي

وسيفان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي والامام أحمد وغيرهم هذا اللفظ قال الازعاعي والزيدي ليس في الكتاب والسنة لفظ جبر وإنما جاءت السنة بلفظ الخير كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشجع عبد القيس ان فيك خلقين يحكما الله الحلم والاثانة فقال اخلقين تخلفت بهما أم جبلت عليهما فقال بل جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على ما يحب فاجبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله جبله على الحلم والاثانة وهما من الافعال الاختيارية وان كانا خلقين قائمين بالبدن فان من الاخلاق ما هو كسبي ومنها ما لا يدخل تحت الكسب والتوعان قد جبل الله العبد عليهما وهو سبحانه يحب اجبل عبده عليه من محاسن الاخلاق ويكره ما جبله عليه من مساوئها فكلاهما يجبله وهذا محبوب له وهذا مكروه كما ان جبريل صلوات الله عليه مخلوق له وابليل عليه لسان الله مخلوق له وجبريل محبوب له مصطفى عنده وابليل ابدى خلقه اليه وما يوضح ذلك ان لفظ الخير لفظ يحمل قاته يقال اجبر الاب ابنته على النكاح وجبر الخاكم الرجل على البيع ومعنى هذا الجبر ان كرهه عليه ليس معناه انه جعله محال ذلك راضيا به مختارا له والله تعالى اذا خلق قسما فعل العبد جعله محبا له مختارا لا يقاعه راضيا به كارهه ليدمه فاطلاق لفظ الخير على ذلك فاسد لفظا ومعنى فان الله سبحانه اجل واعز من ان يجبر عبده بذلك المعنى وانما يجبر العاجز عن ان يجبر غيره فاعلا بارادته وبجته ورضاه واما من جعل فعل العبد مریدا محبا مؤثرا لما يفضله فكيف يقال انه جبره عليه فهو سبحانه اجل وأعظم وأقدر من ان يجبر عبده ويكرهه على فعل يشاؤه منه بل اذا شاء من عبده ان يفعل فعلا جعله قادرا عليه مریدا له محبا مختارا لا يقاعه وهو أيضا قادر على ان يجعله فاعلا له باختياره مع كراهته له وبفضه وقرته عنه فكل ما يقع من العباد بارادتهم ومشيئاتهم فهو سبحانه الذي جعلهم قاعلين له سواء أجابوه أو أبغضوه وكرهوه وهو سبحانه لم يجبرهم في التوعين كما يجبر غيره من لا يقدر على جعله فاعلا بارادته ومشيئته نعم نحن لا ننكر استعمال لفظ الخير فيما هو أعم من ذلك بحيث يتناول من قهر غيره وقدر على جعله فاعلا لما يشاء فله وتاركا لما لا يشاء فله فانه سبحانه المحدث لارادته له وقدرته عليه قال محمد بن كعب القرطبي في اسم الجبار انه سبحانه هو الذي جبر العباد على ما اراد وفي الدعاء المعروف عن علي رضي الله عنه اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات جبار القلوب على فطرتها شقيا وسعيها فالحير بهذا المعنى معناه القهر والقدرة وانه سبحانه قادر على ان يفعل بعبد ما يشاء واذا شاء منه شيئا وقع ولا يدوان لم يشأ لم يكن ليس كالماجز الذي يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء والفرق بين هذا الخير وجبر المخلوق لغيره من وجوه: أحدها ان المخلوق لا قدرة له على جعل الغير مریدا للتعلم محبا له والرب تعالى قادر على جعل عبده كذلك والثاني ان المخلوق قد يجبر غيره اجبارا يكون به ظلما متديا عليه والرب أعذل من ذلك فانه لا ينظم أحدا من خلقه بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والاحسان بل عدله فيهم من احسانه اليهم كما سنبينه ان شاء الله تعالى الثالث ان المخلوق يكون في جبره لغيره سفيا أو غائيا أو جاهلا والرب تعالى اذا جبر عبده على أمر من الأمور كان له في ذلك من الحكمة والعدل والاحسان والرحمة ما هو محمود عليه بجميع وجوه الحمد الرابع ان المخلوق يجبر غيره لحاجة الى ما جبره عليه ولا تنفعه بذلك وهذا لانه قهر بالذات وأما الرب تعالى فهو القوي بذاته الذي كل ما سواه محتاج اليه وليس به حاجة الى أحد الخامس ان المخلوق يجبر غيره

لنقصه فيجب له ليحصل له الكمال بما أحببه عليه والرب تعالى له الكمال المطلق من جميع الوجوه  
وكأنه لو أوزم ذاته لم يستفده من خلقه بل هو الذي أعطاهم من الكمال ما يليق بهم فالخلق بخير  
غيره ليتكامل والرب تعالى منزعه عن كل نقص فكماله المقدس ينفي الخير \* السادس أن الخلق بخير غيره  
على فعل يتيه به على غرضه لجزءه عن التوصل إليه إلا بماوته له فصار الفعل من هذا والقهر  
والاكراه من هذا محصلا لفرض المكره كما أن الممين لفرضه باختياره شريك له في الفعل والرب تعالى  
غنى عما سواه بكل وجه فيستحيل في حق الخير \* السابع أن الجبور على ما لا يريد فعله يجد من  
نفسه فرقا ضروريا بينه وبين ما يريد فعله باختياره ومحبته فالتسوية بين الأمرين تسوية بين ما علم  
بالحسن والأضرار الفرق بينهما وهو كالتسوية بين حركة المرمى وحركة الكاتب وهذا من  
أبطال الباطل \* الثامن أن الله سبحانه قد فطر العباد على أن الجبور المكروه على الفعل معذور  
لا يستحق التمس والقوية ويقولون قد أكره على كذا وجبره السلطان عليه وكأنهم مفطورون على  
هذا فهم مفطورون أيضا على ذم من فعل القبائح باختياره وشريعته سبحانه موافقة لفطرته في ذلك  
فن سوي بين الأمرين فقد خرج عن موجب الشرع والفعل والفتنة \* التاسع أن من أمر غيره  
بمصاحبة المأمور وما هو محتاج إليه ولا سمادة له ولا فلاح إلا به لا يقال جبره على ذلك وإنما يقال  
نصحه وأرشده وقعه وهده ونحو ذلك وقد لا يختار المأمور المتبى ذلك فيجبره النصيحة على  
ذلك من له ولاية الإيجار وهذا جبر الحق وهو جائز بل واقع في شرع الرب وقدره وحكمته  
ورحمته وأحسانه لا تمنع هذا الخير \* العاشر أن الرب ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في  
أفعاله فله البعد فاعلا لقدرته ومشيئته واختياره أمر يختص به تبارك وتعالى والخلق لا يقدر أن  
يجعل غيره فاعلا إلا بأكرامه له على ذلك فإن لم يكرمه لم يقدر على غير الدعاء والامر بالفعل وذلك  
لا يصير البعد فاعلا فالخلق هو بخير غيره على الفعل ويكرمه عليه فنسبة ذلك إلى الرب تشبيه له في  
أفعاله بالخلق الذي لا يجعل غيره فاعلا إلا بخيره له وأكرامه فكماله قدرته تعالى وكآله علمه وكآله  
مشيئته وكآله عدله وأحسانه وكآله غناه وكآله ملكه وكآله حجه على عبده تنفي الجبر

﴿ فصل ﴾ فالطوائف كلها متفقة على الكسب ومختلفون في حقيقته فقالا القدرية هو  
أحداث البعد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالا وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق فعله ولا يكونه ولا  
مريده له وقالت الجبرية الكسب اقتران الفعل بالقدرية الحادثة من غير أن يكون لها فيه أمر  
وكلا الطائفتين فرق بين الخلق والكسب ثم اختلفوا فيما وقع به الفرق فقال الأشعري في عامة  
كتبه معنى الكسب أن يكون الفعل بقدرته محدثة فن وقع منه الفعل بقدرته قديمة فهو فاعل خالق  
ومن وقع منه بقدرته محدثة فهو مكتسب وقال قائلون من فعل بغير آلة ولا جارحة فهو خالق  
ومن يحتاج في فعله إلى الآلات والجوارح فهو مكتسب وهذا قول الاسكافي وطوائف من المعتزلة  
قالوا واختلفوا هل يقال أن الإنسان فاعل على الحقيقة فقالت المعتزلة كلها إلا الثائي أن الإنسان  
فاعل محدث ومخترع ومنشئ على الحقيقة دون المجاز وقال الثائي الإنسان لا يفعل في الحقيقة ولا  
يحدث في الحقيقة وكان يقول أن الباري أحدث كسب الإنسان قال فلزمه محدث لا يحدث في  
الحقيقة ومفعول لا تفاعل في الحقيقة قلت وجه الزامه ذلك أنه قد أعطى أن الإنسان غير فاعل



لعله وفعله مفعول وليس هو فملا فله ولا فعلا لعبد فله من غير فاعل ولعمد الله ان هذا  
الانسان لازم لابي الحسن وللجبرية فان عندهم الانسان ليس بفاعل حقيقة والفاعل هو الله وأفعال  
الانسان قائمة لم تقم بالله فاذ لم يكن الانسان فاعلا مع قيامه به فكيف يكون الله سبحانه هو فاعلا  
ولو كان فاعلا لمادت أحكامها عليه واشتقت له منها أسماء وذلك مستحيل على الله فيلزمك أن  
تكون أفعالا لا فاعلا لما فان العبد ليس بفاعل عندك ولو كان الرب فاعلا لما لاشتقت له منها أسماء  
وعاد حكمها عليه \* فان قيل فما تقولون أتم في هذا المقام قلنا لا نقول بواحد من القولين بل نقول  
هي أفعال للعبد حقيقة ومفعولة للرب فالفاعل عندنا غير المفعول وهو اجماع من أهل السنة حكاه  
الحسين بن مسعود البغوي وغيره فالعبد فاعله حقيقة والله خالقه وخالق ماضل به من القدرة  
والارادة وخالق فاعليته وسر المستعان العبد فاعل منفعل باعتبارين هل هو منفعل في فاعليته فربه  
تعالى هو الذي جعله فاعلا بقدرته ومشيتته وأقدره على الفعل وأحدث له المشيئة التي يفعل بها  
قال الأشعري وكثير من أهل الامنيات يقولون ان الانسان فاعل في الحقيقة بمعنى مكتسب ويعنون  
أنه محدث قلت هؤلاء وقفوا عند الفاظ الكتاب والسنة قائما علوان من نسبة الافعال الى العبد  
باسمها العام وأسمائها الخاصة فالاسم العام كقوله تعالى تعملون تعملون تكسبون والاسماء الخاصة  
بقيام الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون ويحافظون ويتوبون ويحاجدون وأما لفظ الاحداث فلم يجيء  
الا في الذم كقوله صلى الله عليه وسلم لمن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثا فهذا ليس بمعنى الفعل  
والكسب وكذلك قول عبد الله بن مغفل لانه اياك والحديث في الاسلام ولا يتبع اطلاقه على فعل  
الخير مع التقيد قال بعض السلف اذا أحدث الله لك نعمة فاحدث لها شكرا واذا احدثت ذنبا  
فاحدث له توبة ومنه قوله هل احدثت توبة واحداث للذنوب استغفارا ولا يلزم من ذلك اطلاق اسم  
الحداث عليه والاحداث على فاعله قال الأشعري وبلغني ان بعضهم اطلق في الانسان انه محدث في  
الحقيقة بمعنى مكتسب قلت ههنا الفاظ وهي فاعل وعامل ومكتسب وكاسب وصانع ومحدث وجاعل  
ومؤثر ومنشئ وموجد وخالق وبارئ ومصور وقادر ومريد وهذه الالفاظ ثلاثة اقسام قسم لم  
يطلق الا على الرب سبحانه كالبارئ والبديع والمبدع وقسم لا يطلق الا على العبد كالكاسب  
والمكتسب وقسم وقع اطلاقه على الرب والعبد كاسم صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر  
واما الخالق والمصور فان استعمال مطلقين غير مقيدين لم يطلق الا على الرب كقوله الخالق البارئ  
المصور وان استعمال مقيدين المطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه انه خلقه قال

ولانت تفرى ما خلقت وبسبب القوم يخلق ثم لا يفرى

أى لك قدرة تضى وتمتد بها ما قدرت في نفسك وغيرك بقدر أشياء وهو عاجز عن اقتناها وامضاتها  
وهذا الاعتبار صرح اطلاق خالق على العبد في قوله تعالى (تبارك الله احسن الخالقين) أى احسن  
المصورين والمقدرين والرب يقول قدرت الإديم وخلقته اذا قسمته لتقطع منه مزادة أو قرية ونحوها  
قال مجاهد يضمنون ويصنع الله والله خير الصانين وقال الليث خالق أى صانع وهن الخالقات  
لنساء وقال مقاتل يقول تعالى هو احسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التي لا يتحرك  
منها شيء وأما البارئ فلا يصح اطلاقه الا عليه سبحانه فانه الذى برأ الخلقه وأوجدها بعد عندها

والعبد لا تطلق قدرته بذلك اذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى ويراها وتغيرها من حال الى حال على وجه مخصوص لا تمتداه قدرته وليس من هذا برت القلم لانه مثل لامهوز ولا برأت من المرض لانه فعل لازم غير متد وكذلك مبدع الشيء ويذيعه لا يصح إطلاقه الا على الرب كقوله بديع السموات والارض والابداع إيجاد المبدع على غير مثال سبق والعبد يسمى مبتدعا لكونه أحدث قولاً لم يخض به سنة ثم يقال لمن اتبعه عليه مبتدع أيضاً وأما لفظ الموجد فلم يقع في أسائه سبحانه وان كان هو الموجد على الحقيقة ووقع في أسائه الواجد وهو بمعنى الشيء الذي له الوجود وأما الموجد فهو مفصل من أوجد وله معنيان أحدهما أن يجعل الشيء موجوداً وهو تلبية وجده وأوجده قال الجوهري وجد الشيء عن عدم فهو موجد مثل حم فهو محوم وأوجده الله ولا يقال وجده والمخني الثاني أوجده جعل له جدة وغنى وهذا يتمدى الى مفعولين قال في الصحاح أوجده الله مطلوبه أى أنفقر به وأوجده أى أغناه قلت وهذا يحمل أمرين أحدهما أن يكون من باب حذف أحد المفعولين أى أوجده مالا وغنى وان يكون من باب صيره واجداً مثل أغناه وأنفقره اذا صيره غنياً وفقيراً فعلى التقدير الاول يكون تلبية وجد مالا وغنى وأوجده الله إياه وعلى الثاني يكون تلبية وجد وجداً اذا استغنى ومصدر هذا الوجد بالضم والفتح والكسر قال تعالى (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) فيرى مجتمع أن يطلق على من فضل بالقدرة المحذرة أنه أوجد مقدوره كما يطلق عليه أنه فعله وعمله وصنعه وأحدثه لاعلى سبيل الاستقلال وكذلك لفظ المؤثر لم يرد إطلاقه في أساء الرب وقد وقع إطلاق الاثر والتأثير على فعل العبد قال تعالى (انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) قال ابن عباس ما آثاروا من خير أو شر فسمي ذلك آثاراً لحصوله بتأثيرهم ومن السبب ان المتكلمين يسمون من اطلاق التأثير والمؤثر على من أطلق عليه في القرآن والسنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لئن سلمة دياركم تكتب آثاركم أى الزموا دياركم ومخصونه بمن لم يقع إطلاقه عليه في كتاب ولا سنة وان استعمل في حقه الايتار والاستتار كما قال أخو يوسف ناله لقد أترك الله علينا وفي الاثر اذا استأثر الله بشئ قاله عنه وقال انناظم

استأثر الله بالثناء وبالحدود وولى الملامة الرجال

ولما كان التأثير تفصيلاً من أثرت في كذا تأثيراً فانما مؤثر لم يمتنع إطلاقه على العبد قال في الصحاح التأثير إيقاع الاثر في الشيء وأما لفظ الصانع فلم يرد في أساء الرب سبحانه ولا يمكن ورودها فان الصانع من صنع شيئاً عدلاً كان أو ظالماً سفهاً أو حكمة جائر أو غير جائر وما أقسم مسها الى مدح وذم لم يحمي اسمه المطلق في الاسماء الحسنى كالفاعل والفاعل والمريد والمتكلم لا تقسم مسها في هذه الاسماء الى محمود ومذموم بخلاف المالم والقادر والحي والسميع والبصير وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم البديع صلوات الله عليه حينما قال البخارى حديثاً على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربي بن خراش عن جديفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعه وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع فقال صنع الله الذي أتقن كل شئ وهو منصوب على المصدر لان قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) يدل على الصنعة وقيل هو نصب على المفعولية أى انظروا صنع الله فعلى الاول يكون صنع الله مصدراً بمعنى الفعل وعلى الثاني يكون

بمضى المصنوع المفعول فانه الذى يمكن وقوع النظر والرؤية عليه وأما الانشاء فاما وقع اطلاقه عليه سبحانه فلا كقوله (ويثنى السحاب الثقال) وقوله (فأنشأنا لكم به جنات) وقوله (وننشئكم فيها لائمون) وهو كثير ولم يرد لفظ المنشئ وأما البد فيطلق عليه الانشاء باعتبار آخر وهو شروعه في الفعل وابتدائه له يقول أنشأ يحدثنا وأنشأ السير فهو منى ذلك وهذا انشاء مقيدوا انشاء الرب انشاء مطلق وهذه اللفظة تدور على معنى الابداء انشاء الله أى ابتداء خلقه وأنشأ بفضل كذا ابتداء ثلاثون ينشئ الاحاديث أى يتبدى وضما والتأشئ أول ما ينشأ من السحاب قال الجوهري ونشئة الليل أول ساعاته قلت هذا قد قاله غير واحد من السلف ان ناشئة الليل أوله التى منها ينشأ الليل والصحيح انها لا تخص بالساعة الاولى بل هي ساعاته ناشئة بعد ناشئة كلما انقضت ساعة نشأت بعدها أخرى وقال أبو عبيدة ناشئة الليل ساعاته وأناؤه ناشئة بعد ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كلما نشأ منه أى حدث منه فهو ناشئة قال ابن قتيبة هي آباء الليل وساعاته مأخوذة من نشأت تنشأ نشأ أى ابتدأت وأقبلت شيئا يبدئ وأنشأها الله فنشأت والمعنى ان ساعات الليل الناشئة وقول صاحب الصحاح منقول عن كثير من السلف قال على بن الحسين ناشئة الليل ما بين المغرب الى المشاء وهذا قول أنس وثابت وسعيد بن جبير والضحاك والحكم واختار الكسائي قالوا ناشئة الليل أوله وهؤلاء راعوا معنى الاولية في الناشئة وفيها قول ثالث ان الليل كله ناشئة وهذا قول عكرمة وأبى مجاز ومجاهد والسدى وابن الزبير وابن عباس في رواية قال ابن أبى مليكة سألت ابن الزبير وابن عباس عن ناشئة الليل فقالا الليل كله ناشئة فهذه أقوال من جعل ناشئة الليل زمانا وأما من جعلها فصلا ينشأ بالليل فالتناشئة عندهم اسم لما يفصل بالليل من القيام وهذا قول ابن مسعود ومعاوية بن قرة وجعاه قالوا ناشئة الليل قيام الليل وقال آخرون منهم عائشة انما يكون القيام ناشئة اذا قدمه نوم قالت عائشة ناشئة الليل القيام بعد النوم وهذا قول ابن الاعرابى قال اذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت تلك الناشئة ومنه ناشئة الليل فمضى قول الاولين ناشئة الليل بمعنى من اضافة نوع الى جنسه أى ناشئة منه وعلى قول هؤلاء اضافة بمعنى في أى طاعة ناشئة فيه والقصد ان الانشاء ابتداء سواء قدمه مثله كالنشأة الثانية أو لم يتقدمه كالنشأة الاولى وأما الجبل فقد أطلق على الله سبحانه بمسمى أحدهما الاتحاد والخلق والثاني التصوير فالاول يمدى الى المفعول كقوله وجعلنا الطلقات والنور والثاني أكثر ما يمدى الى مفعولين كقوله (انا جيلناه قرآنا عربيا) وأطلق على البد للمضى الثانى خاصة كقوله (وجعلوا له ما ذرأ من الحرت والانعام نصيبا) وفالب ما يستعمل في حق البد في جعل التسمية والاعتقاد حيث لا يكون له صنع في الجسول كقوله (وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وقوله (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلهم منه حراما وحلالا) وهذا يمدى الى واحد وهو جعل اعتقاد وتسمية وأما الفعل والعمل فاطلاقه على البد كثير لبس ما كانوا يفعلون لبس ما كانوا يعملون بما كنتم تعملون وأطلقه على نفسه فلا واسيا فالاول كقوله (ويضل الله ما يشاء) والثانى كقوله (فما لم ير) وقوله (وكننا قاعلين) في موضعين من كتابنا أحدهما قوله (وسخرنا مع داود الحيا ل يسبحن والطير وكننا قاعلين) والثانى قوله (يوم نطوى السماء كطلى السجل للكتب) كما بدأ أول خلق نمده وعبدنا اننا كنا قاعلين فقامل قوله كنا قاعلين في هذين الموضعين

المتضمنين للصنع العجيب الخارج عن المادة كيف تجده كالدليل على ما أخبر به وأنه لا يستصحب على  
الفاعل حقيقة أى شأننا الفعل كالإيجنى الجهر والاسرار بالقول على من شأنه العلم والخبرة ولا  
نصعب المنفرة على من شأنه أن يفرق التوب ولا الرزق على من شأنه أن يرزق الباذ وقد وقع  
الزجاج على هذا المعنى بينه فقال وكنا فاعلين قادرين على فعل ما نشاء

### الباب الثامن عشر

في فعل وأفعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والافعال

ينبغي الاعتناء بكشف هذا الباب وتحقيق مناه فبذلك ينحل عن المبدأ أنواع من ضلالات القدورية  
والخبرية حيث لم يبطوا هذا الباب حقه من العرفان \* اعلم ان الرب سبحانه فاعل غير منفعل والمبدأ  
فاعل منفعل وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا يتفعل بوجه فالحبرية شهدت كونه منفعلا يجرى  
عليه الحكم بمنزلة الآلة والحمل وجعلوا حركته بمنزلة حركات الاشجار ولم يجعلوه فاعلا الا على  
سبيل المجاز فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مما هو  
فيه منفعل محض والقدورية شهدت كونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله وكل من الطائفتين نظر بعين  
عوراء وأهل العلم والاعتدال أعطوا كلا المقامين حقه ولم يبطوا أحد الأمرين بالأخر فاستقام لهم  
نظرهم ومناظرتهم واستقر عندهم الشرع والقدر في نصابه ومهدوا بوقوع الثواب والعقاب على من  
هو أولى به فأتبعوا لخلق المبدأ حقيقة وانطلق الله له حقيقة قال تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم  
علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فلا ينطق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله والنطق فصل  
المبدأ الذي لا يمكن إنكاره كما قال تعالى (فورب السماء والارض انه لخلق مثل ما أنكم تعتقدون) فلم  
ان كونهم ينطقون هو أمر حقيقي حق شبه به في تحقيق كون ما أخبر به وان هذا حقيقة لا مجاز ومن  
جعل اضافة نطق المبدأ اليه مجازا لم يكن ناطقا عنده حقيقة فلا يكون التشبيه بنطقه حقيقا لما أخبر به  
فنامله ونظيره هذا قوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) فهو المضحك المبكى حقيقة والمبدأ الضاحك  
الباكى حقيقة كما قال تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وقال (أفمن هذا الحديث تمجبون  
وتضحكون ولا تبكون) فولا النطق الذي أنطق والمضحك المبكى الذي أضحك وأبكى لم يوجد  
ناطق ولا ضاحك ولا باك فاذن أحب عبدا أنطقه بما يحب وأثابه عليه وإذا أنطقه بما يكره  
فثاقبه عليه وهو الذي أنطق هذا وهذا وأجرى ما يجب على لسان هذا وما يكره على لسان هذا  
كما أنه أجرى على قلب هذا ما ضحكه وعلى قلب هذا ما أبكاه وكذلك قوله تعالى (هو الذي يسيركم  
في البر والبحر) وقوله (قل سيروا في الارض) فالتسير فعله حقيقة والسير فعل المبدأ حقيقة فالتسير  
لفعل محض والسير فعل وانقلب ومن هذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم) فهو  
سبحانه المزوج ورسوله الزوج وكذلك قوله (وزوجناهم بحور عين) فهو المزوج وهم الزوجون  
وقد جمع سبحانه بين الأمرين في قوله (فلما زاعغوا أزاعق الله قلوبهم) فالزاعغة فعله والزيع فعلهم  
فان قيل أتم قررت أنه لم يقع منهم الفعل الا بعد فعله وأنه لولا انطاقه لهم واضحا كما وبكاه لسا  
لنطقوا ولا ضحكوا ولا بكوا وقد دلت هذه الآية على أن فعله بعد فعلهم وأنه أزاعق قلوبهم بعد ان

زاغوا وهذا يدل على ان ازاعة قلوبهم هو حكمه عليها بالزنيغ لاجملها زائفة وكذلك قوله أنفلطنا  
 الله المراد جعل لنا آلة النطق وأضحك وأبكي جعل لهم آلة الضحك والبكاء قيل أما الازاعة  
 المترتبة على زنيغهم فهي ازاعة أخرى غير الازاعة التي زاغوا بها أولا عقوبة لهم على زنيغهم والرب  
 تعالى يمايقب على السبب بمنثلا كما يشيب على الحسنه بمنثلا حدث لهم زنيغ آخر غير الزنيغ الاول فهم  
 زاغوا أولا فجازاهم الله بلازاعة فوق زنيغهم \* فان قيل فالزنيغ الاول من فعلهم وهو عثوق لله فيهم  
 على غير وجه الجزاء والا تسلسل الامر \* قيل بل الزنيغ الاول وقع جزاء لهم وعقوبة على تركهم  
 الايمان والتصديق لما جاءهم من الهدى وهذا الترك امر عديم لا يشتد على فاعلا فان تأخير الفاعل  
 انما هو في الوجود لا في الوجود \* فان قيل فهذا الترك العدمي له سبب اولاسبب له \* قيل سببه عدم سبب  
 ضده فيقي على العدم الاصل وي شبه هذا قوله (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) عاقبتهم  
 على نسيانهم له بان انساهم انفسهم فقتلوا مصالحها ان يفعلوها ويعيوبها ان يصلحوها وحفظها  
 ان يتناولوها ومن اعظم مصالحها واتق حفظونها ذكرها لربها وقاطرها وهي لانهم لما ولاسرور  
 ولا فلاح ولا صلاح الا يذكره وجه وطاعته والاقبال عليه والاعراض عما سواه فأنساهم ذلك لما  
 نسوه وحدث لهم هذا النسيان نسيانا آخر وهذا ضد حال الذين ذكره ولم ينسوه فذكرهم فصالح  
 قلوبهم ففعلوها وأوقفهم على عيوبها فاصلحوها وعرفهم حفظونها المالية فبادروا اليها فجازي اولئك  
 على نسيانهم بان انساهم الايمان ومحبه وذكره وشكره فلما خلت قلوبهم من ذلك لم يجدوا من ضده  
 محيصا وهذا بين لك كمال عدله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها واذا كان قضاء فعلها بالكفر  
 والذنوب عدلا منه عليها فقضاءه عليها بالقوبة اعدل واعدل فهو سبحانه ماض في عبده حكمه  
 عدل في قضاؤه وله فيها قضا آن قضاء السبب وقضاء المسبب وكلاهما عدل فيه فله لما ذكره  
 وترك فعل مايجبه عاقبه بنسيان نفسه فحدث له هذا النسيان ارتكاب ماينضوي بسخطه بقضائه الذي  
 هو عدل فترتب له على هذا الفعل والترك عقوبات وآلام لم يكن له منها بد بل هي مترتبة عليه ترتب  
 المسببات على اسبابها فهو عدل محض من الرب تعالى فعدل في البعد اولا وآخرا فهو محسن في عدله  
 محبوب عليه محمود فيه يحمده من عدل فيه طوعا وكرها قال الحسن لقد دخلوا النار وان جده لني  
 قلوبهم ماوجدوا عليه سيلا وسرزيد هذا الموضع بسطا ويانا في باب دخول الشر في القضاء الاطى  
 ان شاء الله اذ المقصود ههنا بان كون البعد فاعلا منفصلا والفرق في هذا الباب بين فعل وافعل  
 وان الله سبحانه افضل والبعد فعل هو الذي اقام البعد واضله وابانه والبعد هو الذي قام وضل  
 ومات واما قولكم ان معنى انطقه واضحه وبكاه جعل له آلة ينطق بها ويضحك ويبيك فاعطاه  
 الآلة وحدها لا يكتفي في صدق الفعل بانه انطقه واضحه فلو ان رجلا صمت يوما كاملا خلف  
 حائط ان الله انطقه لكان كاذبا حاتا ولو دعوت كافرين الى الاسلام فطلق احدهما بكلمة الشهادة  
 وسكت الآخر لم يقل احد قط ان الله قد انطق الساك ك انطق المتكلم وكلاهما قد اعطى آلة  
 النطق ومتعلق الامر والشيء والثواب والعقاب الفعل لا الافعال \* فان قيل هل تعطرون هذا في جميع  
 افعال البعد من كفره وزناه وسرقته فتقولون ان الله افعله وهو الذي فعل ام تحسون ذلك ببعض  
 الافعال فيظهر تناقضكم \* قيل ههنا امران امر لغوي وامر معنوي فاللغوي فان ذلك لا يطرده في لغة

العرب لا يقولون أنى الله الرجل وأسرقه وأشربه وأقتله إذا جعله يزنى ويسرق ويشرب ويقتل  
وان كان في لنتها أقامه وأقده وأطلقه وأضحكه وأبكاه وأضله وقد بأتى هذا مضاعفا كقوله وعلمه  
وسيره وقال تعالى (فهيئنا لها سبلان) فالتفهم منه سبحانه والقهم من فيه سلبان وكذلك قوله (وعلمناه  
من لدنا علما) فالتفهم منه سبحانه وكذلك التسيير والسير والتعلم من العبد فهذا المعنى ثابت في  
جميع الأفعال فهو سبحانه هو الذى جعل العبد فاعلا كما قال (وجعلناهم أممات يهدون  
بأمرنا وجعلناهم أممات يدعوون إلى النار) فهو سبحانه الذى جعل أممات الهدى يهدون  
بأمره وجعل أممات الضلال والبدع يدعوون إلى النار فامتناع إطلاق أكلمه فتكلم لا يمنع من إطلاق  
أنطقه ففعل وكذلك امتناع إطلاق أهده بأمره وادعاه إلى النار لا يمنع من إطلاق جعله يهدى  
بأمره ويدعو إلى النار فإن قيل ومع ذلك كله هل تقولون أن الله سبحانه هو الذى جعل الزانيين  
يزنiban وهو الذى جمع بينهما على الفعل وساق أحدهما إلى صاحبه \* قيل أصل بلاء أكثر الناس  
من خيبة الألفاظ الجملة التى تشتمل على حق وباطل فيطلقها من يريد حقا فيفكرها من يريد  
باطلا فيفقد عليه من يريد حقا وهذا باب إذا تأمله الذكى القطن رأى منه عجائب وخفصه من  
ورطان تورط فيها أكثر الطوائف فاجعل المضاف إلى الله سبحانه يراد به الجعل الذى يجب  
ويزعم الجعل الذى قدره وقضاه قال الله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائجة ولا وصيلة ولا حام) فهذا  
نفي لجعل الشرعى الذى أى ما شرع ذلك ولا أمر به ولا أحبه ورضيه وقال تعالى (وجعلناهم أممات  
يدعون إلى النار) فهذا جعل كونى قدرى أى قدرنا ذلك وقضينا وجعل العبد اماما يدعو إلى النار  
أبلغ من جعله يزنى ويسرق ويقتل وجعله كذلك أيضا لفظ مجمل يراد به أنه جبره وأكرهه عليه  
وأضطره إليه وهذا محال في حق الرب تعالى وكإله المقدس بأتى ذلك وصفات كإله تمنع منه كما تقدم  
ويراد به أنه ممكن من ذلك وأقدره عليه من غير أن يضطره إليه ولا أكرهه ولا أجبره فهذا حق  
\* فإن قيل هذا كله عدول عن المقصود فمن أحدث معصية وأوجدها وأبرزها من العدم إلى الوجود  
\* قيل الفاعل لها هو الذى أوجدها وأحدثها وأبرزها من العدم إلى الوجود بأقدار الله له على ذلك  
ونمكنه منه من غير إلجائه ولا اضطراب منه إلى فعلها \* فإن قيل فمن الذى خلقها إذا \* قيل لكم ومن  
الذى فعلها فإن قلتم الرب سبحانه هو الفاعل للفسوق والمصيان أكتبكم العقل والفتنة وكتب الله  
المسئلة وأجابه رسلا وبوايات حمده وصفات كإله فإن فعله سبحانه كله خير وتعالى أن يفعل شرا  
بوجه من الوجوه فالشر ليس إليه والخير هو الذى إليه ولا يفعل الا خيرا ولا يريد الا خيرا ولو  
شاء لفعل غير ذلك ولكنه تعالى تزه عن فعل مالا ينبغي وأرادته ومشيئته كما هو متره عن الوصف  
به والتسمية به \* وإن قلتم العبد هو الذى فعلها بما خلق فيه من الإرادة والمشيئة \* قيل فإله سبحانه  
خالق أفعال العباد كلها بهذا الاعتبار ولو سلك الحيرى مع القدرى هذا المسلك لاستراح معه وأراحه  
وكذلك القدرى معه ولكن انحرف الفرقان عن سواء السبيل كما قال

سارت مشرقة وسرت مقربا شتان بين مشرق ومغرب

فإن قيل فهل يمكنه الامتناع منها وقد خلقت فيه نفسها أو أسبابها الموجبة لها وخلق السبب الموجب  
خلق لسببه وموجبه قيل هذا السؤال يورد على وجهين أحدهما أن يراد به أنه يصير مضطرا إليها

ملجأ إلى فعلها بخلق أسبابها بحيث لا يبقى له اختيار في نفسه ولا إرادة وتبقى حركته قسرية لا إرادة الثانية أنه هل لا اختياره وإرادته وقدرته تأثير فيها والتأثير لقدرته الرب ومشيئته فقط وذلك هو السبب الموجب للفعل فان أوردتموه على الوجه الأول فخوابه أنه يمكنه أن يفعل ما لا يفضل ولا يصبر مضطرا ملجأ بخلقها فيه ولا يخفى أسبابها ودواعيها فانها إنما خلقت فيه على وجه يمكنه فعلها وتركها ولو لم يمكنه الترك لزم اجتماع التقيضين وأن يكون مريدا غير مريد فاعلا غير فاعل ملجأ غير ملجأ وأن أوردتموه على الوجه الثاني فخوابه أن لأرادته واختياره وقدرته أثرا فيها وهي السبب الذي خلقها الله في العبد فقولكم أنه لا يمكنه الترك مع الاعتراف بكونه متسكنا من الفعل جمع بين التقيضين فانه إذا تمكن من الفعل كان الفعل اختياريا أن شاء فعله وأن شاء لم يفعله فكيف يصح أن يقال لا يمكنه ترك الفعل الاختياري الممكن هذا خلف من القول وحقيقة الامر أنه يمكنه الترك لو أراد لكنه لا يريد فصار لازما بالإرادة الجازمة فان قيل فهذا يكفي في كونه مجبورا عليه قيل هذا من أدل شيء على بطلان الجبر فانه إنما لزم بإرادته المنافية للجبر ولو كان وجوب الفعل بالإرادة يقتضي الجبر لكان الرب تعالى وتقدس مجبورا على أفعاله لوجوبها بإرادته ومشيئته وذلك محال فان قيل الفرق أن إرادة الرب تعالى من نفسه لم يجعله غيره مريدا والعبد إرادته من ربه أذهى غلظه فانه هو الذي جعله مريدا قيل هذا موضع اضطرب فيه الناس فسلكت فيه القدرية وأدبا وسلكت الحيرية وأدبا فقالت القدرية العبد هو الذي يحدث إرادته وليست مخلوقة لله والله مكنه من أحداث إرادته بأن خلقه كذلك وقالت الحيرية بل الله هو الذي يحدث إرادات العبد شيئا بعد شيء فاحداث الإرادات فيه كاحداث لونه وطوله وقصره وسواده ورياضه مما لا صنع له فيه أثبتة فلو أراد أن لا يريد لما أمكنه ذلك وكان كما لو أراد أن يكون طوله وقصره ولونه على غير ما هو عليه فهو مضطر إلى الإرادة وكل إرادة من إراداته فهي متوقفة على مشيئة الرب لها بخصوصها فهي مرادة سبحانه كما هي معلومة مقدورة فلزمهم القول بالجبر من هذه الجهة ومن جهة تقيسهم أن يكون لإرادة العبد وقدرته أثر في الفعل فان قيل فأي وأد تسلكونه غير هذين الواديين وأي طريق ترمون فيها سوى هذين الطريقين قيل نعم هما طريقة ثالثة لم يسلكها الفريقان ولم يهتد إليها الطائفتان ولو حكمت كل طائفة ما معها من الحق والتزمت لوازمه وطردته لسانا إلى هذه الطريق ولأقبحا على الحجة المستقيمة فنقول والله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم بجملة مخلوق لله جسمه وروحه وصفاته وأفعاله وأحواله فهو مخلوق من جميع الوجوه وخلق على نشأة وصفة يتمكن بها من أحداث إرادته وأفعاله وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه فهو الذي خلقه وكونه كذلك وهو لم يجعل نفسه كذلك بل خلقه ويأريه جملة محددا لإرادته وأفعاله وبذلك أمره ونهاه وأقام عليه حجه وعرضه للتوابع والمقابله بما هو متمكن من أحداثه ونهاه عما هو متمكن من تركه ورب ثوابه وعقابه على هذه الافعال والتزوك التي مكنه منها وأقدره عليها وناطها به وفطر خلقه على مدحه وذمه عليها مؤثمة وكافهم المقر بالشرائع منهم والجاد لها فكان مريدا شائيا بمشيئة الله له ولا مشيئة الله أن يكون شائيا لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائيا فالرب سبحانه أعظمه مشيئة وقدرته وإرادته وعرفه ملقبه وما يضره وأمره أن يجري مشيئته وإرادته

وقدرته في الطريق التي يصل بها الى غاية صلاحه فاجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكة وقال أجرها في هذه الطريق فعذل بها الى الطريق الأخرى وأجراها فيها فقلبت به قوة رأسها وشدت سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين ادارتها الى ورائها مع اختيارها وارادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدورا أصبت وإن قلت لم يبق في هذه الحال يسره من أمرها شيء ولا هو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقبأ أئدة المعادين وأبصارهم وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عربته له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها الى محبتها فنهأ عقله وذكره ما في ذلك من التلف والمطب وأراه مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فهاد يعاود النظر مرة مرة ويبحث نفسه على التعلق وقوة الإرادة ويحرض على أسباب المحبة ويدني الارقود من النار حتى إذا اشتعلت وشب خراطها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيات لاتي حين مناص والشد

تولع بالشق حتى عشق فلما استقل به لم يسطر

رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فكان التزلزل أولاً مقدورا له المالم يوجد السبب التام والإرادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعي واستحكمت الإرادة قال الحب لعاذله

يا عاذلي والامر في يده بهلا عذلت وفي يدي الامر

فكان أول الامر ارادة واختيارا ومحبة ووسطه اضطرابا وآخره عقوبة وبلاء ومثل هذا برجل ركب فرسا لا يملكه راكمه ولا يتكهن من رده وأجراه في طريق ينشأ به الى موضع هلاك فكان الامر اليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الامر عن يده فلما وصلت به الى الغاية حصل على الهلاك ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله اذا حثي عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختيارا فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرابا وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الأئمة ولهذا قالوا اذا زال عقله بسبب يمشي فيه لم يقع طلاقه فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لم يوقموا الطلاق قوهم افقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يطله في الصحابة مخالف ورجع عليه الامام أحمد واستقر عليه قوله فان الطلاق ما كان عن طر والسكران لا وطرله في الطلاق وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم وقوع الطلاق في حال التلخ والسكر من التلخ كإكراه الجنون من التناق بل قد نص الامام أحمد وأبو عبيد وأبو داود على ان الغضب اغلاق وفسره الامام أحمد الحديث في رواية أبي طالب وهذا يدل على ان مذهبه ان طلاق الغضبان لا يقع وهذا هو الصحيح الذي أفتى به اذا كان الغضب شديدا قد أغلق عليه قصده فانه يصير بمنزلة السكران والمكره بل قد يكون ان أحسن حالا منه فان العبد في حال شدة غضبه يصدر منه ما لا يصدر من السكران من الأقوال والأفعال وقد أخبر الله سبحانه أنه لا يجب دعاءه على نفسه وولده في هذه الحال ولو أجابه لقضى اليه أجله وقد عذر سبحانه من اشتد به الفرح بوجود راحلته في الأرض المهلكة بعدما يأمن منها فقال اللهم أنت عبيدي وأنا ربك ولم يجعله بذلك كافرا لانه أخطأ بهذا القول من شدة الفرح فكما



رحمته واحسانه وجوده يقتضي ان لا يؤاخذ من اشتد غضبه بدعائه على نفسه وأهله وولده ولا بطلاقة  
لزوجته وأما اذا زال عقله بالغضب فلم يقل ما يقول فان الامة متفقة على انه لا يقع طلاقه ولا عتقه  
ولا يكفر بما يجرى على لسانه من كلمة الكفر

### الباب التاسع عشر

في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعهما مجلس مذاكرة

قال الجبري القول بالجبر لازم لصحة التوحيد ولا يستقيم التوحيد الا به لانا ان قل بالجبر اثبتنا فاعلا  
للحوادث مع الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وهذا شرك ظاهر لا ينخلص منه الا القول بالجبر قال  
السني بل القول بالجبر مناف للتوحيد ومع منافاته للتوحيد فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل والثواب  
والعقاب فلو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الامر والنهي وبازم من بطلان ذلك بطلان الثواب  
والعقاب قال الجبري ليس من العجب دعواك منافاة الجبر للامر والنهي والثواب والعقاب فان هذا  
لم يزل يقال وانما العجب دعواك منافاته للتوحيد وهو من أقوى أدلة التوحيد فكيف يكون المصور  
للشيء المقوى له منافاة قال السني منافاته للتوحيد من أظهر الامور ولعلها أظهر من منافاته الامر  
والنهي وبيان ذلك ان أصل عقد التوحيد وإثباته هو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله  
والجبر ينافي الكلمتين فان الاله هو المستحق لصفات الكمال المتعوت بتعوت الجلال وهو الذي تأمله  
القلوب وتقسد اليه بالحُب والخوف والرجاء فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو افراد الرب بالتأله  
الذي هو كمال الذل والخضوع والافتقار له مع كمال المحبة والاثابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته وإيتار  
محابه ومراده الذي على محبة البدو مراده فهذا أصل دعوة الرسل واليه دعوا الامم وهو التوحيد الذي  
لا يقبل الله من أحد ديناً سواه لامن الاولين ولامن الآخرين وهو الذي أمر به رسوله وأُزيل به كتيبه  
ودعا اليه عباده ووضع لهم دار الثواب والعقاب لاجله وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله وكان من قولك أيها  
الجبري ان البعد لا قدرته على هذا البتة ولا أثر له فيه ولا هو فعله وأمره بهذا أمر له بما لا يطبق بل أمر له بإيجاد  
فعل الرب وان الرب سبحانه أمره بذلك واجبره على ضده وحال بينه وبين ما أمر به ومنعه منه وصد عنه ولم  
يجعل له الى سبيل او وجه من الوجوه مع قولك انه لا يجب ولا يجب فلا تأمله القلوب بالحجوة والود والشوق والطلب  
وارادة وجهه والتوحيد معنى يتنظم من اثبات الالهية وإثبات النبوية فرقت معنى الالهية بانكار  
كونه محبوا مودودا يتنافس القلوب في محبته واورادة وجهه والشوق الى لقائه ورفقت حقيقة النبوية  
بانكار كون البعد فاعلا وعابدا ومجا فان هذا كله مجاز لاحقيقه عندك فضع التوحيد بين الجبر  
وانكار محبته وارادة وجهه لاسيا والوصف الذي وصفته به منفر للقلوب عنه حائل بينها وبين محبته فانك  
وصفته بانها أمر عبدا لا قدرته على فعله ونهاه عما لا يقدر على تركه بل يأمره بفعله هو سبحانه ونهاه عن  
فعله هو سبحانه ثم يعاقبه أشد العقوبة على ما لم يفعله البتة بل يعاقبه على أفعاله هو سبحانه وصرحت بان  
عقوبته على ترك ما أمره وفعل ما نهاه بمنزلة عقوبته على ترك طيرانه الى السماء وترك تحويله للجبال  
عن اماكنها وقته مياه البحار عن مواضعها ومنزلة عقوبته على ما لا يصنع له فيه من لونه وطوله  
وقصره وصرحت بأنه يجوز عليه ان يندب أشد المذاب لمن لم يصبه طرفة عين وان حكمته ورحمته

لا تمنع ذلك بل هو جائز عليه ولولا خبره عن نفسه بأنه لا يفعل ذلك لم نتره عنه وقلت ان تكليفه عباده بما كلفهم بمنزلة تكليف الاعلى للكتابة والزم للظهير ان قبضت الرب الى من دعوته الى هذا الاعتقاد وقرته عنه وزعمت انك تقرر بذلك توحيدك وقد قلت شجرة التوحيد من اصحابها وأما مناقاة الجبر للشرائع فامر ظاهر لا خفاء به فان مبنى الشرائع على الامر والهي وأمر الامر لغيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور ونبيه عن فعله لا بفعل المنهى عنه ظاهر فان متعلق الامر والهي فعله البعد وطاعته ومعصيته فن لا يفضل له كيف يتصور ان يوقفه بطاعة أو معصية واذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب وكان ما مضى الله بعباده يوم القيامة من التبع والمذاب أحكاما جارية عليهم بمحض المباشرة والقدرة لانها باسباب طاعتهم ومعاصيهم بل هنا أمر آخر وهو ان الجبر مناف للخلق كما هو مناف للامر فان الله سبحانه له الخلق والأمر وما قامت السموات الابدية فالخلق قام ببدله وببدله ظهر كما ان الامر ببدله وجد فالعدل سبب وجود الخلق والامر وغايته فهو على القناعة النائية والجبر لا يجمع العدل ولا يجمع الشرع والتوحيد قال الجبري لقد نطقت أيتها السني بعظم وفهت بكبير وناقضت بين متناقضين وخلفت بين متلازمين فان أدلة العقول والشرع المتقول قائمة على الجبر ومدل على العقل والثقل كيف ينافي موجب العقل والشرع فاسمع الآن الدليل الباهر والبرهان القاهر على الجبر ثم تبينه بانثال فتقول بحدوث الفعل عند حصول القدرة والداعي اما أن يكون واجبا أولا يكون واجبا فان كان واجبا كان فعل البعد اضطراريا وذلك عين الجبر لان حصول القدرة والداعي ليس بالبعد والالزام التسلسل وهو ظاهر واذا كان كذلك فمتى حصولهما يكون واجبا وعند عدم حصولهما يكون الفعل متمما فكان الجبر لازما لا محالة وأما ان لم يكن حصول الفعل عند حصول القدرة والداعي واجبا فاما أن يتوقف رجحان الفعل على رجحان الترتيب على مرجح أولا يتوقف فان توقف كان حصول ذلك للفعل عند حصول المرجح واجبا والاعاد الكلام ولزم التسلسل واذا كان واجبا كان اضطراريا وهو عين الجبر وان لم يتوقف على مرجح كان جائز الوقوع وجائز العدم فوقوعه بغير مرجح يستلزم حصول الامر بلا مؤثر وذلك محال فان قلت المرجح هو ارادة البعد \* قلت لك ارادة البعد حادثة والكلام في حدوثها كالكلام في حدوث المراد بها ويلزم التسلسل قال السني هذا أحد سهم في كنتانك وهو بحمد الله سهم لا يريش له ولا يفصل مع عوجه وعدم استقامته وأنا استفسرك عما في هذه الحجة من الانفاظ الجملة المستمدة على حق وباطل وابين فسادها فان تنق بغيرك ان كان الفعل عند القدرة والداعي واجبا كان فعل البعد اضطراريا وهو عين الجبر أتتني به ان يكون مع القدرة والداعي بمنزلة حركة المرتش وحركة من فضته الحمى وحركة من رمى به من مكان عال فهو يتحرك في نزوله اضطرارا منه أم تنق به ان الفعل عند اجتماع القدرة والداعي يكون لازم الوقوع بالقدرة فان أردت بكونه اضطراريا المبني الاول كذبتك العقول والفطر والحس والبيان فان الله فطر عباده على التفريق بين حركة من رمى به من شاقق فهو يتحرك الى أسفل وبين حركة من يرقى في الجبل الى علوه وبين حركة المرتش وبين حركة المصفق وبين حركة الزاني والسارق والمجاهد والبلعي وحركة المكتوف الذي قد أوثق رباطا وجر على الارض فن سوى بين الحركتين فقد خلغ ربة العقل والفطرة

والشريعة من عنقه وإن أردت المنى الثاني وهو كون العقل لازم الوجود عند القدرة والداعي كان لازم الوجود وهذا لقائده فيه وكونه لازما وواجبا بهذا المنى لا ينافي كونه مختارا مراداه مقدورا له غير مكره عليه ولا يجبور فهذا الوجوب والازوم لا ينافي الاختيار ثم نقول لو سمحت هذه الحجة لزم أن يكون الرب سبحانه مضطرا على أفعاله مجبورا عليها بمعنى ما ذكرت من مقدماتها وأنه سبحانه يفعل بقدرته ومشيئته وما ذكرت من وجوب الفعل عند القدرة والداعي امتناعه عند عدم ثابته في حق سبحانه وقد اعترف أصحابك بهذا الإلزام وأجابوا عنه بما لا يجدي شيئا قال ابن الخطيب عقيب ذكر هذه الشبهة فإن قلت هذا ينبغي كونه فاعلا مختارا قلت الفرق أن إرادة البد محدثة فاقترحت إلى إرادة يمجدها الله دفعا للسلسل وإرادة الباري قديمة فلم تنقصر إلى إرادة أخرى ورد هذا الفرق صاحب التحصيل فقال ولما قلت أن يقول هذا لا يدفع التقسيم المذكور قلت فإن التقسيم متردد بين لزوم الفعل عند الداعي وامتناعه عند عدمه وهذا التقسيم ثابت في حق الغائب والشاهد وكون إرادة الرب سبحانه قديمة من لوازم ذاته لا فاعل لها لا يمنع هذا التردد والتقسيم فإن عند ثبوتها بإيراد يلزم وقوعه وعند عدم ثبوتها يمتنع وقوعه وهذا الازوم والامتناع لا يخرج سبحانه عن كونه فاعلا مختارا ثم نقول هذا المنى لا يسمى جبرا ولا اضطرارا فإن حقيقة الجبر ما حصل بأكراه غير الفاعل له على الفعل وحمله على إيقاعه بغير رضاه واختياره والرب سبحانه هو الخالق للإرادة والهيئة والرضا في قلب البد فلا يسمى ذلك حيرا لافقه ولا عقلا ولا شرعا ومن السج احتجاجك بالقدرة والداعي على أن الفعل الواقع بهما اضطراري من البد والفعل عندكم لم يقع بهما ولا هو فعل البد بوجه وإنما هو عين فعل الله وذلك لا يتوقف على قدرة من البد ولا دواع منه ولا هناك ترجيح له عند وجودهما ولا عدمه ترجيح عند عدمهما بل نسبة الفعل إلى القدرة والداعي كنسبته إلى عدمهما فالفعل عندك غير فعل الله فلا ترجيح هناك من البد ولا مرجح ولا تأثير ولا أثر قال السني وقد أجابك اخوانك من القدريّة عن هذه الحجة بأجوبة أخرى فقال أبو هاشم وأصحابه لا يتوقف فعل القادر على الداعي بل يكفي في فعله مجرد قدرته قالوا فتقولك عند حصول الداعي أمّا أن يجب الفعل أو لا يجب عندنا لا يجب الفعل بالداعي ولا يتوقف عليه ولا يمكنك أبها الجبري الرد على هؤلاء فإن الداعي عندك لا تأثير له في الفعل البتة ولا هو متوقف عليه ولا على القدرة فإن القدرة الحادثة عندك لا تؤثر في مقدورها فكيف يؤثر الداعي في الفعل فهذه الحجة لا تتوجه على أصولك البتة وغايتها إلزام خصومك بها على أصولهم وقال أبو الحسين البصري وأصحابه يتوقف الفعل على الداعي ثم قال أبو الحسين إذا مجرد الداعي وجب وقوع الفعل ولا يخرج هذا الوجوب عن كونه اختياريا وقال محمود الخوارزمي صاحبه لا ينهي بهذا الداعي إلى حد الوجوب بل يكون وجوده أولى قالوا فتجيبك عن هذه الشبهة على الرأيين جميعا أما على رأي أبي هاشم فتقول صدور أحدى الحركتين عنه دون الأخرى لا يحتاج إلى مرجح بل من شأن القادر أن يوقع الفعل من غير مرجح لجانب وجوده على عدمه قالوا ولا استبعاد في العقل في وجود مخلوق متمكن من الفعل بدلا عن الترك وبالضد من غير مرجح كما أن التام والمباهي يحركان من غير داع وإرادته فإن قام بل هناك داع وإرادته لا يذكرها التام والناسي كان ذلك مكابرة قلت وأصحاب هذا القول يقولون إن

القادر هو الذي يفعل مع جواز أن لا يفعل وأصحاب القول الاول يقولون بل يفعل مع وجوب أن يفعل ومحمود الخوارزمي توسط بين المذهبين وقال بل يفعل مع أولوية أن يفعل ولا يتهي التزجيج الى حد الوجوب فالقول خمسة أحدها أن الفعل موقوف على الداعي فإذا انضمت القدرة اليه وجب الفعل بمجموع الأمرين وهذا قول جمهور العقلاء ولم يصنع ابن الخطيب شيئا في نسبه الى الفلاسفة وأبي الحسين البصري من المعتزلة الثاني أن الفعل يجب بقدرة الله وقدرة العبد وهذا قول من يقول أن قدرة العبد مؤثرة في مقدوره مع قدرة الله على عين مقدور العبد وهذا قول أبي اسحق واختيار الجويني في النظامية الثالث قول من يقول يجب بقدرة الله فقط وهذا قول الأشعري والقاضي أبي بكر ثم اختلفا فقال القاضي كونه فلا واقع بقدرة الله وكونه صلاة أو حجا أو زنا أو سرقة واقع بقدرة العبد فتأثير قدرة الله في ذات الفعل وتأثير قدرة العبد في صفة الفعل وقال الأشعري أصل الفعل ووصفه وأمان بقدرة الله ولا تأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا الرابع قول من يقول لا يجب الفعل من القادر التة بل القادر هو الذي يفعل مع جواز أن لا يفعل فلا يتهي فعل القادر المختار الى الوجوب أصلا وهذا قول أبي هاشم وأصحابه الخامس أن يكون عند الداعي أولى بالوقوع ولا يتهي الى حد الوجوب وهذا قول الخوارزمي وقد سلم أبو الحسين أن الفعل يجب مع الداعي وسلم أن الداعي مخلوق لله وقال أن العبد مستقل بإيجاد فعله قال والعم بذلك ضروري قال ابن الخطيب وهذا غلوه في القدر وقوله أنه يتوقف على الداعي والداعي خلق لله غلو في الجبر فجعل بين القدر والجبر مع غلوه فيما ولم ينصفه فليس ما ذهب اليه غلو في قدر ولا جبر فإن توقف الفعل على الداعي ووجوبه عنده بقدرة العبد ليس جبرا فضلا أن يكون غلوا فيه وكون العبد محدثا لفعله ضرورة بما خلقه الله فيه من القدرة والاختيار ليس قولنا بذهب القدرة فضلا عن كونه غلوا فيه

فصل قال الجبري إذا كان الداعي ليس من أفعالنا وهو علم القادران في ذلك الفعل مصالحة له وذلك أمر مركوز في طبيعته التي خلق عليها وذلك مقبول لله فيه والفعل واجب عنده فلا معنى للجبر الا هذا \* قال له السني أخوك القدرى يبيحك عن هذا بأن ذلك الداعي قد يكون جهلا وغلطا وهذه أمور يحدتها الانسان في نفسه فيفعل على حسب ما يتوهم أن فيه مصلحته صادفها أو لم يصادفها فالداعي لا ينحصر في العلم خاصة \* قال الجبري لا يساوى هذا الجواب شيئا فإن العطشان مثلا يدعوه الداعي الى شرب الماء لعله ينفعه وشهونه وميله الى شربه وذلك العلم وتلك الشهوة والميل الى الشرب من فعل الله فيجب على القدرى أن يترك مذهبه صاغرا داخرا ويعترف بأن ذلك الفعل مضاف الى من خلق فيه الداعي المتقضي \* قال القدرى ذلك الداعي وإن كان من فعل الله إلا أنه جار مجرى فعل المكلف لانه قادر على أن يبطل أثره بأن يستنصر صارفان الشرب مثل أن يججم عن الشرب تجربة هل يقدر على مخالفة الداعي أم لا فاحجابه لاجل التجربة أثر داع فإن هو الصارف يعارض الداعي قاطبي قادر على تحصيله وقادر على إتياء الداعي الاول بماله فاقاؤه الداعي الاول بماله واعراضه عن احضار المعارض له أمر لولاه ما حصل الشرب فن هذا الوجه كان الشرب فضلا له لانه قادر على تحصيل الانهباب المختلفة التي تصدر عنها الآثار ويصير هذا

كمن شاهد انسانا في نار متأججة وهو قادر على اطفاؤها عنه من غير مشقة ولا مانع فانه ان لم يطفئها  
 استحق النعم وان كان الاحراق من أثر النار وقد أجاب ابن أبي الحديد بجواب آخر فقال ويمكن  
 أن يقال اذا تجرد الداعي كما ذكرتم في صورة العطشان فان التكليف بالفعل والتكليف لانه يصير  
 أسوأ حالا من الملجأ وهذا من أفسد الاجوبة على أصول جميع الفرق فان مقتضى التكليف قائم  
 فكيف يسقط مع حضور الفعل والقدرة وهذا قدم رابع من الذين رفع عنهم التكليف بأنه هذا  
 القدرى زائدا على الثلاثة الذين رفع عنهم القلم وهذا خرق منه لاجماع الامة المعلوم بالضرورة ولو  
 سقط التكليف عند تجرد الداعي لكان كل من تجرد داعيه الى فعل ما أسره به قد سقط عنه التكليف  
 وهذا القول أقبح من القول بتكليف ما لا يطاق ولهذا كان القائلون به أكثر من هذا القائل وقولهم  
 يحكى ويتاخر عليه \* قال الجبري اذا كان الداعي من الله وهو سبب الفعل والفعل واجب عنده كان  
 خالق الفعل هو خالق الداعي أى خالق السبب \* قال السني هذا حق فان الداعي مخلوق لله في البدن  
 وهو سبب الفعل والفعل يضاف الى الفاعل لانه صدر منه ووقع بقدرته ومشيئته واحتياجه وذلك  
 لا يمنع اضافته بطريق العموم الى من هو خالق كل شئ وهو على كل شئ قدير وأيضا فالداعي ليس  
 هو المؤثر بل هو شرط في تأثير القادر في مقدوره وكون الشرط ليس من العبد لا يخرج عن كونه  
 فاعلا وغاية قدرة العبد وارادته الجازمة ان يكون شرطا أو جزء سبب والفعل موقوف على شروط  
 وأسباب لا صنع للعبد فيها البتة وأسهل الافعال رفع العين لرؤية الشئ فبأن تقع العين فعل العبد  
 الا أنه لا يستقبل بالادراك فان تمام الادراك موقوف على خلق البدن وكونه قابلا للرؤية وخلق آلة  
 الادراك وسلامتها وصرف الموانع عنها فالتوقف عليه الرؤية من الاسباب والشروط التي لا تدخل  
 تحت مقدور العبد أضعاف أضعاف ما يقدر عليه من تقليب حدثه نحو المرتضى فكيف يقول عاقل ان  
 جزء السبب أو الشرط موجب مستقل لوجود الفعل وهذا الموضع مما ضل فيه الفريقان حيث زعمت  
 القدرية انه موجب للفعل وزعمت الجبرية انه لا أثر له فيه غالغت الطائفتان صريح المعقول والمنقول  
 وخرجت عن السمع والعقل والتحقق ان قدرة العبد وارادته ودواعيه جزء من أجزاء السبب التام  
 الذي يجب به الفعل فن زعم ان العبد مستقل بالفعل مع ان أكثر أسبابه ليست اليه فقد خرج عن  
 موجب الفعل والشرع فبأن دواعي حركة الضرب منك مستقلا بها فهل سلامة الآلة منك وهل  
 وجود المحل المتفعل وقبوله منك وهل خلق الفضاء بينك وبين المضروب وخلوه عن المانع منك  
 وهل امساك قدرته عن مضاربتك وغلبك منك وهل القوة التي في اليد والرباطات والاتصالات  
 التي بين عظامها وشدها أسرها منك ومن زعم انه لا أثر للعبد بوجهها في الفعل وان وجود قدرته  
 وارادته وعدمهما بالنسبة الى الفعل على السواء فقد كابر العقل والحس \* قال الجبري ان انتهت  
 سلسلة الترتيبات الى مرجح من العبد فذلك المرجح يمكن لاحالة فان ترجح بلا مرجح انسد  
 عليكم باب اثبات الصانع اذا جوزتم رجحان أحد طرفي الممكن وان توقف على مرجح آخر لزم  
 التسلسل فلا بد من انتهائه الى مرجح من الله لا صنع للعبد فيه قال السني أما اخوانك القدرية فاتهم  
 يقولون القادر المختار يحدث ارادته وداعيته بلا مرجح من غيره قالوا والقطرة شاهدة بذلك فانا  
 لا نفعل ما لم نريد ولا نريد ما لم نفعل ان في الفعل منفعة لها أو دفع مضرة ولا نجد لهذه الارادة ارادة

أحدثها ولا لعلنا بان ذلك نافع علما آخر أحدثه فالرجح هو ماخلق عليه العبد وفطر عليه من صفاته القائمة به قاله سبحانه أنشأ العبد نشأة يتحرك فيها بالطبع فحركته بالإرادة والمشية من لوازم نشته وكونه حيوانا قارذته وميله من لوازم كونه حيا فافعال العبد الخاصة به هي الدواعي والآراء لا غير وما يقع بها من الافعال شبيه بالفعل المتولد من حيث كان المتولد سببا وهذه الافعال صادرة عن الدواعي التي عرفها العبد ابتداء من غير واسطة فاشتراكها في ان كل واحد منهما مستند الى فعل خاص بالعبد فهما متماثلان من هذه الجهة قال السبي وهذا جواب باطل بأبطال منه ورد فاسد بأفاسد منه ومعاذ الله والله أكبر وأبمل وأعظم وأعز أن يكون في عبده شيء غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيتته فإقدر الله حق قدره من زعم ذلك ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه وكل ذرة فيه مخلوق لله خلقا تعرف به في عبده وقد بينا ان قدرته وإرادته ودواعيه جزء من أجزاء سبب الفعل غير مستقل بالعبادة ومع ذلك فهذا الجزء مخلوق لله فيه فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار وقرره الى خلقه وبارئه من لوازم ذاته وقلبه بيد خلقه وبين أسبعين من أصابعه قلبه كيف يشاء فيجعله مريدا لما شاء وقوعه منه كارها لما لم يشأ وقوعه فاشاء كان وما لم يشأ لم يكن ونعم والله سلسلة المرجحات تنتهي الى أمر الله الكوني ومشيتته النافذة التي لا سبيل لمخلوق الى الخروج عنها ولكن الجبر لفظ يحمل يراد به حق وباطل كما تقدم فإن أردتم به ان العبد مضطر في أفعاله وحركته في الصعود في السلم كحركته في وقوعه منه فهذا مكابرة للمقول والفطر وإن أردتم به انه لا حول له ولا قوة الا بره وفطره نعم لا حول ولا قوة الا بالله وهي كلمة عامة لأخصيص فيها بوجه ما القوة والقدرة والحول بالله فلا قدره له ولا فعل الا بالله فلا تسكر هذا ولا تنجده لتسمية القدرى له جبرا فليس الشأن في الاسماء ان هي الاسماء سميتوها أنتم وأبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فلا تترك لهذه الاسماء مقتضى العقل والایمان والحذور ان قول ان الله يعذب عبده على ما لا صنع له فيه ولا قدرة له عليه ولا تأثير له في فعله بوجه ما بل يعذب على فعله هو سبحانه وعلى حركته اذا سخط من علو الى سفلى نعم لا يتمتع أن يعذب على ذلك اذا كان قد تعاطى أسبابه بإرادته ومحبة كما يعاقب السكران على مجانبته في حال سكره لفرطه وعدوانه بارتكاب السبب وكما يعاقب العاشق الذي غلب على صبره وغفله وخرج الامر عن يده لفرطه السابق بتعاطي أسباب العشق وكما يعاقب الذي آل به اعراضه وبغضه الحق الى ان صار طبعه وتقلورا يئسا على قلبه فخرج الامر عن يده وحيل بينه وبين الهدى فيما يقب على ما يري له تدبره عليه ولا إرادة بل هو ممنوع منه وعقوبته عليه عدل محض لا ظلم فيه بوجه ما فإن قيل فهل يصير في هذه الحال مكلفا وتدجيل بينه وبين ما أمر به وصد عنه ومنع منه أم يؤول التكليف قيل يستغنى عن الجواب الشافي ان شاء الله عن هذا السؤال في باب القول في تكليف ما لا يطابق قريبا فانه سؤال حيد اذا المقصود ههنا الكلام في الجبر وما في لفظه من الاجمال وما في معناه من الهدى والضلال .

فصل في الجبري اذا صدر من العبد حركة معينة فاما ان تكون مقدورة للرب وحده أو العبد وحده أو للرب والعبد أو لا للرب ولا للعبد وهذا القسم الاخير باطل قطعاً والاسماء

الثلاثة قد قال بكل واحد منها طاقة فان كانت مقدورة للرب وحده فهو الذي يقوته وذلك عين الجبر وان كانت مقدورة للعبد وحده فذلك اخراج لبعض الاشياء عن قدرة الرب تعالى فلا يكون على كل شيء قدير ويكون العبد الخلق الضعيف قادرا على ما لم يقدر عليه خالقه وقاطره وهذا هو الذي فارقت به القدرة للتوحيد وضاحت به الجبوس وان كانت مقدورة للرب والعبد لزمتم الشركة ووقوع مفعول بين فاعلين ومقدور بين قادرين وأثر بين مؤثرين وذلك محال لان المؤثرين اذا اجتمعوا استقلالاً على اثر واحد فهو غنى عن كل منهما بكل منهما فيكون محتاجا اليهما مستغنيا بهما قال السني قد افرق الناس في هذا المقام فرقا شتى ففرقة قالت انما تقع الحركة بقدرة الله وحده لا بقدرة العبد وتأثير قدرة العبد في كونها طاعة او معصية فقدرة الرب وحده اقتضت وجودها وقدرة العبد اقتضت صفتها \* وهذا قول القاضي ابي بكر ومن اتبعه ولمر الله انه لغير شاف ولا كاف فان صفة الحركة ان كان اثر وجودها فقد أثرت قدرته في امر موجود فلا يتمتع تأثيرها في نفس الحركة وان كان صفها أمراً عديماً كان متعلق قدرته عديماً لا وجوداً وذلك يتمتع اثر القدرة لا يكون عديماً صفاً وفرقة اخرى قالت بل الفعل وصفته واقع بمحض قدرة الله وحده ولا تأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا وهذا قول الاشعري ومن اتبعه وفرقة قالت بل المؤثر قدرة العبد وحده دون قدرة الرب ثم انقسمت هذه الفرقة الى فرقتين فرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة مع كون الرب قادرا على الحركة وقالت ان مقدورات العباد مقدورة لله تعالى وهذا قول ابي الحسين البصري واتباعه الحسينية وفرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة والله سبحانه غير قادر على مقدور وهذا قول المشايخية اتباع ابي علي وابي هاشم وليس عند ابن الحطيب وجهور المتكلمين غير هذه الاقوال التي لا تشفي غيلاً ولا تروى غيلاً وليس عند اربابنا الا مناقضة بعضهم بعضاً وقد اجاب بعض اصحاب ابي الحسين عن هذا السؤال انه وان كان يقول بمقدور بين قادرين فله ان يقول في هذا المقام ان كان الدليل الذي ذكرته دليلاً صحيحاً على استحالة اجتماعهما على فعل واحد قائماً بذل على استحالة على فعلهما على سبيل الجمع ولا يستحيل على سبيل البذل كما يستحيل حصول جوهرين في مكان واحد ولا يستحيل حصولهما فيه على البذل وهذا جواب باطل قطعاً فان معونه ان أحدهما لا يقدر عليه الا اذا تركه الآخر فحال تلبس العبد بالفعل بقدرته وارادته ان كان مقدوراً لله فهو القول بمقدور بين قادرين وان لم يكن مقدوراً له لزم اخراج بعض الممكنات عن قدرته \* فان قلت هو قادر عليه بشرط أن لا يقدر عليه العبد \* قيل لك فهذا تصريح منك بانه في حال قدرة العبد عليه لا يقدر عليه الرب فلا يتمتع القول بانه قادر عليه على اليد وأيضاً فان قدر عليه بشرط ان لا يقدر عليه العبد فاذا قدر العبد عليه انتفت قدرة الرب انتفاء شرطها وهذا محاصح به عليكم أهل التوحيد من أقطار الارض ورموكم به عن قوس واحدة وانما صانتم به أهل السنة مصانعة والا حقيقة هذا القول ان العبد يقدر على ما لا يقدر عليه الرب وحكاية هذا الرأي الباطل كاذبة في فساد \* فان قلت كما لا يتمتع معلوم واحد بين عالين ومهاد واحد بين مرهدين \* قيل هذا من أفسد القياس لان المعلوم لا يتأثر بالمعالم والمراد لا يتأثر بالمريد فيصح الاشتراك في المعلوم والمراد كما يصح الاشتراك في المرئي والمسموع وأما المقدور فيجوز اشتراك القادرين فيه بالقدرة المسححة

وهي حجة وقوعه من كل واحد منهما وحجة التأثير من أحدهما لا تنافي حجة من الآخر اما اشتراكهما فيه بالقدرة الموجبة المقارنة لمقدورها فهو عين الحال الا أن يراد الاشتراك على البديل فيكون تأثير أحدهما فيه شرطاً في تأثير الآخر ولما عطف أبو الحسين لهذا قال لست أقول ان اضافته الى أحدهما هي اضافته الى الآخر كما ان الشيء الواحد يكون معلوماً للملئيين ويتمتع ان يكون علم أحدهما به هو علم الآخر فمكنا أقول في المقدور بين قادرين ليست قدرة أحدهما عليه هي قدرة الآخر والمفعول بين فاعلين ليس فعل أحدهما فيه هو فعل الآخر وإنما معنى قولى هذا انه فعل لهذا وتأثير له أنه لقدرته وداعيته فوجد وليس معنى كونه وجد لقدرة هذا وداعيته هو معنى كونه وجد لقدرة الآخر وداعيته قال وليس يتمتع في العقل اضافة شيء واحد الى شيئين لكنه يتمتع ان يكون اضافته الى أحدهما هي عين اضافته الى الآخر \* وهذا لا يجدى عنه شيئاً فان اتقسم المذكور دائر فيه ونحن نقول قد دل الدليل على شمول قدرة الرب سبحانه لكل ممكن من الذوات والصفات والافعال وأنه لا يخرج شيء عن مقدوره البتة ودل الدليل ايضا على أن العبد فاعل لفعله بقدرته واراادته وأنه فعل له حقيقة يمدح ويذم به عقلاً وعرفاً وشرعاً وفطرة فطر الله عليها العباد حتى الحيوان البهيمة ودل الدليل على استحالة مفعول واحد باليمين بين فاعلين مستقلين وأثر واحد بين مؤثرين فيه على سبيل الاستقلال ودل الدليل ايضا على استحالة وقوع حادث لا يحدث له ورجحان راجح لا مرجح له \* وهذه امور كتبها الله سبحانه في العقول وحجج العقل لا تناقض ولا تتعارض ولا يجوز ان يضرب بعضها ببعض بل يقال بها كلها ويذهب الى موجبها فانها يصدق بعضها بعضها وانما يعارض بينهما من ضعف بصيرته وان كثرت كلامه وكثرت شكوكه والتم امر آخر وراء الشكوك والاشكالات ولهذا تناقض الخصوم \* وهذا رأس مال المتكلمين والقول الحق لم ينحصر في هذه الأقوال التي حكوها في المسئلة \* والصواب ان يقال تقع الحركة بقدرة العبد واراادته التي جعلها الله فيه فافه سبحانه اذا اراد فعل العبد خلق له القدرة والباعى الى فعله فيضاف الفعل الى قدرة العبد اضافة السبب الى مسيبه ويضاف الى قدرة الرب اضافة المخلوق الى الخالق فلا يتم وقوع مقدور بين قادرين قدرة أحدهما أثر لقدرة الآخر وهي جزء سبب وقدرة القادر الآخر مستقلة بالتأثير والتأثير عن هذا المعنى بمقدور بين قادرين تعبير فاسد وتليس فانه يوهم انهما متكافئان في القدرة كما تقول هذا الثوب بين هذين الرجلين وهذه الدار بين هذين الشريكين وانما المقدور واقع بالقدرة الحادثة وقوع السبب بسببه والسبب أو المسبب والفاعل والآلة كله أثر القدرة القديمة ولا تعطل قدرة الرب سبحانه عن شمولها وكاملها وتناولها لكل ممكن ولا تعطل قدرة الرب التي هي سبب عما جعلها الله سبباً له ومؤثرة فيه وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته وكل ماسواه مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيئته ومن أنكر ذلك لزمه اثبات خالق سوى الله أو القول بوجود مخلوق لا خالق له فان فعل العبد ان لم يكن مخلوقاً لله كان مخلوقاً للعبد اما استقلالاً واما على سبيل الشركة واما ان يقع بغير خالق ولا غلص عن هذه الاقسام لتكر دخول الافعال تحت قدرة الرب ومشيئته وخلقها واذا عرف هذا فنقول الفعل وقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً كما وقعت سائر المخلوقات بقدرة وتكوينه وبقدرة العبد سبباً ومباشرة والله خلق الفعل



والعبد فعله وبشره والقدرة الحادثة وأثرها وأصان بقدرة الرب ومشيئته

**فصل** قال الجيري لو كان العبد قاعلا لأفعله لكان علما بتفاصيلها لانه يمكن أن يكون الفعل أزيد مما فعله أو أقص فوقه على ذلك الوجه مشروط بالعلم بتفاصيله ومعلوم ان الثائم والغافل قد يفعل الفعل ولا يشعر بكيفية ولا قدرة وأيضا فلتحرك يقطع المسافة ولا شعوره بتفاصيل الحركة ولا اجزاء المسافة ومحرك أصبه محرك لاجزائها ولا يشعر بعدد اجزائها ولا يبعد اجازها والمنفس يحس باختياره ولا يشعر في الغالب بنفسه فضلا عن أن يشعر بكميته وكيفيته ومبدئه ونهايته والغافل قد يتكلم بالكلمة ويفعل الفعل باختياره ثم بعد فراغه منه يعلم أنه لم يكن قاصدا له فحين نعلم علما ضروريا من أنفسنا عدم علما بوجود أكثر حركاتنا وسكناتنا في حالة المتي والقيام والقيود ولواردا فضل كل جزء من أجزاء حركاتنا في حالة اسراعنا بالشي والحركة والاحاطة به لم يمكننا ذلك بل ونعلم ذلك من حال أكل السقلاء فا الثمن بالحيوانات المحم في مشيها وطيرانها وسباحتها حتى الذر والبعض وهذا مشاهد في السكران ومن اشتبه الغضب ولهذا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تروا بالصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فدل على أن السكران يصدر منه أقوال لا يعلم بها فكيف يكون هو المحدث لتلك الأقوال وهو لا يشعر بها والارادة فرع الشعور ولهذا أفنى الصحابة بأنه لا يقع طلاق السكران نزولوا حركة لسانه منزلة تحريك غيره له بغير ارادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق في الاغلاق لان الاغلاق يمنع العلم والارادة فكيف يكون التطلاق فعله وهو غير عالم به ولا مراده وأيضا فقد قال جمهور الفقهاء ان التاسي غير مكلف لان فعله لا يدخل تحت الاختيار ففعله غير مضاف اليه مع أنه وقع باختياره وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بيته في قوله من أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه قائما أطعمه الله وسقاه فاضاف فعله الى الله لانه لم يكن له فعل في الاكل والشرب فلم يخطئه قال النبي هذا موضع تفصيل لا يليق به الاجال فنقول ما يصدر من العبد من الافعال ينقسم أقساما متعددة بحسب قدرته وعلمه وداعيته وارادته فتارة يكون ملجأ الى الفعل لا ارادة له فيه بوجه ما كن أمسكت يده وضرب بها غيره أو أمسكت أصبه وقلع بها عين غيره فهذا فعله بمنزلة حركات الاشجار بالريح ولهذا لا يترتب عليه حكم البتة ولا يجحد عليه ولا يذم ولا يثاب ولا يثاق وهذا لا يسمى قاعلا عقلا ولا شعرا ولا عرفا وتارة يكون مكرها على أن يفعل فهذا فعله بضاف اليه وليس كالمملأ الذي لا قصل له واختلف الناس هل يقال أنه فعل باختياره وأنه يختار ماضيه أولا يطلق عليه ذلك على قولين والتحقيق ان النزاع لفظي فانه فعل بارادة هو محمول عليها مكره عليها فهو مكره مختار مكره على ان يفعل بارادته مريد ليفعل ما أكره عليه فان أريد بالاختار من يفعل بارادته وان كان كاره الفعل فالمكره مختار وأيضا فهو مختار ليفعل ما أكره لانه لم يخلصه به بما هو أكره اليه من الفعل فلما عرض له مكره هان أحدهما أكره اليه من الآخر اختار ايسرهما دفعا لاشقيهما ولهذا يقتل قصاصا اذا قتل عند الجمهور والمملأ لا يقتل باتفاق الناس وما يوضح هذا ان المكره على التكلم لا يثنى منه التكلم الا باختياره وارادته ولهذا أوقع طلاقه وعناقه بعض العلماء والجمهور قالوا لا يقع لان الله جعل كلام المكره على كلمة الكفر لئلا يترتب عليه أثره لانه وان قصد التكلم باللفظ دفعا عن نفسه فلم يقصد معناه وموجبه حتى قال بعض الفقهاء لو قصد الطلاق قبله مع الاكرام

يقع طلاقه لان قوله حذر وانمو عند الشارع فوجوده كعدمه في حكمه ففي مجرد القصد وهو غير موجب للطلاق وهذا ضيف فان الشارع انما القى قول المكره اذا تجرد عن القصد وكان قلبه مطبوعا بضده كما اذا قارن انقض القصد واطمان القلب بموجبه فانه لا يندرج فان قيل فما تقولون فيمن ظن ان الاكراه لا يمنع وقوع الطلاق فقصد جاهل بالان اكراه مانع من وقوعه قيل هذا لا يقع طلاقه لانه لما ظن ان الاكراه على الطلاق يوجب وقوعه اذا تكلم به كان حكم قصده حكم لغته فانه انما قصده دفعا عن نفسه لما علم انه لا يتخلص الا به ولم يظن ان الكلمة بدون القصد لنفوا ودهش عن ذلك ولا وطر له في الطلاق فهذا لا يقع بخلاف الاول فانه لما اكراه على الطلاق نشأ له قصد طلاقها اذا غرضه ان يقيم مع امرأته اكراه على طلاقها وان كان لو لم يكره لم يتبدى طلاقها والمقصود ان المكره مرید لقله غير ملجأ اليه

**فصل** وأما افعال التائب فلا ريب في وقوع الفعل القليل منه والكلام المفيد واختلاف التائب هل تلك الافعال مقدورة له أو مكتسبة أو ضرورية بعد اتحاقهم على انها غير داخلة تحت التكليف فقالت المعتزلة وبعض الاشعرية هي مقدورة له والتوم لا يصاد القدرة وان كان يصاد العلم وغيره من الادراكات وذهب أبو اسحاق وغيره الى ان ذلك الفعل غير مقدوره وأن التوم يصاد القدرة كما يصاد العلم وذهب القاضي أبوبكر وكثير من الاشعرية الى ان فعل التائب لا يقطع بكونه مكتسبا ولا بكونه ضروريا وكل من الامرين ممكن قال أصحاب القدرة كان التائب قادرا في يقظته وقدرته باقية والتوم لا ينافيها فوجب استصحاب حكمها قالوا وأيضا فالتائب اذا اتبه فهو على ما كان عليه في نومه ولا يتجدد أمر وراء زوال التوم وهو قادر بعد الانتهاء وزوال التوم غير موجب للاقتدار ولا وجوده نافي للقدرة قالوا وأيضا قد يوجد من التائب ما لو وجد منه في حال اليقظة لكان واقعا على حسب الداعي والاختيار والتوم وان نافي القصد فلا ينافي القدرة قال التافون للقدرة قولكم التوم لا ينافي القدرة دعوى كاذبة فان التائب منفل محض متأثر صرف ولهذا لا يتبع من يؤثر فيه وقولكم لم يتجدد له أمر غير زوال التوم فالتجدد زوال المانع من القدرة فماد الى ما كان عليه كمن أوثق غيره برابطا ومنعه من الحركة فاذا حل رباطه تجدد زوال المانع قالوا نجد تفرقة ضرورية بين حركة التائب وحركة المرتش والمفلوج وماذا الآن حركته مقدورة له وحركة المرتش غير مقدورة له والتحقيق ان حركة التائب ضرورية له غير مكتسبة وكافرقا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة التائب وحركة المستيقظ

**فصل** وأما زائل العقل بمجنون أو سكر فليس أفعاله اضطرارية كأفعال الملجأ ولا اختيارية بمنزلة أفعال العاقل العالم بما يفعله بل هي قسم آخر من الاضطرارية وهي جارية مجرى أفعال الحيوان وفعل الصبي الذي لا يتميز له بل لكل واحد من هؤلاء داعية الى الفعل يصورها وله ارادة يقصد بها وقدرة ينفذ بها وان كان داعية نوع آخر غير داعي العاقل العالم بما يفعله فلا بد أن يتصور مافي الفعل من النقص ثم يريد ويفعله وهذه أفعال طبيعية واقعة بالداعي والارادة والقدرة والدواعي والارادات تختلف ولهذا لا يكلف أحد هؤلاء بالفعل فافعله لا تدخل تحت التكليف وليست كأفعال الملجأ ولا المكره وهي مضافة اليهم مباشرة وإلى خالق ذواتهم وصفاتهم بخلاف مفعولة وأفعال

لهم والساهي الذي يفعل الفعل مع غفاته وذخوله فهو إنما يفعله بقدرة إذ لو كان عاجزا لما تأتى منه الفعل وله إرادة لكنه غافل عنها فالإرادة شيء والشعور بها شيء آخر فالعبد قد يكون له إرادة وهو ذاهل عن شعوره بها لاشتغال عقل التصور منه بأمر آخر منعه من الشعور بالإرادة فعملت عنهما وهي غير مشعور بها وإن كان لابد من الشعور عند كل جزء من أجزائه وبالله التوفيق وبالجملة فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة وأما الشعور به على التفصيل فلا يستلزمه

﴿فصل﴾ قال الجبري لشلال الكافر وجهه عند القدرى مخلوق له موجود بإيجاده اختيارا وهذا يتمتع فانه لو كان كذلك لكان قاصدا له إذ القصد من لوازم الفعل اختيارا واللازم يتمتع فان ما قالا لا يريد لنفسه الضلال والجهل فلا يكون فاعلا له اختيارا \* قال السفي عييا لك أيها الجبري تزه البعد أن يكون فاعلا للكفر والجهل والظلم ثم يجعل ذلك كله فعل الله سبحانه ومن العجب قولك ان العاقل لا يقصد لنفسه الكفر والجهل وأنت ترى كثيرا من الناس يقصد لنفسه ذلك عنادا وبغيا وحسدا مع علمه بان الرشd والحق في خلافه فيطيع دواعي هواه وغيه وجهله ويخالف داعي رشده وهداه ويسلك طريق الضلال ويتكبر عن طريق الهدى وهو يراهما جميعا \* قال أصدق القائلين (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشd لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل النجى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا ظالمين) \* وقال تعالى (وأنما نودى فديناهم فاستجبوا أعمى على الهدى) وقال تعالى عن قوم فرعون (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصداهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال تعالى (ولقد علوا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) وقال (بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وقال (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء) وهذا في القرآن كثير يبين سبحانه فيه اختيارهم الضلال والكفر عمدا على علم هذا وكم من قاصد أمرا يظن أنه رشd وهو ضلال وغى

﴿فصل﴾ قال الجبري لو جاز تأثير قدرة العبد في القول بالإيجاد لجاز تأثيرها في إيجاد كل موجود لان الوجود قضية واحدة مشتركة بين الموجودات الممكنة وإن اختلفت محاله وجهاته ويازم من صحة تأثير القدرة في بضعة صحة تأثيرها في جميعه لاتحاد المتعلق وإن ما ثبت لاحد المتلبن ثبت للآخر وأيضا فالصحيح لتأثير هو الامكان ويلزم من الاشتراك في المصحح لتأثير الاشتراك في الصحة ومعسوم قطعنا ان قدرة العبد لا تتعلق بإيجاد الاجسام وأكثر الاعراض إنما تتعلق ببعض الاعراض القائمة محل قدرته \* قال السفي لقد كشف الله عوار مذهب يكون انبائه مستندا الى مثل هذه الحرافات التي حاصلها أنه يازم من صحة قدرة العبد على قطع حصاة من الأرض صحة قدرته على قلع الجبل ومن امكان حمله لرطل امكان حمله لمائة ألف رطل ومن إيجاد الفصل إلقاءه به من الاكل والشرب والصلاة وغيرها صحة إيجادها لخلق السموات والأرض وما بينهما وهل سمع في الهذيان

باسم من هذا واغث منه واشتراك الموجودات في سمي الوجود الكلي العام لا يازم منه أن ماجاز على موجود ماجاز على كل موجود وهذا أصبح من الاول وأبين فسادا ولا يازم من ذلك تمائل البوسة والقبل وتمائل الاجسام والاعراض ومن يجمل من الجبرية للقعدة الحادثة لملقا مافضل العبد يترف بالفرق ويقول قدرته تملق بعض الاعراض ولا تملق بالاجسام ولا بكل الاعراض فان احتج على ابطال التأثير بهذه الشبهة التثنية انهم بها بينها في عموم تملق قدرته بكل موجود

**فصل** قال الجبري دليل التوحيد يعني كون العبد فاعلا وأن يكون لقدرته تأثير في فعله وقريره بدليل التمانع \* قال السفي دليل التوحيد انما يعني وجود رب ثان ويدل على أنه لارب الا هو سبحانه ولا يدل على امتناع وجود مخلوق له قدرة وارادة مخلوقة يحدث بها وهو وقدرته وارادته وفعله مخلوق لله فهو بعد طول مقدماته واعتراف فضلائكم بالعجز عن تقريره وذكر مافي مقدماته من منع ومعارضة انما يعني وجود قادرين متكاثرين قدرة كل واحد منهما من لوازم ذاته ليست مستفادة من الآخر وهو دليل صحيح في نفسه وان عجزتم عن تقريره ولكن ليس فيه ماينفي أن تكون قدرة العبد وارادته سببا لوجود مقدوره وتأثيرها فيه تأثير الاسباب في مسبباتها فلا للتوحيد قررت بدليل التمانع ولا للجبر وقد كفانا أفضل متأخر يكم بيان تنافي هذا الدليل من المتوع والمعارضات \* قال الجبري دعنا من هذا كله أليس في القول بتأثير قدرته العبد في مقدوره مع الاعتراف بأن الله سبحانه قادر على مقدور العبد الزام وقوع المقدور الواحد بين القادرين والدليل بفيه \* قال السفي ماتني بقولك يلزم وقوع مقدور بين قادرين أتني في قادرين مستقلين متكاثرين أم تنفي به قادرين تكون قدرة أحدهما مستفادة من الآخر فان غيت الاول منعت الملازمة وان غيت الثاني منعت انتفاء الازم ومشيئو الكسب يبيحون عن هذا بأنه لا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين لقدرة أحدهما تأثير في إيجاده ولقدرة الآخر تأثير في صفته كما بقوله القاضي أبو بكر ومن تبعه والاشمري يجب عنه على أصله بأن الفعل وقع بين قادرين لا تأثير لقدرة أحدهما في المقدور بل تملق قدرته بمقدورها كتملق العلم بعلومه وانما الممتنع عنده وقوع مقدور بين قادرين مؤثرين وهذا الاعتذار لا يخرج عن الجبر وان زخرفت له العبارات \* وأجاب عنه الحسينية بما حكيناه انه لا يمتنع مقدور بين قادرين على سبيل البدل ويمتنع على سبيل الجمع وقد تقدم فسادا وأجاب عنه المشايخية بأنه مقدور للعبد وليس مقدورا لارب وهذا ابطال الاجوبة وأفسدها والقائلون به يقولون ان الله سبحانه عن أفكهم يريد الشيء فلا يكون ويكون الشيء بغير ارادته ومشيئته فيريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد وكفي بهذا بطلانا ونسادا \* قال الجبري القول عند المرجح التام واجب والمرجح ليس من العبد والا لزم التسلسل فهو من الرب فاذا وجب الفعل عنده فهو الجبر بينه \* قال السفي قد تقدم هذا الدليل وبيان مافيه وحيث أعدتموه بهذه البارة الوحيدة المختصرة فحقن نذكر الاجوبة عنه كذلك قولكم لا بد من مرجح مرجح الفعل على الترك أو بالعكس مسلم قولكم المرجح ان كان من العبد لزم التسلسل وان كان من الرب لزم الجبر جوابه ما المانع أن يكون من فعل العبد ولا يلزم التسلسل بأن يكون من فعله على وجه لا يكون الترك ممكنا له حيث قد لا يلزم من سلب الاختيار عنه في فعل المرجح سلبه عنه مطلقا ما المانع أن يكون المرجح من فعل الله ولا يلزم الجبر فانكم ان

عندهم بالجبر أنه غير مختار للفعل ولا مرید له لم يلزم الجبر بهذا الاعتبار لأن الرب سبحانه جبر  
 المرجح اختيار البد ومشيئته قاتق الجبر وأن عظیم الجبر أنه وجد لايجاد البد لم يلزم الجبر أيضا  
 بهذا الاعتبار وأن عظیم أنه يجب عند وجود المرجح وأنه لا بد منه فمن لا تقي الجبر بهذا الاعتبار  
 وتسمية ذلك جبرا اصطلاح يختص بكم وهو اصطلاح فاسد فان فعل الرب سبحانه يجب عند وجود  
 مرجحه التام ولا يكون ذلك جبرا بالنسبة اليه سبحانه ثم هذا لازم على من أثبت الكسب منكم  
 فنقول له في الكسب ما قاله في أصل الفعل سواء ومن لم يثبت الكسب لزم ذلك في فعل الرب كما  
 تمام فان قلتم الفرق ان صدور الفعل عن القادر موقوف على الإرادة وإرادة البد محدثة فافقرت  
 الى محدث فان كان ذلك المحدث هو البد لزم التسلسل فوجب انتهاء جميع الارادات الى ارادة  
 ضرورية يخلقها الله في القلب ابتداء ويلزم منه الجبر بخلاف ارادة الرب سبحانه فانها قديمة مستتية  
 عن ارادة أخرى فلا تسلسل قيل لكم لا يجدي هذا عليكم في دفع الازام فان الارادة القديمة  
 اما أن يصح معها الفعل بدلا عن الترك وبالعكس أولا فان كان الاول فلا بد لاحد الطرفين من  
 مرجع والكلام في ذلك انرجح كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثاني لزم الجبر قال  
 الجبري متمدى في الجبر على حرف لاخلص لكم منه الا بالزام الجبر وهو ان البدلو كان فاعلا  
 لفعله لكان محدثا له ولو كان محدثا له لكان خالفا له والشرع والعقل ينفيه قال تعالى (يا أيها الناس  
 اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لاله الا هو فأنى  
 تؤفكون) \* قال السفي قد دل العقل والشرع والحس على ان البد فاعل له وأنه يستحق عليه الثم  
 والتمن كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى حمارا قد وسم في وجهه فقال ألم أنه عن هذا  
 لعن الله من فعل هذا وقال تعالى (ولو طأ آتينا حكما وعلما ونجيناك من القرية التي كانت تعمل  
 الجنايات) وقال (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) وقال 'ووفيت كل نفس ما عملت' وهذا في القرآن  
 أكثر من أن يذكر والحس شاهد به فلا قبل شبهة تمام على خلافه ويكون حكم تلك الشبهة حكم  
 القدح في الضروريات فلا يلتفت اليه ولا يجب على العالم حل كل شبهة تعرض لكل أحد فان هذا  
 لا آخر له فقولكم لو كان فاعلا لفعله لكان محدثا له ان أردتم بكونه محدثا صدور الفعل منه أحمد  
 اللازم والملزوم وصار حقيقة قولكم لو كان فاعلا لكان فاعلا وان أردتم بكونه محدثا كونه خالفا  
 سائلكم ما تنون بكونه خالفا هل تنون به كونه فاعلا أم تنون به أمرا آخر فان أردتم الاول  
 كان اللازم فيه عين الملزوم وان أردتم أمرا آخر غير كونه فاعلا فينوه \* فان قلتم نفي به كونه  
 موجدا للفعل من المدم الى الوجود \* قيل هذا معنى كونه فاعلا بما الدليل على أحالة هذا المعنى  
 فسموه ما شئتم احداثا أو ايجادا أو خلقا فليس الشأن في التسميات وليس الممتع الا أن يكون مستقلا  
 بالإيجاد وهذا غير لازم لكونه فاعلا فاننا قد بينا ان غاية قدرة البد واراذه وداعيه وحر كته أن  
 تكون جزء سبب وما توقف عليه الفعل من الاسباب التي لا تدخل تحت قدرته أكثر من الجزء  
 الذي اليه بأضاف مضاعفة والفعل لا يثبت الا بها \* فان قيل فهذا الجبر بعينه \* قيل ذلك السبب الذي  
 أعني به من القدرة والارادة هو الذي أخرجه من الجبر وأدخله في الاختيار وكون ذلك السبب  
 من خالقه وفطره ومشيئه هو الذي أخرجه من الشرك والتعطيل وأدخله في باب التوحيد قالوا

أدخله في باب المدل والثاني أدخله في باب التوحيد ولم يكن ممن قضي التوحيد بالمدل ولا عن قضي المدل بالتوحيد فهؤلاء جنوا على التوحيد وهؤلاء جنوا على المدل وهدى الله أهل السنة للتوحيد والمدل والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### الباب العشرون

#### في ذكر مناظرة بين قدرى نسفي

قال القدرى قد أضاف الله الاعمال الى المباد باوواع الاضافة العامة والخاصة فاضافها اليهم بالاستطاعة تارة كقوله (ومن لم يستعلم منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات) وبالمشقة تارة كقوله لمن شاء منكم أن يستقيم وبالارادة تارة كقول الحضرة فاريت ان أعيها وبالفعل والكسب والصنع كقوله يفعلون يعملون بما كنتم تكسبون ليس ما كانوا يصنعون وأما بالاضافة الخاصة فكضافة الصلاة والصيام والحج والطهارة والزنا والسرقة والقتل والكذب والكفر والقسوق وسائر أفعالهم اليهم وهذه الاضافة تمتع اضافها اليه كما ان اضافة أفعاله تعالى تمتع اضافها اليهم فلا يجوز اضافة أفعالهم اليه سبحانه دونهم ولأليه معهم فهي اذا مضافة اليهم دونه قال نسفي هذا الكلام مشتمل على حق وباطل أما قولك انه اضاف الافعال اليهم لحق لارب فيه وهذا حجةك على خصومك من الجبرية وهم يحبونك بان هذا الاسناد لاحيققه وانما هو نسبة مجازية صححها قيام الافعال بهم كما يقال جرى الماء ويرد وسخن ومات زيد ونحن نساعدك على بطلان هذا الجواب ومناقشة لمقول والشرائع والفطر ولكن قولك هذه الاضافة تمتع اضافها اليه سبحانه كلام فيه اجمال وتليس فان أردت تمتع الاضافة اليه تمتع قيامها به ووصفه بها وجريان أحكامها عليه واشتقاق الاسماء منه فتم هي غير مضافة اليه بشئ من هذه الاعتبارات والوجوه وان أردت بدم اضافها اليه عدم اضافها اليه علمه بها وقدرته عليها ومشيقته العامة وخلقه فهذا باطل قائمها معلومة له سبحانه مقدورة له مخلوقة واطافها اليهم لا تمتع هذه الاضافة كالاموال قائمها مخلوقة له سبحانه وهي ملكه حقيقة قد اضافها اليهم فالاعمال والاموال خلقه وملكه وهو سبحانه يضيفها الى عبيده وهو الذي جعلهم مالكيها وعاملها فصحت النسبتان وحصول الاموال بكسبهم وارادتهم كحصول الاعمال وهو الذي خلق الاموال وكاسبها والاعمال وعاملها فاموالهم واعمالهم ملكه ويده كما ان اسماعهم وآبهم ارفعهم وأنفسهم ملكه ويده فهو الذي جعلهم يسمعون ويبصرون ويعلمون فاعطاهم حاسة السمع والبصر وقوة السمع والبصر وقيل الاسماع والابصار واعطاهم آلة العمل وقوة العمل ونفس العمل فنسبة قوة العمل الى اليد والكلام الى اللسان كنسبة قوة السمع الى الاذن والبصر الى العين ونسبة الرؤية والاستيعاب اختيارا الى محلها كنسبة الكلام والبطش الى محلها وان كانوا هم الذين خلقوا لأنفسهم الرؤية والسمع فعمل خلقوا محلها وقوى العمل والاسباب الكثيرة التي تصالح معها الرؤية والسمع أم الكل خلق من هو خالق كل شئ وهو الواحد القهار قال القدرى لو كان الله سبحانه هو الفاعل لانفاهم لاشتقت له منها الاسماء وكان أولى باسمائها منهم اذ لا يمتلئ الناس على اختلاف لغاتهم وعاداتهم ودياناتهم قائما الامن فعل القيام وآكل الامن فعل الاكل وسارقا الامن فعل السرقة وهكذا جميع الافعال لازمة ومشبهة

فقلتم أنت الامر، وقلتم الحقائق فقام من فعل هذه الافعال حقيقة لا يشتق له منها اسم وانما يشتق منها الاسماء لمن لم يعلمها ولم يحدسها وهذا خلاف المقول والفات وماتعارفه الامم قال السنى هذا انما يازم اخوانك وخصوصك الجبرية القائلين بان العبد لم يفعل شيئا الية وأما من قال العبد فاعل لفعله حقيقة والله خلقه وخالق آلات فعله الظاهرة والباطنة فانه انما يشتق الاسماء لمن فعل تلك الافعال فهو القائم والقاعد والمصل والسارق والزاني حقيقة فان الفعل اذا قام بالفعل عاد حكمه اليه ولم يعد الى غيره واشتق له منه اسم ولم يشتق لمن لم يقم به فبهنا أربعة أمور أمران معنويان في الثنى والاثبات وأمران لفظيان فهما فلما قام الاكل والشرب والزنا والسرقة بالعبد عادت أحكام هذه الافعال اليه واشتقت له منها الاسماء وامتنع عود أحكامها الى الرب واشتقاق أسماؤها ولكن من أين ينعم هذا أن تكون معلومة للرب سبحانه مقدورة له مكونة واقعة من العباد بقدرته ربه وتكوينه قال القدرى لو كان خالفا لما لزمت هذه الامور قال السنى هذا باطل ودعوى كاذبة فانه سبحانه لا يشتق له اسم مما خلقه في غيره ولا يعود حكمه عليه وانما يشتق الاسم لمن قام به ذلك فانه سبحانه خلق الألوان والطعوم والروائح والحركات في محالها ولم يشتق له منها اسم ولاعدت أحكامها اليه ومعنى عود الحكم الى المحل الاخبار عنه بانه يقوم ويقعد ويأكل ويشرب قال السنى ومن هنا علم ضلال المعتزلة الذين يقولون ان القرآن مخلوقا خلقه الله في محل ثم اشتق له اسم المتكلم باعتبار خلقه له وعاد حكمه اليه فاجبر عنه انه تكلم به ومعلوم ان الله سبحانه خلق صفات الاجسام واعراضها وقواها فكيف جاز ان يشتق له اسم مما خلقه من الكلام في غيره ولم يشتق له اسم مما خلقه من الصفات والاعراض في غيره فانت أيما القدرى قضت أصولك بعضها ببعض وأفسدت قولك في مسئلة الكلام بقولك في مسئلة القدر وقولك في القدر بقولك في الكلام فجمعت متكلما بكلام قائم بغيره وأبطلت أن يكون فاعل الفعل قائما بغيره فان كنت أصبت في مسألة الكلام فقد قضت أصلك في القدر وان أصبت في هذا الاصل لزم خطأك في مسألة الكلام فانت مخطئ على التقديرين قال القدرى فاقول أنت في هذا المقام قال السنى لاتناقض في هذا ولا في هذا بل اسفه سبحانه بما قام به وامتنع من وصفه بما لم يقم قال القدرى فالتن حى الوطيس فانت والمسلمون وسائر الخلق تسمونه تعالى خالفا ورازقا وميتا والخلق والرزق والموت قائم بالخلق والمرزوق والميت اذلو قام ذلك بالرب سبحانه فالخلق اما قديم واما حادث فان كان قديما لزم قدم الخلق لانه نسبة بين الخلق والخلق ويزم من كونه قديمه قدم المصحح لها وان كان حادثا لزم قيام الحوادث به وافقر ذلك الخلق الى خلق آخر فلزم التسلسل ثبت ان الخلق غير قائم به سبحانه وقد اشتق له منه اسم قال السنى أى لازم من هذه الاوازم التزم المرء كان خبرا من أن ينفي صفة الخلقية عن الرب سبحانه فان حقيقة هذا القول انه غير خالق فان اثبات خالقي بلا خلق اثبات اسم لامتنع له وهو كاثبات سميع لاسمع له وبصير لابصر له ومشكلم وقادر لا كلام له ولا قدرة تقطيل الرب سبحانه عن فعله القائم به كتنطيل عن صفاته القائمة به والتنطيل انواع تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والازدقة وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونموه وجلاله وهو تعطيل الجهمية فناء الصفات وتعطيله عن أصله وهو أيضا تعطيل الجهمية وهدم أبنائه ودب فيمن عداهم من الطوائف فقالوا لا يقوم بذاته فعل لان الفعل

حادث وليس محلا للحوادث كما قال اخوانهم لا تقوم بذاته صفة لان الصفة عرض وليس محلا  
للاعراض فلو التزم المتزم أى قول التزمه كان خيرا من تعطيل صفات الرب وأفعاله فالمشبهة ضلالهم  
وبدعهم خير من المعطلة ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات وان كان التعطيلان متلازمين  
لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لا توصف بصفة فوجود هذه محال في الذهن وفي الخارج ومعطلة  
الافعال خير من معطلة الصفات فان هؤلاء تفوا صفة الفعل واخوانهم تفوا صفات الذات  
وأهل السمع والعقل وحزب الرسول والفرقة الساحية برآء من تعطيل هؤلاء كلهم فانهم  
أثبتوا الذات والصفات والافعال وحقائق الاسماء الحسنى اذ جعلها المعطلة مجازا لاحيقيقه  
نشر هذه الفرق لخيرها الفداء والمقصود انه أى قول لزمه المتزم كان خيرا من نفي الخلق وتعطيل  
هذه الصفة عن الله واذا عرض على العقل السليم مفعول لافاعل له ومفعول لافاعل لقعلة لم يجد  
بين الامرين فرقا في الاحالة فمفعول بلا فعل كمفعول بلا فاعل لا فرق بينهما البته فليعرض الماقل  
على نفسه القول بتسلسل الحوادث والقول بقيام الافعال بذات الرب سبحانه والقول بوجود مخلوق  
حادث عن خلق قديم قائم بذات الرب سبحانه والقول بوجود مفعول بلا فعل ولينظر أى هذه  
الاقوال أبعد عن العقل والنعم وأبها أقرب اليهما ونحن نذكر أجوبة الطوائف عن هذا السؤال  
فقلت طائفة يختار من هذا التقسيم والترديد كون الخلق والتكوين قديما قائما بذات الرب سبحانه ولا  
يلزمنا قدم المخلوق المكون كما تقول نحن وأنهم ان الارادة قديمة ولا يلزم من قدمها قدم المراء وكل  
مأجبتهم به في صورة الالتزام فهو جوابنا بينهم في مسألة المكون وهذا جواب سديد وهو جواب  
جمهور الحنفية والصوفية واتباع الائمة فان قائم انما لا يلزم من قدم الارادة قدم المراء لانها تتعلق  
بوجود المراء في وقت فهو يريد كون الشيء في ذلك الوقت واما تكوينه وخلقه قبل وجوده فحال  
قيل لكم لسانا قول انه كونه قبل وقت كونه بل التكوين القديم اقضى كونه في وقته كما اقتضت  
الارادة القديمة كونه في وقته فان قائم كيف يقبل تكوين ولا مكون قيل كما عقلم ارادة ولا مراد  
فان قائم المراد قد يريد الشيء قبل كونه ولا يكونه قبل كونه قيل كلامنا في الارادة المستلزمة  
لوجوده في الارادة التي لا تستلزم المراء وارادة الرب سبحانه ومشيقه تستلزم وجود مراده  
وكذلك التكوين يوضحه ان التكوين هو اجتماع القدرة والارادة وكلمة التكوين وذلك كله قديم  
ولم يلزم منه قدم المكون قالوا واذا عرضنا هنا على العقول السليمة وعرضنا عليها مفعولا بلا فعل  
بادرت الى قبول ذلك وانكار هذا جواب هؤلاء وقالت الكرامية بل يختار من هذا الترديد  
كون التكوين حادثا وقولكم يلزم من ذلك قيام الحوادث بذات الرب سبحانه فالتكوين هو فعله  
وهو قائم به وكانكم قلتم يلزم من قيام فعله به قيامه به وسيمت أفعاله حوادث وتوسلم بهذه التسمية  
الى تعطيلها كما سعى اخوانكم صفاته اعراضا وتوسلوا بهذه التسمية الى نفيها عنه وكما سوا علوه  
على مخلوقاته واستواءه على عرشه تحيزا وتوسلوا بهذه الى نفيه وكما سوا وجهه الاعلى وبديه جوارح  
وتوسلوا بذلك الى نفيها قالوا ونحن لانكر افعال خالق السموات والارض وما بينهما وكلامه  
وتكليمه ونزوله الى السماء واستواءه على عرشه ومحيطه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده وندائه  
لايائته ورسله وملائكته وفعله لما شاء بتسميتكم لهذا كله حوادث ومن أنكر ذلك فقد أنكر كونه



رب العالمين فانه لا يتقرر في العقول والفطر كونه ربا للعالمين الا بان ثبت له الافعال الاختيارية وذات  
لا تفعل ليست مستحقة الربوبية ولا للالهية فالاجلال من هذا الاجلال واجب والتزبه عن هذا  
التزبه متعين فتزبه الرب سبحانه عن قيام الافعال به تزبه له عن الربوبية وملكه قالوا ولنا على صحة  
هذه المسألة أكثر من ألف دليل من القرآن والسنة والقول وقد اعترف أضفل متأخريكم بفساد  
شبهكم كلها على انكار هذه وذكرها شبهة شبهة وأفسدها والزم بها جميع الطوائف حتى الفلاسفة  
الذين هم أبعد الطوائف من اثبات الصفات والافعال قالوا ولا يمكن اثبات حدوث العالم وكون الرب  
خالقا ومثكلها وسامعا ومبصرا ومحيا للسدعوات ومديرا للمخلوقات وقادرا ومريدا الا القول بأنه  
فعال وان أفعاله قائمه به فاذن بطل أن يكون له فعل وان تقوم بذاته الامور المتجددة بطل هذا كله  
﴿فصل﴾ وقد أجاب عن هذا عبد العزيز بن يحيى النكناني في حيدته فقال في سؤاله  
للمريسي بأى شيء حدثت الاشياء فقال له أحسنها الله بقدرته التي لم تزل فعلت له أحسنها بقدرته كما  
ذكرت أو ليس تقول انه لم يزل قادرا قال بلى قلت فتقول انه لم يزل يفعل قال لا أقول هذا قلت  
فلا بد ان نلزملك أن تقول انه خلق بالفعل الذى كان بالقدرة لان القدرة صفة ثم قال عبد العزيز  
لم أقل لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل وانما الفعل صفة والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع  
فانبت عبد العزيز فعلا مقدورا لله هو صفة ليس من المخلوقات وانه به خلق المخلوقات وهذا صريح  
في ان مذهبه كذهب السلف وأهل الحديث لان الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول كما حكاه  
البعوى اجماعا لاهل السنة وقد صرح عبد العزيز ان فعله سبحانه القائم به وانه خلق به المخلوقات كما  
صرح به البخاري في آخر صحيحه وفي كتاب خلق الافعال قال في صحيحه باب مجابه في تخلق  
السموات والارض وغيرها من الخالق وفعل الرب وأمره قال رب سبحانه بصفاته وفعله وأمره  
وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق وما كان فعله وأمره وتخليقه وتكونه فهو مفعول مخلوق  
مكون فصرح امام السنة ان صفة التخليق هي فعل الرب وأمره وانه خلق بفعله وكلامه وجميع  
جند الرسول وحزه مع محمد بن اسماعيل في هذا والقرآن مملوء من الدلالة عليه كما دل عليه العقل  
والفطرة قال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) ثم أجاب  
نفسه بقوله (بلى وهو الخلاق العالم) فآخبر انه قادر على نفس فعله وهو أن يخلق نفس أن يخلق  
فعل له وهو قادر عليه ومن يقول لأفعل له وان الفعل هو عين المفعول يقول لا يقدر على فعل  
يتوم به التبة بل لا يقدر الا على المفعول المبين له الحادث بفعل فعل منه سبحانه وهذا أبلغ في الاحالة  
من حدوثه بفعل قدرة بل هو في الاحالة كحدثه بفعل فاعل فان المفعول يدل على قدرة الفاعل  
بالزوم القلى ويدل على فعله الذى وجد به بالتضمن فاذن سلبت دلالاته التضمنية كان سلب دلالاته  
الزومية أسهل ودلالة المفعول على فاعله وفعله دلالة واحدة وهي أظهر بكثير من دلالاته على قدرته  
وارادته وذكر قدرة الرب سبحانه على أفعاله وتكوينه في القرآن كثير كقوله قل هو القادر على  
أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم وأن يبعث هو نفس فعله والعذاب هو مفعوله المبين له وكذلك  
قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) فاحياء الموتى نفس فعله وحياهم مفعوله المبين له  
وكلاهما مقدور له وقال تعالى (بلى قادرين على أن نسوي البتة فعله واستواؤها

مفعوله ومنكرو الافعال يقولون ان الرب سبحانه يقدر على المفعولات المبانية له ولا يقدر على فعل يقوم بنفسه لالزام ولا متعدد وأهل السنة يقولون الرب سبحانه يقدر على هذا وعلى هذا وهو سبحانه له الخلق والامر فالجهمية أنكرت خلقه وأمره وقالوا خلقه نفس مخلوقة وأمره مخلوق من مخلوقاته فلا خلق ولا أمر ومن أثبت له الكلام القائم بذاته ونفى أن يكون له فعل فقد أثبت الامر دون الخلق ولم يقل أحد قيام أفعاله به ونفى صفة الكلام عنه فثبت الامر دون الخلق وأهل السنة يثبتون له تعالى ما أثبت لنفسه من الخلق والامر فالخلق فعله والامر قوله وهو سبحانه يقول ويفعل وأجابت طائفة أخرى من أهل السنة والحديث عن هذا بالزام التسلسل وقالوا ليس في الفعل ولا في الشرع ما يفي دوام فاعلية الرب سبحانه وتماقب أفعاله شيئا قبل شيء الى غير غاية كما تماقب شيئا بعد شيء الى غير غاية فلم تزل أفعالا قالوا والفعل صفة كمال ومن يفعل أكل ممن لا يفعل قالوا ولا يقتضي صريح العقل الا هذا ومن زعم ان الفعل كان متمما عليه سبحانه في مدد غير مقدرة لانهاية لها ولا يقدر أن يفعل ثم انقلب الفعل من الاستحالة الدائمة الى الامكان الدائى من غير حدوث سبب ولا تغير في الفاعل فقد نادى على عقله بين الانام قالوا واذا كان هذا في القول جاز أن يقلب العالم من المدم الى الوجود من غير فاعل وان امتنع هذا في بداية القول فكذلك نجد امكان الفعل وانتقاله من الامتناع الدائى الى الامكان الدائى بلا سبب واما أن يكون هذا ممكنا وذلك متمما فليس في القول ما يقضى بذلك قالوا والتسلسل لفظ يحمل لم يرد بغيره ولا اثباته كتاب ناطق ولا ستمتعية فيجب مراعاة لفظه وهو ينقسم الى واجب وممتنع ويمكن كالتسلسل في المؤثر محال متمم لذاته وهو أن يكون مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره عن قبله لالى غاية والتسلسل الواجب مادل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الابد وأنه كلما انقضى لاهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا فساد له وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرق الازل وان كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب في كلامه قائم لم يزل متكلما اذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته فان كل حي فعال والفرق بين الحي والميت بالفعل ولهذا قال غير واحد من السلف الحي فعال \* وقال عثمان بن سعيد كل حي فعال ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الاوقات الحقة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام والارادة والفعل وأما التسلسل الممكن فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف كما يتسلسل في طرف الابد قائم اذا لم يزل حيا قادرا مريدا متكلما وذلك من لوازم ذاته فالقول يمكن له بوجوب هذه الصفات له وأن يفعل أكل من أن لا يفعل ولا يلزم من هذا أنه لم يزل الخلق معه فانه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدم لأول له فكل مخلوق أول والخلق سبحانه لأول له فهو وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن قالوا وكل قول سوى هذا فصرح العقل يردده ويقضى بطلانه وكل من اعترف بأن الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل لزمه أحد الامرين لا بد له منهما اما أن يقول بان الفعل لم يزل ممكنا واما أن يقول لم يزل واقعا والا تناقض تناقضا بينا حيث زعم ان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل والفعل محال متمم لذاته لو أراده لم يمكن وجوده بل فرض ارادته عنده محال وهو مقدور له وهذا قول ينقض بعضه بعضا وأجابت طائفة أخرى بالجواب المركب على جميع التقادير فقالوا

تسلسل الآثار أما أن يكون ممكنا أو ممثما فإن كان ممكنا فلا محذور في التزامه وإن كان ممثما لم يلزم من بطلانه بطلان الفعل الذى لا يكون الخلق الا به فاما نعم أن المفعول المنفصل لا يكون الا افضل والخلق لا يكون الا بخلق قبل العلم بجواز التسلسل وبطلانه \* ولهذا كثير من الطوائف يقولون الخلق غير الخلق والفعل غير المفعول مع قولهم بطلان التسلسل مثل كثير من اتباع الاثمة الاربية وكثير من أهل الحديث والصوفية والمتكلمين ثم من هؤلاء من يقول الخلق الذى هو التكوين صفة كالأزادة ومنهم من يقول بل هي حادثة بعد ان لم تكن كالكلام والأزادة وهي قائمة به سبحانه وهم الكرامية ومن واقفهم أثبتوا حدوثها وقيامها بذاته وأبطلوا دوامها فرارا من القول بحدوث لأول لها وكلا الفريقين لا يقولان ذلك التكوين والخلق مخلوق بل يقولان الخلق وجد به كما وجد بالقدرة قالوا فإذا كان القول بالتسلسل لازما لكل من قال ان الرب تعالى لم يزل قادرا على الخلق يمكنه أن يفعل بلا مانع فهو لازم لك كما أئزمتك لحصومك فلا ينفردون بجواب دونك وأما ما أئزموك به من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خالق فهو لازم لك وحدك قالوا ونحن انما قلنا الفعل صفة قائمة به سبحانه وهو قادر عليه لا ينمى منه مانع والفعل القائم به ليس هو الخلق المنفصل عنه فلا يلزم أن يكون معه مخلوق في الازل الا اذا ثبت ان الفعل اللازم يستلزم الفعل المتعدى وإن التعدى يستلزم دوام نوع المفعولات ودوام نوعها يستلزم أن يكون معه سبحانه في الازل شئ منها وهذه الامور لا سبيل لك ولا نفيك الى الاستدلال على ثبوتها كلها وحينئذ فتقول أى لازم لزم من اثبات فعله كان القول به خيرا من نفي الفعل وتمطيله فان ثبت قيام فعله به من غير قيام الحادث به كما يقوله كثير من الناس بطل قولكم وان لزم من اثبات فعله قيام الامور الاختيارية به والقول بأنها مفتوحة ولها أول فهو خير من قولكم كما قوله الكرامية وان لزم تسلسلها وعدم أوليتها في الافعال اللازمة فهو خير من قولكم وان لزم تسلسل الآثار وكونه سبحانه لم يزل خالقا كما دل عليه النص والعقل فهو خير من قولكم ولو قهر انه يلزم ان الخلق لم يزل مع الله قديما بقدمه كان خيرا من قولكم مع ان هذا لا يلزم ولم يقل به أحد من أهل الاسلام بل ولا أهل الملل فكلمهم متفقون على ان الله وحده الخالق وكل مساواه مخلوق موجود بعد عدمه وليس معه غيره من المخلوقات يكون وجوده مساويا لوجوده فالتزم بعد هذا من اثبات خلقه وأمره وصفات كماله ونوعت جلاله وكونه رب العالمين وأن كماله المقدس من لوازم ذاته قائمه بالقول وله ملزموه كما أنا ملزموه لكل ملازم من كونه حيا عليا قديرا سميما بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه بأن من خلقه براه المؤمنون بأبصارهم عيانا في الجنة وفي عرصات القيامة ويكلمهم ويكلمونه فان هذا حق ولازم الحق مثله وما لم يلزم من اثبات ذلك من الباطل الذى تتخيله خفافيش العقول فتجن له منكروه وعن القول به عادلون وبالله التوفيق \* قال القدرى كونه البعد موجدا لافعاله وهو الفاعل لها من أجل الضروريات والبدنيات فان كل عاقل يعلم من نفسه انه فاعل لما يصدر منه من الافعال الواقعة على وفق قصده وداعيته بخلاف حركة المرتش والجروور على وجهه وهذا لا يتمارى فيه الماقل ولا يقبل التشكيك والقدح في ذلك والاستدلال على خلافه استدلال على بطلان ما علمت صحته بالضرورة فلا يكون مقبولا \* قال السنى قد اجابك خصومك من الجبرية عن هذا بان الماقل يعلم من نفسه وقوع الفعل مقارنا لقدرة

ولا يعلم من نفسه انه واقع بقدرته والفرق بين الامرين ظاهر ولو كان وقوعه بقدرته هو المعلوم بالضرورة لما خالف فيه جمع عظيم من العقلاء يستحيل عليهم الاطباق على جحد الضروريات وهذا الجواب مما لا يشفى غليلا ولا يروى غليلا وهو عبارات لاحاصل بحثها فان كل عاقل يجد من نفسه وقوع الفعل بقدرته وادارته وداعيته فان ذلك هو المؤثر في الفعل ويجد تفرقة ضرورية بين مقارنة القدرة والداعية للفعل ومقارنة طول له وشبهه وغير ذلك من صفاته للفعل ولسبة ذلك كله عند الجبري الى الفعل نسبة واحدة والله سبحانه أجزى المادة بخلق الفعل عند القدرة والداعية لاهما وانما اقترن الداعى والقدرة بالفعل اقترانا مجردا ومعلوم ان هذا قدح في الضروريات ولا ريب ان من نظر الى تصرفات العقلاء ومعاملاتهم مع بعضهم بعضا وجدهم يطلبون الفعل من غيرهم طلب عام بالاضطرار ان المطلوب منه الفعل هو المحصل له الواقع بقدرته وادارته ولذلك يتطوفون لوقوع الفعل منه بكل لطيفة ويحتالون عليه بكل حيلة فيعطونه تارة ويحزنونه تارة ويخوفونه تارة ويتوصلون الى اخراج الفعل منه بأنواع الرغبة والرهبة ويقولون قد فعل فلان كذا فالك لا تفعل كما فصل وهذا أمر مشاهد بالحس والضرورة فالعقلاء ساكنو الانفس الى ان الفعل من البديع وبه يحصل ولو حرك أحدهم أصبعه فشتمت المحرك لما لغضب وشتمك وقال كيف تشتمنى ولم يقل لم تشتم ربي وهذا أوضح من أن يضرب له الامثال أو يسطقيه المقال وما يمرض في ذلك من الشبه جار مجرى السفسطة وقد فطر الله العقلاء على ذم فاعل الاساءة ومدح فاعل الاحسان وهذا يدل على اسمهم مفطورون على العلم به فاعل لان الذم فرع عليه ويستحيل أن يكون الفرع معلوما باضطرار والاصل ليس كذلك والعقلاء قاطبة يعلمون ان الكاتب مثلا يكتب اذا أراد ويمسك اذا أراد وكذلك الباني والصانع وانه اذا عجزت قدرته أو عذمت ارادته بطل فعله فان عادت اليه القدرة والارادة عاد الفعل وقوله لو كان ذلك أمرا ضروريا لاشتراك العقلاء فيه جوابك انه لا يجب الاشتراك في الضروريات فكثير من العقلاء يخالفون كثيرا من الضروريات لدخول شبهة عليهم ولا سيما اذا تواطأوا عليها وتماثلوها كمخالفة الفلاسفة في الالهيات يسير من الضروريات وهم جمع كثير من العقلاء وهؤلاء الثماري يقولون ما يفسد ضرورة العقل وهم يناظرون عليه وينصرون وهؤلاء ارافضة يزعمون أن أب بكر وعمر لم يؤمنا بالله ورسوله طرفة عين ولم يزالا عدوين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مترصدين لقتله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام عليا على رؤس جميع الصحابة وهم ينظرون اليه جبهة وقال هذا وصي وولي العهد من بعدى فكلكم له تسمعون وأطيعوا على كيان هذا الص وعصيانا وهؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم يقولون ما يخالف صريح العقل من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خلق وهؤلاء الفلاسفة وهم المدلون بقولهم يتبنون ذواتا قائمة بأنفسهم خارج القهمن ليست في العالم ولا خارجة عن العالم ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا محانية وهو ما يلم بصريح العقل فسادا وهؤلاء طائفة الاتحادية تزعم أن الله هو هذا الوجود وان التمدد والتكثير فيه وهم محض وهؤلاء منكرو الاسباب يزعمون أنه لا حرارة في النار تحرق بها ولا رطوبة في الماء يروى بها وليس في الاجسام أصلا لا قوى ولا طبائع ولا في العالم شيء يكون سببا لشيء آخر البتة وان لم تكن هذه الامور جحدا للضروريات فليس في العالم من جحد الضروريات وان كانت جحدا

للضروريات بطل قولكم ان جما من العقلاء لا يتفقون على ذلك والافوال التي يجحد بها المتكلمون الضروريات أضفافاً أضفافاً ماذكرناه فهم أجحد الناس لما يعلم بضرورة العقل وكيف يصح في عقل سليم سميع لاسمع له بصير لا بصير له حتى لا حياة له أم كيف يصح عند ذى عقل مرئى لا بصير عياناً لا فوق الرأى ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا عن يساره ولا خلفه ولا امامه أم كيف يصح عند ذى عقل اثبات كلام قديم أزلى لو كان البحر عمده من بعده سبعة أبحر وجميع أشجار الأرض على اختلافها وكبرها وصغرها أقلام يكتب به لتفدت البحار وقبت الأقلام ولم يكن ذلك الكلام ومع هذا فهو معنى واحد لا جزء له ولا ينقسم وهو والهي فيه عين الامر والثنى فيه عين الاثبات والخبر فيه عين الاستخبار والتوراة فيه عين الانجيل وعين القرآن وذلك كله أمر واحد انما يختلف بسمياته ونسبه وقد أطبق على هذا جمع عظيم من العقلاء وكفروا من خالفهم فيه واستحلوا منهم ما حرمة الله وهؤلاء الجهمية يقولون ان للعالم صانعا قائما بذاته ليس في العالم ولا هو خارج العالم ولا فوق العالم ولا تحته ولا خلفه ولا امامه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا هو مباين له ولا محابث له فوسفوا واجب الوجود بصفة تمتع الوجود وكفروا من خالفهم في ذلك واستحلوا دمه وقالوا ما يعلم فساد بصريح العقل ولو ذهبنا نذكر ما جحد فيه أكثر الطوائف الضروريات لطال الكتاب جدا وهؤلاء النصارى قد طبقت شرقي الأرض وغربها وهم من أعظم الناس جحدا للضروريات وهؤلاء الفلاسفة هم أهل المعقولات وهم من أكثر الناس جحدا للضروريات فهاق طائفة من الطوائف على المقالة لا يدل على مخالفتها بصريح العقل وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ قال القدرى قال الله سبحانه (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وعند الجبرى ان الكل فعل الله وليس من البديهي \* قال الجبرى في الكلام استقام مقدر قدره أفن نفسك فهو ما نكار لاثبات وقرأها بعضهم فن نفسك ففتح الميم ورفع فسك أى من أنت حتى تضلها قال ولا بد من تأويل الآية والا ناقض قوله في الآية التي قبلها (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله) فلو خبر ان الحسنات والسيئات جميعا من عنده لامن عند البدي \* قال السنى أخطأنا جميعا في فهم الآية أفصح الخطأ ومنشأ غلطكما ان الحسنات والسيئات في الآية المراد بها الطاعات والمعاصي التي هي فعل البدي الاختيارى وهذا وهم محض في الآية وانما المراد بها النعم والمصائب ولفظ الحسنات والسيئات في كتاب الله يراد به هنا تارة وهذا تارة فقوله تعالى (ان تمسككم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقوله (ان تصيبك حسنة تسؤهم وان تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل) وقوله (وبلواهم بالحسنات والسيئات) وقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) وقوله (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطغروا بموسى ومن معه) وقوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) المراد في هذا كله النعم والمصائب وأما قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثنها) وقوله (ان الحسنات يذهبن السيئات) وقوله (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) والمراد به في هذا كله الاعمال المأمور بها والنهي عنها وهو سبحانه انما قال ما أصابك ولم يقل ما أصبت وما كسبت فما يفعله البدي يقال فيه

ما أصبت وكسبت وعملت كقولہ (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) وكقولہ (من يعمل سوءاً يجز به  
 ومن كسب خطيئة أو آثماً) وقول المذنب الثائب يا رسول الله أصبت ذنباً فاقم على كتاب الله ولا يقال في  
 هذا أصابك ذنب وأصابتك سيئة وما يفعل به بغير اختياره يقال فيه أصابك كقولہ (وما أصابكم  
 من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقولہ (وان تصيبكم مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من قبل) وقولہ (أو لما  
 أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلاً) فجمع الله في الآية بين ما أصابوا بفعلهم وكسبهم وما أصابهم بما لم ينس  
 فملاهم وقولہ (ومن ترى منكم أن يصيبكم الله بمذاب من عنده) وقولہ (ولا يزال الذين كفروا  
 تصيبهم بما صنوا قارعة) وقولہ (فأصابكم مصيبة الموت) ققولہ (ما أصابكم من حسنة) هو  
 من هذا القسم الذي يصيبه البعد لاختياره وهذا إجماع من السلف في تفسير هذه  
 الآية \* قال أبو العالية وان تصيبكم حسنة هذا في السراء وان تصيبكم سيئة هذا في الضراء  
 \* قال السدي الحسنة الحسب تتيج مواشيم وانعامهم ويحسن حالهم قتلت نساؤهم الغلمان  
 قالوا هذا من عند الله وان تصيبكم سيئة قال الضر في أموالهم تشاموا بمحمد وقالوا هذه من عند  
 قالوا بتركنا ديننا وابتاعنا محمداً أصابنا ما أصابنا فأنزل الله سبحانه رداً عليهم قل كل من عند الله الحسنة  
 والسيئة وقال الوالي عن ابن عباس ما أصابك من حسنة فمن الله قال مفتح الله عليك يوم بدر وقال  
 أيضاً هو الشبهة والفتح والسيئة ما أصابه يوم أحد شج في وجهه وكسرت رباطه وقال اما الحسنة  
 فأنعم الله بها عليك واما السيئة فأتلاك بها وقال أيضاً ما أصابك من نكبة فذنبك وأنا قدرت ذلك  
 عليك ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم وفي تفسير أبي صالح عن ابن عباس ان تصيبك حسنة الحسب وان  
 تصيبك سيئة الجلب واللام قال ابن قتيبة في هذه الآية الحسنة الثمة والسيئة البلية فان قيل فقد  
 حكى أبو الفرج بن الجوزي عن أبي العالية انه فسر الحسنة والسيئة في هذه الآية بالطاعة والمعصية  
 وهو من أعلم الثابطين فالجواب انه لم يذكر بذلك استناداً ولا نعلم صحة عن أبي العالية وقد ذكر ابن  
 أبي حاتم بإسناده عن أبي العالية ما تقدم حكايته ان ذلك في السراء والضراء وهذا هو المعروف عن  
 أبي العالية ولم يذكر ابن أبي حاتم عنه غيره وهو الذي حكاه ابن قتيبة عنه وقد يقال ان المشين  
 جميعاً مرادان باعتبار ان ما يوقفه الله من الطاعات فهو نعمة في حقه أصابته من الله كما قال وما بهم  
 من نعمة فمن الله فهذا يدخل فيه نعم الدين والدنيا وما يقع منه من المعصية فهو مصيبة أصابته من الله  
 وان كان سببها منه والذي يوضح ذلك ان الله سبحانه اذا جعل السيئة هي الجزاء على المعصية من  
 نفس البعد بقوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فالعمل الذي أوجب الجزاء أولى أن يكون من  
 نفسه فلا منافاة بين أن تكون سيئة العمل من نفسه وسيئة الجزاء من نفسه ولا ينافي ذلك ان يكون  
 الجميع من الله قضاء وقدرًا ولكن هو من الله عدل وحكمة ومصلحة وحسن ومن البعد سيئة  
 وقبيح وقد روى عن ابن عباس انه كان يقرأها وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا قدرتها عليك  
 وهذه القراءة زيادة بيان والافتد دل قوله تبيل ذلك قل كل من عند الله على القضاء السابق والقدر  
 التافذ والمعاصي قد تكون بعضها عقوبة بعض فيكون لله على المعصية عقوبتان عقوبة بمصية تتولد  
 منها وتكون الاولى سبباً فيها وعقوبة بمؤلم يكون جزاءها كما في الحديث المتفق على صحته عن ابن  
 مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة

ولا يزال الرجل يصدق ويخفى الذنوب حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب قال الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويخفى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من كتابه أن الحسنات الثانية قد تكون من ثواب الحسنات الأولى وإن المعصية قد تكون عقوبة للمعصية الأولى فالأولى كقولها تعالى ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لا ميثاقهم من لدنا أجرنا عظيمًا ولمدينهم صراطا مستقيما وقال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا) وقال (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجه من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) وأما قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فإن يصلح أعمالهم سيديهم ويصلح بهم) فيحتمل أن لا يكون من هذا وتكون الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة فانه رتب هذا الجزاء على قتلهم ويحتمل أن يكون منه ويكون قوله سيديهم ويصلح بهم إخبارا منه سبحانه عما يفعله بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله قبل أن قتلوا وأتى به بصيغة المستقبل أعلاما منه بأنه يجده له كل وقت نوعا من أنواع الهداية واسلحا لبال شيئا بعد شيء فإن قلت فكيف يكون ذلك المستقبل خيرا عن الذين قتلوا الحبر قوله فلن يصل أعمالهم أى أنه لا يبطأ عليهم ولا يترهم إياها هذا بعد أن قتلوا ثم أخبر سبحانه خيرا مستأففا عنهم أنه سيديهم ويصلح بهم لما علم أنهم سيقتلون في سبيله وأنهم بذلوا أنفسهم له فلهم جزاء أن جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد وجزاء في الآخرة بدخول الجنة فبذلك السامع كل جملة إلى وقتها لظهور المعنى وعدم التباسه وهو في القرآن كثير وأما قوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) وقال (ولما بلغ أشده واستوى آتيته حكما وعلمًا وكذلك نجزي المؤمنين) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) وقال (وان تطيعوا أمرهم) وقال (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) فضمن التمام معنى الانعام فمداه بملئ أى انعامنا على الذى أحسن وهذا جزاء على الطاعات والطاعات وأما الجزاء بالمعاصي على المعاصي فكقوله (فلما زاغوا عن الله قلوبهم) وقوله (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) وقوله (وقلب أقدستهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان أنبا استرهم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقوله (وقلوا قلوبنا غلف بل لمنهم الله بكفرهم قتلنا ما يؤمنون) وقوله (ويوم نحشهم اذ أعجبكم كثرتم فلم تكن عنكم شيئا وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّيتهم مدبرين) وهو كثير في القرآن وعلى هذا فيكون النوعان من السيئات أغنى المصائب والمصائب من نفس الإنسان وكلامها بقدر الله ففسر النفس هو الذى أوجب هذا وهذا وكان الذى صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته المعروفه ونمود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ففسر النفس نوعان صفة وعمل والعمل ينشأ عن الصفة والصفة تنأكد وتقوى بالعمل فكل منهما يمد الآخر وسيئات الأعمال نوعان قد فسرهما الحديث أحدهما مساوئها وقبائحها فتكون الاضافة فيه من النوع إلى جنسه وهى اضافة بمعنى من أى السيئات من أعمالنا والثانى أنها ميسورة العاقل مما يعود عليه من عقوبة عمله فيكون من اضافة المسبب إلى سببه وتكون الاضافة على معنى اللام وقد يرجع الأول بأنه يكون قد استمد من الصفة والعمل التامى عنها وذلك يتضمن الاستعاذة من الجزاء السيئ

المرتب على ذلك قضمتم الاستعاذة ثلاثة أمور الاستعاذة من العذاب ومن سببه الذى هو العمل ومن سبب العمل الذى هو الصفة وقد يرجح الثانى ان شر النفس يعم النوعين كما تقدم فيثبات الاعمال مايسوء من جزائها وبه بقوله سيئات أعمالنا على ان الذى يسوء من الجزاء أفعالها بسبب الاعمال الارادية لامن الصفات التى ليست من أعمالنا ولما كانت تلك الصفة شرا استعاذ منها وأدخاها في شر النفس وقال الصديق رضى الله تعالى عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء أدعوه فى صلاتى قال قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليك أشهد أن لا إله الا أنت أعوذ بك من شر تقضى وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسى سوءا أو أجرحه الى مسلم فله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعتك ولما كان الشر له مصدر يتبدى منه وغاية ينهى اليها وكان مصدرها امان نفس الانسان واما من الشيطان وغايته ان يعود على صاحبه أو على أخيه المسلم تضمن الدعاء هذه المراتب الاربعة بل وجز لفظ وأوضحه وأبينه

﴿فصل﴾ قال السنى فليس لك أبها القدرى أن تحتج بالآية التى نحن فيها لمذهبك لوجوه أحدها أنك قول فعل العبد حسنة كان أوسيته هو منه لامن الله بل الله سبحانه قد أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يصل به الحسنات والسيئات ولكن هذا احدث من عند نفسه ارادة فعل بها الحسنات وهذا احدث ارادة فعل بها السيئات وليست واحدة من الارادتين من احدث الرب سبحانه البتة ولأوجيها مشيئته والآية قد فرقت بين الحسنة والسيئة وآتم لا تفرقون بينهما فان الله عندكم لم يشاء هذا ولا هذا قال القدرى اضافة السيئة الى نفس العبد لكونه هو الذى أحدثها وأوجدها وأضاف الحسنة اليه سبحانه لكونه هو الذى أمر بها وشرعها قال السنى الله سبحانه أضاف الى العبد ما أصابه من سيئة وأضاف الى نفسه ما أصاب العبد من حسنة ومعلوم ان الذى أصاب العبد هو الذى قام به الامر لم يقم بالعبد وانما قام به المأمور وهو الذى أصابه فإذن أصابه لانصح اضافته الى الرب عندكم والمضاف الى الرب بالعبد فعمل ان الذى أصابه من هذا وهذا أمر قائم به فلو كان المراد به الافعال الاختيارية من الطاعات والمعاصى لاستوت الاضافة ولم يصح الفرق وان افرقا في كون أحدهما مأمورا به والآخر منها عنه على ان التمس أيضا من الله كما ان الامر منه فلو كانت الاضافة لاجل الامر لاستوى المأمور والمهي في الاضافة لان هذا مطلوب لإيجاد هذا مطلوب اعدامه قال القدرى أنا أجوز تعلق الطاعة والمصيبة بمشيئة الرب سبحانه وأحداه على وجه الجزاء لاعلى سبيل الابتداء وذلك ان الله سبحانه يعاقب عبده بما شاء ويثيبه فكما يعاقبه بخلق الجزاء الذى يسوءه وخلق الثواب الذى يسره ولذلك يحسن أن يعاقبه بخلق المصيبة وخلق الطاعة فان هذا يكون عدلا منه واما ان يخلق فيه الكفر والمصيبة ابتداء بلا سبب فمأذاه من ذلك قال السنى هذا توسط حسن جدا لإبانه العقل ولا الترع ولكن من ابتداء الاول وليس هو عندك مقدورا لله ولا واقعا بمشيئته فقد أثبت في ملكه ما لا يقدر عليه وادخلت فيه ما لا يشاء وتقصت أصلك كله فانك أصلت ان فعل العبد الاختيارى قدرة العبد عليه واختياره ومشيتة تمنع قدرة الرب عليه ومشيتة له وهذا الاصل لا فرق فيه بين الابتدائى والجزائى قال القدرى قال القرآن قد فرق بين النوعين وجعل الكفر والفسوق الثانى جزاء على الاول فلم ان الاول من العبد قطعا والام يستقم



جعل أحدهما عقوبة على الآخر وقد صرح بذلك في قوله (فبا تقصصهم ميثاقهم لناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فاضاف تقصص الميثاق اليهم ونسبة القلوب اليه فالاول سبب منهم والثاني جزاء منه سبحانه قال تعالى (وتقلب أقدنهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فاضاف عدم الإيمان أولا اليهم اذ هو السبب وتقلب القلوب وتركهم في طغيانهم هو الجزاء وشبه قوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) والآيت التي سمعوها آثما إنما تدل على هذا قال السنى نعم هذا حق لكن ليس فيه اخراج السبب عن كونه مقدورا للرب سبحانه واقما بمشيئته ولو شاء لحال بين السبب وبينه ووقفه لضده فهي البقية التي بقيت عليك من القدر كما ان انكار اثبات الاسباب واقتضاها لمسيبها وترتيبها عليها هي البقية التي بقيت على الجبري في المسئلة أيضا وكلاهما مصيب من وجه غلط من وجه ولو بخلص كل منكما من البقية التي بقيت عليه لوجدتما روح الوفاق واصطاحتا على الحق والله التوفيق قال القدرى فما تقول أنت أيها السنى في العقل الاول اذا لم يكن جزاء فما وجهه وأنت ممن يقول بالحكمة والتاميل وتنزه الرب سبحانه عن النظم الذي هو ظلم لا ما يقوله الجبري انه الجمع بين التقيضين قال السنى لا يلزم في هذا المقام بيان ذلك قالى لم أتصبله إنما أتصبت لابطال احتجاجك بالأية لمذهبك الباطل وقد وفيت به والله في ذلك حكم وغايت محمودة لا تبغيها عقول العقلاء ومباحث الاذكياء قاله سبحانه إنما يضع فضله وتوفيقه وامداداه في المحل الذي يصلح له ولا يصلح له من المحال يدعه غفلا فارغا من الهدى والتوفيق فيجرى مع طبعه الذي خلق عليه ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون قال القدرى فاذا كان الله سبحانه قد أحدث فيهم تلك الارادة والمشيئة المستلزمة لوجود الفعل كان ذلك إيجادا منه سبحانه لذلك فهم كما أوجد الهدى والإيمان في آله قال السنى هذا معترك النزاع وتفرق طرق العالم والله سبحانه أعطى السبب مشيئة وقدرة وأرادة تصلح لهذا ولهذا ثم أمدأهل الفضل بامور وجودية زائدة على ذلك المشترك أوجب له الهداية والإيمان وأسلك ذلك الامداد عن علم أنه لا يصلح له ولا يليق به فأنصرفت قوى ارادته ومشيتته الى ضده اختيارا منه ومحبة لأكرها واضطارا قال القدرى فهل كان يمكنه ارادة ما لم يكن عليه ولم يوفق له بامداد زائد على خلق الارادة قال السنى ان أردت بالامكان أنه يمكنه فعله لو اراده فتم هو يمكن بهذا الاعتبار مقدوره وان أردت به أنه يمكن وقوعه بدون مشيئة الرب واذنه فليس يمكن فانه مشاء الله كان ووجب وجوده وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده قال القدرى فقد سلمت حينئذ أنه غير ممكن للبد اذا لم يشأ الله منه ان يفعله فصار غير مقدور للبد فقد عوقب على ترك ما لا يقدر على فعله قال السنى عدم ارادة الله سبحانه للبد ومشيتته ان يفعله لا يوجب كون الفعل غير مقدوره فانه سبحانه لا يريد من نفسه ان يعينه عليه مع كونه أقدره عليه ولا يلزم من اقداره عليه وقوعه حتى توجد منه اعانة أخرى فانتفاء تلك الاعانة لا يخرج الفعل عن كونه مقدورا للبد فانه قد يكون قادرا على الفعل لكن يتركه كسلا وتهاونا وإثارا لفعله ضده فلا يصرف الله عنه ترك الواقع ولا يوجب عدم صرفه كونه عاجزا عن الفعل فان الله سبحانه يعلم أنه قادر عليه بالقدرة التي أقدره بها ويعلم أنه لا يريد مع كونه قادرا عليه فهو سبحانه مريد له ومنه الفعل ولا يريد من نفسه اعانة وتوفيقه وقطع هذه الاعانة والتوفيق لا يخرج الفعل عن كونه مقدورا له وان جعلته غير مراد وسر

المسئلة الفرق بين تعلق الارادة بفعل العبد وتعلقها بفعله هو سبحانه بذهن قد لم يحيط معرفة بهذا الفرق لم يكشف له حجاب المسئلة قال الجبرى اما أن تقول ان الله علم ان العبد لا يفعل أولم يعلم ذلك والثاني محال واذا كان قد علم انه لا يفعله صار الفعل ممتعا قطعاً اذ لو فعله لا تقبل العلم القديم جهلاً قال السنى هذه حجة باطلة من وجوه أحدها ان هذا بينه يقال فيما علم الله انه لا يفعله وهو مقدوره فانه لا ينفع البتة مع كونه مقدوره فاما كان جوابك عن ذلك فهو جوابنا لك وبأنها ان الله سبحانه يعلم الامور على ما هي عليه فهو يعلم انه لا يفعله لعدم ارادته له لالعدم قدرته عليه وثالثها ان العلم كاشف لا موجب وانما الموجب مشيئة الرب والعلم يكشف حقائق المعلومات \* عدنا الى الكلام على الآية التى احتج بها القدرى وبيان انه لا حجة فيها من ثلاثة أوجه أحدها انه قال ما أصابك ولم يقل ما أصبت الثاني ان المراد بالحسنة والسيئة النعمة والمصيبة الثالث انه قال (قل كل من عند الله) فالإنسان هو فاعل السيئات ويستحق عليها العقاب والله هو المثمم عليه بالحسنات وعملوا العادل فيه بالسيئات قضاء وحزاء ولو كان العمل الصالح من نفس العبد كما كان السيئ من نفسه لكان الامر ان كلاهما من نفسه والله سبحانه قد فرق بين التوعين وفي الحديث الصحيح الاطى يا عبادى انما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الانفسه

﴿فصل﴾ قال الجبرى أول الآية محكم وهو قوله كل من عند الله وآخرها متشابه وهو قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قال القدرى آخرها محكم وأولها متشابه قال السنى أخطأنا جميعاً بل كلاهما محكم ميين وانما أتينا من قلة الفهم في القرآن وتدبره فليس بين اللفظين تباين لاني الملقى والافى العبارة فانه سبحانه وتعالى ذكر عن هؤلاء التاكليد عن الجهاد انهم ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك أى بسبب ما أمرتاه من دينك وتركننا ما كنا عليه أصابنا هذه السيئات لانك أمرت بما أوجبها فاليست ههنا هي المصائب والاعمال التى ظنوا انها سبب المصائب هي التى أمروا بها وقولهم في السيئة التى تصيبهم هذه من عندك تتناول مصائب الجهاد التى حصلت لهم من الهزيمة والجراح وقتل من قتل منهم وتتناول مصائب الرزق على وجه التطير والتشاؤم أى أصابنا هذا بسبب دينك كما قال تعالى عن قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه أى اذا جاءهم ما يسرون به ويتعجبون به من النعم قالوا نحن أهل ذلك ومستحقوه وان أصابهم ما يسوءهم قالوا هذا بسبب ما جاء به موسى وقال أهل القرية للرسولين انما يطيرنا بكم وقال قوم صالح له عليه الصلاة والسلام اطيرنا بك ونحن معك وكانوا يقولون لما ينالهم من سبب الحرب هذا منك لانك أمرت بالاعمال الموجبة له وللمصائب الحاصلة من غير جهة العدو وهذا أيضاً منك أى بسبب مفارقتنا لديننا ودين آبائنا والسجود في طاعتك وهذه حال كل من جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سبباً لشر أصابه من السماء أو من الارض وهؤلاء كثير في الناس وهم الاقلون عند الله تعالى قدرا الارذلون عنده ومعلوم انهم لم يقولوا هذه من عندك بمعنى أحدثها ومن فهم هذا تبين له ان قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لا يناقض قوله تعالى قل كل من عند الله بل هذا تحقيق له فانه سبحانه

بين ان التعم والمصاب كآما من عنده فهو الخالق لما القدر لما المبتلى خلقه بها ففى من عنده ليس بعنده  
 من عنده وبعضها خلقا لغيره فكيف يضاف بعضها الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها الى الله تعالى  
 ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدثها فلم يبق الا انهم انه سبب لحصولها اما في الجملة كحال  
 أهل التطير واما في الواقعة المينة كحال اللاتمين له في الجهاد فابطل الله سبحانه ذلك الوهم الكاذب  
 والظن الباطل وبين ان ما جاء به لا يوجب الشر البتة بل الخير كله فيها جاء صلى الله عليه وسلم به  
 وما اثر بسبب أعمالهم وذنوبهم كما قال الرسل عليهم السلام لاهل القرية طائر كم معكم ولا يناقض هذا  
 قول صالح عليه السلام لقومه طائر كم عند الله وقوله تعالى عن قوم فرعون (وان تصهم سيئة يطروا  
 بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله) بل هاتان النسبتان نظير هاتين النسبتين في هذه الآية وهى  
 نسبة السيئة الى نفس العبد ونسبة الحسنه والسيئة الى أنهما من عند الله عز وجل فتأمل اتفاق القرآن  
 وتصديق بعضه بعضا حيث جعل الطائر معهم والسيئة من نفس العبد فهو على جهة السبب والموجب  
 أى الشر والشؤم الذى أصابكم هو منكم ومعيكم فان أسبابه قائمة بكم كما قول شرك منك وشؤمك فيك  
 يراد به العمل وطائر كم معك وحيث جعل ذلك كله من عنده فهو لانه الخالق له المجازى به عدلا وحكمة فالطائر  
 يراد به العمل وجزاءه فالضاف الى العبد العمل والمضاف الى الرب الجزء فطائر كم معكم طائر العمل وطائر كم  
 عند الله الجزء فما جاءت به الرسل ليس سيئات من المصاب ولا تكون طاعة الله ورسوله سيالامية قط بل  
 طاعة الله ورسوله لا توجب الاخير في الدنيا والآخرة ولكن قد يصبى المؤمن بالله ورسوله مصائب بسبب  
 ذنوبهم وقصيرهم في طاعة الله ورسوله كما لحقهم يوم أحد ويوم حنين وكذلك ما امتحنوا به من  
 الضراء وأذى الكفار لهم ليس هو بسبب نفس إيمانهم ولا هو موجب وانما امتحنوا به ليخلص  
 ما فيهم من الشر فامتنحوا بذلك كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص من غشه والثقوس فما هو من  
 مقتضى طبيعتها فالامتحان يمحس المؤمن من ذلك الذى هو من موجبات طبعه كما قال تعالى (وليمحص  
 الله الذين آمنوا ويحق الكافرين) وقال (وليبلى الله ما في صدوركم) فطاعة الله ورسوله لا تجلب الا  
 خيرا ومصيبته لا تغلب الا شرا \* ولهذا قال سبحانه فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فاتهم  
 لو فقهوا الحديث لعلموا انه ليس في الحديث الذى أنزله الله على رسوله ما يوجب شرا البتة ولعلموا  
 انه سبب كل خير ولو فقهوا لعلموا ان العقول والفطر تشهد بان مصالح المايش والمعاد متعلقة بما جاء  
 به الرسول فلو فقهوا القرآن لعلموا انه أحرمهم بكل خير ونهاهم عن كل شر وهذا مما بين ان ما أمر  
 الله به يعلم حسنة بالمثل وأنه كله مصلحة ورحمة ومنفعة واحسان بخلاف ما يقوله كثير من أهل  
 الكلام الباطل انه سبحانه يأمر بالمعصية لا بمصلحة لهم فيه بل يأمرهم بما فيه مضره لهم وقول هؤلاء  
 تصديق وتقرير لقول المتطيرين بالرسل

﴿فصل﴾ وما يوضح الامر في ذلك انه سبحانه لما قال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما  
 أصابك من سيئة فمن نفسك) عقب ذلك بقوله (وأرسلناك الناس رسولا وكلئ بالله شهيدا) وذلك  
 يتضمن أشياء منها تنبيه أمته على أن رسوله الذى شهده بالرسالة اذا أصابه ما يكره فمن نفسه فالظن  
 بغيره ومنها ان حجة الله قد قامت عليهم برسالة فاذا أصابهم سبحانه بما يسوءهم لم يكن ظلما لهم في  
 ذلك لانه قد أرسل رسوله إليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم وما يجلبها لهم وما فيه مضرهم وما يجلبها لهم

فمن - يد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ومنها أنه سبحانه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يده من الآيات الدالة على صدقه وأنه رسوله حقا فلا يضره جحد هؤلاء الجاهلين الظالمين المتطيرين به لرسالته ومن شهد له رب السموات والارض ومنها أنهم أرادوا أن يحيطوا سيئاتهم وعقوباتها حجة على ابطال رسالته فشهد له بالرسالة وأخبر أن شهادته كافية فكان في ضمن ذلك ابطال قولهم ان المصائب من عند الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات أنها من عند أنفسهم بطريق الاولى ومنها ابطال قول الجهمية المجبرة ومن وافقهم في قولهم ان الله قد يسنذب العباد بلا ذنب ومنها ابطال قول القدرية الذين يقولون ان أسباب الحسنات والسيئات ليست من الله بل هي من العبد ومنها ذم من لم يتدبر القرآن ولم يفقهه وان اعراضه عن تدبره وفقهه يوجب له من الضلال والفتنة بحسب اعراضه ومنها اثبات الاسباب وابطال قول من ينفيها ولا يرى لها ارتباطا بمسبباتها ومنها ان الخير كله من الله والشر كله من النفس فان الشر هو الذنوب وعقوبتها والذنوب من النفس وعقوبتها مرتبة عليها والله هو الذى قدر ذلك وقضاه وكل من عنده قضاء وقدر وان كانت نفس العبد سبية بخلاف الخير والحسنات فان سببا مجرد فضل الله ومنه وتوفيقه كما تقدم تقريره ومنها أنه سبحانه لما رد قولهم ان الحسنات من الله والسيئات من رسوله وأبطله بقوله (قل كل من عند الله) رفع وهم من توهم ان نفسه لا تأثير لها في السيئة ولا هي منها أصلا بقوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وخطبه بهذا تنبيها لغيره كما تقدم ومنها أنه قال في الرد عليهم (قل كل من عند الله) ولم يقل من الله لما جمع بين الحسنات والسيئات والحسنة مضافة الى الله من كل وجه والسيئة انما تنضاف اليه قضاء وقدرًا وخلقا وأنه خالقها كما هو خالق الحسنة فلهاذا قال (قل كل من عند الله) وهو سبحانه انما خلقها لحكمة فلا تنضاف اليه من جهة كونها سيئة بل من جهة ما تضمنته من الحكمة والعدل والحمد وتنضاف الى النفس كونها سيئة ولما ذكر الحسنة مفردة عن السيئة قال (ما أصابك من حسنة فمن الله) ولم يقل من عند الله فالخير منه وأنه موجب أسماء وصفاته والشر الذى هو بالنسبة الى العبد شر من عند سبحانه فانه مخلوق له عدلا منه وحكمة ثم قال (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ولم يقل من عندك لان النفس طيعتها ومقتضاها ذلك فهو من نفسها والجميع من عند الله فالسيئة من نفس الانسان بلا رب والحسنة من الله بلا رب وكلاهما من عنده سبحانه قضاء وقدرًا وخلقا ففرق بين مامن الله وبين مامن عنده والشر لا يضاف الى الله ارادة ولا حجة ولا فعلا ولا وصفا ولا اسما فانه لا يريد الا الخير ولا يجب الا الخير ولا يفعل شرا ولا يوصف به ولا يسمى باسمه وسنذكر في باب دخول الشر في القضاء الالهي وجه نسبتة الى قضاءه وقدره ان شاء الله

﴿فصل﴾ وقد اختلف في كاف الخطاب في قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) هل هي لرسول الله أو هي لكل واحد من الآدميين \* فقال ابن عباس في رواية الوالى عنه الحسنات ما فتح الله عليه يوم بدر من النعمة والفتح والسيئة ما أصابه يوم أحد ان شج في وجهه وكسرت رايته \* وقالت طائفة بل المراد جنس ابن آدم كقوله (يأياها الانسان ما عرك ربك الكريم) روى سعيد عن قتادة (ما أصابك من سيئة فمن نفسك) قال عقوبة يا ابن آدم بذنبك

ورجعت طائفة القول الاول \* واحتجوا بقوله (وأرسلناك للناس رسولا) قالوا وأيضا فانه لم يتقدم ذكر الانسان ولا خطابه وانما تقدم ذكر الطائفة قالوا ما حكا الله عنهم فلو كانوا هم المرادين لقال ما أصابهم أو ما أصابكم على طريق الالتفات قالوا وهذا من باب السب لانه اذا كان سيدوله آدم وهكذا حكمه فكيف بغيره ورجعت طائفة القول الآخر \* واحتجت بان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصوم لا يصدر عنه ما يوجب أن تنصيه به سيئة قالوا والخطاب وان كان له في الصورة فالمراد به الامة كقولهم (يا أيها النبي اذا طلعت النساء) قالوا ولما كان أول الآية خطابا له أجري الخطاب جميعه على وجه واحد فافترده في الثاني والمراد به الجميع والمعنى وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم قالوا وله والثاني لامت ولهذا لما أفرد أصابة السيئة قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (أولما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (ويوم نحين اذ نمجبتكم كثرتمكم فلم نغن عنكم شيئا وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم توليتهم مديرين) ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين فآخرا ان الهزيمة بذنوبهم وأعجابهم وان النصر بما أنزله على رسوله وأيده به اذ لم يكن منهم سبب الهزيمة ما كان منه وجهت طائفة ثالثة بين القولين وقالوا صورة الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد المصوم كقوله (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) ثم قال (واتبع ما يوحى اليك من ربك) ثم قال (وتوكل على الله) وكقوله (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله قاعبد وكن من الشاكرين) وقوله (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاستل الكتاب من قبلك) قالوا وهذا الخطاب نوعان نوع يختص لفظه به لكن يتناول غيره بطريق الاولى كقوله (يا أيها النبي ما يحرم ما أحل الله لك ينهى مريضات أزواجك) ثم قال (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) ونوع يكون الخطاب له وللامة فافترده بالخطاب لكونه هو المواجه بالوحي وهو الاصل فيه والمبلغ الامة والسفير بينهم وبين الله وهذا معنى قول كثير من المفسرين الخطاب له والمراد غيره ولم يريدوا بذلك أنه لم يخاطب بذلك أصلا ولم يرد به البتة بل المراد انه لما كان امام الخلائق ومقدمهم ومتبوعهم أفرد بالخطاب وتبعته الامة في حكمه كما يقول السلطان لمقدم العساكر أخرج غدا وأنزل بمكان كذا واحمل على العدو وقت كذا قالوا كقولهم (ما أصابكم من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك) خطاب له وجميع الامة داخلون في ذلك بطريق الاولى بخلاف قوله (وأرسلناك للناس رسولا) فان هذا له خاصة قالوا وهذه الشرطية لا تستلزم الوقوع بل تربط الجزاء بالشرط وأما وقوع الشرط والجزاء فلا يدل عليه فهو مقدر في حقه محقق في حق غيره والله أعلم \* قال القدرى اذا كانت الطاعات والمعاصي مقدره والثمم والمصابب مقدره فلم يفرق سبحانه بين الحسنات التي هي الأثم والسيئات التي هي المصابب فجعل ثممه من سبحانه وهذه من نفس الانسان والجميع مقدر \* قال السفى بينهما فروق فالفرق الاول ان نعم الله وإحسانه الى عباده يقع بلا كسب منهم أصلا بل الرب سبحانه ينعم عليهم بالعمارة والرزق والنصر وارسال الرسل وازال الكتب وأسباب الهداية فيفضل ذلك من لم يكن منه سبب يقتضيه وينشئ للجنة خلقا يسكنهم اياها بغير سبب منهم ويدخل أطفال المؤمنين وعجائزهم الجنة بلا عمل وأما العقاب فلا يقاب أحدا إلا بعمله \* الفرق الثاني ان عمل الحسنات من احسان الله

ومنه وتفضله عليه بالهداية والإيمان كما قال أهل الجنة (الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) تخلق الرب سبحانه لهم الحياة والسمع والبصر والعقول والافئدة وارسال الرسل وتبليغهم البلاغ الذى احدثوا به والمهامم الايمان ومحبيه اليهم وتزيينه في قلوبهم وتكريره ضده اليهم كل ذلك من نعمه كما قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) فجميع ما ينقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة بلا سبب سابق يوجب ذلك لهم ومن غير حول وقوة منهم الا به وهو خالقهم وخالق أعمالهم الصالحة وخالق جزائها وهذا كله منه سبحانه بخلاف الشر فإنه لا يكون الا بذنوب السبد وذنبه من نفسه واذا تدبر السبد هذا علم ان ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكل ربه على ذلك فزاده من فضله عملا صالحا ونعما يفيضها عليه واذا علم ان الشر لا يحصل له الا من نفسه وبذنوبه استغفر ربه وناب فزال عنه سبب الشر فيكون دائما شاكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يتدفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فبشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على طاعته ونستغفره من معصيته ومحمد على فضله واحسانه ثم قال ونعوذ بالله من شرور أنفسنا لما استغفره من الذنوب الماضية استعاذ به من الذنوب التي لم تقع بعد ثم قال ومن سيئات أعمالنا فهذه استعاذة من عقوبتها كما تقدم ثم قال من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له فهذه شهادة للرب بآية المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء فاذا هدى عبدا لم يضل أحد واذا أضل لم يهد أحد وفي ذلك اثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره الذى هو عقد نظام التوحيد وأساسه وكل هذا مقدمة بين يدي قوله وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فان الشهادتين اتما تحققان بحمد الله واستماتته واستغفاره والالجا اليه والايمان باقدياره والمقصود انه سبحانه فرق بين الحسنات والسيئات بعد ان جمع بينهما في قوله كل من عند الله فجمع بينهما الجمع الذى لا يتم الايمان الا به وهو اجبا لهما في قضائه وقدره ومشيئته وخلقهم ثم فرق بينهما الفرق الذى يتفقون به وهو ان هذا الخير والحسنة نعمة منه فاشكروه عليه بزدكم من فضله ونعمه وهذا الشر والسيئة بذنوبكم فاستغفروه برفه عنكم وأصله من شرور أنفسكم فاستعينوا به بخلصكم منها ولا يتم ذلك الا بالايمان بالله وهو الذى يهدي ويضل وهو الايمان بالقدر فادخلوا عليه من بابه فان أزمة الامور بيده فاذا فعلتم ذلك صدق منكم شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهذه الحجة العظيمة عقد نظام الاسلام والايمان فلو اقتصر لهم على الجمع دون الفرق أعرض العاصى والمذنب عن ذم نفسه والتوبة من ذنوبه والاستعاذة من شرها وقام في قلبه شاهد الاحتجاج على ربه بالقدر وتلك حجة داحضة تتبع الاشياء فيها ابليس وهى لا تزيد صاحبها الاشياء وعذابا كما زادت ابليس طردا ويبعدا عن ربه وكما زادت المشركين ضلالا وشقلا حين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا بآؤنا وكما تزيد الذى يقول يوم القيامة لو أن الله هدىنى لكنت من المتقين حسرة وعذابا ولو اقتصر لهم على الفرق دون الجمع لغابوا به في التوحيد والايمان بالقدر والالجا الى الله في الهداية والتوفيق والاستعاذة به من شر النفس وسيئات العمل والافتقار التام الى اعائته وفضله وكان في الجمع والفرق

يان حق العبودية وسأيتى تمام هذا الكلام على هذا الموضع العظيم التدر ان شاء الله بآيات اجتماع  
 القدر والشرع وافترأها \* الفرق الثالث ان الحسنه يضاعفها الله سبحانه ونسبها ويكتبها للمد يادق  
 سعى ويثبت على الهب بها والسيئة لا يؤخذ على الهب بها ولا يضاعفها ويظلمها بالثوبة والحسنه الماحية  
 والمصائب المكفرة فكانت الحسنه أولى بالاضافه اليه تعالى والسيئة أولى بالاضافه الى النفس \* الفرق  
 الرابع ان الحسنه التي هي الطاعة والتمه يمجها ويرضاها فهو سبحانه يحب أن يطاع ويجب أن ينعم  
 وتحنن ويحود وان قدر المصيبة وأراد المنع فالطاعة أحب اليه والبذل والطاء أثر عنده فكان  
 اضافة نوعي الحسنه له واطافه نوعي السيئه الى النفس أولى ولهذا تأديبها لمارفون من عباده بهذا  
 الادب فأضافوا اليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور الى عملها كما قال امام الحنفاء الذي خلقني فهو  
 يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى  
 ربه \* وقال اخضر أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أغيثهم أجمعين قال وأما الجدار  
 فكان لثلاثين بيتين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما  
 ويستخرجا كنزهما \* وقال مؤمنو الجن وأنا لاندري أشر أريد من في الارض أم أراد بهم ربهم  
 رشدا \* الفرق الخامس ان الحسنه مضافه اليه لانه أحسن بها من كل وجه وبكل اعتبار كما تقدم فاما  
 من وجه من وجوها الأ وهو يقتضى الاضافه اليه وأما السيئه فهو سبحانه إنما قدرها وقضاها  
 لحكمته وهي باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان الرب سبحانه لا يعمل سوا قط كما لا يوصف به  
 بولا يسمى باسمه بل فله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالى يده الخير وقال أنكر في الخلق به  
 والشر ليس اليك فهو لا يخاف شرنا محضا من كل وجه بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة وان  
 كان في بعضه شر جزئي اضافي وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزّه عنه وليس اليه  
 \* الفرق السادس ان ما يحصل للانسان من الحسنات التي يعملها فهي أمور وجودية متعلقة بمشيئة الرب  
 وقدره ورحمته وحكمته وليست أموراً عديمه تضاف الى غير الله بل هي كلها أمور وجودية وكل  
 موجود حادث والله محدثه وخالقه وذلك ان الحسنات اما فعل مأمور أو ترك محظور والترك أمر  
 وجودي فترك الانسان لما نهى عنه ومعرفته بأنه ذنب قبيح وبأنه سبب العذاب فينبذه له وكرهته له  
 ومنع نفسه اذا هوته وطلبته منه أمور وجودية كما أن معرفته بالحسنات كالدل والصدق حسنة  
 وفعله لما أمر وجودي والانسان لما تاب على ترك السيئات اذا تركها على وجه الكراهة لها والامتناع  
 عنها وكف النفس عنها قال تعالى (ولكن الله يحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر  
 والفسوق والعصيان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) وقال (ان  
 الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) \* وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه  
 وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله  
 ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنهذه الله منه كما يكره أن ياتي في التلث وقد جعل صلى  
 الله عليه وسلم البعض في الله من أوثق عرى الايمان وهو أهل الترك وجعل المنع لله من كمال الايمان  
 وهو أصل الترك فقال من أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقال من أحب الله  
 وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الايمان وجعل انكار المنكر بالقلب من مهمات الايمان

وهو يفضله وكرامته المستلزم لتركه فلم يكن الترك من الايمان الا بهتة الكراهة والبغض والامتناع  
والتمتع لله وكذلك براءة الخليل وقومه من المشركين ومعبودهم ليست تركا محضاً بل تركاً صادراً عن  
بغض ومعاداة وكرامة هي أمور وجودية هي عبودية القلب يترتب عليها خلو الجوارح من العمل  
كما أن التصديق والإرادة والمحبة للطاعة من عبودية القلب يترتب عليها آثارها في الجوارح وهذا  
الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وهو اثبات تآله القلب لله ومحبه وتوحي تآله لغيره وكرامته  
فلا يمكن أن يبغض الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب اليه ويخافه ويرجوه حتى يترك عبادة غيره والتوكل  
عليه والابانة اليه وخوفه ورجاه ويبغض ذلك وهذه كلها أمور وجودية وهي الحسنات التي يثيب الله  
عليها وأما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة ولا يكرها بقلبه ويكف نفسه عنها بل  
يكون تركها لعدم خطورها بقلبه ولا يثاب على هذا الترك فهذا تكون السيئات في حقها بمنزلة التي في حق  
الطفل والتائب لكن قد يثاب على اعتقاد محرماً وان لم يكن له اليها داعية البتة فالترك ثلاثة أقسام قسم  
يثاب عليه وقسم يعاقب عليه وقسم لا يثاب ولا يعاقب فالاول ترك العالم بتحرماً الكاف نفسه عنها الله  
منع قدرته عليها والثاني كترك من يتركها لغير الله لأنه فهذا يعاقب على تركه لغير الله كما يعاقب على  
فعله لغير الله فان ذلك الترك والامتناع فعل من أفعال القلب فإذا عبد به غير الله استحق العقوبة  
\* والثالث كترك من لم يحظر على قلبه علماً ولا محبة ولا كراهة بل بمنزلة ترك التائب والطفل \* فان  
قيل كيف يعاقب على ترك المصيبة حياء من المخلوق وإيقاعه على جاهه بينهم وخوفاً منهم أن يسلبوا  
عليه والله سبحانه لا يذم على ذلك ولا يمنع منه \* قيل لا ريب أنه لا يعاقب على ذلك وأما يعاقب على  
تقربه الى الناس بالترك ومرآتهم به وأنه تركها خوفاً من الله ومراقبة وهو في الباطن بخلاف ذلك  
فالفرق بين ترك يتقرب به اليهم ومرآتهم به وترك يكون مبسوداً الحياء منهم وخوف أذاهم له  
وسقوطه من أعينهم فهذا لا يعاقب عليه بل قد يثاب عليه اذا كان له فيه غرض يحبه الله من حفظ  
مقام الدعوة الى الله وقبولهم منه ونحو ذلك وقد تنازع الناس في الترك هل هو أمر وجودي أم  
عدمي والاكتزون على أنه وجودي \* وقال أبو هاشم وأتباعه هو عدمي وان المأمور يعاقب على  
مجرد عدم الفعل لا على ترك يقوم بقلبه وهؤلاء رتبوا الذم والعقاب على عدم المحض والاكتزون  
يقولون إنما يثاب من ترك المحذور على ترك وجودي يقوم بنفسه ويعاقب بترك المأمور على ترك  
وجودي يقوم بنفسه وهو امتناعه وكفه نفسه عن فعل ما أمر به اذا عين هذا فالحسنات التي يثاب  
عليها كلها وجودية فهو سبحانه الذي حبب الايمان والطاعة الى العبد وزينه في قلبه وكثره اليه اعدادها  
وأما السيئات فنشأتها من الجهل والنظم فان العبد لا يفعل القبيح الا لعدم علمه بكونه قبيحاً أو لجهله  
وشهوته مع علمه بفساده فالاول جهل والثاني ظلم ولا يترك حسنة الا لجهله بكونها حسنة أو لرغبته  
في ضدها لموافقته هواه وغرضه وفي الحقيقة فاليست كلها ترجع الى الجهل والافلاكان علمه تماماً  
برجحان ضررها لم يفعله فان هذا خاصة الفضل فانه اذا علم ان القيامه بنفسه من مكان عال يضره لم  
يقدم عليه وكذلك لبته تحت حائط مائل والقائه نفسه في ماء يترق فيه وأكله طعاماً مسموماً لا يفعله  
لعله التام بمنزلة الرابحة بل هذه فطرة فطر الله عليها الحيوان بهيمه وناطقه ومن لم يعلم ان ذلك  
يضره كالطفل والمجنون والسكران الذي انتهى سكره فقد يفعله وأما من أقدم على ما يضره مع علمه



بما فيه من الضر فلا بد أن يقوم قلبه أن منفعته له راجحة ولا بد من رجحان المنفعة عنده اما في الظن واما في المختون ولو جزم وأكب البحر بأنه يفرق ويذهب ماله لم يركب أبداً بسل لا بد من رجحان الانتفاع في ظنه وان أخطأ في ذلك وكذلك الذنوب والمعاصي فلو جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يقدم على السرقة بل يظن انه يسلم ويظهر بالمال وكذلك القاتل والشارب والزاني فلو جزم طالب الذنب بأنه يحصل له الضرر الراجح لم يفعل بل اما أن لا يكون جازماً بتصريمه أو لا يجزم بمقوته بل يرجو الفجر والمنفرة وأن يتوب ويأتى بحسنات تحوّل أثره وقد يفشل عن هذا كله بقوة وإرادة الشهوة واستيلاء سلطانها على قلبه بحيث تقيبه عن مطالعة مضرة الذنب والمنفعة من اشداد التلم كالغفلة والشهوة أسهل الشر كله قال تعالى (ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) وتابع هواه وكان أمره فرطاً كونيغى أن يعلم أن الهوى وحده لا يستقل فساد البينات الا مع الجهل والانصاحب الهوى لو جزم بأن ارتكاب هواه يضره ولا بد ضرراً راجحاً لانصرفت نفسه عن طاعته له بالطبع فان الله سبحانه جميل في النفس جالماً فيضها وفاضلاً في فعلها فلو جزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً ولهذا يوصف تارك ذلك بالعقل والحجى واللب قال سبحانه (مركب من زين الشيطان وجهل النفس) فانه زين لها البينات ويربها أنها في صور المتافع والذات والطيات ويفعلها عن مطالعتها لمضرتها فتوله من بين هذا التزين وهذا الاغفال والانساء لما ارادة وشهوة ثم يمدها بأنواع التزين فلا يزال يقوى حتى يصير عزمها جازماً يقترون به الفضل كما زين للابوين الاكل من الشجرة وأغفلها عن مطالعة مضرة المعصية فالتزين هو سبب ايشار الخير والشر كما قال تعالى (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وقال أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً وقال في زين الخير (ولكن الله حب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال في زين التوعين كذلك زيناً لكل أمة عليهم ثم المذهبهم مرجعهم فينبشهم بما كانوا يعملون وتزين الخير والهدى بواسطة الملائكة والمؤمنين وتزين الشر والضلال بواسطة الشياطين من الجن والانس كما قال تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وحقيقة الامر ان التزين إنما يفتر به الجاهل لا يلبس له الباطل والضار المؤذى صورة الحق والتافع للملائم فاصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم ولهذا قال الصحابة كل من عصى الله فهو جاهل وقال تعالى (انما اتوبه على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) وقال (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ان من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) قال أبو العالية سألت أصحاب محمد عن قوله انما اتوبه على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وقال قتادة اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصى الله به فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد من شيخ أوثاب فهو بجهالة وقال من عصي ربه فهو جاهل حتى يتوب عن خطيئته وقال هو وعطاء الجهالة الصمد وقال مجاهد من عمل سوءاً خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى يتوب منه ذكر هذه الآثار ابن أبي جاتم ثم قال وروى عن قتادة وعمر بن مريم والثوري نحو ذلك خطأ أو عمداً وروى عن مجاهد والضحاك ليس من جهالة أن لا يعلم حلالاً ولا

حراما ولكن من جهاته حين دخل فيه وقال عكرمة السماء كلها حيلة وبما يبين ذلك قوله انما  
يخفى الله من عباده العلماء وكل من خشي فاطاعه بفعل أو امره وترك نواهيه فهو عالم كما قال تعالى  
(أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين  
يعلمون والذين لا يعلمون) وقال رجل للشعي أيها العالم فقال لنا بلاء انما للعالم من يخفى الله وقال  
ابن مسعود وكفى بخشية الله علما وبلاغا لغيره انما يخفى الله من عباده العلماء يقتضي  
الحصر من الطرفين ان لا يخشاه الا العلماء ولا يكون علما الا من يخشاه فلا يخشاه الا العالم ومامن عالم الا هو  
يخشاه فاذا اتى العلم انتفت الخشية واذا انتفت الخشية دلت على انتفاء العلم لكن وقع الغلط في معنى  
العلم اللازم للخشية حيث يظن انه يحصل بدونها وهذا متع فانه ليس في الطبيعة ان لا يخفى آثار  
والاسد والدمو من هو عالم بها مواجه لها وانه لا يخفى الموت من اتى نفسه من شاعق ونحو ذلك  
فامته في هذه المواطن دليل عدم علمه وأحسن أحواله أن يكون معه ظن لا يصل الى رتبة العلم  
اليقينى فان قيل فهذا يقتضى عليكم بمصيبة ابليس فانها كانت عن علم لاعتى جهل ويقول وأما نوح  
فهدى ناهم فاستحبوا المص على الهدى وقال وآتينا نوحا ميثرا وقال عن قوم فرعون وجحدوا  
به واستيقنوا أنفسهم ظلما وعلوا وقال (وعادا ونمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم  
الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أتزل  
هؤلاء الارب السنوات والارض تصائر) وقال (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين  
لهم ما يتقون) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) يعنى القرآن وأحمد على  
الله عليه وسلم وقال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وقال  
فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحود انكار الحق بعد معرفته وهذا كثير  
في القرآن قيل حجج الله لانتقاض بل كلها حق يصديق بعضها بعضا واذا كان سبحانه قد أثبت  
الجهالة لمن عمل السوء وقد أقر به ورسائله وبانه حرم ذلك وتوعد عليه بالمقاب ومع ذلك يحكم عليه  
بالجهالة التى لا يجلبها عمل السوء فكيف بمن أشرك به وكفر بآياته وعادى رسوله أليس ذلك أجل  
الجاهلين وقد سعى تعالى اعداءه جاهلين بعد اقامة الحجة عليهم فقال خذ الفو وأمر بالعرف  
وأعرض عن الجاهلين فامرهم بالأعراض عنهم بعد ان أقام عليهم الحجة وعلموا انه صادق وقال (واذا  
خطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فالجاهلون هنا الكفار الذين علوا انه رسول الله فهذا العلم لا ينافي  
الحكم على صاحبه بالجهل بل يثبت له العلم وينافي عنه في موضع واحد كما قال تعالى غن السحرة من  
من اليهود ولقد علموا لمن شراه ماله في الآخرة من خلاق ولبسوا مشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون  
فأثبت لهم العلم الذى تقوم به عليهم الحجة ونفى عنهم العلم النافع الموجب لذلك الضار وهذا نكتة المسئلة  
وسر الجواب فما دخل النار الا العالم ولا دخلها الا جاهل وهذا العلم لا يجتمع مع الجهل في الرجل  
الواحد يوضحه ان البهوى والنفلة والاعراض تصد عن كماله واستحضاره ومعرفة موجبه على  
التفصيل وتقيم لصاحبه شها وتاويلات تمارضه فلا يزال مقتضى يصفى والمراض يعمل عمله حتى  
كانه لم يكن ويصير صاحبه بمنزلة الجاهل من كل وجه نذر علم ابليس ان تركه للسجود لآدم يبلغ به ما  
بلغ وانه بوجهه اعظم العقوبة وتيقن ذلك لم يتركه ولكن حال الله بينه وبين هذا العلم ليقضى أمره

ورفض قضاءه وقدره ولوطن آدم وحواء انهما اذا اكلامن الشجرة خرجا من الجنة وجرى عليهما ما جرى ما جرىها ولولم اعاده الرسل تفاصيل ما يجري عليهم وما يصيهم يوم القيامة ترجزوا بذلك لما عادوهم قال تعالى عن قوم فرعون (ولقد اذبحهم بطشتا قباروا بالنذر) وقال (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باسليهم من قبل انهم كانوا في شك مريب) وقاله عن المناقذين وقبشاهدوا آيات الرسول وبراهين صدقه عيانا وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون وقال ولكنكم قنتم انفسكم وتربصتم وارتمم وقال في قلوبهم مرض وهو الشك ولو كان هذا لعدم العلم الذي تقوم به الحجة عليهم لما كانوا في الدرك الاسفل من النار بل هذا بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم الذي لم ينفعهم فالتلم يضضب قطعا بالظلمة والاعراض واتباع الهوى وايتار الشهوات وهذه الامور توجب شبهات يأتا ويلات تضاده قائل هذا الموضع حق التأمل فانه من اسرار القدر والشرع والمدل قائل يراذه به العلم التام المستلزم لاثمه ويراده بالمقتضى وان لم يتم بوجود شروطه وانقضاء موافقه فالتالي يجمع الجهل دون الاول فبين ان أصل السيات الجهل وعدم العلم وان كان كذلك فعدم العلم ليس أمرا وجوديا بل هو لعدم البصر والبصر والقدرة والارادة والعدم ليس شيئا حتى يستدعي فاعلا مؤثرا فيه بل يكنى فيه عدم مشيئة ضده وعدم السبب الخوجب لضده والعدم المحض لا يضاف الى الله فانه شر والشر ليس اليه فاذا اتقى هذا الجواز عن العبد ونفسه تطبعها متحركة مريدة وذلك من لوازم شأنها فحركت بمقتضى الطبع والشهوة وغلب ذلك فيها على داعي العلم والمعرفة فوقعت في أسباب الشر ولا بد

﴿فصل﴾ والله سبحانه قد اتم على عباده من جملة احسانه ونعمه بامرئ هما أصل السعادة أحدهما ان خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجه عنها كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وشبه ذلك بمزج البهمة صحيحة سالمة حتى يجدها صاحبها وبثبعته انه قال يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاتهم الشياطين فاحتلنهم عن دينهم وجرمت عليهم ما حلل لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا فاذا تركت النفس وفطرتها لم تؤثر على محبة بارها وقاطرها وعادته وحده شيئا ولم تشرك به ولم يحمده كمال ربيوته وكان أحب شيء اليها وأطوع شيء لها وآثر شيء عندها ولكن يدها من يقتزن بها من شياطين الجن والانس بزيينة واغوائه حتى تنغمس موجبا وحكما الامر الثاني انه سبحانه هدى الناس هداية عامة بما أودع فيهم من المعرفة ومكنهم من أسبابها وبما أنزل اليهم من الكتب وأرسل اليهم من الرسل وعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه ففى كل نفس ما يقتضى معرفتها بالحق ومحبته الله وقد هدى الله كل عبد الى أنواع من العلم يمكنه التوصل بها الى سعادة الآخرة وجعل في فطرته محبة لذلك لكن قد يمرض البدن عن طلب علم ما ينفعه فلا يريد ولا يعرفه وكونه لا يريد ذلك ولا يعرفه أمر عديم فلا يضاف الى الرب لاهذا ولا هذا فانه من هذه الخسنة شر والذي يضاف الى الرب علمه وقضاؤه بدم مشيئة لضده وإيقاعه على الدم الاصل ونحو من هذه الجهة خبر فان العلم بالشر خير من الجهل به وعدم رفقه بآيات ضده اذا كان مقتضى الحكمة كان خيرا وان كان شر بالنسبة الى عمله وسياقه تمام تقرير هذا في باب دخول الشر في القضاء الالهى ان شاء الله سبحانه

﴿فصل﴾ وههنا حياة أخرى غير الحياة الطبيعية الحيوانية نسبتها الى القلب كنسبة حياة

البدن اليه فاذا أمد عبده تلك الحياة أتمرت له من نخبته واجلاله وتعظيمه والحياء منه ومراقبته وطاعته مثل ماتم حياة البدن له من التصرف والفعل وسعادة النفس ونجاتها وفلاحها بهذه الحياة وهي حياة دائمة سرمدية لا تنقطع ومتى فقدت هذه الحياة واعتاضت عنها بحياتها الطبيعية الحيوانية كانت ضالة مبهدة شقية ولم تسترح راحة الاموات ولم تنش عيش الاحياء كما قال تعالى (سذكر من يخشى ويحبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) فلان الجزء من جنس العمل فانه في الدنيا للمخفى الحياة النافعة الحقيقية التى خلق لها بل كانت حياته من جنس حياة البهائم ولم يكن ميتا عديم الاحساس كانت حياته في الآخرة كذلك فان مقصود الحياة حصول ما يتفجع به ويلتذ به والحى لا بد له من لذة أو ألم فاذا لم يحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة كمن هو حى في الدنيا وبه أمراض عظيمة تحول بينه وبين التمتع بما يتم به الاصحاء فهو يختار الموت ويمتد ولا يحصل له فلاحه مع الاحياء ولا مع الاموات اذا عرف هذا فالشر من لوازم هذه الحياة وعدمها شر وهو ليس بشئ حتى يكون مخلوقا والله خالق كل شئ فاذا أسلبك عن عبد هذه الحياة كان امساكها خيرا بالنسبة اليه سبحانه وان كان بشرا بالإضافة الى المبدء لقوات ما يلتذ ويتم به فالسببات من طبيعة النفس ولم يد بهذه الحياة التى تحول بينها وبينها فصار الشر كله من النفس والحيز كله من الله والجميع بقضائه وقدره وحكمته وبالله التوفيق

**فصل** قال القدرى ونحن نعرف بهذا جميعه وقرر بان الله خلق الانسان مريدا ولكن جعله على خلقه يريد بها وهو مريد بالقوة والقبول أى خلقه قابلا لان يريد هذا وهذا وأما كونه مريدا لهذا المعنى فليس ذلك بمخلق الله ولكنه هو الذى أجده بنفسه ليس هو من أحدث الله قاله الجبرى هذه الإرادة حادثة فلا بد لها من محدث فالتحدث لها إما أن يكون نفس الانسان أو مخلوق خارج عنها أو ربها واطرها وخالقها والنفسان الاولان محال فتمين الثالث أما المقدمة الاولى فظاهرها اذا احدث اما النفس وأما أمر خارج عنها والخارج عنها اما الخالق أو المخلوق وأما المقدمة الثانية فبيانها ان النفس لا يصح أن تكون هى المحدثة لارادتها فانها إما ان تحدثها بإرادة أو بغير إرادة وكلها ممتنع فانها لو توقفت احدتها على إرادة أخرى فالكلام فيها كالكلام فى الاولى ويلزم التسلسل الى غير نهاية فلا توجد إرادة حتى يتقدمها ارادات لا تنتهى وان لم يتوقف احدتها على إرادة منها بطل ان تكون هى المؤثرة فى احدتها ان وقوع الحادث بلا إرادة من الفاعل المختار محال واذا بطل أن تكون محدثة للإرادة بإرادة وان يحدثها بغير إرادة تمين ان يكون الحادث لتلك الإرادة أمرا خارجا عنها فحينئذ إما أن يكون مخلوقا أو يكون هو الخالق سبحانه والاول محال لأن ذلك الحادث ان كان غير مريد لم يمكنه جعل الانسان مريدا وان كان مريدا فالكلام فى ارادته كالكلام فى إرادة الانسان بسواء فتمين أن يكون الحادث لتلك الإرادة هو الخالق لكل شئ الذى ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن قال القدرى قد اختلفت طرق أصحابنا فى الجواب عن هذا الالتزام فقال الجاحظ المبدء يحدث أفعاله بغير إرادة منه بل مجرد قدرته وعلمه بما فى الفعل من الملازمة فاذا علم موافقة الفعل له وهو قادر عليه أحدثه بقدرته وعلمه وأنكر توقفه على إرادة محدثة وأنكر حقيقة الإرادة فى الشاهد ولم ينكر الميل والشهوة ولكن لا يتوقف احدثات عليها فان الانسان قد يفعل ما لا يشتهي ولا يميل اليه وخالفه جميع

الاصحاب وأثبتوا الارادة الحادثة ثم اختلفوا في سبب حدوثها فقال طائفة منهم كون النفس مريدة أمر ذاتي لها وما بالذات لا يعلل ولا يطلب سبب وجوده وطريقة التعليل تسلك ما لم يقع منها مانع واختصاص الذات بالصفة الذاتية لا تملل فهكذا اختصاص النفس بكونها مريدة هو أمر ذاتي لها وبذلك كانت نفسا فقول القائل لم أردت كذا وما الذي أوجب لها ارادته كقولك لم كانت نفسا وكقولك لم كانت النار محرقة أو متحركة ولم كان الماء مائنا سبباً ولم كان الهواء خفيفاً فكون النفس مريدة متحركة بالارادة هو معنى كونها نفساً فهو بمنزلة قول القائل لم كانت نفساً وحركتها بمنزلة حركة النلك فهي خلقت هكذا وقالت طائفة أخرى بل الله سبحانه أحدث فيها الارادة والارادة صالحة للضدين فيخلق فيها ارادة تصليح للخير والشر فآثرت هي أحدهما على الآخر يشهوها ويميلها فاعطاهما قدرة صالحة للضدين واردة صالحة لهما فكانت القدرة والارادة من احداثه سبحانه واختيارها أحد المقدورين المرادين من قبلها فهي التي وجعته قالوا والقادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بغير مرجح كالعلمان اذا قدم له قدحان متساويان من كل وجه والهاب اذا فع له طريقان كذلك فإنه يرجح أحدهما بلا مرجح فأنه سبحانه أحدث فيه ارادة الفعل ولكن الارادة لا توجب المراد فحدث فيه امتهاناً له وإتلايه وأقدره على خلافه وأمره بمخالفته ولا ريب أنه قادر على مخالفتها فلا يلزم من كونها مخلوقة لله حصوله بأحداه وجوب الفعل عندها وقال أبو الحسين البصري أن الفعل يتوقف على الداعي والقدرة وهما من الله خلقاً فيه وعندهما يجب وجود الفعل باختيار البع وداعيه فيكون هو الحدث له بمائنه من الدواعي والقدرة فهذه طرق أبحاثنا في الجواب عما ذكرتم قال السني لم تخصوا بذلك من الازام ولم يتنابها بطلان حجبت المذكورة فلا منعم مقدماتها وينتم فيها دعاها ولا عارضتموها بما هو أقوى منها كما أنهم لم يتخصوا من الازامكم ولم يبينوا بطلان دليلكم وكان غاية ما عندكم وعندهم المارضة وبيان كل منكم تناقض الآخر وهذا لا يفيد نصرة الحق وبطلان الباطل بل يفيد بيان خطأكم وخطأهم وعدولكم وإيهام من منبج الصواب فقول والله التوفيق مع كل منكما صواب من وجه وخطأ من وجه فاما صواب الجبري فمن جهة اسناده الحوادث كلها الى مشيئة الله وخلقها وقضائه وقدره والقدرى خالف بالضرورة في ذلك فان كون العبد مريداً فاعلا بعد أن لم يكن أمر حادث فاما أن يكون له محدث وأما أن لا يكون فان لم يكن له محدث لزم حدوث الحوادث بلا محدث وان كان له محدث فاما أن يكون هو العبد أو الله سبحانه أو غيرهما فان كان هو العبد فالقول في احداثه تلك الفاعلية كالقول في احداث سببها ويلزم التسلسل وهو باطل هنا بالاتفاق لان البعد كائن بعد أن لم يكن فيستع أن تقوم به حوادث لأول لها وان كان غير الله فالقول فيه كالقول في العبد فتبين أن يكون الله هو الخالق المكون لارادة العبد وقدرته واحداثه وقوله وهذه مقدمات يقينية لا يمكن القدح فيها فن قال ان ارادة العبد واحداثه حصل بغير سبب اقضى حدوث ذلك والعبد أحدث ذلك وحاله عند احداثه كما كان قبله بل خص أحد الوقيين بالاحداث من غير سبب اقضى تخصيصه واته صار مريداً فاعلا محدداً بعد أن لم يكن كذلك من غير من جعله كذلك فقد قال مالا يقبل بل يتألف صريح العقل وقال بحدوث حوادث بلا محدث وقولكم ان الارادة لا تملل كلام باطل لا شفقة له فان الارادة أمر حادث فلا بد له من محدث ونظير هذا الحال قولكم في فعل الرب سبحانه أنه بواسطة ارادة يحدتها

لا في محل من غير سبب أقصى حدودها يكون مريدا بها للمخلوقات فارتكبت ثلاث محالات حدوث  
 حادث بلا ارادة من الفاعل وحدث بلا سبب حادث وقيام الصفة بنفسها لاني بحمل وادخيت  
 مع ذلك انكم ارباب المقول والنظر قاي مقول أفيد من هذا وأبى نظر أعنى منه وان شئت قلت  
 كون العبد مريدا أمر ممكن والممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا لترجح تام والمرجح التام اما  
 من العبد واما من مخلوق آخر واما من الله سبحانه والقسمان الاولان باطلان فثمين الثالث كما تقدم  
 فهذه الحجة لا يمكن دفعها ولا يمكن دفع العلم الضروري باستناد أفهنا الاختيارية الى ارادتنا وقدرتنا  
 وانا اذله أردنا الحركة بمئة لم تقع يسرة وبالعكس فهذه الحجة لا يمكن دفعها والجمع بين الحجتين هو  
 الحق فان الله سبحانه خالق ارادة العبد وقدرته وجاعلها سببا لحدوثه الفعل فالعبد محدث لفعله  
 بارادته واختياره وقدرته حقيقة وخالق السبب خالق للسبب ولو لم يشأ سبحانه وجود فعله لما  
 خلق له السبب الموجد له فقال الفريشان للسنى كيف يكون الرب تعالى محدثا لها والعبد أيضا قال  
 السنى احداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خلقها منفصلة عنه قائمة بمحلها وهو العبد فجعل العبد فاعلا لها  
 بما أحدث فيه من القدرة والمشيئة واحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به وحدثت بارادته وقدرته  
 وكل من الاحداثين مستلزم للآخر ولكن جهة الاضافة مختلفة فاحدثه الرب سبحانه من ذلك  
 فهو مبين له قائم بالمخلوق مقبول له لافعل وما أحدثه العبد فهو فعل له قائم به يعود اليه حكمه ويستحق  
 له منه اسمه وقد اضاف الله سبحانه كثيرا من الحوادث اليه و اضافها الى بعض مخلوقاته كقوله الله  
 يتوفي الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال  
 توفته ورسنا وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة اتي معكم تقيتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين  
 كفروا الرعب وقال ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وقال وأزل الله عليك  
 الكتاب وقال قل نزل روح القدس من ربك بالحق وقال (فأخذهم العذاب وأخذتهم الصيحة) وقال  
 (وكلا أخذنا بذنبه فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وهذا كثير فأضاف هذه الافعال الى نفسه اذ هي  
 واقعة بمخلقه ومشئته وقضائه و اضافها الى أسبابها اذ هو الذي جعلها أسبابا لحصولها بين الاضافتين  
 ولا تناقض بين السبين واذا كان كذلك تين ان اضافة الفعل الاختيارى الى الحيوان بطريق التسبب  
 وقيامه به ووقوعه بارادته لا ينافي اضافته الى الرب سبحانه خلقا ومشئته وقدره ونظيره قوله تعالى  
 (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال نوح فاحمل نفا من كل زوجين اثنين فالرب سبحانه  
 هو الذي حملهم فيها بذنه وأمره ومشئته ونوح حملهم بفعله ومباشرته

فصل **﴿** وأما قول الجاحظ ان العبد يحدث لفعله الاختيارية من غير ارادة منه بل بمجرد  
 القدرة والداعي فان أراد نفي ارادة العبد ويجحد هذه الصفة عنه ففكارة لا تنكر من طوائفهم  
 أكثر الناس مكابرة وجحدا للمعلوم بالضرورة فلا أرخص من ذلك عندهم وإن أراد أن الارادة  
 أمر عديم وهو كونه غير مغلوب ولا ملجأ فيقال هذا العدم من لوازم الارادة لانه نفسه وكون  
 الارادة أمرا عديما مكابرة أخرى وهي بمنزلة قول القائل القدرة أمر عديم لانها بمعنى عدم السبب  
 والكلام عديم لانه عدم الحرس والسمع والبصر عديم لانها عدم الصمم والعمى وأما قوله ان  
 الفعل يقع بمجرد القدرة وعلم الفاعل بما فيه من الملائمة ففكارة فالتة فان العبد يجد من نفسه قدرة

على الفعل وعلماً بمصلحته ولا يفعله لعدم ارادته له لما في فعله من قوأت محبوب له أو حصول مكروه اليه فلا يوجب القدرة والعلم وقوع الفعل مالم تآمرهما الارادة

﴿فصل﴾ وأما قول الآخر ان كون النفس مريدة أمر ذاتي لها فلا تمل الى آخره كلام في غاية البطلان فبأننا نطلق علة كونها مريدة فكونها كذلك هو مخلوق فيها أم غير مخلوق وهي التي جمعت نفسها كذلك أم فطرها وخلقتها هو الذى جعلها كذلك وإذا كان سبحانه هو الذى أنشأها بجميع صفاتها وطبيعتها وهياتها فكونها مريدة هو وصف لها وخلقتها خالق لاوصافها فهو خالق لصفة المريدة فيها فإذا كانت تلك الصفة سبباً للفعل وخالق السبب خالق للسبب والمسبب واقع بقدرته ومشيئته وتكوينه وهذا مما لا ينكره الا مكابر معاند

﴿فصل﴾ وأما قول الطائفة الاخرى ان الله سبحانه خلق فيه ارادة صالحة للضدين فاختار أحدهما على الآخر ولا ريب ان الامر كذلك ولكن وقوع أحد الضدين باختياره وايتاره له وداعيه اليه لا يخرج عن كونه مخلوقاً للرب سبحانه مقدوراً له مقدراً على العبد واقماً بقضاء الرب وقدره وانه لو شاء لصرف داعية العبد وارادته عنه الى ضده فهذه هي البقية التي بقيت على هذه الفقرة من انكار القدر فلو ضموها الى قولهم لاهاياوا كل الاصابة ولكنوا أسد بالحق في هذه المسئلة من سائر الطوائف وتحقيق ذلك ان الله سبحانه ببدله وحكمته أعطى العبد قدرة وارادة يتمكن بها من جلب ماينفعه ودفع ما يضره فأعانه بأسباب ظاهرة وباطنة ومن جملة تلك الاسباب القدرة والارادة وعرفه طريق الخير والشر ونهجه الى الطريق وأعانه بارسال رسله وانزال كتبه وقرن به ملائكته وأزال عنه كل علة محتج بها عليه ثم فطرهم سبحانه على ارادة مايفهمه وكراهة مايقوهم ويضرهم كما فطر على ذلك الحيوان البهي ثم كان كثير مما يفهمه لايعلم به على التفصيل والذى يعلمونه من المنافع أمر مشترك بينهم وبين الحيوانات ثم أمور عظيمة هي أتمتع شئ لهم لاصلاح لهم ولافلاح ولا معادة الايعزتها وطلبها وفعلها ولا سبل لهم الى ذلك الا يوحى منه وتعرض خاص فأرسل اليهم رسله وأزل عليهم كتبه ففهم ما هو الأقنع لهم وما فيه سعادتهم وفلاحهم فصادقهم الرسل مشفقين باضدادها قد ألفوها وساكنوها وجرت عليها عوائدهم حين ألقتها الطباع فأخبرتهم الرسل انها أضرت شئ عليهم وانها من أعظم أسباب ألمهم وقوات أربهم وسرورهم فنهضت الارادة طالبة للسعادة والفلاح اذ الدعوة الى ذلك محركة للقلوب والاسباع والابصار الى الاستجابة فقام داعي الطبع والالف والباءة في وجه ذلك الداعي معارضا له بعد النفس ومينها ويرغبها وزين لها مآلئته واعتادته لكونه ملائماً له وهو قد عاجل وراحة مؤثرة ولذة مطلوبة ولهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر وداعى الفلاح يدعو الى أمر أجل في دار غير هذه النار لايتال الا بمفارقة ملاذها وطبائها ومسراتها وتجرع مرارتها والتعرض لأفاتها وايتار التبر لمحبوباتها ومشتياتها يقول خذمتاره ودع ماسمعت به فقامت الارادة بين الداعيين تصفى الى هذا مرة وإلى هذا مرة فهنا معركة الحرب ومحل المحبة وقتيل وأسير وفائر بالظفر والفتية فإذا شاء الله سبحانه رحمة عبد جذب قوى ارادته وعزيمته الى ماينفعه ويحميه الحياة الطيبة فأوحى الى ملائكته أن يتوا عبدى واصرفوا همته وارادته الى مرضاتى وطاعتي كما قال تعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فتبوا الذين آمنوا)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للملك قلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلة الملك ايجاد بالحرق وتصديق بالوعد ولة الشيطان ايجاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ (الشيطان يمدك الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يمدكم مغفرة منه وفضلاً) واذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتثبيتته وخلق بينه وبين نفسه ولم يكن بذلك ضالاه لانه قد أعطاه قدرة وارادة وعرفه الخير والشر وحذر طريق الهلاك وعرفه بها وحضه على سلوك طريق التجارة وعرفه بها ثم تركه وما احتار لنفسه وولاه ما تولى فاذا وجد شراً فلا يلومن الا نفسه \* قال القدرى فتلك الارادة المعينة المستزمنة للفعل المعين ابن كانت باحداث البعد فهو قولنا وان كانت باحداث الرب سبحانه فهو قول الجبرى وان كانت بغير محدث لزم الحال \* قال السنى لا تقتصر كل ارادة من البعد الى مشيئة خاصة من الله توجب حدوثها بل يكفي في ذلك المشيئة العامة لجسده مریدا فان الارادة هي حركة النفس والله سبحانه شاء أن تكون متحركة وأما أن تكون كل حركة تستدعى مشيئة مفردة فلا وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحى متنفساً ولا يقتصر كل نفس من أنفسه الى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بجملته جارياً ولا تقتصر كل قطرة منه الى مشيئة خاصة يجرى بها الماء وكذلك مشيئته لحركات الافلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث وكذلك خطرات القلوب وسواوس النفس وكذلك مشيئته أن يكون البعد متكهما لا يستلزم أن يكون كل حرف بمشيئته غير مشيئة الحرف الآخر واذا تبين ذلك فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائياً مریداً وتلك الارادة والمشيئة صالحة للصديقين فاذا شاء أن يهدى عبداً صرف داعيه ومشيئته وارادته الى ما شاء ومما دعه واذا شاء أن يضلّه تركه نفسه وتخلي عنه والنفس متحركة بطبيعتها لابد لها من مراد محبوب هو ما لوها ومبوءها فان لم يكن الله وحده هو مبوءها ومرادها والا كان غيره لها مبوءاً ومراداً ولا بد فان حركتها ومحببتها من لوازم ذاتها فان لم يحب ربها وقاطرها وتعبده أحببت غيره وعدته وان لم تتعلق ارادتها بما ينفعها في مادها تعلقت بما يضرها فيه ولا بد فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت \* فان قلت فاین مشيئة الله لهداها وضلالها \* قلت اذا شاء اضلالها تركها ودواعيها وخلق بينها وبينها ما يختاره واذا شاء هداها جذب دواعيها وارادتها اليه وصرف عنها موانع القبول فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بامداد وجودى ويصرف عنها الموانع التى خلقت بينها وبين غيرها فيها وهذا بمشيئته وقدرته فلم يخرج شئ من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكوينه البتة لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم ولو أن الجبرية أثبتت الاسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسئلة ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات مع اثبات الحكم والغايات الحمودة في أفعال الرب سبحانه لافلحت عنها عقدها وبالله التوفيق.

### الباب الحادى والعشرون

#### في تنزيه القضاء الالهى عن الشر

قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وترزق من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) فصدر الآية سبحانه بتفردة بالملك كله وأنه هو



سبحانه هو الذى يؤتية من يشاء ويتزعمه من يشاء لاغيره فالاول تفرده بالملك والثانى تفرده بالتصرف فيه وانه سبحانه هو الذى يميز من يشاء بما يشاء من أنواع النور ويذل من يشاء بسلب ذلك النور عنه وان الحير كله بيده ليس لاحد معه منه شئ ثم حتمها بقوله انك على كل شئ قدير فتناولت الآلة ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته وتضمنت ان هذه التصرفات كلها بيده وانها كلها خير فسلبه الملك عن يشاء واذلاله من يشاء خير وان كان شرا بالنسبة الى المسلوب الذليل فان هذا التصرف دأثر بين المدل والفضل والحكمة والمصلحة لا يخرج عن ذلك وهذا كله خير بحمد عليه الرب وشئى عليه به كما يحمد وشئى عليه بتزيه عن الشر وانه ليس اليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثنى على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله ليك وسعديك والحير في يدك والشر ليس اليك أنابك واليك تباركت وتعاليت تبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه بل كل مناسب اليه فهو خير والشر انما صار شرا لاقطاع نسبته وإضافته اليه فلو أضيف اليه لم يكن شرا كما سأتى بيانه وهو سبحانه خالق الحير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لآفة خلقه وقعله وخلفه وقضاه وقدره خير كله ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذى حقيقته وضع الشئ في غير موضعه كما تقدم فلا ينعى الأشياء الا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله والشر وضع الشئ في غير محله فاذا وضع في محله لم يكن شرا فلم ان الشر ليس اليه وأسأؤه الحسن تشهد بذلك فان منها القدوس السلام العزيز الحيار المتكبر فالقدوس المزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المزه عما لا يليق به وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والزاهة ومنه بيت المقدس لانه مكان يطهر فيه من الذنوب ومن أمه لا يريد الا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لظهارتها من آفات الدنيا ومنه سمي جبريل روح القدس لانه طاهر من كل عيب ومنه قول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فليل المعنى وتقدس أنفسنا لك فمدى باللام وهذا ليس بشئ والصواب ان المعنى قدسك وتزهك عما لا يليق بك هذا قول جمهور أهل التفسير وقال ابن جرير وتقدس لك تسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الادناس وبما أضاف اليك أهل الكفر بك قال وقال بعضهم نعتكم وتمجدك قاله أبو صالح وقال مجاهد نعتكم وتكبرك انتهى وقال بعضهم تزهك عن السوء فلا تقسه اليك واللام فيه على حدها في قوله رد في لكم لان المعنى تنزيه الله لا تنزيه قوسهم لاجله قلت ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم نسبح بحمدك فان الشنيع تنزيه الله سبحانه عن كل سوء قاله بميمون بن مهران سبحانه الله كلمة يعظم بها الرب ويمجئها بها من السوء وقال ابن عباس هي تنزيه لله من كل سوء وأصل اللفظة من المباعضة من قولهم سحت في الأرض اذا تباعدت فيها ومنه كل في فلك يسبحون فن أثنى على الله وتزعه عن السوء فقد سبحه وقال سبح الله وسبح له وقده وقدرته له وكذلك اسمه السلام. فانه الذى سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسلم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لم فسلم سبحانه من ارادة الظلم والشر ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته اليه فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص المسلم خلقه من الظلم ولهذا وصف سبحانه ليله القدر بأنها سلام والجنة بأنها دار السلام ونحية أهلها السلام وأثنى على أوليائه بالقول السلام

كل ذلك السالم من العيوب وكذلك الكبير من أسائه والمتكبر \* قال قتادة وغيره هو الذى تكبر عن السوء وقال أيضا الذى تكبر عن السيئات وقال مقاتل المتعظم عن كل سوء \* وقال أبو اسحق الذى يكبر عن ظلم عباده وكذلك اسمه العزيز الذى له الدرة الثامنة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وغيب فان ذلك ينافي العزة الثامنة وكذلك اسمه العلى الذى علا عن كل عيب وسوء وتقص ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شئ بل يكون فوق كل شئ وكذلك اسمه الحليد وهو الذى له الحمد كله فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص لاني أسأته ولا في أمثاله ولا في صفاته فانهؤه الحسن يمنع نسبة الشر والسوء والظلم اليه مع أنه سبحانه الخالق لكل شئ فهو الخالق للباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والبد اذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل الشر والسوء والرّب سبحانه هو الذى جعله فاعلا لذلك وهذا الجليل منه عدل وحكمة وصواب نفسه فاعلا خير والمفعول شريعته فهو سبحانه بهذا الجليل قد وضع الشئ موضعه لماله في ذلك من الحكمة البالغة التى يحمد عليها فهو خير وحكمة ومصلحة وان كان وقوعه من البدع عيبا ونقصا وشرّا وهذا أمر معقول في الشاهد فان الصانع الخبير اذا أخذ الحشبة الموجهة والحجر المكسور واللينة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلا وصوابا يمدح به وان كان في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل ومن وضع الحبات في موضعها ومحلها اللائق بها كان ذلك حكمة وعدلا وصوابا وانما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها فمن وضع العمامة على الرأس والنعل في الرجل والكحل في العين والزبالة في الكناسة فقد وضع الشئ موضعه ولم يظلم النعل والزبالة اذ هذا عملها ومن أسأته سبحانه العدل والحكيم الذى لا يضع الشئ الا في موضعه فهو المحسن الجواد الحكيم العدل في كل ما خلقه وفي كل ما وضعه في محله وهياه له وهو سبحانه له الخلق والامر فكما أنه في أمره لا يأمر الا بأرجح الامرين ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها واذا تمارض أمران وجب أحسنهما وأصلحهما وليس في الشرية أمر يفضل الا وجوده للمأمور خير من عدمه ولا ينهى عن فعل الا وعدمه خير من وجوده فان قلت فاذا كان وجوده خيرا من عدمه فكيف لا يشاء وجوده فاذا كان عدمه خيرا من وجوده فكيف يشاء وجوده فاشية العامة تنقض عليك هذه القاعدة الكلية قلت لا تنقضها لان وجوده وان كان خيرا من عدمه فقد يستلزم وجوده فوات محبوب له هو أحب اليه من وقوع هذا المأمور من هذا المنى وعدم المنى وان كان خيرا من وجوده فقد يكون وجوده وسهلا وسيا الى ما هو أحب اليه من عدمه وسيأتى تمام تقرير ذلك في باب اجماع القدر والشرع وإقتراحهما ان شاء الله والرّب سبحانه اذا أمر بشئ فقد أحبه ورضيه وأراده وبينه وهو لا يجب شئ الا ووجوده خير من عدمه وما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه وهو لا يبغض شئ الا وعدمه خير من وجوده هذا بالنظر الى ذات هذا وهذا وأما باعتبار افضائه الى ما يحب ويكره فله حكم آخر ولهذا أمر سبحانه عباده ان يأخذوا بأحسن ما نزل اليهم فالأحسن هو المأمور به وهو خير من المنهى عنه واذا كانت هذه سنته في أمره وشرعه فهكذا سنته في خلقه وقضائه وقدره فبا أراد أن يخلقه أو يفسده كان أن يخلقه ويضله خيرا من أن لا يخلق ولا يضلّه وبالعكس وما كان عدمه خيرا من وجوده فوجوده شر وهو لا يفعل بل هو متره عنه والشر ليس

إليه \* فان قلت فلم خلقه وهو شر \* قلت خلقه له وفعله خير لاشترى بالخلق والفعل قائم به سبحانه والشر يستحيل قيامه به واتصافه به وما كان في الخلق من شر فقدم اضافته ونسبته اليه والفعل والخلق يضاف اليه فكان خيرا والذي شاءه كله خير والذي لم يشأ وجوده بقى على الندم الاصلى وهو الشر فان الشر كله عدم وان سببه جهل وهو عدم العلم أو ظلم وهو عدم العدل وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد الخلق وقبوله لاسباب الخيرات والذات \* فان قلت كثير من الناس يطلق القول بان الخير كله من الوجود ولو ازمه والشر كله من عدم ولو ازمه والوجود خير والشر الحض لا يكون الا عدما \* قلت هذا اللفظ فيه اجمال فان أريد به ان كل ما خلقه الله وأوجده فيه الخير ووجوده خير من عدمه وما لم يخلقه ولم يشأ فهو المعلوم الباقى على عدمه ولا خير فيه اذ لو كان فيه خير لفعله فانه يده الخير فهذا صحيح فالشر المسمى هو عدم الخير وان أريد ان كل ما يلزم الوجود فهو خير وكل ما يلزم عدمه فهو شر فليس بصحيح فان الوجود قد يلزمه شر مرجوح والعدم قد يلزمه خير راجح مثال الاول النار والمطر والحر والبرد والتلج ووجود الحيوانات فان هذا موجود ويلزمه شر جزئى مغمور بالنسبة الى ما فيه وجود ذلك من الخير وكذلك الأمور به قد يلزمه من الآلام والمشقة ما هو شر جزئى مغمور بالنسبة الى ما فيه من الخير

﴿فصل﴾ وتحقيق الامران الشر نوعان شر محض جقيق من كل وجه وشر نسي اضافي من وجه دون وجه فالاول لا يدخل في الوجود اذ لو دخل في الوجود لم يكن شر ابعضا والثاني هو الذى يدخل في الوجود فالامور التى يقال هي شرور اما ان تكون أمورا عدمية أو أمورا وجودية فان كانت عدمية فانها اما ان تكون عدما لامور ضرورية لاشئ في وجوده أو ضرورية له في دوام وجوده بقاءه أو ضرورية له في كماله واما ان تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقاءه ولا كماله وان كان وجوده خيرا من عدمه فانه اربعة اقسام فالاول كالاحاسن والحركة والنفس الحيوان والثاني كقوة الاعتناء والنمو للحيوان المغذى الثامى والثالث كصحته وسمعه وبصره وقوته والرابع كالمع بدقائق المعلومات التى العلم بها خير من الجهل وليست ضرورية له وأما الامور الوجودية فوجود كل ما يضاف الى الحياة والبقاء والكمال كالامراض واسبابها والآلام واسبابها والموانع الوجودية التى تمنع حصول الخير ووصوله الى المحل القابل له المستعد لحصوله كالوادى الرديئة المسانة من وصول الغذاء الى أعضاء البدن واتفائها به وكالعقائد الباطلة والارادات الفاسدة المانعة لحصول أضعادها للقلب اذا عرف هذا فالشر بالذات هو عدم ما هو ضرورى لاشئ في وجوده أو بقاءه أو كماله ولهذا الندم لوازم من شر أيضا فان عدم العلم والعدل يلزمهما من الجهل والنظم ما هو شرور وجودية وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الآلام والضرر ما هو شر وجودى وأما عدم الامور المستغنى عنها كعدم النقى المفرط والمعلوم الذى لا يضر الجهل بها فليس بشر في الحقيقة ولا وجودها سببا للشر فان العلم منه حيث هو علم والنقى منه حيث هو غنى لم يوضع سببا للشر وانما يترتب الشر من عدم صفة تقتضى الخير كعدم النقة والصبر والعدل في حق النقى فيحصل الشر له في غناه بعدم هذه الصفات وكذلك عدم الحكمة ووضع الشئ موضعه وعدم ارادة الحكمة في حق صاحب العلم يوجب ترتب الشر له على ذلك فظهر ان الشر لم يترتب الا على عدمه والا فالوجود من حيث وجوده لا يكون شرا ولا سببا للشر فالامور الوجودية ليست شرورا

بالذات بل بالعرض من حيث انها تتضمن عدم أمور ضرورية أو نافعة فانك لا تمجد شيئاً من الافعال  
التي هي شر الا وهي كل بالنسبة الى أمور وجهه الشر فيه بالنسبة الى أمور آخر مثال ذلك ان الظلم يصدر عن  
قوة تطلب الغلبة والقهر وهي القوة الضمنية التي كمالها بالغلبة ولهذا خلقت فليس في ترتب أثرها عليها  
شر من حيث وجوده بل الشر عدم ترتب أثرها عليها التبة فتكون ضعيفة عاجزة مقهورة وأنا الشر  
الوجودى الحاصل شر اضافي بالنسبة الى المظلوم بفوات نفسه أو ماله أو تصرفه وبالنسبة الى الظالم  
لا من حيث الغلبة والاستيلاء ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء في غير موضعه فعدل  
به من محله الى غير محله ولو استعمل قوة الغضب في قهر المؤذى الباغي من الحيوانات الناطقة  
والبهيمة لكان ذلك خيراً ولكن عدل به الى غير محله فوضع القهر والغلبة موضع العدل والنصفه  
ووضع الغلظة موضع الرحمة فلم يكن الشر في وجود هذه القوة ولا في ترتب أثرها عليها من حيث هما  
كذلك بل في أحرأهما في غير مجراها ومثال ذلك ماء جار في نهر الى أرض يسقيها وينفعا فكما له  
في جريانه حتى يصل اليها فاذا عدل به عن مجراه وطرقه الى أرض يضرها ويغرب دورها كان الشر  
في المدول به عما أعدله وعدم وصوله اليه فكذا الإرادة والغضب أعين بهما العبد ليتوصل بهما  
الى حصول ما ينفعه وقهر ما يؤذيه ويهلكه فاذا استعمل في ذلك فهو كماله وهو خير واذا صرفا عن  
ذلك الى استعمال هذه القوة في غير محلها وهذه في غير محلها صار ذلك شرأ اضافيا نسبيا وكذلك  
التار كمالها في أحرأها فاذا احرق ما ينبغي أحرأه فهو خير وان صادفت ما لا ينبغي أحرأه فافسده  
فهو شر اضافي بالنسبة الى المحل المعين وكذلك القتل مثلا هو استعمال الآلة القاطعة في تقريق اتصال  
البدن بقوة الانسان على استعمال الآلة خير وكون الآلة قابلة للتأثير خير وكون المحل قابلاً لذلك  
خير وأنا الشر نسبي اضافي وهو وضع هذا التأثير في غير موضعه والمدول به عن المحل المؤذى  
الى غيره وهذا بالنسبة الى الفاعل وأما بالنسبة الى المفعول فهو شر اضافي ايضاً وهو ما حصل له من التألم  
وفاته من الحياة وقد يكون ذلك خيراً له من جهة أخرى وخير الفيرى وكذلك الوطء فان قوة الفاعل  
وقبول المحل كمال ولكن الشر في المدول به عن المحل الذي يليق به الى محل لا يحسن ولا يليق وهكذا  
حركة اللسان وحركات الجوارح كلها جارية على هذا المجزى فظهر ان دخول الشر في الأمور  
الوجودية انما هو بالنسبة والاضافة لانها من حيث وجودها وذواتها شر وكذلك السجود ليس هو  
شرأ من حيث ذاته ووجوده فاذا أضيف الى غير الله كان شرأ بهذه النسبة والاضافة وكذلك كل  
ما وجوده كفر وشرك انما كان شرأ باضافته الى ما جعله كذلك كتعظيم الاصنام فالتعظيم من حيث  
هو تعظيم لا يمدح ولا يذم الاباعبار متعلقه فاذا كان تعظيماً به وكتابه ودينه ورسوله كان خيراً محضاً  
وان كان تعظيماً للصم وللشيطان فاضافته الى هذا المحل جعلته شرأ كما ان اضافة السجود الى غير الله  
جعلته كذلك

﴿فصل﴾ وما ينبغي أن يعلم أن الأشياء المكونة من موادها شيئاً فثباتها والحيوان ايمان  
يعرض لها النقص الذي هو شر في ابتدائها أو يمد تكونها فالاول هو بان يعرض لمادتها من الاسباب  
ما يجعلها ردية المزاج ناقصة الاستعداد فيقع الشر فيها والنقص في خلقها بذلك السبب وليس ذلك  
بان الفاعل حرمه وأذهب عنه أمراً وجودياً كاله بل لان المتفعل لم يقبل الكمال والقام وعدم قبوله

أمر عدمى ليس بالفاعل وأما الذى بالفاعل فهو الخير الوجودى الذى يتقبل به كماله وتماهه وتقصه والشر الذى حصل فيه هو من عدم امداده بسبب الكمال فبقى على عدم الاصل وبهذا فهم سر قوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فان ما خلقه فهو أمر وجودى به كمال الخلق وتماهه وأما عيه وتقصه فن عدم قبوله وعدم القبول ليس أمرا مخلوقا بل خلق الفعل بالخلق الوجودى ليس فيه تفاوت والتفاوت انما حصل بسبب هذا الخلق فان الخالق سبحانه لم يخلق له استعدادا فحصل التفاوت فيه من عدم الخلق لان نفس الخلق تتأمله والذى الى الرب سبحانه هو الخلق وأما عدمه فليس هو بفعل له فاذا لم يكمل في مادة الجنين في الرحم ما يقتضى كماله وسلامه أعضائه واعتدالها حصل فيه التفاوت وكذلك الثبات

﴿فصل﴾ وأما الثانى وهو ان الشر الحاصل بعد تكونه وبإيجاده فهو نوعان أيضا أحدهما أن يقطع عنه الامداد الذى به كماله بعد وجوده كما يقطع عن الثبات امداده بالسقى وعن الحيوان امداده بالغذاء فهو شر مضاف الى عدمه أيضا وهو عدم ما يكمل به الثانى حصول مضاد مناف وهو نوعان أحدهما قيام مانع في المحل يمنع تأثير الاسباب الصالحة فيه كما تقوم بالبدن اخلاط ردية تمنع تأثير الغذاء فيه وارتفاعه به وكما تقوم بالقلب ارادات واعتقادات فاسدة تمنع ارتفاعه بالهدى والعلم فهذا الشر وان كان وجوديا واسبابه وجودية فهو أيضا من عدم القوة والارادة التي يدفع بها ذلك المانع فلو وجدت قوة وارادة تدفعه لم يتأثر المحل به مثاله ان غلبة الاخلاط واستيلائها من عدم القوة المضخجة لها أو القوة الدافعة لما يحتاج الى خروج وكذلك استيلاء الارادات الفاسدة لضعف قوة الصفة والصبر واستيلاء الاعتقادات الباطلة لعدم العلم المطابق لمعلومه فكل شر ونقص قائما حصل لعدم سبب ضده وعدم سبب ضده ليس فاعلا بل يكنى فيه بقاؤه على عدم الاصل الثانى مانع من خارج كالبرد الشديد والحرق والفرق ونحو ذلك مما يصيب الحيوان والنبات فيحدث فيه الفساد فهذا لا ريب انه شر وجودى مستند الى سبب وجودى ولكنه شر لسي اضافى وهو خير من وجه آخر فان وجود ذلك الحر والبرد والماء يترتب عليه مصالح وخيرات كلية هذا الشر بالنسبة اليها جزئى فتعطيل تلك الاسباب لتقويت هذا الشر الجزئى يتضمن شرا أكثر منه وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها فان ما يحصل بالشمس والرياح والمطر والثلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضاعاف أضاعاف ما يحصل بذلك من مفساد جزئية هي في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر هذا لو كان شرها حقيقيا فكيف وهي خير من وجه وشر من وجه وان لم يعلم جهة الخير فيها كثير من الناس فما قدرها الرب سبحانه سدى ولا خلقها باطلا وعند هذا يقال الوجود اما أن يكون خيرا من كل وجه أو شرا من كل وجه أو خيرا من وجه شرا من وجه وهذا على ثلاثة أقسام قسم خيره راجع على شره وعكسه وقسم مستو خيره وشره وأما أن لا يكون فيه خير ولا شر فهذه ستة أقسام ولا مزيد عليها فبعضها واقع وبعضها غير واقع فاما القسم الاول وهو الخير المحض من كل وجه الذى لا شر فيه بوجه ما فهو أشرف الموجودات على الاطلاق وأكملها وأجلها وكل كمال وخير فيها فهو مستفاد من خيره وكاله في نفسه وهي تستمد منه وهو لا يستمد منها وهي فقيرة اليه وهو غنى عنها كل منها يسأل كاله فاللائكة تسأله ما لا حياة لها الا به واعاثة على ذكره وشكره وحسن

عبادته وتبفيذ أوامره والقيام بما جعل اليهم من مصالح العالم العلوى والسفلى وتساءله أن يغفر لى آدم والرسل تسأله أن يبينهم على أداء رسالته وتبليغها وأن ينصرهم على أعدائهم وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومسادهم ويتو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها والحيوان كله يسأله رزقه وغذاءه وقوته وما يقيمه ويسأله الدفع عنه والشجر والنبات يسأله غذاءه وما يكمل به والكون كله يسأله إمداده بقاله وحاله (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن) فأكف جميع العالم بمدة اليه بالطلب والسؤال ويده تبسوطه لهم بالمطاء والثواب يمنه ملأى لا ينفضها نفقة سجادة الليل والنهار وعطاؤه وخيره مبذول للإبرار والفقجار له كل كمال ومنه كل خير له الحمد كله وله الثناء كله ويسده الخير كله واليه يرجع الامر كله تبارك اسمه وتباركت أوصافه وتباركت أفعاله وتباركت ذاته فالبركة كلها له ومنه لا يتماظمه خير سئله ولا تقص خزائنه على كثرة عطائه وبذله فلو صور كل كمال في العالم صورة واحدة ثم كان العالم كله على تلك الصورة لكان نسبة ذلك الى كماله وجلاله وجلاله دون نسبة سراج ضعيف الى عين الشمس

**فصل** وأما الاقسام الخمسة الباقية فلا يدخل منها في الوجود الا ما كانت المصلحة والحكمة والخير في إيجادها أكثر من المفسدة والاقسام الاربعة لا يدخل في الوجود أما الشر المحض الذى لا خير فيه فذلك ليس له حقيقة بل هو المدم المحض \* فان قيل فابليس شر محض والكفر والشرك كذلك وقد دخلوا في الوجود فداى خير في ابليس وفي وجود الكفر \* قيل في خلق ابليس من الحكم والمصالح والحيثيات التى ترتبت على وجوده مالا يملئه الا الله كما سنبه على بعضه فانه سبحانه لم يخلقه عبثاً ولا قصد لمخلقه اضرار عبادته وهلاكهم فكهم لله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة وآية ظاهرة ونعمة سابعة وهو وان كان للإيدان والايان كالسموم للإيدان ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من نفوتها وأما الذى لا خير فيه ولا شر فلا يدخل أيضاً في الوجود فانه عبث فتعالى الله عنه واذا امتنع وجود هذا القسم في الوجود قد دخل ما للشر في إيجادها أغلب من الخير أولى بالامتناع ومن تأمل هذا الوجود علم ان الخير فيه غالب وان الامراض وان كثرت فالمصلحة أكثر منها والذات أكثر من الآلام والمافية أعظم من البلاء والفرق والحرق والمدم ونحوها وان كثرت فالسلامة أكثر ولو لم يوجد هذا القسم الذى خيره غالب لاجل ما يمرض فيه من الشر لفات الخير الغالب وفوات الخير الغالب شر غالب ومثال ذلك النار فان في وجودها منافع كثيرة وفيها مفسد لكن اذا قايضا بين مصالحها ومفسادها لم تكن لمفسادها نسبة الى مصالحها وكذلك المطر والريح والحر والبرد وبالجملة فنناصر هذا العالم السفلى خيرها بمنزج بشرها ولكن خيرها غالب وأما العالم العلوى فبئر من ذلك \* فان قيل فما خلق الخلاق الحكيم هذه خالية من الشر بحيث تكون خيرات محضة فان قائم اقتضت الحكمة خلق هذا العالم بمنزج فيه اللذة بالأم والخير بالشر فقد كان يمكن خلقه على حالة لا يكون فيه شر كالعالم العلوى سلمنا ان وجود ما الخير فيه أغلب من الشر أولى من عدمه فإى خير ومصلحة في وجود رأس الشر كله ومنه ومنه وقدوة أهله فيه ابليس وأى خير في إيقاظه الى آخر الدهر وأى خير يغلب في نشأة يكون فيها تسعة وتسعون الى النار وواحد في الجنة وأى خير غالب حصل باخراج الابوين من الجنة حتى جرى على الاولاد ما جرى ولوداما في الجنة لا ارتفع

الشر بالكلية وإذا كان قد خلقهم لمبادئ فكيف اقتضت حكمته أن صرف الهم عنا ووفق لها الأقل من الناس وأى خير يغلب في خلق الكفر والفسوق والمصيان والظلم والبغى وأى خير في إبلام غير المتكلمين كالاطمئال والحماجن فإن قائم القادته المومض انتقض عليكم إبلام البهائم ثم وأى خير في خالق الدجال وبمكينة من الظهور والافتان به وإذا قد اقتضت الحكمة ذلك فأى خير حصل في تمكينه من اظهار تلك الحوارق والمعجائب وأى خير في السحر وما يترتب عليه من انبساط المضار وأى خير في لباس الخلق شيما وأذاقة بعضهم بأس بعض وأى خير في خلق السموم وذات السموم والحوانات العادية المؤذية بطبيعتها وأى خير في خراب هذه البنية بمد خلقها في أحسن قويم وردوها الى ارض البئر بمد استقامتها وصلاحتها وكذلك خراب هذا الدار ومحو أثرها فإن كان وجود ذلك خيرا غالبا فابطاله ابطال للخير الغالب دغ هذا كله فأى خير راجع أو مرجوح في النار وهي دار الشر الاعظم والبلاء الاكبر ولا خلاص لكم عن هذه الاسئلة الا بسد باب الحكم والتعليل واستناد الكون الى محض المشيئة أو القول بالاجباب القادى وإن الرب لا يفعل باختياره ومشيئته وهذه الاسئلة انما ترد على من يقول بالفاعل المختار فلماذا لم يخلق القائلون الى انكار التعليل جهة فاختاروا أحد المذاهبين وتجهزوا الى احدى الشقين والاكثيف تجمعون بين القول بالحكمة والتعليل وبين هذه الامور فالجواب بمد أن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر بل في تحقيق هذه الكلمات الجواب الشافى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين ما خلقناهما بالباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أغفبت انما خلقناكم عبداً وانكم الينا لارجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان لله على كل شئ قدير وإن الله قد أحاط بكل شئ علما جعل الله للكلية البيت الحرام قايما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وإن الله بكل شئ عليم صنع الله الذى أتقن كل شئ وأحسن كل شئ خلقه ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل هو في غاية التناسب واقع على أكل الوجوه وأقربها الى حصول النيات المحمودة والحكم المطلوبة فلم يكن يحصل تلك الحكم والنيات التى أعرف الله سبحانه بملها على التفصيل وأطلع من شاء من عباده على أسير السير منها الايهذه الاسباب والبدائيات وقد سألها الملائكة المقيرون عن جنس هذه الاسئلة وأصلها فقال اتى أعلم ما لا تعلمون وأقروا له بكمال العلم والحكمة وأنه في جميع أفعاله على صراط مستقيم وقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ولما ظهر لهم بعض حكمته فيما سألوا عنه وانهم لم يكونوا يعلمون قال (ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

﴿فصل﴾ ونحن نذكر أصولا مهمة نين بها جواب هذه الاسئلة وقد اعترف كثير من المتكلمين بمن له نظر في الفلسفة والكلام أنه لا يمكن الجواب عنها الا بالترام القول بالموجب بالذات أو القول بابطال الحكمة والتعليل وأنه سبحانه لا يفعل شيئا لشيء ولا يأمر بشئ لحكمة ولا يجعل شيئا من الاشياء سببا لغيره ومأم الا مشيئة محضة وقدرة ترجح متلاعلى مثل بلا سبب ولا علة وأنه لا يقال

في فله لم ولا كيف ولا لاي سبب وحكمة ولا هو معلل بالمصالح قال الرازى في مباحثه فان قيل فلم  
 لم يخلق الخالق هذه الاشياء عرية عن كل الشرور فتقول لانه لو جعلها كذلك لكان هذا هو القسم  
 الاول وذلك مما خرج عنه يعنى كان ذلك هو القسم الذى هو خير محض لاشرف قال وبقي في الفصل  
 قسم آخر وهو الذى يكون خيره غالبا على شره وقد يتنا ان الاولى بهذا القسم أن يكون موجودا  
 قال وهذا الجواب لا يعجبني لان لقائل ان يقول ان جميع هذه الحبرات والشرور انما توجد باختيار  
 الله سبحانه وارادته فالاحتراق الحاصل عقوب النار ليس موجبا عن النار بل الله اختار خلقه عقوب  
 عمامة النار واذا كان حصول الاحتراق عقوب عمامة النار باختيار الله وارادته فكان يمكنه أن يختار  
 خلق الاحراق عند ما يكون خيرا ولا يختار خلقه عند ما يكون شرا ولا خلاص عن هذه المطالبة  
 الا بيان كونه قاعلا بالذات لا بالقصد والاختيار ويرجع حاصل الكلام في هذه المسألة الى مسألة  
 القدم والحدوث فانظر كيف اعترف بانه لا خلاص عن هذه الاسئلة الا بتكذيب جميع الرسل من  
 اولهم الى آخرهم وباطال جميع الكتب المنزلة من عند الله ومخالفة صريح العقل في ان خالق العالم سبحانه  
 مرید مختار لما شاء كان بمشيئته وبما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئته وانه ليس في الكون شيء حاصل بدون مشيئته  
 البته فاقر على نفسه انه لا خلاص له في تلك الاسئلة الا بالزام طريقة اعداء الرسل والملل القائلين بان الله  
 لم يخلق السموات والارض في ستة أيام ولا أوجد العالم بعد عدمه ولا يقينه بعد ايجاده. وصدور ما  
 صدر عنه بغير اختياره ومشيتة فلم يكن مختارا مریدا للعالم وليس عنده الاهذا القول أو قول الجبرية  
 منكرى الاسباب والحكم والتليل أو قول المعتزلة الذين أئبتوا حكمة لا ترجع الى الفاعل وأوجبوا  
 رعاية مصالح شهبوا فيها الخالق بالخلق وجعلوا له بقولهم شريعة وأوجبوا عليه فيها وحرما وجبرا واعليه  
 فالاقوال الثلاثة تردد في صدره وتتقاذف بايها واجبا فتأذف السفينة اذا لعبت بها الرياح الشديدة والعاقل  
 لا يرضى لنفسه بواحد من هذه الاقوال لمناقضتها العقل والثقيل والقطرة والقول الحق في هذه الاقوال  
 كيوم الجمعة في الايام أضل الله عنه أهل الكتابين قبل هذه الامة وهذا هم اليه كما قال النبي صلى الله  
 عليه وسلم في الجمعة أضل الله عنها من كان قبلنا فالיום لنا ونعمدا لليهود وبمدغد للنصارى ونحن هكذا  
 قول بحمد الله ومنه القول الوسط الصواب لنا وانكار الفاعل بالمشيئة والاختيار لاعداء الرسل  
 وانكار الحكمة والمصلحة والتليل والاسباب للجهمية والجبرية وانكار تخوم القدرة والمشيئة العائدة  
 الى الرب سبحانه من محبة وكرهته وموجب حمده ومقتضى اسمائه وصفاته ومعانيها وآثارها القدرية  
 المجوسية ونحن نبرأ الى الله من هذه الاقوال وقائلها الامن حتى تضمنه مقالة كل فرقة منهم فحقن  
 به قاتلون وآليه متقادون وله ذاهبون

فصل الاول اثبات عموم علمه سبحانه واحاطته بكل معلوم وانه لا تخفى عليه خافية  
 ولا يبرز عنه متقال ذرة في السموات والارض بل قد احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا  
 والخلاف في هذا الاصل مع فرقتين احدهما اعداء الرسل كلهم وهم الذين ينفون علمه بالجزئيات  
 وحاصل قولهم انه لا يعلم موجودا البتة فان كل موجود جزئى معين فاذا لم يعلم الجزئيات لم يكن علما  
 بشئ من العالم العلوى والسفلى والفرقة الثانية غلاة القدرية الذين اتفق السلف على كفرهم وحكموا  
 بقتلهم الذين يقولون لا يعلم أعمال العباد حتى يفعلوها ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها ولا قدرها فضلا



عن أن يكون شاءها وكونها وقول هؤلاء معلوم البطالان بالضرورة من أديان جميع المرسلين وكتب الله المنزلة وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مملوء بتكذيبهم وإبطال قولهم وإثبات عموم علمه الذى لا يشاركه فيه خلقه ولا يحيطون بشئ منه إلا بما شاء أن يطلعهم عليه ويطلعهم به وما أخفاه عنهم ولم يطلعهم عليه لانسبة لما عرفوه اليه الا بدون نسبة قطرة واحدة الى البحار كلها كما قال الحضرمي لموسى وهما أعلم أهل الأرض حينئذ ما قص على وعلمك من علم الله إلا كقص هذا الصفيور من البحر ويكنى أن ما يتكلم به من علمه لو قدر أن البحر يمد من بعده سبعة أبحر مداد وأنشجار الأرض كلها من أول الدهر الى آخره أقلام يكتب به ما يتكلم به بما يطلعهم لفدت البحار وقفيت الأقلام ولم تنفذ كلماته فنسبة علوم الخلق الى علمه سبحانه كنسبة قدرتهم الى قدرته وغناهم الى غناه وحكمته الى حكمته وإذا كان أعلم الخلق به على الإطلاق يقول لأحصى ثناء عليك أنت كما أئتمت على نفسك ويقول في دعاء الاستخارة فأنت قادر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ويقول سبحانه للملائكة اني أعلم ما لا تعلمون ويقول سبحانه لأعلم الأمم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ويقول لاهل الكتاب وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويقول رسله يوم القيامة حين يسألهم ماذا أُجِيتُمْ قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب وهذا هو الادب المطابق للحق في نفس الامر فان علومهم وعلوم الخلق لا تفضل وتتناهى في علمه سبحانه كما يفضّل ضوء السراج الضئيف في عين الشمس فن أشلم الظلم وأبين الجهل وأفصح القبيح وأعظم القحة والجراة أن يعترض من لانسبة لعلمه الى علوم الناس الى لانسبة لما الى علوم الرسل الى لانسبة لما الى علم رب العالمين عليه ويقدر في حكمته ويظن أن الصواب والاولى أن يكون غير ماجرى به قلبه وسبق به علمه وأن يكون الامر بخلاف ذلك فسيحان الله رب العالمين تنزيها لربوبيته وإلهيته وعظمته وجلاله عما يليق به من كل مانسب اليه الجاهلون الظالمون فسيحان الله كلمة يجامى الله بها عن كل ما يخالف كاله من سوء ونقص وعيب فهو المنزه التنزيه التام من كل وجه وبكل اعتبار عن كل نقص متوهّم وإثبات عموم حمده وكماله وتماه ينفي ذلك وانصافه بصفات الالهية التي لا تكون لغيره وكونه أكبر من كل شئ في ذاته وأوصافه وأفعاله ينفي ذلك لمن رسخ معرفته في معنى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وسافر قلبه في منازلها وتلقى معانيها من مشكاة النبوة لامن مشكاة الفلسفة والكلام الباطل وآراء المتكلمين فهذا أصل يجب التمسك به في هذا المقام وإن يعلم أن عقول العالمين ومعارفهم وعلومهم وحكمهم تقصر عن الاحاطة بتفاصيل حكمة الرب سبحانه في أصغر مخلوقاته \* الاصل الثاني انه سبحانه حى حقيقة وحياته أكمل الحياة وأنمها وهى حياة تستلزم جميع صفات الكمال ولنى أضدادها من جميع الوجوه ومن لوازم الحياة العقل الاختيارى فان كل حى فقال وسدور العقل عن الحى بحسب كمال حياته وتقصها وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فطرته أقوى وأكمل وكذلك قدرته ولذلك كان الرب سبحانه على كل شئ قدير وهو فعال لما يريد وقد ذكر البخارى في كتاب خلق الافعال عن نعيم بن حاد انه قال الحى هو الفعال وكل حى فعال فالفارق بين الحى والميت الا بالفعل والشعور وإذا كانت الحياة مستلزمة للفعال وهو الاصل الثالث فالفعال

الذى لا يقل الناس سواء هو الفعل الاختيارى الارادى الحاصل بقدرة الفاعل وارادته ومشيئته وما يصدر عن الذات من غير سفير قدرة منها ولا ارادة لا يسميه أحد من العقلاء فضلا وان كان أثرًا من آثارها ومتولدا عنها كآثار النار في الاحراق والماء في الاغراق والشمس في الحرارة فهذه آثار صادرة عن هذه الاجسام وليست أفعالا لها وان كانت هوى وطباع جعلها الله فيها قائل للعدل من الحى العالم لا يقع الابعثيته وقدرته وتكون الرب سبحانه حيا فاعلا مختارا مريدا عما اتفقت عليه الرسل والكتب ودل عليه العقل والفطرة وشهدت به الموجودات ناطقها وصامتها جادها وحيواتها علوما وسفليها فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره وفعله فقد جحد ربه وفطرته وأنكر أن يكون للعالم رب الأصل الرابع انه سبحانه ربط الاسباب بمسبباتها شرعا وقدرًا وجعل الاسباب محل حكمته في أمره الدينى والشرعى وأمره الكونى القدرى ومحل ملكه وتصرفه فانكار الاسباب والقوى والطباع جحد للضروريات وقدح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والخبراء فقد جعل سبحانه مصالح المبادى في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والاوامر والنواهي والخل والحرمة كل ذلك مرتبطا بالاسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاه وأفعاله سبب لما يصدر عنه بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله أسباب ومسببات والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالاسباب محل الشرع والقدر والقرآن ملوّه من اثبات الاسباب بكوفله بما كنتم تعلمون بما كنتم تكسبون ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم كلوا واشربوا بما أنزلتم في الايام الحالية جزاء وما قابضكم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل فيما تقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف الى قوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتنا عظيمًا وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وقولهم فيما تقضهم ميثاقهم لانهم وجعنا قلوبهم قاسية وقوله فيما رحمة من الله لنت لهم وقوله ذلك بلهم كانت تأتميم رسالهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله وقوله ذلك بلهم قالوا انما البيع مثل الربا وقوله ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم وقوله (فصصوا رسول ربهم فاخذهم أخذة راية) وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين فصصى فرعون الرسول فاخذناه أخذًا وبسلا فكذبوه فقروها فقدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم فلغرقناه جميعين فجللناهم سلفًا ومثلا للآخرين وقوله (وازلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به حنات وحب الحمص) وقوله (حتى اذا قلت سبحا فقالا سقناه بلد ميت فأنزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الفرات) وقوله (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقوله (قاتلوهم يذبهم الله يايدكم ويخزهم الآية) وقوله (وازلنا من المصبرات ماء فاجالوا لخرج به حبا ونباتا وحنات الفافا) وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعى أو الجزائى على الوصف افاد كونه سببًا كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) وقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقوله (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لانصيح أجر المصلحين) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وهذا أكثر من أن يستوعب وكل موضع تضمن الشرط والجزاء فادسية

الشرط والجزاء وهو أكثر من أن يستوعب كقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تقموا لله سجدة فكل من سجد لله سجدة فله أجر كبير) (البقرة: ٢٣٦) وقوله (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم وكل موضع تقدم ذكرته في الباء تمليل لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزءا لكذا أفاد التسبب فان اللمة الثانية علة للغة الفاعلية ولو تبينا ما يفيد اثبات الاسباب من القرآن والسنة لزدنا على عشرة آلاف موضع ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ويكنى شهادة الحس والعقل والفطر ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الاسباب فاحسبكوا ذوى العقول على عقولهم وغلثوا انهم بذلك ينصرفون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونسوت كماله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه للملائكة وعباده وغلثوا انهم بذلك ينصرفون التوحيد فها أفادهم الانكذب الله ورسله وتزيهه عن كل كمال ووصفه بصفات المدوم والمستحيل ونظير من زعم الله في أفعاله وان يقوم به فصل البتة وظن انه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد ان لم يكن وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة ثم من أعظم الجناية على الشرائع والثبوت والتوحيد ايها الناس ان التوحيد لا يتم الا بانكار الاسباب فاذا رأى السقلاء انه لا يمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الا بابطال الاسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد ومن جاء به وأنت لا تجد كتابا من الكتب أعظم أثباتا للاسباب من القرآن وإيالة المعجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذى جعل هذا سببا لهذا والاسباب والمسببات طوع مشيئة وقدرته متفادى حكمه ان شاء أن يطل سببية الشيء أبطلها كما أبطل أحرار النار على خليله ابراهيم واغراق الماء على كلمه وقومه وان شاء أقام تلك الاسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها وان شاء خلط بينها وبين اقتضاء آثارها فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا قائى قدح يوجب ذلك في التوحيد وأى شرك يترتب على ذلك يوجه من الوجوه ولكن ضفاء العقول اذا سمعوا ان النار لا تحرق والماء لا يفرق والحجر لا يشبع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الامر وليس فيه قوة واتما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقة كذا لكذا قالت هذا هو التوحيد وافراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدر هذا القائل ان هذا اساءة ظن بالتوحيد وتسليط لاعداء الرسل على ماجاؤا به كاتراء عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ولا رب ان الصديق الجاهل قد يضرب مالا يضرب العدو الماقل قال تعالى عن ذى القرنين (وآتيناه من كل شيء سببا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس علما قال قتادة وابن زيد وابن جريج والضحاك علما تسبب به الى ما يريد وكذلك قال اسحق علما يوصله الى حيث يريد وقال المبرد وكل ما وصل شيئا بشئ فهو سبب وقال كثير من المفسرين آتيناه من كل ما بالخلق اليه حاجة علما ومعوته وقد سمي الله سبحانه الطريق سببا في قوله فاتبع سببا قال مجاهد طريقا وقيل السبب الثانى هو الاول أى اتبع سببا من تلك الاسباب التى أوتينا بما يوصله الى مقصوده وسمى سبحانه أبواب السماء أسبابا اذ منها يدخل الى السماء قال تعالى عن فرعون (لنسى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى أبوابها التى أدخل منها اليها وقال زهير

ومن هاب أسباب المتأيا ينثه ولو رام أسباب السماء بيلم

وسمى الحبل سببا لايصاله الى المصود قال تعالى (فليمدد بسبب الى السماء) قال بعض أهل اللغة السبب من الحبال القوي الطويل قال ولا يدعى الحبل سببا حتى يصدبه وينزل ثم قيل لكل شيء وصلت به الى موضع أو حاجة تريد سبب يقال ما بين وبين فلان سبب أي أصرة رحم أو عاطفة مودة وقد سمي تعالى وصل الناس بينهم أسبابا وهي التي يتسببون بها الى قضاء حوائجهم بعضهم من بعض قال تعالى (اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وقطعت بهم الأسباب) يعني الواصلات التي كانت بينهم في الدنيا وقال ابن عباس وأسمها يعني أسباب المودة الواصلات التي كانت بينهم في الدنيا وقال ابن زيد هي الاعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها الى ثواب الله وقيل هي الارحام التي كانوا يتعاطفون بها وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك كله أسبابا لانها كانت يتوصل بها الى مسيلتها وهذا كله عند غفلة الأسباب مجاز لاحقيقة له وبالله التوفيق

**فصل** الأصل الخامس أنه سبحانه حكيم لافعل شيئا عينا ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لاجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سيل الى استيعاب أفرادها فذكر بعض أنواعها \* النوع الاول التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله (حكمة بالغة) وقوله (وأرسل الله عليك الكتاب والحكمة) وقوله (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) والحكمة هي العلم النافع والعمل الصالح وسمى حكمة لأن العلم والعمل قد تعلقا بمتعلقهما وأوصلا الى غايتيهما وكذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلا الى الغايات المحمودة والمطلوب النافعة فيكون مرشدا الى العلم النافع والعمل الصالح فتحصل الغاية المطلوبة فانما كان المتكلم به لم يقصد مصلحة الخاطئين ولا هدامهم ولا ايصالهم الى سعادتهم ودلائهم على أسبابها وموانعها ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة ولا تكلم لاجلها ولا أرسل الرسل وأرسل الكتب لاجلها ولا نصب الثواب والعقاب لاجلها لم يكن حكما ولا كلامه حكمة فضلا عن أن تكون بالغة \* النوع الثاني اخباره أنه فعل كذا لكننا وأنه أمر بكذا لكننا كقوله (ذلك تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) وقوله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لعلوا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشجر الحرام والمهدي والفلائد ذلك تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم) وقوله (رسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أريد الله) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرين على شيء من فضل الله) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول عن ينقلب على عقبيه) وقوله (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) أي ليتكفروا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالاته فيعلم الله ذلك وأما وقوله (وينزل من السماء ماء ليطهركم به وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقوله (ويبطل الباطل) وقوله (وما جعله الله ولطعتن قلوبكم به) وقوله (قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) وقوله (وما جعلنا أعجاب النار الا ملائكة وما جعلنا عنهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب

وزداد الذين آمنوا إيماناً) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقوله (وأنزّلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقوله (هذا بلاغ للناس لينتدوا به ويلتبعوا) أما هو الله واحد وليذكر أولو الالباب) وقوله (ولقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وليلم الله من نصرة ورسله بالغيث) وقوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ويكون من الموقنين) وقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) وهذا في القرآن فان قيل اللام في هذا كله لام العاقبة كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقوله (وكذلك قتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وقوله (ليجعل ما يلقي الشيطان فتة للذين في قلوبهم مرض) وقوله (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقوله (ولنصفي إليه أشدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه ويفتروا ما هم مقترون) فان ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة ولكن لما كان الفعل منتبها إليه وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التلليل وهي في الحقيقة لام العاقبة \* فالجواب من وجهين \* أحدهما ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن فهمها فالاول كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) والثاني كقول الشاعر

لدوا للموت وأبوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

وأما من هو بكل شيء عايم وعلى كل شيء قدير فيستحيل في حقه دخول هذه اللام وأما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة \* الجواب الثاني افراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب أما قوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) فهو تمثيل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له فان التقاطهم له انما كان بقضائه وقدره فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به ليكون لهم عدوا وحزنا وذكر فاعلم دون قضائه لانه أبلغ في كونه حزنا لهم وحسرة عليهم فان من اختار أخذ ما يكون هلاكا على يديه اذا أصيب به كان أعظم لحزنه وغمه وحسرتة من أن لا يكون فيه صنع ولا اختيار فانه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة وان هذا الذي يذبح فرعون الأبناء في طلبه هو الذي يتولى تربيته في حجره ويته باختياره وأرادته ويكون في قبضته ويحت تصرفه فذكر فاعلم به في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر وقد أعلمنا سبحانه ان أفعال عباد كلها واقعة بقضائه وقدره وأما قوله تعالى (وكذلك قتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فلا ريب ان هذا تمثيل لفعله المذكور وهو امتحان بعض خلقه ببعض كما امتحن السادات والأشراف بالسيد والضعفاء والموالى فاذا نظر الشريف والسيد الى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم ألف وحى أن يسلم معه أو يبدعه ويقول هذا يسبقني الى الخير والصلاح وأتخلف أنا فلو كان ذلك خيرا وسعادة ماسبقنا هؤلاء اليه فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية المطلوبة بهذا الامتحان فان هذا القول دال على اباة واستكبار وترك الاتقياد للحق بعد المعرفة التامة به وهذا وان كان علة فهو مطلوب لغيرة والمطل الغاية تارة تطلب انفسها وتارة تطلب لغيرة فتكون وسيلة الى مطلوب لنفسه وقول هؤلاء ما قالوه وما يترتب عليه هذا القول موجب لا لآثار مطلوبة للفاعل من اظهار عدله وحكمته وعزه وقهره وسلطانه وعظمته من يستحق

عطاءه ويحسن وعنده ومنعه من يستحق المنع ولا يليق به غيره ولهذا قال تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم فيها من عليهم من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها وكانت قسمة بعضهم ببعض لحصول هذا التمييز الذى ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء

﴿فصل﴾ وأما قوله (ليجمل مايلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فهي على بابها وهى لام الحكمة والتعليل أخبر الله سبحانه أنه جعل مآلقات الشيطان في أمانة الرسول محنة واختبار العبادة فانتبه به فرقان وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وعلم المؤمنون أن القرآن والرسول حق وإن لقاء الشيطان باطل فآمنوا بذلك وأختل له قلوبهم فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر والله سبحانه جعل القلوب على ثلاثة أقسام مريضة وقاسية ومحنة وذلك لأنها إما أن تكون يابسة جامدة لاتلين لاحق اعترافا وأذعانا أو لاتكون كذلك فالاول حال القلوب القاسية الحجزية التى لا قبل ما يبت فيها ولا ينطبع فيها الحق ولا ترسم فيها العلوم انزائمة ولا تلين لاعطاء الاعمال الصالحة وأما النوع الثانى فلا يتخلو أما أن يكون الحق ثابتا فيه لا يزول عنه لقوته مع لينة أو يكون ثابتا مع ضعف وانحلال والثانى هو القلب المريض والاول هو الصحيح الخفيف وهو جمع السلاية والصفاء اللين فيصير الحق بصفاته ويشهد فيه بصلايته ورحم الخلق بليته كما في أثر مروي القلوب آية الله في أرضه فأحبها الى الله أصلها وأرقها وأصفها كما قال تعالى في أصحاب هذه القلوب (أشياء على الكفار رحماء بينهم) فهذا وصف من المؤمنين الذين عرفوا الأيمان بصفاء قلوبهم واشتدوا على الكفار بصلايتها وراحوا فيها بينهم بليتها وذلك إن القلب عضو من أعضاء البدن وهو أشرف أعضائه وملكمها المطاع وكل عضو كاليد مثلا إما أن تكون جامدة ويابسة لاتنلوى ولا تبطلش أو تبطلش بضعف فذلك مثل القلب القاسى أو تكون مريضة ضعيفة عاجزة ولضعفها ومريضها فذلك مثل الذى فيه مرض أو تكون بالغة بقوة وإن فذلك مثل القلب العلم الرحيم فالعلم خرج عن المرض الذى ينشأ من الشهوة والشبهة وبالرحمة خرج عن القسوة ولهذا وصف سبحانه من عدا أصحاب القلوب المريضة والقاسية بالعلم والإيمان والاختبات فتأمل ظهور حكمته سبحانه في أصحاب هذه القلوب وهم كل الأمة فأخبر أن الذين أوثوا العلم علموا أنه الحق من ربه كما أخبر أنهم في المتشابه يقولون آمنا به كل من حشد ربنا وكل الوصفين موضع شبهة فكان خطهم منه الإيمان وحظ أرباب القلوب المنحرفة عن الصحة الاقتان ولهذا جعل سبحانه احكام آياته في مقابلة مايلقى الشيطان بازاء الآيات المحكمات في مقابلة المتشابهات فالاحكام هنا بمنزلة ازال المحكمات هناك ونسخ مايلقى الشيطان هنا في مقابلة المتشابه الى المحكم هناك والنسخ هنا رفع مآلقات الشيطان لارفع ماشرعه الرب سبحانه والنسخ معنى آخر وهو النسخ من افهام المخاطبين ما فهموه عما يردده ولا دل اللفظ عليه وإن أوهمه كما أطلق الصحابة النسخ على قوله (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) قالوا نسخنا قوله (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) الآية فهذا نسخ من الفهم لانسج للحكم الثابت كان المحاسبة لانتزاع العقاب في الآخرة ولا في الدنيا أيضا ولهذا عظم بالحاسبة ثم أخبر بمداهنة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فهم

المؤاخذه التى هى الموافقة من الآية تحمى لها فوق وسما فرفع هذا المعنى من فهمه بقوله (ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا) الى آخرها فهذا رفع لفهم غير المراد من الفاء الملك. وذلك رفع لما أفاء غير الملك في أسماهم أو في التمنى والنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين وهو ترك الظاهر اما بتخصيص عام أو بتقييد مطلق وهذا كثير في كلامهم مجدا وله معنى رابع وهو الذى يعرفه المتأخرون وعليه اضطلحوا وهو رفع الحكم بجملته ببدئونه بدليل رافع له فهذه أربعة معان للنسخ والاحكام له ثلاثة معان \* أحدها الاحكام الذى في مقابلة المتشابه كقوله (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) والثاني الاحكام في مقابلة نسخ ما يلحق الشيطان كقوله فينسخ الله ما يلحق الشيطان ثم يحكم الله آياته وهذه الاحكام يسم جميع آياته وهو إثباتها وتقريرها وإبانتها ومنه قوله (كتاب أحسكت آياته) \* الثالث احكام في مقابلة الآيات المنسوخة كما بقوله السلف كثيرا هذه الآية بحكمة غير منسوخة وذلك لان الاحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلة ما يلحق الشيطان في أئنيته ما يلحقه المبلغ أو في سمع المبلغ فالحكم هنا هو المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من اشتباهه بغير المنزل وفصل منه ما ليس منه بإبطاله وتارة يكون في إبقاء المنزل واستمراره فلا ينسخ ببدئونه وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله وهو تميز المعنى المقصود من غيره حتى لا يشبه به والمقصود ان قوله ليجمع ما يلحق الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض هى لام التعليل على بابها وهذا الاختيار والامتنان مظهر لختلاف القلوب الثلاثة فالقاسية والمریضة تظهر خيؤها من الشك والكفر والحسنة تظهر خيؤها من الايمان والهدى وزيادة محبة وزيادة بنى الكفر والشرك والنفرة عنه وهذا من أعظم حكمة هذا الالتقاء

**فصل** - وأما اللام في قوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فلام التعليل على بابها فانها مذكورة في بيان حكمة في جمع أوليائه وأعدائه على غير مباد ونصرة أوليائه مع قتلهم ورفقهم وشفع عددهم وعدتهم على أصحاب الشوكة والعدد والحد والحديد الذى لا يتوهم بشر أنهم يصرون عليهم فكانت تلك آية من أعظم آيات الرب سبحانه صدق بها رسوله وكتابه ليهلك بعدها من اختار لنفسه الكفر والنادع عن بينة فلا يكون له على الله حجة ويحيى من حى بالإيمان بالله ورسوله عن بينة فلا يبقى عنده شك ولا ريب وهذا من أعظم الحكم ونظير هذا قوله (ان هو الاذكر وقرآن بين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)

**(فصل)** - وأما اللام في قوله ولتصنى اليه أئمة الذين لا يؤمنون بالآخرة فهم على بابها للتعليل فانها ان كانت تليلا لفعل المدو وهو إحياء بعضهم الى بعض فظاهر وعلى هذا فيكون عطفا على قوله غرورا فانه نفعل لاجله أى يغروهم بهذا الوحي ولتصنى اليه أئمة من يلقى اليه فيرسلهم ويوصلهم بوجه فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الإيعاء المذكور وهو أربعة أمور غرور من يوحون اليه واصفاء أئمتهم اليهم ومحبتهم لتلك واصفاهم عنده بالاعتراف وان كان ذلك تليلا لجله سبحانه لكل نبي عدوا فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة بهذا الجمل وهي غاية وحكمة مقصودة لتغيرها لانها مفضية الى أمور هى محبوبة مطلوبة للرب سبحانه وقواتها يستلزم قوات ما هو أحب اليه من حصولها وعلى التقديرين فاللام لام التعليل والحكمة

(فصل) النوع الثالث الاثنيان بكى الصريحة في التليل كقوله تعالى ما أقام الله على رسوله من أهل القرى فئة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم فقل سبحانه تسمية النوى بين هذه الاصناف كي لا يتداوله الأغنياء دون الفقراء والاقوياء دون الضعفاء وقوله سبحانه (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فأخبر سبحانه انه قدر ما يصيبهم من البلاد في أنفسهم قبل أن يبرأ الانفس أو المصيبة أو الأرض أو المجموع وهو الاحسن ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وانه يسير عليه وحكمته البالغة التي منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم اذا علموا ان المصيبة فيه يقدره وكتابه ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الفات فلم بأسوا عليه ولم يفرحوا بالحاصل لهم ان المصيبة مقدرة في كل ما على الأرض فكيف يفرح بشئ قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه ولما كانت المصيبة تضمن فوات محبوب أو خوف فواته أو حصول مكروه أو خوف حصوله فيما لا سئ على الفات على مفارقة المحبوب بعد حصوله وعلى فوته حيث لم يحصل وبه يمد الفرح باذا وجد على توطين النفس لمفارقه قبل وقوعها وعلى الصبر على مرارتها بعد الوقوع وهذه هي أنواع المصائب فاذا تبين البعد انها مكتوبة مقدرة وان ما أصابها منها لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه هانت عليه وخف حملها وأزهد منزلة الحر والبرد

(فصل) النوع الرابع ذكر المفعول له وهو جلة للفعل المطلق به كقوله (وأنزّلنا اليك الكتاب تبياناً لكل شئ) وهدى ورحمة) ونسب ذلك على المفعول له أحسن من غيره كما صرح به في قوله ثين للناس ما نزل اليهم وفي قوله (ولأنتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون) فإتمام العمة هو الرحمة وقوله (وما أهلكنا من قرية الا الهامنذرون ذكرى وما كنا ظالمين) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكرى أى لاجل الذكر كما قال (فأما يسرناه بلسانك للمعلمين تذكرون) وقوله فالملقيات ذكرنا أعزرا أو نذرا أى للاعذار والانتذار وقوله (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن وتفصيلاً لكل شئ وهدى ورحمة لمعلم بلقاء ربهم يؤمنون) فهذا كله مفعول لاجله وقوله (انا صبينا الماء صبا) الى قوله (متاعاً لكم ولأيمانكم) والمتاع واقع موقع التمتع كما يقع السلام موقع التسليم والعتاء موضع الاعطاء وأما قوله (يريك البرق خوفاً وطمعا) فيحتمل أن يكون من ذلك أى اخافة لكم وطمعاً وهو أحسن ويحتمل أن يكون معمول فصل محذوف أى فيرونها خوفاً وطمعاً فيكونان حالاً وقوله (أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بيناها) الى قوله (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أى لاجل التبصرة والتذكرى والفرق بينهما ان التبصرة توجب العلم والمعرفة والتذكرى توجب التوبة والاعتقاد وبهما تم الهداية

(فصل) النوع الخامس الاثنيان بان والفعل المستقبل بعدها تليلاً لما قبله كقوله (أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله أن تقول نفس يا حسرتا وقوله أن تفصل أحداها فتذكر أحداها الاخرى ونظائره وفي ذلك طريقان أحدهما للكوفيين والمعنى لثلاث تقولوا ولشعبا تقول نفس والثاني للبصريين أن المفعول له محذوف أى كراهة أن تقولوا أو خذار أن تقولوا فان قيل كيف يستقيم الطريقان في قوله تعالى أن تفصل أحداها فتذكر أحداها الاخرى فانك ان



قدرت لئلا تفضل احداهما لم يستقم العطف فتذكر احداهما عليه وان قدرت حذار أن تفضل احداهما لم يستقم العطف أيضا وان قدرت ارادة أن تفضل لم تصح أيضا \* قيل هذا من الكلام الذى ظهور معناه مزيل للاشكال فان المقصود اذكار احداهما الاخرى اذا ضلت ونسيت فلما كان الضلال سببا للاذكار بجعل موضع العلة كما تقول أعددت هذه الحبة أن يعيل الحائط قاعه بها فانما أعددتها للدعم للليل وأعددت هذا الدواء أن أمرض فأداوى به ونحوه وهذا قول سبويه والبصريين قال أهبل الكوفة تقديره كى تذكر احداهما الاخرى ان ضلت فلما تقدم الجزء انقل بما قبله فتفتح أن قال الفراء ومثله قوله ليسجنى أن يسأل السائل فيعطى معناه ليسجنى أن يعطى السائل ان سأل لانه انما يجبه الاعطاء لا السؤال ومن ذلك قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر سبحانه من حكم أخذ الميثاق عليهم أن لا يجتجوا يوم القيامة بنفلتهم عن هذا الامر ولا بتقليد الاسلاف ومنه قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فالضيمير في به للقرآن وأن تبسل في محل نصب على أنه مفعول له أى حذار أن تسلم نفس الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء عملها

(نصل) النوع السادس ذكر ماهو من صرائع التليل وهو من أجل كقولهم من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بفساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقد ظنت طائفة ان قوله من أجل ذلك تليل لقوله فأصبح من النادمين أى من أجل قتله لآخيه وهذا ليس بشئ \* لانه يشوش صحة النظم وهزل الفائدة بذكره ويذهب شأن التليل بذلك للكتابة المذكورة وتعميق شأن القتل حين جعل علة لهذه الكتابة فتأمل \* فان قلت كيف يكون قتل أحد بنى آدم للأخر علة لحكمه على أمة أخرى بذلك الحكم وإذا كان علة فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلهم \* قلت الرب سبحانه يجعل أقصيته وإقذاره عللا وأسبابا للشرع وأمره فجعل حكمه الكونى القدرى علة لحكمه الدينى الامرى وذلك ان القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخم أمره وعظم شأنه وجعل نعمة أعظم من آثم غيره ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الانفس كلها ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه فانما كان قاتل الانفس كلها يعلى النار وقاتل النفس الواحدة يصلح صاحبه تشبيهه به كما يأتى من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قاطير وان اختلف مقدار الآثم وكذلك من زنى مرة واحدة وآخروا مرارا كثيرة كلاهما آثم وان اختلف قدر الآثم وهنا معنى قول مجاهد من قتل نفسا واحدة يعلى النار يقتلها كإصلاها من قتل الناس جميعا وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لافى وصفه وان شئت قلت التشبيه في أصل العقوبة الدنيوية وقدرها فانه لا يختلف بجهة القتل وكثرته كما لو شرب قطرة فان حده حد من شرب راوية ومن زنى بامرأة واحدة حده حد من زنى بألف وهذا تأويل الحسن وابن زيد فلا يجب عليه من التقصص بقتلها مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ولك أن يجعل للتشبيه في الاذى والنعمة الواسل الى المؤمنين يقتل الواحد منهم فقد جهلهم كلهم خصاهم وأوصل اليهم من الاذى والنعمة ما يشبه القتل وهذا تأويل ابن التبارى وفي الآية تأويلات أخر

﴿فصل﴾ النوع السابع التلليل بلعل وهى في كلام الله سبحانه لتلليل مجردة عن معنى الترجى فانها انما يقارنها معنى الترجى اذا كانت من المخلوق واما في حق من لا يصح عليه الترجى فهى لتلليل المحض كقوله أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فقيل هو تلليل لقوله أعبدوا ربكم وقيل تلليل لقوله خلقكم والصواب انه تلليل للامرين لشرعه وخلقه ومنه قوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (لعلكم تذكرون لعله يذكر أو ينسى) فلهل في هذا كله قد اخلصت للتلليل والرءاء الذى فيها متعلق بالمخاطبين

﴿فصل﴾ النوع الثامن ذكر الحكم الكونى والشرعى عقيب الوصف المناسب له وتارة يذكر بان وتارة يقرن بقاء وتارة يذكر مجردا فالاول كقوله (وزكريا اذا نادى ربه رب لا تدخرنى فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه اثم كانوا يمارعون في الحبرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وقوله (ان المتقين في جنات وعيون آخذين مما آتاهم ربهم اثم كانوا قبل ذلك محسنين) وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقوله (والذين يسكنون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لنضع أجرا للمصلحين) والثاني كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والثالث كقوله ان المتقين في جنات وعيون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم وهذا في التزليل يزيد على عدة آلاف موضع بل القرآن معلومته فان قيل هذا انما يفيد كون تلك الاعمال أسبابا لما رتب عليها لا يقتضى اثبات التلليل في فعل الرب وأمره فان هذا من هذا قبل لما جعل الرب سبحانه هذه الاوصاف عللا لهذه الاحكام وأسبابا لها دل ذلك على انه حكم به شرعا وقدرنا لاجل تلك الاوصاف وانه لم يصمم بها لغرض علة ولا حكمة ولهذا كان كل من نفى التلليل والحكم نفى الاسباب ولم يحل لحكم الرب الكونى والدينى سببا ولا حكمة هى العلة الغائية وهؤلاء ينقون الاسباب والحكم ومن تأمل شرع الرب وقدره وجزاءه جزم جزا ماضوريا بطلان قول الثغاة والله سبحانه قد رتب الاحكام على أسبابها وعللها وبين ذلك خبرا وحسا وفطرة وعقلا ولود ذكرنا ذلك على التفصيل لقم منه عدة أسفار

﴿فصل﴾ النوع التاسع تلليل سبحانه مع عدم الحكم القدرى والشرعى بوجود المانع منه كقوله (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم سفقا من فضة ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن نزل بقدر ما يشاء انه بسباده خير بصير) وقوله وما ننذا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون أى آيات الاقتراح لا آيات الدلالة على صدق الرسل التى فيها هو سبحانه ابتداء وقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأنعجى وعربى) وقوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسا عليهم ما يلبسون) فآخبر سبحانه عن المسامح الذى منع من انزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه وان حكمته وعنايته يحلقه منعت من ذلك فانه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لموجلا

بالعقوبة ولم ينظروا وأيضاً فانه جعل الرسول بشراً ليكنهم التلقى عنه والرجوع اليه ولوجه ملكاً  
 فاما أن يدعه على هيئة الملائكة أو يجعله على هيئة البشر والاول يتهم من التلقى عنه والثاني لا يحصل  
 مقصودهم اذ كانوا يقولون هو بشر لملك وقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى  
 الا أن قالوا أبئت الله بشراً رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئن لنزلنا عليهم من  
 السماء ملكاً رسولاً) فالخير سبحانه عن المانع من ازال الملائكة وهو أنه يجعل الارض مسكناً لهم  
 ولا يستقرون فيها مطمئن بل يكون نزولهم لينفذوا أوامر الرب سبحانه ثم يرجون اليه ومن  
 هذا قوله (وما مننا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) فالخير سبحانه عن حكيمته في الامتناع  
 من ارسال رسله بآيات الاقتراح والتشبه وهي انها لا توجب الايمان فقد تأملنا الاولون فلما أوتوها  
 كذبوا بها فاعليكموا فليس لهم مصلحة في الارسال بها بل حكيمته سبحانه تآبى ذلك كل الابد ثم نه على  
 ما أصاب ثمود من ذلك فاتهم اقترحوا الناقة فلما أعطوا ما سألوها ظلموا ولم يؤمنوا فكان في اجابهم  
 الى ما سألوا هلاكهم واستصالحهم ثم قال (وما نرسل بالآيات الا تخوفاً) أى لاجل التخويف فهو  
 منصوب فصب المفعول لاجله قال قتادة ان الله يخوف الناس بما شاء من آياته لمعلم يشئون أو يذكرون  
 أو يرحمون وهذا نعم آية التي تكون مع الرسل والتي تقع بعدهم في كل زمان فانه سبحانه لا يزال  
 يحدث لعباده من الآيات ما يخوفهم بها ويذكرهم بها ومن ذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه آية  
 من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لا يعلمون حكيمته تعالى  
 ومصلحة عباده في الامتناع من ازال الآيات التي يقررها الناس على الانتهاء وليس المراد ان أكثر  
 الناس لا يعلمون ان الله قادر فانه لم ينازع في قدرة الله أحد من المقرين بوجوده سبحانه ولكن حكيمته  
 في ذلك لا يعلمها أكثر الناس

(فصل) التوع المباشر اخبازه عن الحكم والنعائات التي جعلها في خلقه وأمره كقوله (الذي جعل  
 لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فالخرج به من الثمرات رزقاً لكم) وقوله (ألم  
 نجعل الارض نهاداً والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً وجعلنا  
 النهار معاشاً) الى قوله (وأنزلنا من المعصرات ماء مجحاجاً لنخرج به حبا ونباتاً وجنات الفاها) وقوله (ألم  
 نجعل الارض كففاً أحياء وأمواتاً وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسفيناكم ماء فترات) وقوله (والله  
 جعل لكم من يوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم  
 ومن أضواؤها وأوبراها وأشجارها أثناً ومتاعاً الى حين والله جعل لكم ما خلق ظلالاً وجعل لكم  
 سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم) وقوله (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قوله (متاعاً لكم  
 ولانعامكم) وقوله (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) وقوله (الله الذي  
 خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فالخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك  
 لتجروا في البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائمين وسخر لكم الليل  
 والنهار) وقوله (الله الذي سخر البحر لتجروا الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولم يملك تشكرون)  
 الى أضاف أضاف ذلك في القرآن مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بأنه سبحانه فعل ذلك للحكم  
 والمصالح التي ذكرها وغيرها مما يذكره وقوله (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال

يوتا ومن الشجر وما يرشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للانس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله (وان لكم في الانعام لبرة لتسفيكم عماي بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) وقوله (والانعام خلقنا لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالقيه الا بشرى ان ربكم لرؤف رحيم والحيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) فهل يستقيم ذلك ويصح فيمن لا يصلح لحكمة ولا مصلحة ولا نفاية هي مقصودة بالفعل ومعلوم بالضرورة ان هذا الاثبات وهذا الثبوت متقابلان أعظم التقابل

﴿فصل﴾ النوع الحادي عشر انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا حكمة بكفوله (الحسبنا انا خلقناكم عتيا) وقوله (أعجب الانسان أن يترك سدى) وقوله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين ما خلقناهما الا بالحق) والحق هو الحكم والقوانين المحمودة التي لاجلها خلق ذلك كله وهو أنواع كثيرة منها أن يعرف الله تعالى بسلاته وصفاته وأفعاله وآياته ومنها أن يحب ويصدق ويشكر ويذكر ويطاع ومنها أن يأمر وينهى ويشعر الشرائع ومنها أن يدبر الامر ويرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات ومنها أن يشيب ويمتدح فيجازي المحسن بحسانه والنسي بسأته فيوجد أثر عدله وفضله موجودا مشهودا فيحمد على ذلك ويشكر ومنها أن يعلم خاتمة انه لا اله غيره ولا رب سواه ومنها أن يصدق الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيبغضه ومنها ظهور آثار أسمائه وصفاته على توعها وكثرتها في الوجود النعمي والطارحي فيعلم عباده ذلك علما مطابقا لما في الواقع ومنها شهادة مخلوقاته كلها بانه وحده ربها وفاطرها ومليكمها وانه وحده إلهها ومعبودها ومنها ظهور أثر كاله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حتى تقدير ومن كان كذلك لم يكن الا فعلا مختارا ومنها أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به ومحبه على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة ومنها أنه سبحانه يجب أن يجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا بد من لوازم ذلك خلقا وشرعا ومنها أنه يجب أن يتق عليه ويمدح ويمجد ويسبح ويمظم ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وإلهيته الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق خلق مخلوقاته بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق فصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أتى على عباده المؤمنين حيث زهوه عن إيجاد الخلق للنسي ولا نفاية فقال تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقنا هذا باطلا سبجانا) وأخبر ان هذا ظن أعدائه لا ظن أوليائه فقال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) وكيف يتوهم انه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة مطلوبة ولا أمر لحكمة ولا نسي لحكمة وانما يصدر الخلق والامر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا نفاية مقصودة وهل هذا الا انكار لحقيقة حمده بل الحق والامر انما قام بالحكم والقوانين فهما مظهران بحمده وحكمته فانكار الحكمه انكار لحقيقة خلقه وأمره فان الذي أثبت المتكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فاهم أثبتوا خلقا وأمرنا نرحم به ولا مصلحة ولا حكمة بل يجوز عندهم أو ترفع أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز

عندهم أن يأمر بكل ما بهى عنه ونهى عن جميع ما أمر به ولا يفرق بين هذا وهذا الجرد الامر والتهى ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعبه طرفة عين بل أفنى عمره في طاعته وشكره وذكره ويشم على من لم يعلمه طرفة عين بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور فلا سبيل الى أن يرف خلاف ذلك منه الا بخبر الرسول والا فهو جائز عليه وهذا من أجمع الظن وأسوئه بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو عين الظلم الذى يتعالى الله عنه والعجب العجيب أن كثيرا من أرباب هذا المذهب يزعمون عما وصف به نفسه من صفات الكمال ونعمت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتنشيه ولا ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون انه عدل وحق وان التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الابتناء استوائه على عرشه وعلوه فوق سمواته وتكملة وتكليمه وصفات كماله فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا التنى وذلك الاثبات والله ولي التوفيق

(فصل) الثور الثانى عشر: انكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين وان حكمته وعمله يأبى ذلك اما الاول فكقوله (أفجعل المسلمين الجاهل من مالكم كيف نمحكمون) فاخبر ان هذا حكم باطل جائز يستحيل نسبه اليه كما يستحيل نسبة الفقر والجاهلية والظلم اليه ومنكرو الحكمة والتعليل يجوزون نسبة ذلك اليه بل يقولون بوقوعه وقال تعالى (أم يحمل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفلسدين في الارض أم نحمل المتقين كالفلجاء) وقال (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فجعل سبحانه ذلك حكما سيئا يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عليه فضلا عن أن ينسب اليه بل أبغ من هذا أنه أنكر على من حسب أن يدخل الجنة بغير امتحان له وتكليف يبين به صبره وشكره وان حكمته تأبى ذلك كما قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يخدعوا من دون الله ولا زولوا ولا يؤمنون وليجة) فانكر عليهم هذا الظن والحسبان لخالفته لحكمته وأما الثانى وهو ان لا يفرق بين المتماثلين فكقوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وقوله (والؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقوله (المتأفقون والمتأفقات بعضهم من بعض) وقوله (فاستجاب لهم ربهم ابنى لأصابع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض) وقوله (ولما بلغ أشده آياته حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) وقوله (أأكفركم خير من أولائكم) وقوله (دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) وقوله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننا تحويلا) وقوله (سنة الله التى قد دخلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقوله (سنة الله التى قد دخلت من قبل) فسته سبحانه عادة المعلومه في أوليائه وأعدائه باكرام هؤلاء واعزازهم ونصرتهم واهانة أولئك وإذلالهم وكتبهم وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله كتبوا كما كتب الذين من قبلهم) والقرآن ملو من هذا بخير تعالى ان حكم التنى في حكمته وعمله حكم نظيره ومثاله وضد حكم مضاده ومخالفه وكل نوع من هذه

الانواع لواستوعبناه لجاء كتابا مفردا

﴿فصل﴾ النوع الثالث عشر أمره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه وزواجره ولولا ما تضمنته من الحكم والمداخل والغايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي هي محل التفكير لما كان للتفكير فيه معنى وإنما دعاهم الى التفكير والتدبر ليطلهم ذلك على حكمته البالغة وما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التي توجب لمن عرفها اقراره بأنه تنزىل من حكيم حميد فلو كان الحق مايقوله النفاة وأن مرجع ذلك وتصوره مجرد القدرة والمشئة التي يجوز عليها تأييد الكاذب بالمعجزة ونصره واعلائه وإهانة الحق وإذلاله وكسره لما كان في التدبر والتفكر مما يدلهم على صدق رسوله وقيم عليهم حجتبه وكان غاية ما دعوا اليه القدر المحض وذلك مشترك بين الصادق والكاذب والبر والفاجر فهو لا بانكارهم الحكمة والتميل سدوا على قلوبهم باب الايمان والهدى وقتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات فان ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والامر والغايات الحميدة أمر تشهد به القطر والقول ولا ينكره سليم الفطرة وهم لا ينكرون ذلك وإنما يقولون وقع بطريق الاتفاق لا بالقصد كالتسقط خشبة عظمية فيثقب عبور حيوان مؤذنتها فتهلكه ولا ريب أن هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المنافع والحكم لانهما لم تحصل بقصد وارادته بل بطريق الاتفاق الذي لا يحمد عليه صاحبه ولا ينشئ عليه بل هو عندهم بمثابة مال رمى رجل درهما لالغرض ولا لفائدة بل لجرد قدرته ومشيئته على طرحه فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به فهذا من شأن الحكم والمصالح عند المتكرين

﴿فصل﴾ النوع الرابع عشر أخبأه عن صدور الخلق والامر عن حكمته وعلمه فيذكر هذين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيها على أنهما انما صدر عن حكمة مقصودة مقارنة لعلم المحيط التام لقوله (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) فذكره المزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والحمد والحمد (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) وسمع بعض الاعراب قارئا يقرأها والله غفور رحيم فقال ليس هذا كلام الله فقال أنكذب بالقرآن فقال لأولئك لا يمس هذا فرجع القارئ الى خطه فقال عزيز حكيم فقال صدقت وإذا تأملت ختم الآيات بالاسماء والصفات وجدت كلامه محتما بذكر الصفة التي يمتصها ذلك المقام حتى كأنها ذكرت دليلا عليه وموجبة له وهذه كقوله (ان تمزيههم قاتم عبادك وان تنفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) أى فان مغفرتك لهم مصدر عن عزة هي كمال القدرة لاعتجز وجهل وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) في عدة مواضع من القرآن يذكر ذلك عقيب ذكره الاجرام العلوية وما تضمنته من فلق الاصباح وجعل الليل مسكنا واجراء الشمس والقمر بحسب ولا يدوانه وتزين السماء الدنيا بالتجويد وحراسنها وأخبر أن هذا التقدير الحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه ليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله ولا ينشئ عليه به كسائر الأمور الاتفاقية ومن هذا ختمه سبحانه قصص الانبياء وأهمهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة (وان ربك هو العزيز الرحيم) فان ما حكم به لرسوله وأتباعهم ولاعبائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزته ونجى رسوله وأتباعهم برحمته والحكمة

الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهى غاية العمل لأنها أمر اتفاق  
(فصل) النوع الخامس عشر اخباره بان حكمه أحسن الاحكام وتقديره أحسن التقادير ولولا  
مطابقتها للحكمة والمصلحة المقصودة المرادة لما كان كذلك اذ لو كان حسنة لكونه مقدورا معلوما  
كما يقوله اثنا عشر لكان هو وضده سواء فانه بكل شئ علم وعلى كل شئ تقدير فكان كل معلوم مقدور  
أحسن الاحكام وأحسن التقادير وهذا تمتع قال تعالى ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وقال  
ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فجعل هذا أن يختر لم ديناً سواء ويرتضى ديناً  
غيره كما تمتع عليه الميِّب والظلم وقال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً) وقال  
(انتمى من المسلمين) وقال (فقد رنا نعيم الفردوس) وقال (فتبارك الله أحسن الخالقين) فلا أحسن من  
تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذى اقتضته حكيمته ورحمته وعلمه وقال تعالى (نأتى في خلق  
الرحمن من تفاوت) ولولا مجيئه على أكمل الوجوه وأحسنها ومطابقتها للغايات المحمودة والحكم  
المطلوبة لكان كله متفاوتاً أو كان عدم تفاوته أمراً اتفاقياً لا يحمده فاعله لانه لم يردده ولم يقصده وانما  
اتفق ان صار كذلك

(فصل) النوع السابع عشر اخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه  
أحدهما قوله حالاً عن نبيه هود (انى توكلت على الله ربي وربكم مائت دابة الا هو أخذ بناصيتها  
ان ربي على صراط مستقيم) والثاني قوله (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ  
وهو كل على موله أبى يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال  
أبو اسحاق أخبر أنه وان كانت قدرته تتألم بما شاء فهو لا يشاء الا العدل قال ابن الأنبارى لما قال  
الا هو أخذ بناصيتها كان في معنى لا تخرج عن قبضته قاهر بعظم سلطانه كل دابة فاتبع ذلك قوله  
(ان ربي على صراط مستقيم) أى انه على الحق قال وهذا نحو كلام الرب اذا وصفوا رجلاً حسن  
السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان طريقه حسنة وليس ثم طريق وذكر في معنى الآية أقوالاً أخر  
هى من لوازم هذا المعنى وأثاره كقول بعضهم ان ربي يدل على صراط مستقيم فدلالة على الصراط  
من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم فان تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته واحسانه  
وعدله وحكمته وقال بعضهم معناه لا يخفى عليه شئ ولا يصد عنه هارب وقال بعضهم المعنى  
لا مسلك لاحد ولا طريق له الا عليه كقوله (ان ربك لبالمرصاد) وهذا المعنى حق ولكن كونه هو  
المراد بالآية ليس بالبين فان الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال أنهم يصلون سلوكه  
إليه ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال التباركهم ان ربك لبالمرصاد وان الى ربك  
المنتهى وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم فهو كونه بقول الحق وبفضل الصواب فكلما ته  
صدق وعدل كله صواب وخير والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل فلا يقول الا بما حمد عليه لكونه  
حقاً وعدلاً وصدقاً وحكمة في نفسه وهذا معروف في كلام الرب قال جرير يمدح عمر بن عبد  
العزيز

أمر المؤمنين على صراط اذا عوج الموارد مستقيم  
واذا عرف هذا فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفضل شيئاً الا بحكمة يحمده عليها وغاية هى

أولى بالإرادة من غير هاتين فخرج أقواله عن الحكمة والمصلحة والاحسان والرحمة والمدل والصواب كما تخرج أقواله عن العدل والصدق

(فصل) النوع السابع عشر حمده سبحانه لنفسه على جميع ما فعله وأمره عباده بحمده وهذا لما في أقواله من الغايات والواجبات الحميدة التي يستحق فاعلها الحمد فهو يحمده على نفس الفعل وعلى قصد الغاية الحميدة به وعلى حصولها فهنا ثلاث أمور ومنكرو الحكم والتعطيل ليس عندهم محمود على قصد الغاية ولا على حصولها اذ قصدها عندهم مستحيل عليه وحصولها عندهم أمر اتفاق غير مقصود كما صرحوا به فلا يحمده على ما لا يجوز قصده ولا على حصوله فلم يبق الاقضى الفعل ومعلوم ان الفاعل لا يحمده على فعله ان لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى به من عدمها والا فبجرد الفعل الصادر عن الفاعل اذا لم يكن له غاية يقصده بها لا يحمده عليه بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال ولا يقع الفعل على هذا الوجه الا من عائب والله منزّه من العيب فحمده سبحانه من أعظم الادلة على كمال حكمته وقصده بما فعل يقع خلفه والاحسان اليهم ورحمتهم واتمام نعمته عليهم وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل حقيقة حمده

(فصل) النوع الثامن عشر اخباره بالعامه على خلقه واحسانه اليهم وانه خلق لهم ما في السموات وما في الارض وأعطاهم الاسباع والابصار والافئدة ليم نعمته عليهم ومعلوم ان النعم الحسن لا يكون كذلك ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصد الانعام على غيره والاحسان اليه فلو لم يفعل سبحانه لغرض الانعام والاحسان لم يكن منعما في الحقيقة ولا محسنا اذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الانعام والاحسان وهذا غنى عن التقرير يوضحه أنه سبحانه حيث ذكر انعامه واحسانه قائما يذكره بهتروا بالحكم والمصالح والمنافع التي خلق الخلق وشرع الشرائع لاجلها كقوله في آخر سورة النحل والله جعل لكم ما خلق ظللا وجعل لكم من ايجال أكننا وجعل لكم سرايل نقيم الحز وسرايل تقيمكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فهذا في الخلق وقال في الشرع في أمره باستقبال الصكبة ومن حيث خرجت قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشون ولا تهم نعمتي عليكم وللمك تهمدون وقال في أمره بالوضوء والتيمم ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للاحسان وأمر بما أمر لذلك

(فصل) النوع التاسع عشر انصافه بالرحمة وانه أرحم الراحمين وان رحمته وسعت كل شيء وذلك لا يتحقق الا بان يقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم وبما أمرهم به فلو لم تكن أوامره لاجل الرحمة والحكمة والمصلحة وإرادة الاحسان اليهم لما كان رحمة ولو حصلت بها الرحمة لكانت اتفاقيه لا مقصودة وذلك لاوجب أن يكون الأمر سبحانه أرحم الراحمين فتعطيل حكمته والغاية المقصودة التي لاجلها يفضل انكار لرحمته في الحقيقة وتعطيل لها وكان شيخ هذا المذهب جهم بن صفوان يفتي على الجنائي ويشاهد ما هم فيه من البلايا ويقول أرحم الراحمين يفعل مثل هذا يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة وان الامر راجع الى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة ولا حكمة



عنده ولا رحمة فان الرحمة لا تنقل الا من فعل من يفعل الشئ لرحمة غيره وشه والاحسان  
فاذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل الرحمة والاحسان

﴿فصل﴾ النوع العشرون جوابه سبحانه لمن سأل عن التخصيص والتبميز الواقع في أفضاله  
بأنه حكمة يعلها هو سبحانه وان كان السائل لا يعلها كما أجاب الملائكة لما قال لهم (انى جاعل في  
الارض خليفة) فقالوا (اتحمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)  
فأجابهم بقوله (انى أعلم ما لا تعلمون) ولو كان فعله مجردا عن الحكم والغايات والمصالح لكان للملائكة  
أعلم به ان سألوا هذا السؤال ولم يصح جوابهم بغيره يعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصلحة التى فى  
خلق هذه الخليفة ولهذا كان سؤالهم انما وقع عن وجه الحكمة لم يكن اعتراضا على الرب تعالى  
ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفضل شئ الا لحكمة فلما رأوا ان خلق  
هذا الخليفة مناف للحكمة فى الظاهر سألوه عن ذلك ومن هذا قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن  
نؤمن حتى نفى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته فأجابهم بأن حكمته وعلمه يأبى  
أن يضع رسالته فى غير محلها وعند غير أهلها ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن فى  
هذا جوابا بل كان الجواب ان أفضاله لا تنقل وهو يرجع مثلا على مثل بغير مرجح والامر عائد  
الى مجرد القدرة كما يقوله المشركون وكذلك قوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من  
الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين) فلما سألوا عن التخصيص بمشيئة الله وأنكروا ذلك  
أجيبوا بأن الله أعلم بمن يصلح لمشيئته وهو أهل لها وهم الشاكرون الذين يعرفون قدر النعمة  
ويشكرون عليها المنعم فهو لا يصلحون لمشيئته ولو كان الامر عائدا الى محض المشيئة لم يحسن هذا  
الجواب ولهذا يذكر سبحانه صفة العلم حيث يذكر التخصيص والتفصيل بينهما على أنه انما حصل  
بعلبه سبحانه بما فى التخصيص المفصل مما يقتضى تخصيصه وتفصيله وهو الذى جملة أهلا لتلك كما  
قال تعالى (ولسلبان الريح عاصفة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين)  
فذكر علمه عقيب ذكر تخصيصه سليمان بتسخير الريح له وتخصيصه الارض المذكورة بالبركة  
ومنه قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد  
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) فذكر صفة  
العلم التى اقتضت تخصيص هذا المكان وهذا الزمان بامر احتصاص به دون سائر الامكنة والازمنة ومن  
ذلك قوله سبحانه (فانزل الله سبكتبه على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى وكانوا أحق  
بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما) فآخبر أنه وضع هذه الكلمة عند أهلها ومن هم أحق بها  
وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم فهل هذا وصف من يخص بمحض المشيئة لا بسبب وغاية

﴿فصل﴾ النوع الحادى والعشرون اجابوه سبحانه عن تركه بعض مقدوره لما يستلزمه من  
المفسدة وان المصلحة فى تركه ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن ذلك علة للحكم كقوله  
تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فهدى خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم  
لتولوا وهم معرضون) فعلم سبحانه عدم اسماعهم السماع الذى يتفنون به وهو سماع الفهم بلهم لاخير  
فهم يحسن منه أن يسمعهم وبأن فهم ما لما آخر يمنع من الاعتناق للمسموع لو سمعوه وهو الكبير

والاعراض فالاول من باب تليل عدم الحكم بعدم ما يقتضيه والثاني من باب تليل وجود مانعه وهذا  
انما يصح من يأمر وينهى ويفعل للحكم والمصالح وأما من مجرد فعله عن ذلك فانه لا يضاف عدم  
الحكم الا الى مجرد مسبه فقط ومن هذا تزيه نفسه عن كثير مما يقدر عليه فلا يفضله لما فيه لحكمته  
وحده كقوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما اثم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان  
الله ليظلمكم على الشيء) وقوله (وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) وقوله (وما كان الله ليضل  
قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) وقوله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)  
وقوله (وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) فزه نفسه عن هذه  
الاذان لانه لا يليق بكماله وينافي حكمته وحده وعند انقضاء آياتها ليست بما يزه الرب عنه لانها مقدورة  
له وهو انما يزه عما لا يقدر عليه ولكن علمنا انها لا تقع لعدم مسبه لها لا لقبها في نفسها

﴿فصل﴾ النوع الثاني والعشرون ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفضل اما ان يكون  
لعدم علم الفاعل بها أو نقصانها وهذا محال في حق من هو بكل شيء عليم واما المعجزه غن تحصيلها  
وهذا يمنع في حق من هو على كل شيء قدير واما لعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره وايصال  
الفضل اليه وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الاحسان  
منعنا منا واما لما منع يمنع من ارادتها وقصدها وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما  
يريد واما لاستزائها نقصا ومنافاتها كالا وهذا باطل بل هو قلب للحقائق وعكس للقطر ومنافضة  
لنقضها بالعقول فان من فضل الحكمة وغاية مطلوبة يحمده عليها أكل من فضل الله شيء البتة كان من  
يخلق أبكل من لا يخلق ومن يعلم أكل من لا يعلم ومن يتكلم أكل من لا يتكلم ومن يقدر ويريد  
أكل من لا يتصف بذلك وهذا مركز في القطر مستقر في القول ففي حكمته بمنزلة نفي هذه  
الافصاف عنه وذلك يستلزم وصفه باضدادها وهي أقصى النقائص ولهذا صرح كثير من الثقات  
كالحلبي والرازي بانه لم يرق على نفي النقائص عن الله دليل عقل الاستدلال في السمع والاجماع  
وحينئذ فقال هؤلاء ان لم يكن في اثبات الحكمة نقص لم يميز فيها وان كانت نقصا فإني في السمع  
أوفي الاجماع نفي هذا النقص وجهور الامه ثبتت حكمته سبحانه والغايات المحموده في أفعاله فليس  
مع النقصا سمع ولا عقل ولا اجماع بل السمع والعقل والاجماع والفطرة تشهد بطلان قولهم والله  
الموفق للصواب وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وقدرته واحسانه  
وحمده ومجده وحقائق اسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه للحكمة وللغاية مطلوبة وجميع  
اسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد بطلانه وانما نهنا على بعض طرق القرآن والاقتداء التي تضمنها  
اثبات ذلك أضفاف أضفاف ما ذكرنا وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك وهذا الوجود شاهد بحكمته وعنايته  
بخلقهم ثم عنايته وما في مخلوقاته من الحكم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والواقب الحميدة أعظم  
من أن يحيط به وصف أو يحصره عقل ويكفي الانسان فكره في نفسه وخلقته وأعضائه ومنافعها  
وقوائمه وصفاته وهياتها فانه لو استغنى عمره لم يحط علما بجميع ما تضمنه خلقه من الحكم والمنافع على  
التفصيل والمأم بالكله عليه وسفلي بهذه المثابة ولكن لشدة ظهور الحكمة ووضوحها وجد الجاحد

السبل الى انكارها وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة كما أنكرت وجود الصانع تعالى مع قرط ظهور آياته ودلائل ربوبيته بحيث استوعبت كل موجود ومع هذا فسمحت بالكبرية في انكاره وهكذا أدلة علوه سبحانه فوق مخلوقاته مع شدة ظهورها وكثرة ما سمحت نفوس الجهمية بانكارها وهكذا سواها كصدق أنبيائه ورسله ولا سيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه فإن أدلة صدقه في الوضوح لا تقول كالشمس في دلائلها على النهار ومع هذا فلم يأنف الجاحدون والمكبرون من الانكار وهكذا أدلة ثبوت صفات الكمال لمعطى الكمال هي من أظهر الاشياء وأوضحها وقد أنكرها من أنكرها ولا يستكر هذا فأنك تجد الرجل متفلسا في التهم وقد أحاطت به من كل جانب وهو يشكى حاله ويبسخط بما هو فيه وربما أنكر النعمة فضلال النفوس وغياها لاحدله تنهى اليه ولاسيا النفوس الجاهلة الظالمة ومن أعجب العجب ان نسمع نفس بانكار الحكم والعلل الغائية والمصالح الى تضمنتها هذه الشريعة الكاملة التي هي من أدل الدلائل على صدق من نبأها وأنه رسول الله حقا ولو لم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية فإن ما تضمنته من الحكم والمصالح والفتايات الحميدة والواقف السديدة شاهدة بان الذي شرعها وأنزلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وشهود ذلك في تفاصيلها ومضمونها كشهود الحكم والمصالح والمنافع في المخوقات العلوية والسفلية وما بينها من الحيوان والنبات والناصر والآثار التي بها انتظام مصالح الملائك فكيف يرضى أحد لنفسه انكار ذلك وجحده وان تجمل واستحي من الغلاء قال ذلك أمر اتفاق غير مقصود بالامر والخلق وسبحان الله كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يمدب كثيرا من خلقه أشد العذاب الابدى لغیر غاية ولا حكمة ولا سبب وإنما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية وهل هذا الا من أسوأ الظن بالرب تعالى وكيف يستجيز أن يظن بربه أنه أمر ونهى وأباح وحرم وأحب وكره وشرع الشرائع وأمر بالحدود والحكمة ولا مصلحة يقصدها بل ما هم الامشيئة محضة رجحت مثلا على مثل بغير مرجح وأى رحمة تكون في هذه الشريعة وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الامر كما يقول النفاة وهل يكون الامر والنهى الاعقوبة وكلفة واعتناء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولودهننا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهانتنا وقص عقولنا ومعارفنا وتلاشها وتلاشى علوم الخلاق جميعهم في علم الله كتلاشى ضوء السراج في عين الشمس وهذا تقرب والا فالامر فوق ذلك وهل إبطال الحكم والمناسبات والوصاف التي شرعت الاحكام لاجلها الا بإبطال للشرع جملة وهل يمكن فقها على وجه الارض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالاحكام مصالح الباد وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات فان الغلاء لا يمكنهم انكار الاسباب والحكم والمصالح والعلل الغائية فان رأوا ان هذا لا يمكن القول به مع موافقة الشرائع ولا يمكنهم رفضه عن نفوسهم خلوا الشرائع وراء ظهورهم وأسأوا بها الظن وقالوا لا يمكننا الجمع بينها وبين عقولنا ولا سبيل لنا الى الخروج عن عقولنا ورأوا ان القول بالفاعل المختار لا يمكن الا مع نفي الاسباب والحكم والقوى والطابع ولا سبيل الى نفيها فنفوا الفاعل وأولئك لم يمكنهم القول بنفي الفاعل المختار ورأوا انه لا يمكنهم اثباته مع اثبات الاسباب والحكم والقوى

والملل فتفوها وبين الطائفتين بعد المشرقين ولا تسهن بامر هذه المسئلة فان شأنها أعظم وخطرها أجل وفروعها كثيرة ومن فروعها أنهم لما تكلموا فيها بحمد الله تعالى من المطر والنبات والحيوان والحر والبرد والليل والنهار والاهلال والابذار والكسوف والاستسار وحوادث الجو وحوادث الارض اقساموا قسبين وصاروا طائفتين فطائفة جعلت الموجب لذلك مجرد ما رأوه علة وسببا من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية والنفوس والعقول فليس عندهم لذلك فاعل مختار مرید وقابلهم طائفة من المتكلمين فلم يسيبوا لذلك سببا الا مجرد المشيئة والقدرة وان الفاعل المختار يرجع مثلا على مثل بلا مرجح ولا سبب ولا حكمة ولا غاية يفعل لاجلها ونفوا الاسباب والقوى والطبائع والقرائن والحكم والغايات حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد منهم أن الفلك والرحا ونحوهما مما يدور متفكك دائما عند الدوران والقادر المختار يبيده كل وقت كما كان وان الألوان والمقادير والاشكال والصفات تدمر على تماثبات الآت والقادر المختار يبيدها كل وقت وان ملوحة ماء البحر كل لحظة تدمر وتذهب ويبيدها القادر المختار كل ذلك بلا سبب ولا حكمة ولا علة غائية ورأوا أنهم لا يمكنهم التخلص من قول الفلاسفة أعداء الرسل الا بذلك ورأى أعداء الرسل أنهم لا يمكنهم الدخول في التسمية بالابتنام أصول هؤلاء ولم يهتد الطائفتان للحق الذي لا يجوز غيره وهو انه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وإرادته ويضلل ما يشاءه بأسباب وحكم وغايات مخدوعة وقد أودع العالم من القوى والطبائع والقرائن والاسباب والمسببات ما به قام الخلق والامر وهذا قول جمهور أهل الاسلام وأكثر طوائف النظار وهو قول الفقهاء قاطبة الا من خلى الفقه ناحية وتكلم باصول التفاهة فعادى فقه أصول دينه

### الباب الثاني والمشرون

في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الاجوبة عنها

قالت التفاهة قد اجلبتم علينا بما استعلمتم من خيل الادلة ورجلها فاسمعوا الآن ما يبطله ثم احييوا عنه ان امكنكم الجواب فتقول ما قاله أفضل متأخريهم محمد بن عمر الرازي كل من فعل فضلا لاجل تحصيل مصلحة اولدفع مفسدة فان كان تحصيل تلك المصلحة أولى من عدم تحصيلها كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفضل تحصيل ذلك ومن كان كذلك كان ناقصا بذاته مستكملا بغيره وهو في حق الله محال وان كان تحصيلها وعدمه بالنسبة اليه سواء فع ذلك لا يحصل الرجحان فامتنع تحصيلها ثم اورد سؤالا وهو لا يقال حصولها والاحصولها بالنسبة اليه وان كان على التساوي الا ان حصولها للعبد أولى من عدم حصولها فلجل هذه الاولوية المائدة الى العبد يرجع الله سبحانه الوجود على العدم ثم اجاب باننا نقول تحصيل تلك المصلحة وعدم تحصيلها له اما ان يكونا متساويين بالنسبة الى الله أولا يستويان وحيث ان يفود التقسيم المذكور قال المثنون الجواب عن هذه الشبهة من وجوه أحدها أن قولك أن كل من فعل لمرض يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره مالتفي بقولك أنه يكون ناقصا بذاته أمتفي به أنه يكون عادما لشيء من الكمال الذي لا يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد أم تعني به أن يكون عادما لما ليس كمالا قبل وجوده أم تعني به معنى ثالثا

فان غنيت الاول فالله عوى باطلة فانه لا يلزم من فضله لفرض حصوله أولى من عدمه أن يكون  
 عادما لشيء من الكمال الواجب قبل حدوث المراد فانه يتمتع أن يكون كالا قبل حصوله وان غنيت  
 الثاني لم يكن عدمه نقصا فان الفرض ليس كالا قبل وجوده وما ليس بكمال في وقت لا يكون عدمه  
 نقصا فيه فاما كان قبل وجوده عدمه أولى من وجوده وبعد وجوده وجوده أولى من عدمه لم يكن  
 عدمه قبل وجوده نقصا ولا وجوده بعد عدمه نقصا بل الكمال عدمه قبل وقت وجوده ووجوده  
 وقت وجوده واذا كان كذلك فالحكم المطلوبة والغايات من هذا النوع وجودها وقت وجودها هو  
 الكمال وعدمها حينئذ نقص وعدمها وقت عدمها كمال وجودها حينئذ نقص وعلى هذا فالثاني هو  
 الذي نسب النقص الى الله لالثبت وان غنيت به أمرا ثالثا فلا بد من يسانه حتى تنظر فيه الجواب  
 الثاني ان قولك يلزم أن يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره أنعم به أن الحكمة التي يجب وجودها  
 انما حصلت له من شيء خارج عنه أم تعني أن تلك الحكمة نفسها غير له وهو مستكمل بها فان غنيت  
 الاول فهو باطل فانه لا رب غيره ولا خالق سواه ولم يستفد سبحانه من غيره كالا بوجه من الوجوه  
 بل العالم كله انما استفاد الكمال الذي فيه منه سبحانه وهو لم يستفد كاله من غيره كما لم يستفد وجوده  
 من غير موافق غنيت الثاني فذلك الحكمة صفته سبحانه وصفاته ليست غيرا له فان حكمته قائمة به وهو  
 الحكيم الذي له الحكمة كما أنه العليم الذي له العلم والسميع الذي له السمع والبصير الذي له البصر  
 لثبوت حكمته لا يستلزم استكماله بغير منفصل عنه كما ان كاله سبحانه بصفاته وهو لم يستفدها من  
 غيره الجواب الثالث انه سبحانه اذا كان انما يفعل لاجل أمر هو أحب اليه من عدمه كان اللازم  
 من ذلك حصول مراده الذي يحبه وفصل لاجله وهذا غاية الكمال وعدمه هو النقص فان من كان  
 قادرا على تحصيل ما يحبه وقوله في الوقت الذي يجب على الوجه الذي يجب فهو الكامل حقا لامن  
 لا محبوب له أوله محبوب لا يقدر على فعله الجواب الرابع أن يقال أنت ذكرت في كتابك أنه لم يتم  
 على نفي النقص عن الله دليل عقلي وأثبت في ذلك الجوابي وغيره وقلم انما ينفي النقص عنه عز وجل  
 بالسمع وهو الاجماع فلم تنفوه عن الله عز وجل بالقول ولا بنص منقول عن الرسول بل بما  
 ذكرتوه من الاجماع وحينئذ فاعلم اني بالاجماع ما انقد الاجماع على فيه والفعل بحكمة لم ينقد  
 الاجماع على فيه فلم يجمع الامة على انتفاء التعليل لافعال الله فاذا سميت أنت ذلك نقصا لم تكن هذه  
 التسمية موجبة لانقضاء الاجماع على فيها فان قلت أهل الاجماع أجمعوا على نفي النقص وهذا نقص  
 قبل ضم لإلزام جمعة على ذلك ولكن الشأن في هذا الوصف المعنى أو نقص فيكون قد أجمعت على فيه  
 فهذا أول المسئلة والقائلون بآبائه ليس هو عندهم نقصا بل هو عين الكمال وفيه عين النقص وحينئذ  
 فنقول في الجواب الخامس ان اثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره وفيه نقص والامة جمعة على  
 انتفاء النقص عن الله بل العلم بانتفائه عن الله تعالى من اعلى العلوم الضرورية المستقرة في فطر الخلق  
 فلو كانت أفعاله معطلة عن الحكم والغايات المحمودة لزم النقص وهو محال ولزوم النقص من انتفاء  
 الحكم أظهر في المقول والفطر والعلوم الضرورية والتخلية من لزوم النقص من اثبات ذلك وحينئذ  
 فنقول في الجواب السادس النقص اما أن يكون جائزا أو ممتعا فان كان جائزا بطل دليلك وان كان  
 ممتعا بطل دليلك أيضا فبطل الدليل على التقديرين الجواب السابع ان النقص منتف عن الله عز

وجل عقلا كما هو متفق عنه سمعا والمقل والمقل يوجب اتصافه بصفات الكمال والقص هو ما  
يضاد صفات الكمال فالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والحياة صفات كمال وأضادها  
نقص فوجب تزجها عنها لثباتها لكمالها وأما حصول ما يحبه الرب تعالى في الوقت الذي يحبه قائما  
يكون كالا اذا حصل على الوجه الذي يحبه فقدمه قبل ذلك ليس قصا اذ كان لا يجب وجوده قبل  
ذلك الجواب الثامن أن يقال الكمال الذي يستحقه سبحانه وتعالى هو الكمال الممكن أو المتعقلاول  
مسلم والثاني باطل قطعا فلم قلت أن وجود الحادث في غير وقته الذي وجد فيه ممكن بل وجود الحادث  
في الازل يتمتع فقدمه لا يكون قصا الجواب التاسع أن عدم المتعق لا يكون كالا فان المتعق ليس  
بشيء في الخارج وما ليس بشيء لا يكون عدمه نقصا فانه ان كان في المقدور ما لا يحدث الاشياء بعد  
شيء كان وجوده في الازل متمما فلا يكون عدمه قصا وانما يكون الكمال وجوده حين يمكن  
وجوده \* الجواب العاشر أن يقال انه تعالى أحدث أشياء بعد أن لم يكن محدثا لها كالحوادث المشهودة  
حتى أن القائلين بكون الفلك قديما عن علة موجبة يقرون بذلك ويقولون أنه لم يحدث الحوادث  
بواسطته وحينئذ فنقول ههنا الاحداث اما أن يكون صفة كمال واما أن لا يكون فان كان صفة كمال  
فقد كان فاقدا لما قبل ذلك وان لم يكن صفة كمال فقد انتقص بالنقص فان قلت نحن نقول بأنه ليس  
صفة كمال ولا نقص قيل فهلا قلتم ذلك في التلليل وأيضا فهذا محال في حق الرب تعالى فان كل ما يغفله  
يستحق عليه الحد وكل ما يقوم من صفاته فهو صفة كمال وضده نقص وقد ينازع النظار في الفاعلية  
هل هي صفة كمال أم لا وجهوه المسلمين من جميع الفرق يقولون هي صفة كمال وقالت طائفة ليست  
صفة كمال ولا نقص وهو قول أكثر الاشعرية فاذا التزم له هذا القول قيل له الجواب من وجهين  
أحدهما ان من المعلوم تصرع المقل أن من يخلق أكمل ممن لا يخلق كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن  
لا يخلق أفلا تذكرون) وهذا استفهام انكار يتضمن الانكار على من سوى بين الامرين يسلم ان  
أحدهما أكمل من الآخر قطعا ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق في الفطر والعقول  
كتفضيل من يسلم على من لا يعلم ومن يقدر على من لا يقدر ومن يسمع وينصر على من لا يسمع  
ولا يصبر ولما كان هذا مستقرا في فطر بني آدم جعله الله تعالى من آله توحده وحججه على عباده  
قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منارزقا حسنا فهو ينفق منه سرا  
وجهرا هل يستويون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر  
على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بغير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على  
صراط مستقيم) وقال تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى (وما يستوي  
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور وما يستوي الاحياء ولا الاموات)  
وقال تعالى (مثل الفريقين كالا عمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) فن  
سوى بين صفة الخالقية وعدمها فلم يجعل وجودها كالا ولا عدمها فقد أبطل حجج الله وأدلة  
توحده وسوى بين ما جعل بينهما أعظم التفاوت وحينئذ فنقول في الجواب الحادي عشر اذا كان  
الامر كما ذكرتم فلم لا يجوز أن يفضل الحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء كما أنه عندكم  
لم يحدث ما يحدثه مع كون الاحداث والخلق وعدمه بالنسبة اليه سواء مع ان هذه ارادة لا تنقل في

الشاهد فقولوا مثل ذلك في الحكمة وأن ذلك لا يمتثل لاسيما والفعل عندكم هو المفعول المنفصل  
 لجوزوا أيضا أن يفضل الحكمة منفصلة وأنتم إنما قلتم ذلك فرارا من قيام الحوادث . ومن التسلسل  
 فكذلك قولوا بتغير ذلك في الحكمة والذي يلزم أولئك فهو نظير ما يلزمكم سواء \* الجواب الثاني  
 عشر أن يقال العقل الصريح يقضى بأن من لا حكمة له فلا غاية يقصدها به أولى بالتقصص ممن يفضل  
 الحكمة كانت معدومة ثم صارت موجودة في الوقت الذي اقتضت حكمته أحداث العقل فيه فكيف  
 يسوغ لماعقل أن يقول فعله للحكمة يستلزم التقصص وفعله للحكمة لا تقصص فيه \* الجواب الثالث عشر  
 أن هؤلاء النفاة يقولون أنه سبحانه يفعل ما يشاء من غير اعتبار حكمة فيجوزون عليه كل ممكن  
 حتى الأمر بالشرك والكذب والظلم والفواحش والتي عن التوحيد والصدق والعدل والعقاب  
 وحينئذ فنقول إذا جازت عليه هذه المرادات وليس في إرادتها نقص وهذا مراد فلا نقص فيه  
 فقولهم من فعل شيء كان ناقصا بدونه قضية كلية ممنوعة العموم وعمومها أولى بالمنع من قول  
 القائل من أكرم أهل الجهل والظلم والفساد وأهان أهل العلم والعدل والبر كان سفها جاثرا وهذا  
 عند النفاة جاثر على الله ولم يكن به سفها جاثرا وكذلك قول القائل من أرسل امامه وعيده فجبر  
 بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وهو قادر على أن يكفهم كان سفها والله قد فعل ذلك ولم يدخل  
 في عموم هذه القضية فكذا القضية الكلية التي ادعوا ثبوتها في محل النزاع أولى أن تكون باطلة  
 منتزعة الجواب الرابع عشر أنه لو سلم لهما أنه مستكمل بأمر حادث لكان هذا من الحوادث المرادات  
 وكل ما هو حادث مراد عندهم فليس بقيح فإن القبيح عندهم ليس بالإخلاقية الإسر والنهي والله  
 ليس فوقه أمر ولا ناه فلا يميزه عندهم عن شيء من الممكنات البتة إلا ما أخبر بأنه لا يكون فاتهم  
 ينزهونه عن كونه مخالفه حكمته والقبيح عندهم هو المتعنى الذي لا يدخل تحت القدرة وما دخل  
 تحت القدرة لم يكن قبيحا ولا مستلزما نقصا عندهم وجماع ذلك بالجواب الخامس عشر أنه ما من  
 محذور يلزم من تجوز فصله لحكمة إلا والمحاذير التي يلزم من كونه يفضل للحكمة أعظم امتناعا  
 فإن كانت تلك المحاذير غير متممة كانت محاذير اثبات الحكمة أولى بعدم الامتناع وإن كانت محاذير  
 اثبات الحكمة متممة فمحاذير نفيها أولى بالامتناع \* الجواب السادس عشر أن فعل الحى العالم الاختيارى  
 لا غاية ولا لغيره يدعو إلى فعله لا يمتثل بل هو من المستمتع ولهذا لا يصدر الأيمن مجنون أو أبله  
 أو زائل العقل فإن الحكمة والملة الغائية هي التي تحمل المريد مريدا فانه إذا علم بمصلحة الفعل وقبضه  
 وغايته انبثت إرادته إليه فأذا لم يعلم في الفعل مصلحة ولا كان له فيه غرض صحيح وإلذاع يدعو  
 إليه فلا يقع منه الأعلى سبيل البتة هذا الذي لا يمتثل العقلاء سواء وحينئذ فنفي الحكمة والملة  
 والناية عن فعل أحكم الحاكمين نفي لفعله الاختيارى في الحقيقة وذلك أنقص التقصص وقد تقدم  
 تقرير ذلك والله التوفيق

فصل قال نفاة الحكمة هب أن الحجة بطلت فلا يلزم من بطلان دليل بطلان الحكم  
 فمن تذكر حجة غيرها فقول لو كان فعله تعالى ممثلا بملة فذلك الملة أن كانت قديمة لزم من  
 قدمها قدم الفعل وهو محال وإن كانت محدثة لفتقر كونه موجدا لتلك الملة إلى علة أخرى وهو  
 محال وهذا معنى قول التائمل علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه قالوا ونحن نقرر هذه الحجة تقريراً

أبسط من هذا فنقول لو كان قوله تعالى الحكمة تلك الحكمة اما قديمة أو محدثة فإن كانت قديمة فلما أن يلزم من قدمها قدم الفعل أو لا يلزم فإن لم يلزم فالقدم والفعل موجود بدونها فالحكمة غير حاصلة من ذلك الفعل لحصوله دونها وما لا يكون الحكمة متوقفة على حصوله لا يكون متوقفا عليها وهو المطلوب وأن كلت الحكمة حادثا بمحدث الفعل فلما أن تقتصر الى فاعل أولا تقتصر الى فاعل فإن لم تقتصر لزم حدوث من غير فاعل وهو محال وأن افترضت الى فاعل فذلك الفاعل إما أن يكون هو الله أو غيره لا يجوز أن يكون غيره لأنه لا خلق إلا الله وإن كان هو الله فلما أن يكون له في نفسه غرض أو لا غرض له فيه فإن كان الأول فالكلام فيه كالكلام في الأول ويلزم التسلسل وإن كان الثاني فقد خلا فله عن الغرض وهو المطلوب فإن قلت فله تلك الغرض لغرض هو نفسه فاخلا عن غرض ولم يلزم التسلسل قلنا فيلزم مثله في كل مفعول مخلوق وهو أن يكون الغرض منه هو نفسه من غير حاجة الى غرض آخر وهو المطلوب فهذه حجة باهرة وأية بالفرس قال أهل الحكمة بل هي حجة داحضة باطلة من وجوه والجواب عنها من وجوه الجواب الأول أن نقول لا يخلو إما أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع أو لا يمكن واحد منهما فإن أمكن أن يكون قديم العين أو النوع أمكن في الحكمة التي يكون الفعل لاجلها أن تكون كذلك وإن لم يمكن أن يكون الفعل قديم العين ولا النوع فيقال إذا كان فعله حادث العين أو النوع كانت الحكمة كذلك فالحكمة يحدى بها حدوث الفعل فاجاز عليه جاز عليها وما امتنع عليه امتنع عليها الجواب الثاني أن من قال أنه خالق لمكون في الازل لما لم يكن بعد قال قولي هذا فنقول من قال هو مرید في الازل لما لم يكن بعد فقولي بقديم كونه فعلا فنقول هؤلاء بقديم كونه مریدا وعلى هذا فيمكن أن أقول بقديم الحكمة التي يخلق ويريد لاجلها ولا يلزم من قدم الحكمة قدم الفعل كالم يلزم من قدم الإرادة قدم المراد وكالم يلزم من قدم صفة التكوين قدم المكون فقولي في قدم الحكمة مع حدوث الفعل التي فعل لاجلها فنقول لكم في قدم الإرادة والتكوين سواء وما لزم من لزمكم مثله وجوابكم هو جوابي بيسه ولا يمتنع ذلك على أصول طائفة من الطوائف لأن من قال من الفلاسفة أن فعله قديم للمفعول المنعني يقول أن الحكمة قديمة ومن قال بمحدث أعيان الفعل ودوام نوعه يقول ذلك في الحكمة سواء ومن قال بمحدث نوع الفعل وقيامه بالرب قال ذلك في الحكمة أيضا كما يقول كثير من النظار فلا يمتنع على أصل طائفة من الطوائف إثبات الحكمة في فعله سبحانه الجواب الثالث قولك يقتصر كونه محدثا لتلك العلة الى علة أخرى ممنوع فإن هذا إنما يلزم أن لو قيل كل حادث فلا بد له من علة ونحن لا نقول هذا بل نقول بفعله لحكمة ومعلوم أن المفعول لاجله مراد للفاعل محبوبه والمراد المحبوب تارة يكون مرادا لنفسه وتارة يكون مرادا لغيره والمراد لغيره لا بد أن ينشئ الى المراد لنفسه قطعا للتسلسل وهذا كما نقوله في خلقه بالاسباب أنه يخلق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا حتى ينشئ الامر الى اسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب فكذلك يخلق الحكمة وتلك الحكمة لحكمة حتى ينشئ الامر الى حكمة لاحكمة فوقها الجواب الرابع ان النفاة يقولون كل مخلوق فهو مراد لنفسه لغيره وحينئذ فلا يمتنع أن يكون بعض المخلوقات مرادا لغيره وينشئ الامر الى مراد لنفسه بل هذا أولى بالجواز من جعل كل مخلوق مرادا لنفسه وكذلك في الامر يكون مرادا لغيره حتى



يتهي الى أمر مراد لنفسه الجواب الخامس أن قال غاية ما ذكرتم أنه يستلزم التسلسل ولكن أي نوعي التسلسل هو اللازم التسلسل المتع أو الجائر فان عتيم الاول منع الزوم وان عتيم الثاني منع انتفاء اللازم فان التسلسل في الآثار المستقبلية ممكن بل واجب وفي الآثار الماضية فيه قولان للناس والتسلسل في الملل والفاعلين محال بإتفاق العقلاء بأن يكون لهذا الفاعل فاعل قبله وكذلك ما قبله الى غير نهاية وأما أن يكون الفاعل الواحد القديم الأبدى لم يزل يفعل ولا يزال فهذا غير مجتمع إذا عرف هذا فالحكمة التي لاجلها يفعل الفعل تكون حاصلة بعده فإذا كان بعدها حكمة أخرى فغاية ذلك أن يلزم حوادث لانهاية لها وهذا جائز بل واجب بإتفاق المسلمين ولم ينزع الا بعض أهل البدع من الجهنية والمترلة فان قيل فيلزم من هذا أن لا تحصل الغاية المطلوبة أبدا قيل بل اللازم أن لا تزال الغاية المطلوبة حاصلة دائما وهذا أمر منقول في الشاهد فان الواحد من الناس يفعل الشيء لحكمة يحصل بها محبوه ثم يلزم من حصول محبوه محبوب آخر يفعل لاجله وهلم جرا حتى لو تصور دوامه أبدا لكانت هذه حاله وكأله فلم تزل محبوباته تحصل شيئا بعد شيء وهذا هو الكمال الذي يريده مع غناه الثام الكامل عن كل ماسواه وفقير ماسواه اليه من جميع الوجود وهل الكمال الا ذلك وفوائده هو النقص وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة والاحسان فرحمته واحسانه من لوازم ذاته فلا يكون الا رحما محسنا وهو سبحانه انما أمر البلاد بما يحبه ورضاه واراد لهم من احسانه ورحمته ما يحبه ورضاه لكن فرق بين ما يريد هو سبحانه أن يخلق ويفعله لما يحصل به من الحكمة التي يحيا فهذا يفعله سبحانه ولا بد من وجوده وبين ما يريد من الابد أن يفعلوه ويأمرهم بفعله ويجب أن يقع منهم ولا يشاء خلقه وتكوينه ففرق بين ما يريد خلقه وما يأمر به ولا يريد خلقه فان الفرق بين ما يريد الفاعل أن يفعله وما يريد من المأمور أن يفعله فرق واضح والله سبحانه له الخلق والأمر فالخلق فعله والأمر قوله ومتعلقه أفعال عبادته وهو سبحانه قد يأمر عبده ويريد من نفسه أن يبين عبده على فعل ما أمره لتحصل حكمته ومحيته من ذلك المأمور به وقد يأمره ولا يريد من نفسه اعانته على فعل المأمور لماله من الحكمة الثابتة في هذا الأمر وهذا الترك يأمره لئلا يكون له عليه حجة ولئلا يقول ماجاني من نذير ولو أمرتني لبادرت الى طاعتك ولم يرد من نفسه اعانته لان عمله غير قابل لهذه النعمة والحكمة التامة تقتضي أن لا توضع النعم عند غير أهلها وان لا تمنع من أهلها قال تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقال (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم) ولا يقال فهلا سوى بين خلقه في جعلهم كلهم أهلًا لذلك فان هذا ممكن له ولأن يقال فهلا سوى بين صورهم وأشكالهم وأعمارهم وازدادتهم ومماشهم وهذا وان كان ممكنا فالذي وقع من التفاوت بينهم هو مقتضى حكمته البالغة وملكته التامة وربوبيته فاقضت حكمته ان سوى بينهم في الأمر وقاوت بينهم في الاعانة عليه كما قاوت بينهم في العلوم والقدر والفني والحسن والفصاحة وغير ذلك والتخصيصات الواقعة في ملكه لا تناقض حكمته بل هي من أدل شيء على كمال حكمته ولولاها لم يظهر فضله ومنه قال تعالى (ولكن الله يحب اليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والميضان) أولئك هم الراشدون (فضلا من الله ونعمة والله عليم بمن يصلح لهذه النعمة حكيم في وضعها عند أهلها ومنعها غير أهلها وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويفقر لكم والله غفور رحيم ثلاث يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرّون على شيء من فضل الله وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتى الله قوم يجهلهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وقالت الرسل لقومهم (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أ هم يقسمون رحمته ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورزقنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية وفي حديث مثل المؤمنين واليهود والنصارى قال تعالى لاهل الكتاب هل ظلمتكم من حاكم من شيء قالوا لا قال فهو فضل يؤتيه من يشاء وقال تعالى (ومن يعط الله والرسول فأتى ذلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك فضل الله وكفى بالله علما) أى يعلم أين يضع فضله ومن يصلح له من لا يصلح بل يمنه غير أهله ولا يفضله عند غير أهله وهذا كثير في القرآن يذكر أن تخصيصه هو فضله ورحمته فلو ساوى بين الخلائق لم يعرف قدر فضله ونعمته ورحمته فهذا بعض ما في تخصيصه من الحكمة وفي كتاب الزهد للإمام أحمد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال أتى أحيت أنا شكر فواضع التحصيل ومواقع الفصل التي قدح بها نفاة الحكمة هي من أدل شيء على كمال حكمته سبحانه ووضع للفضل مواضع وجعل عند أهله الذين هم أحق به وأولى من غيرهم وهو الذي جعلهم كذلك بحكمته وعلوه وعزته وملكه فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ولا يجب بل لا يمكن المشاركة في حكمته بل فاقصص للخلائق كلهم من العلم بها كنفرة عيصور في البحر المحيط وأى قصص في دوام حكمته شيئا بعد شيء كادوم إرادته وكلامه مؤلفاته وأحيائه وجوده وإمامه وهل الكمال إلا في هذا التسلسل فإذا نقر النفاة منه أنقصرهم إن يقال لم يزل ولا يزال حيا عليا قديرا حكيما متكلما محسنا جوادا ملكا موصوفا بكل كمال غنيا عن كل ما سواه لا تنفد كلماته ولا تنهاى حكمته ولا تنجز قدرته ولا يبدى ملكه ولا تقطع إرادته ومشيتته بل لم يزل ولا يزال الخلق والأمم والحكمة والحكم وهل التقصص الأسلب ذلك عنه والله الموفق بفضله وأمانته الجواب السادس إن الرب تبارك وتعالى إذا خلق شيئا فلا بد من وجود لوازمه ولا بد من عدم أضداده فوجود المألوم بدون لازمه محال ووجود الضد مع ضده متع والحال المستع ليس بشيء ولا يصور السفل وجوده في الخارج وإذا كان هذا التسلسل الجائر من لوازم خلقه وحكمته لم يكن في القول محذور بل كان المحذور في فيه توضيحه الجواب السابع أنه لم يعم دليل عقل ولا يسمى على امتناع دوام أفعال الرب في الماضي والمستقبل أصلا وكل أدلة النفاة من أولها إلى آخرها باطلة وقد كفى مؤنة إبطالها الرازي والآمدى في أكثر كتبهما وغيرهما وأما اثبات الحكمة فقد قام على محتمل العقل والسمع والقطرة وسائر أنواع الأدلة مما تقدمت الإشارة إلى بعض

ذلك فكيف يقدح في هذا المعلوم الصحيح بذلك النفي الذي لم يرق على صحته دليل البتة الجواب  
الثامن أن التسلسل إما أن يكون ممكناً أو ممكناً فإن كان ممكناً بطل استدلالكم وأن كان ممكناً أمكن  
أن يقال في دفعه تنهى المرادات إلى مراد لنفسه لا لغيره ويتقطع التسلسل الجواب التاسع أن يقال  
ما المانع أن تكون القاعلية معلقة بعلّة قديمة قولكم يلزم من قدمها قدم المعلول ينتقض عليكم بالإرادة  
فإنها قديمة ولم يلزم من قدمها قدم المراد فإن قلتم الإرادة القديمة تملقت بالمراد الحادث في وقت  
حدوده وانقضت وجوده حينئذ فهذا قلتم أن الحكمة القديمة تملقت بالمراد وقت حدوده كما قلتم في  
الإرادة فإن قلتم شأن الإرادة التخصيص قيل لكم وكذلك الحكمة شأنها تخصيص الشيء بزمانه  
ومكانه وصفته فالتخصيص مصدره الحكمة والإرادة والعلم والقدرة فإن لم يلزم من قدم الحكمة قدم  
العلم لم يلزم من قدم الإرادة قدمه وإن لم يلزم ذلك لم يلزم هذا الجواب العاشر أن يقال لو لم يكن ضله  
لحكمة غاية مطلوبة لم يكن مريداً فإن المرید لا يقل كونه مريداً إلا إذا كان يريد لتعرض وحكمة فإذ  
انتفت الحكمة والفرض انتفت الإرادة ويلزم من انتفاء الإرادة أن يكون موجبا بالذات وهو علة تامة  
في الازل لمعلوله فيلزم أن يقارنه جميع معلوله ولا يتأخر فيلزم من ذلك قدم الحوادث المشهودة وإنما  
لزم ذلك من انتفاء الحكمة والفرض المستلزما لنفي الإرادة المستلزما للإيمان الذاتي المستلزم لقدم  
الحوادث وتقرير هذا وبسطه في غير هذا الموضع

﴿فصل﴾ قال فناء الحكمة جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيئين تحصيل البتة والسرور  
ودفع الآلام والحزن والهم والله سبحانه قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداء من غير شيء من  
الوسائل ومن كان قادراً على تحصيل المطلوب ابتداء بغير واسطة كان توسله إلى تحصيله بالوسائل  
عبثاً وهو على أنه محال قال أصحاب الحكمة عن هذه الشبهة أجوبة الجواب الأول أن يقال لا ريب  
أن الله على كل شيء قدير لكن لا يلزم إذا كان الشيء مقدوراً ممكناً أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده  
يمكن تحصيلها مع عدمه فإن الموقوف على الشيء ينتج حصوله بدونها كما ينتج حصول الابن بكونه ابناً  
بدون الأب فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال والجمع بين الضدين محال ولا يقال فيلزم المعجز  
لأن المحال ليس بشيء فلا يتعلق به القدرة والله على كل شيء قدير فلا يخرج ممكن عن قدرته البتة  
الجواب الثاني أن دعوى كون توسط أحد الأمرين إذا كان شرطاً أو سبباً له عبث. دعوى كاذبة  
باطلة فإن البتة هو الذي لا فائدة فيه وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التي يحدث فيها ما يحدثه  
فليس بعبث توضيحه الجواب الثالث أن حصول الأعراض والصفات التي يحدثها الله سبحانه في  
موادها شروط لحصول تلك المواد ولا يتصور وجودها بدونها فتوسطها أمر ضروري لا بد منه  
فيقلب عليكم دليلكم وتقول هل يقدّر سبحانه على إيجاد تلك الحوادث بدون توسط موادها  
الحاملة لها أو لا يمكن فإن قلتم يمكن ذلك كان توسطها عبثاً وإن قلتم لا يقدر كان تعجباً فإن قلتم هذا  
فرض مستحيل والمحال ليس بشيء قبل صدقكم وهذا جوابنا بعينه الجواب الرابع أن يقال إذا  
كان في خالق تلك الوسائل حكم أخرى تحصل بخلقها للفاعل وفي خلقها مصالح ومنافع لتلك الوسائل  
لم يكن توسطها عبثاً ولم تكن الحكمة حاصلة بدمها كما أنه سبحانه إذا جعل رزق بعض خلقه في  
البخارات مثلاً فاقضى ذلك أن يخلق الصانع إلى من يحتاج فينتفع هؤلاء بالصانع هؤلاء باليمن

كان في ذلك مصلحة هؤلاء وهؤلاء وإذا تأملت الوجود رأيت أنه قائماً بذلك شاهداً على منكرى الحكمة فكيف الله سبحانه في أحداث تلك الوسائط من حكم ومصالح ومنافع لعباد لو بطلت تلك الوسائط لفاتت تلك الحكم والمصالح \* الجواب الخامس قولك يلزم البت وهو على الله محال فيقال إن كان البت عليه محالاً لزم أن لا يفضل ولا يأمر إلا لمصلحة وحكمة فبطل قولك \* بقولك وإن لم يكن البت عليه محالاً بطلت هذه الحجة فيتحقق بطلانها على التقديرين \* الجواب السادس أن يقال ما المانع أن يفعل سبحانه أشياء معلة وأشياء غير معلة بل مرادة لذاتها وإذا جاز هذا جاز أن يقال إن هذه الوسائط غير معلة ولا يمكنك في هذا القسم إلا أن تقول إن شيئاً من أفعاله غير معلة البتة وأنت إنما قيت هذا بأزوم البت في توسط تلك الأمور ولا يلزم من انتفاء التعليل في بعض الأفعال انتفاؤه في الجميع فإنه لا يجب أن يكون كل شيء لعله فانت قيت جواز التعليل غاية هذه الحجة لوحت أن تدل على أنه لا يجب في كل شيء أن يكون لعله فلم يثبت الحكم والدليل وهذا كما يقول الفقهاء مع قولهم بالتعليل إن من الأحكام ما يفيد غير معلة فهذا قلتي في الخلق كقولهم في الأمر وهذا إنما هو بطريق الإلزام والافتقار إن جميع أفعاله وشرعه لها حكم وظايت لاجلها شرع وفعل وإن لم يعلمها الخلق على التفصيل فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها \* الجواب السادس إن غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادراً على تحصيل تلك الحكم بدون تلك الوسائط كما هو قادر على تخصيصها بها وإذا كان الأمران مقدوران له لم يكن المدول عن أحد المقدورين إلى الآخر عبثاً إلا إذا كان المقدور الآخر مساوياً لهذا من كل وجه ولا يمكن عاقلاً أن يقول أن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساو من كل وجه لوجودها وهذا من أعظم البت وأبطل الباطل وهو يتضمن القدح في الحس والمقل والشرع كما هو قدح في الحكمة فإن من جعل وجود الرسل وعدمهم سواء وجود الشمس والقمر والتجوم والمطر والنبات والحيوان وعدمها سواء وجود هذه الوسائط جميعها وعدمها سواء فلم يدع للمكابرة موضعاً \* الجواب السابع قولك جميع الأغراض يرجع حاصلها إلى شيتين تحصيل اللذة ودفع الألم والحزن أتريد به النرض الذي يفعل لاجلها الحيوان أو الحكمة التي يفعل الله سبحانه لاجلها أم تريد به ما هو أعم من ذلك فإن أردت الأول لم تقدم شيئاً وإن أردت الثاني أو الثالث كانت دعوى مجردة لا برهان عليها فإن حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الألم والحزن فإنه تعالى عن ذلك بل ليس كمثل حكمته شيء كما أنه موصوف بالارادة وليست كإرادة الحيوان فإن الحيوان يريد ما يريد له ليجلب له منفعة أو يدفع به عنه مضرة وكذلك غضبه ليس مشابهاً لغضبه خلقه فإن غضب الخلق هو غلبان دم قلبه طلباً للانتقام والله تعالى عن ذلك وكذلك سائر صفاته فكما أنه ليس كمثل شيء في إرادته ورضاه وغضبه وبرحمته وسائر صفاته فهكذا حكمته سبحانه لا تعادل حكمة الخلق بل هي أجل وأعلى من أن يقال أنها تحصيل لذة أو دفع حزن فالخلق لقصص يحتاج أن يفعل ذلك لأن مصالحه لا تتم إلا به والله سبحانه غني بذاته عن كل ما سواه لا يستفيد من خلقه كلاً بل خلقهم يستفيدون كإلههم منه \* الجواب الثامن أن يقال قد دل الوحي مع العقل على أنه سبحانه يحب ويغضب أما الوحي فالقرآن مملوء من ذلك وأما العقل فإنا نلاحظ في العالم من أكرام أوليائه وأهل طاعته وإهانة أعدائه وأهل معصيته شاهد لمحبه هؤلاء ورضاه

عنهم وينفضه لهؤلاء وسخطه عليهم ومعلوم قطعا ان من يجب وينفض أو كمال محبة وينفض وهو قادر على تحصيل محابه فان حكمته فيها يفعل ويتركه أتم حكمة أو كمال فهو يفعل مايفعله لانه يوصل الى محابه ويترك مايرتك لانه لايجبه واذا فعل مايركره لم يقتله الا لانقضائه الى مايجب وان كان مكروها في نفسه فان أردت بالذرة والسرور والهم والحزن الحب والبغض فارب تعالى يجب وينفض لم يازم من كونه يفعل لحكمة ان يتصف بذلك \* الجواب التاسع أنه سبحانه اذا كان قادرا على تحصيل ذلك بدون الوسائط وهو قادر على تحصيلها كان فعل التوعين أو كمال وأبلغ في القدرة وأعظم في ملكه وربوبيته من كونه لايفعل الا باحد التوعين والرب تعالى يتنوع أفعاله لكمال قدرته وحكمته وربوبيته فهو سبحانه قادر على تحصيل تلك الحكمة بواسطة احداث مخلوق منفصل وبدون احداثه بل بما يقوم به من أفعاله اللازمة وكلماته وتثاته على نفسه وحمده لنفسه فمحبوه يحصل بهذا وهذا وذلك أو كمال من لا يحصل محبوه الا باحد التوعين \* الجواب العاشر أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله فلا بد من ظهور آثارها في العالم فانه محسن ويستحيل وجود الاحسان بدون من يحسن اليه وزراق فلا بد من وجود من يرزقه وغفار وحليم وجواد ولطيف بعباده ومنان ووهاب وقابض وباسط وخافض ورافع ومعز ومذل وهذه الاسماء تقتضى متعلقات تتعلق بها وآثارا تتحقق بها فلم يكن بد من وجود متعلقاتها والا تعطلت تلك الاوصاف وبطلت تلك الاسماء فتوسط تلك الآثار لابد منه في تحقق معاني تلك الاسماء والصفات فكيف يقال أنه عبث لا فائدة فيه والله التوفيق

﴿ فصل ﴾ قال تارة الحكمة لو وجب أن يكون خلقه وأمره معللا بالحكمة وغرض لكان خلق الله العالم في وقت معين دون ما قبله ودون ما بعده معللا برعاية غرض ومصلحة ثم تلك المصلحة والنقض اما أن يقال كان حاصلها قبل ذلك الوقت أو لم يكن حاصلها قبله فان كان المأجله أوجد الله العالم في ذلك الوقت حاصلها قبل أن أوجده فيلزم أن يقال أنه كان موجدا له قبل أن لم يكن موجدا له وذلك محال وان قلنا ان ذلك الفرض والمصلحة لم يكن حاصلها قبل ذلك الوقت وانما حدث في ذلك الوقت فنقول حصول ذلك الفرض في ذلك الوقت اما أن يكون مقترا الى المحدث أو لا يفتر فان لم يفتر فقد حدث الشيء لاجن موجد ومحدث وهو محال وان استقر الى محدث فان افتر فخصص احداث ذلك الفرض بذلك الوقت الى غرض آخر عاد التقسيم الاول فيه ولزم التسلسل وان لم يفتر الى رعاية غرض آخر فحينئذ تكون موجبة الله سبحانه وخالفته غنية عن الاغراض والمصالح وهذا هو المطلوب قالوا وهذه الحجة كما أنها قائمة في اختصاص العالم بذلك الوقت المعين فهي قائمة في اختصاص كل حادث من الحوادث بوقته المعين وملخصها ان احداث الحادث في وقته ان كان لفرض فان كان ذلك الفرض حاصلها قبله لزم حدوثه قبل حدوثه والا افتر الى الاحداث فاحداثه ان كان لفرض تسلسل والا ثبت المطلوب قال أهل الحكمة هذه الحجة بيننا مذكورة في ضمن الحجة الثانية التي تقدمت وكانكم بعجبكم التشيع بكرة الباطل وجميع ماأجبناكم به هناك فهو الجواب ههنا بعبته فباية هذا أنه تسلسل في الآثار لافي المؤثرات وتسلسل في الحوادث المستقلة وذلك جائز بل واجب باتفاق المسلمين سوى قول جهم والملاف وغاية الامر أن يكون في الحوادث

ما يراد لنفسه وفيها ما يراد لغيره والحكمة المطلوبة لنفسها لا تقتصر الى أخرى تراد لاجلها وان هذا الدليل لو صحت مقدماته وهيات قائما يدل على ان أفعاله تعالى لا يجب تعليلها ولا يلزم من ذلك أن لا يجوز تعليلها ففي الوجوب شيء وفي الجواز شيء فهب أنا سلمنا الاول فابن دليل الثاني وغايتها أنها تدل على عدم تعليل بعض الحوادث لاعلى عدم تعليل جميعها وبالجملة فما تقدم هناك مغزاها عن الاطالة في الاجوبة وسر المسئلة ان دوام فاعليته في المستقبل متفق عليه والسلف على دوامها في الماضي وانما خالف في ذلك كثير من أهل الكلام

(فصل) قال نقاة الحكمة قد قام الدليل على أنه سبحانه خالق كل شيء فأي حكمة أو مصلحة في خلق الكفر والفسوق والمصيان وأي حكمة في خلق من علم أنه يكفر ويفسق ويظلم ويفسد الدنيا والدين وأي حكمة في خلق كثير من الجمادات التي وجودها وعدها سواء وكذلك كثير من الاشجار والنبات والمعادن المغطاة والحيوانات المهمة بل العادية المؤذية وأي حكمة في خلق السموم والاشياء المضرة وأي حكمة في خلق ابليس والشياطين وان كان في خلقهم حكمة فأي حكمة في قيامه الى آخر الدهر وامانة الرسل والانبيا وأي حكمة في اخراج آدم فحواه من الجنة وتريض القرية لهذا البلاء العظيم وقد أمكن أن يكونوا في أعظم العافية وأي حكمة في ايلام الحيوانات وان كان في ايلام المكلفين منها حكمة فما الحكمة في ايلام غير المكلف كالبهايم والاطفال والمجانين وأي حكمة له في خلقه خلقا يمتدحهم بأنواع المذاب الدائم الذي لا يتقطع وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء المذاب قتلا وأسرًا وعقوبة واستعباد وأي حكمة في تكليف الثقلين وتقرضهم بالتكليف لأنواع المشاق والمذاب قالوا ونحن والقلاء نعلم علما ضروريا ان خلود أهل النار فيها فعل الله ونعلم ضرورة أنه لا فائدة في ذلك تعود اليه ولا الى المذنبين ولا الى غيرهم قالوا وكيفنا في ذلك مناظرة الاشمرى لابن هاشم ٣ الجبائي حين سأله عن ثلاثة اخوة مات أحدهم مسلما قبل البلوغ وبلغ الآخران فمات أحدهما مسلما والآخر كافرا فاجتمعوا عند رب المالمين فبلغ المسلم البالغ المرتبة العالية بعمله واسلامه فقال أخوه يارب هلا رفتني الى منزلة أخي المسلم فقال أنه عمل أعمالا لم تعملها فقال يارب فهلا أحييتني حتى أعمل مثل عمله قال علمت ان موتك صغيرا خير لك اذ لو بائت لكفرت فصاح الاخ الثالث من اطباق الجحيم وقال يارب فهلا أمتني صغيرا قبل البلوغ كما فعلت بأخي فاجابوا قال فاقطع الشيخ ولم يذكر جوابا قال نقاة الحكمة وهذا قاطع في المسئلة لا غبار عليه وقال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) وقال (لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا يسل عما يفعل) فرد الامر الى محض مشيئته وأخير ان صدور الاشياء كلها عنها وقالوا وأصل ضلال الخلق هو طلب تعليل أفعال الرب كما قال شيخ الاسلام في تائيته

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة \* هو الخوض في فعل آلاله بعله

فانهم لما طلبوا علة أفعاله فاعجزهم العلم بها فافترقوا بعد ذلك فطائفة ردت الامر الى الطبيعة والافلاك التزمت مكابرة الحس والمقل وقالوا ان خلود أهل النار في النار أنفع لهم وأصلح

٣ الذي في كتب الكلام ان المناظرة كانت بين أبي الحسن وشيخه أبي علي الجبائي

من كونهم في الجنة وان اجاء ابليس بفوى الخلق ويضلهم أضع لهم من إمامته وان امانة الإتياء أصلح للامم من إجتاههم بينهم وان تمذيب الاطفال خير لهم من رحمتهم الى غير ذلك من المحالات التي قادهم اليها الخوض في تمليل أفعال من لا يستل عما يفعل فلذلك قلنا ان الصواب القول بعدم التليل وتخلصنا من الجبائل والاشراك التي وقعت فيها قال أهل الحكمة ليست هذه الاسئلة والاعتراضات التي قد جثم بها في حكمة أحكم الحاكمين بأفوى من الاسئلة والاعتراضات التي قدح بها أهل الالحاد في وجوده سبحانه وقد أقاموا أربعين شبهة تنفي وجوده وكذلك اعتراضات المكذبين لرسله وقد حكيم أتم عنهم ثمانين اعتراضا وكذلك الاعتراضات التي قدح بها المعتلة في اثبات صفات كماله قد علمت شأنها وكبرها وكذلك الاعتراضات التي نفى بها الجهمية علوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لبياده وقد علمت الاعتراضات التي اعترض بها أهل الفلسفة على كونه خالقا للعالم في ستة أيام وعلى كونه قيم الناس من قبورهم ويعتبرهم الى دار السعادة أو الشقاء ويبدل هذا العالم ويأتي بغيره واعتراضات هؤلاء وأسألهم أضعاف اعتراضات نفاة الحكمة وغايات أفعالهم المقصودة وكذلك اعتراضات نفاة القدر وأسألهم الى غير ذلك وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حق جاحدا ولكل صواب معاندا كما أقام لكل نعمة حاسدا ولكل شر رائدا وهذا من تمام حكمته الباهرة وقدرته القاهرة ليس عليه كلمته وينفذ فيه مشيئته ويظهر فيه حكمته ويقضى بينهم بحكمته ويفاضل بينهم بعلمه ويظهر فيه آثار صفاته العليا وأسماؤه الحسنى ويتبين لاوليائه وأعدائه يوم القيامة أنه لم يخلل لحكمته ولم يخلق خلقه عبثا ولا يتركهم سدا وأنه لم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا وان له الحمد التام الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه وعلى ما أمر به ونهى عنه وعلى ثوابه وعقابه وأنه يرضع من ذلك شيئا لا في محله الذي لا يليق به سواء قال تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يمت الله من يهودى بل وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الذين لا يعلمون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) وإذا تبين لاهل الموقف وقذف فيهم قضاؤه الفصل وحكمه العدل نطق الكون أجمعه بحمده كما قال تعالى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) وجواب هذه الاسئلة من وجوه أحداها أن الحكمة انما تتعلق بالحدوث والوجود والكفر والشروع وأنواع المعاصي راجعة الى مخالفة نهي الله ورسوله وترك ما أمر به وليس ذلك من متعلق الابداد في شيء ونحن انما التزمنا ان ما فعله الله وأوجده فله فيه حكمة وغاية مطلوبة وأما ما تركه سبحانه فلم يفعله فانه وان كان انما تركه لحكمة في ذلك فلم يدخل في كلامنا فلا يرد علينا وقد قيل ان الشر ليس اليه بوجه فانه عدم الخير وأسبابه والمعدم ليس بشيء كاسمه فاذا قلنا ان أفعال الرب تعالى واقعة بحكمة وغاية محمودة لم يرد علينا تركه بوضعه الجواب الثاني وهو انه سبحانه قد يترك ما لو خلقه لكان في خلقه له حكمة فيترك لعدم محبته لوجوده أو لكون وجوده يضاد ما هو أحب أو لاستلزام وجوده فوات محبوب له آخر وعلى هذا فتكون حكمته في عدم خلقه أرجح من حكمته في خلقه والجمع بين الضدين مستحيل فرجح سبحانه أعلى الحكمتين بتقويت أدناهما وهذا غاية الحكمة تخلفه وأمره مبنى على تحصيل المصالح الخاصة أو الراجحة بتقويت المرجوحة التي لا يمكن الجمع بينها وبين تلك الراجحة وعلى دفع المفاسد

الخالصة والراجحة وان وجدت المفسد المروجحة التي لا يمكن الجمع بين عدمها وعدم تلك الراجحة وخلاف هذا هو خلاف الحكمة والصواب الجواب الثالث أن يقال غاية ذلك انتفاء الحكمة في هذا النوع من المقصودات قياز من ذلك انتفاؤها في جميع خلقه وحكمه فبأن هذا النوع لاحكمة فيه فمن أين يستلزم ذلك نفي الحكمة والفرض في كل شيء كيف وفيه من الحكم والغايات المحمودة ما هو معلوم لاهل البصائر الراسخين في العلم كما سنبيه على ذلك منه ان شاء الله \* الجواب الرابع انما لم ندع حكمة يجب أو يمكن اطلاق الخلق على تفصيلها فان حكمة الله أعظم وأجل من ذلك فالمانع من احتمال ما ذكرتم من الصور وغيرها على الحكم حجة ينفردها الله بخلقها كما قال للملائكة وقد سألوه عن ذلك اني أعلم ما لا تعلمون فمن يقول بلزوم الحكمة لأفعاله وأحكامه مطلقا لا يوجب مشاركة خلقه في العلم بها \* الجواب الخامس ان الله سبحانه ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وله في جميع ما ذكرتم وغيره حكمة ليست من جنس الحكمة التي للمخلوقين كما كان فعله ليس مما لا فلهم ولا قدرته وإرادته ومشيئته ومحبته ورضاه ورضه مما لا صفات المخلوقين \* الجواب السادس ان الحكمة تابعة للعلم والقدرة فمن كان أعلم وأقدر كانت أفعاله أحكم وأكل والرب منفرد بكمال العلم والقدرة فحكمته بحسب علمه وقدرته كما تقدم تقريره فحكمته متعلقة بكل ما يتعلق بعلمه وقدرته \* الجواب السابع ان الأدلة القاطعة قد قامت على أنه حكيم في أفعاله وأحكامه فيجب القول بموجها وعدم العلم بحكمته في الصور المذكورة لا يكون مسوغا لخالفه تلك الأدلة القاطعة لأسباب وعدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه \* الجواب الثامن ان كماله المقدس يمنع خلو هذه الصور التي تقسم عن الحكمة وكاله أيضا يأتي اطلاق خلقه على جميع حكمته فحكمته تمنع اطلاق خلقه على جميع حكمته بل الواحد منا لو اطلع غيره على جميع شأنه وأمره عد سفاها جاهلا وشأن الرب أعظم من أن يطلع كل واحد من خلقه على تفاصيل حكمته \* الجواب التاسع انكم امان أن تعرفوا بان له حكمة في شيء من خلقه وأمره وأوتكروا أن يكون له في شيء من خلقه وأمره حكمة فإن أنكرتم ذلك وما هو من الظالمين بيمينكم كذبتم جميع كتب الله ورسله والقل والفطرة والحس وكذبتم عقولكم قبل تكذيب العقلاء فان جحد حكمة الله الباهرة في خلقه وأمره بمنزلة جحد الشمس والقمر والليل والنهار وغير مستكر لكثير من الطوائف أهل الكلام المكابرة في جحد الضروريات وان أقرتم بحكمته في بعض خلقه وأمره قيل لكم فأي الأمرين أولى به وجود تلك الحكمة أم عدمها فان قلتم عدمها أولى من وجودها كان هذا غاية الكذب والبهت والمحال وان قلتم وجودها أكمل قيل فهل هو قادر على تخصيصها في جميع خلقه وأحكامه أم غير قادر فان قلتم غير قادر جنتم بالعظيمة في العقل والدين واسلختم من عقولكم وأذهانكم وان قلتم بل هو قادر على ذلك قيل فاذا كان قادرا على شيء وهو كمال في نفسه ووجوده خير من عدمه وهو أولى به فكيف يجوز نفيه عنه فان قلتم انما نفيه لاننا نطلع على حقيقته قيل صدقتم والله سائلكم في جميع ما تفنونه عن الله انما مستدكم في نفيه عدم الاطلاع على حقيقته ولم تكتفوا بقبول قول الرسل فصرتم الى النفي \* الجواب العاشر ان العقلاء قاطبة متفقون على ان الفاعل اذا فعل أفعالا ظهرت فيها حكمته ووقفت على أثر الوجوه ووقوفها للمصالح المقصودة بها ثم اذا رأوا أفعاله قد تكرر كذلك ثم جاءهم من أفعاله ما لا يعلمون وجه حكمته فيه لم يسعهم غير التسليم



لما عرفوا من حكمته واستقر في عقولهم منها وردوا منها ما جهلوه الى حكم ما علموه هكذا نجد أرباب كل صناعة مع استاذهم حتى ان النفاة يسلكون هذا المسلك بينه مع انهم وشيوخهم فلذا جاءهم اشكال على قواعد انهم ومناهم قالوا هم أعلم منا وهم فوقنا في كل علم ومعرفة وحكمة ونحن معهم كالصبي مع معلمه وأستاذهم فهلا سلكوا هذا السبيل مع ربهم وخالقهم الذي يهتد بحكمته العقول وكان نسبتها الى حكمته أولى من نسبة عين الحفاش الى جرم الشمس ولو أن العالم الفاضل المبرز في علوم كثيرة أعرض على من لا يشاركه في صنفته ولا هو من أهلها وقده في أوضاعها لخرج عن موجب العقل والعلم وعد ذلك قصا وسفها فكيف بأحكم الحاكمين وأعلم العالمين وأقدر القادرين \* الجواب الحادي عشر ان الحكمة انما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والعلو والسفل والطيب والحديث والحفيف والثقيل والحلو والمر والبرد والالام والذلة والحياة والموت والناء والدواء خلق هذه المتقابلات هو محل ظهور الحكمة الباهرة ومحل ظهور القدرة القاهرة والمشية النافذة والملك الكامل التام فتوهم تمطيل خلق هذه المتضادات تمطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها وذلك عين المحال فان لكل صفة من الصفات العلياحكاما ومقتضيات وآثارا هو مظهر كمالها وان كانت كاملة في نفسها لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها فلا يجوز تمطيلها فان صفة القادر تستدعي مقدورا وصفة الخالق تستدعي مخلوقا وصفة الوهاب الرزاق المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر المنز المذل الضو الرؤف تستدعي آثارها وأحكامها فلو عطلت تلك الصفات عن المخلوق المرزوق المقصور له المرحوم المغفور عنه لم يظهر كمالها وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها فلو كان الخلق كلهم مطيعون عابدون حامدون لتسلل أثر كثير من الصفات العلى والاسماء الحسنى وكيف كان يظهر أثر صفة الغفو والمفطرة والصفح والتجاوز والانتقام والزوال والقهر والعدل والحكمة التي تنزل الاشياء منازلها وتضعها مواضعها فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة لفاتت الحكم والآيت والعبر والنفائات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه وفات كمال الملك والتصرف فان الملك اذا اقصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته قاما أن يكون عاجزا عن غيره فتركه عجزا أو جهلا بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلا وأما أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين فتصرفه في مملكته لا يثبت على مقدور واحد لان ذلك نقص في ملكه فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع والحفظ والرفع والثواب والعقاب والاکرام والاهانة والاعزاز والاذلال والتقديم والتأخير والضرب والشفع وتخصيص هذا على هذا وإثارة هذا على هذا ولو فعل هذا كله بنوع واحد ميثال الافراد لكان ذلك منافيا لحكمته وحكمته تأباه كل الابهاء فانه لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين مختلفين وقد عاب على من يفعل ذلك وأنكر على من نسيه اليه والقرآن مملوء من عيبه على من يفعل ذلك فكيف يجمل له السيد مايكرهون ويضربون له مثل السوء وقد فطرا لاه عباده على انكار ذلك من بعضهم على بعض وطمعن على من يشفعه وكيف ييب الرب سبحانه من عباده شيئا ويتصف به وهو سبحانه انما عابه لانه نقص فهو أولى أن يتزه عنه واذا كان لا بد من ظهور آثار الاسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها الا في المتقابلات والمتضادات لم يكن في الحكمة بدمس إيجادها اذ لو فقدت لتعطلت الاحكام تلك الصفات وهو محال بوضحه الوجه الثاني عشر ان من أسهاته الاسماء المزوجة

كلما من المذل والخافض الرافع والقابض الباسط والمعطى المانع ومن صفاته الصفات المتقابلة كالرضا والسخط والحلب والبض والغو والاتقام وهذه صفات كمال واللم تصف بها ولم يتسم باسمها وإذا كانت صفات كمال قايما أن يتصل مقتضاها وموجبها وذلك يستلزم تعطيلها في أنفسها وأما أن تتلق بغير عملها الذي يليق بأحكامها وذلك قص وعيب يتعالى عنه فتعين لتعلقها بمجالها التي تليق بها وهذا وحده كاف في الجواب لمن كان له فقه في باب الاسماء والصفات ولا غيره يغيره بوضعه الوجه الثالث عشر ان من أسمائه الملك ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال اذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا ارادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل احتياري يقوم به وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطى ولا يمنع ولا ينفذ ويهيئ ويكرم وينعم ويتعجب ويغضب ويرفع ويرسل الرسل الى أنظار مملكته ويتقدم الى عبيده بأوامره ونواهيه فأى ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك وهذا بين ان المعطلين لاسمائه وصفاته جعلوا محالين أكل منه وأتعب أحدهم أن يقال في أميره وملكه ما يقوله هو في ربه فصفة ملكية الحق مستلزمة لوجوده لا يتم التصرف الا به والكل منه سبحانه فلم يتوقف كمال ملكه على غيره فان كل ماسواه مسند اليه متوقف في وجوده على مشيئته وحلقه بوضعه الوجه الرابع عشر ان كمال ملكه بأن يكون مقارنا بمجده فله الملك وله الحمد والتاس في هذا المقام ثلاث فرق فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الاسماء والصفات وزهه عن التفاني ومشابهة المخلوقات وبوحشك في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة الذين لم يتجزوا الى محلة ولا مقالة ولا متبوع من أهل الكلام الفرقة الثانية الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد وهم الجبرية فآفة الحكمة والتسليم القائلين بأنه يجوز عليه كل ممكن ولا يزه عن فعل قبيح بل كل ممكن فانه لا يقيح منه وإنما التيسر المستحيل لذاته كالجمل بين التقيضين فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأنيابته ورساله وأهل طاعته واكرام ابلis وجنوده وجعلهم فوق أوليائه في التعم المقيم أبدا ولا سبيل لنا الى السلم باستحالة ذلك الا من نفى الخلف في خبره فقط فيجوز أن يأمر بمشيئته ومشئة أنبيائه والسجود للانصاف والكذب والقبح وسفك نهب الاموال ونهى عن البر والصدق والاحسان والمغاف ولا فرق في نفس الامر بين ما أمر به ونهى عنه الا التحكم بمحض المشيئة وأنه أمر بهذا ونهى عن هذا من غير أن يكون فيما أمر به صفة حسن تقتضى محبة والامر به ولا فيما نهى عنه صفة قبح تقتضى كراهته والنهى عنه فهو لا عطلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكا بلا حد مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكا فاتهم جملة معطلا في الازل والابد لا يقوم به فعل البتة وكثير منهم عطلوا عن صفات الكمال التي لا يتحقق كونه ملكا ورعا وإلها الا بها فلا ملك أثبتوا ولا حد للفرقة الثالثة أثبتوا له نوعا من الحمد وعطلوا كمال ملكه وهم القدرية الذين أثبتوا نوعا من الحكمة وقروا لاجلها كمال قدرته خافظوا على نوع من الحمد عطلوا له كمال الملك وفي الحقيقة لم يثبتوا له هذا ولا هذا فان الحكمة التي أثبتوها جعلوها راجعة الى المخلوق لا يعود اليه سبحانه حكمها والملك الذي أثبتوه قاتهم في الحقيقة انما قروا فيه لنفى قيام الصفات التي لا يكون ملكا حقا الا بها ونفى قيام الافعال

الاجتبارية فلم يبق به عندهم وصف ولا فعل ولا له ارادة ولا كلام ولا سمع ولا بصر ولا فعل ولا له حب ولا بغض معطل عن حقيقة الملك والحمد والمقصود ان عموم ملكه يستلزم اثبات القدر وان لا يكون في ملكه شيء بغير مشيئة فاعلة أكبر من ذلك وأجل وعموم حمده يستلزم أن لا يكون في خلقه وأمره مالا حكمة فيه ولا غاية محودة بفعل لاجلها وأمر لاجلها فاعلة أكبر وأجل من ذلك يوضحه الوجه الخامس عشر ان مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لاجلها لا يكون متعلقا للحمد فلا يحمده عليه حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها لم يستحق الحمد عليها كما تقدم تقريره بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محودة وهو عاجز عن تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لا يفضل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الاحسان هذا المستتر في فطر الخلق والرب سبحانه حمده قد ملأ السموات والارض وما بينهما وما بعد ذلك فلا العالم العلوي والسفلي والدنيا والآخرة ووسع حمده ما وسع علمه فله الحمد التام على جميع خلقه ولا حكم يحكم الا بحمده ولا قامت السموات والارض الا بحمده ولا يتحول شيء في العالم العلوي والسفلي من حال الى حال الا بحمده ولا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار الا بحمده كما قال الحسن رحمة الله عليه لقد دخل أهل النار النار وان حمده لفي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلا وهو سبحانه انما أنزل الكتاب بحمده وأرسل الرسل بحمده وأمات خلقه بحمده وبحيثهم بحمده ولهذا حمد نفسه على ربه وبهية الشاملة لذلك كله فالحمد لله رب العالمين وحمد نفسه على انزال كتابه الذي أنزل على عبده الكتاب وحمد نفسه على خلق السموات والارض الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وحمد نفسه على كمال ملكه الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير فحمد ملأ الزمان والمكان والاعيان وعمم الاقوال كلها ف سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وكيف لا يحمده على خلقه كله وهو الذي أحسن كل شيء خلقه وعلى صنعه وقد أثنى صنع الله الذي أقن كل شيء وعلى أمره وكله حكمة ورحمة وعدل ومصلحة وعلى نهيته وكل ما نهى عنه شر وفساد وعلى ثوابه وكله رحمة واحسان وعلى عقابه وكله عدل وحق فله الحمد كله وله الملك كله ويده الخير كله واليه يرجع الامر كله والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمدا وإذا عدم الحكمة ولم يقصده بفعله وأمره عدم الحمد الوجه السادس عشر أنه سبحانه يجب أن يشكر وأن يشكر عتقا وشرعا وفطرة فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته وذكر آلائه واحسانه وتنظيمه وتكثيره والخضوع له والتحدث بتمته والاقوار بها بجميع طرق الوجوب فالشكر أحب شيء إليه وأعظم ثوابا وأنه خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وذلك يستلزم خلق الاسباب التي يكون الشكر بها أكل ومن جعلها ان قاوت بين عبادته في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم واختلافهم وأديلتهم وأرزاقهم ومعانيهم وأجلهم فانذا رأى المعاني المبني والنفى الفقير والمؤمن الكافر عظم شكره لله وعرف قدر نعمته عليه وما خصه به وفضله على غيره فازداد شكرا وخضوعا واعترافا بنعمته هو في أثر ذكره الامام أحمد في الزهد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال اني أحببت أن أشكر فان قيل فقد كان

من الممكن أن يسوى بينهم في النعم ويسوى بينهم في الشكر كما فعل باللائكة قيل لو فعل ذلك لكان الحاصل من الشكر نوع آخر غير النوع الحاصل منه على هذا الوجه والشكر الواقع على الفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره ولهذا كان شكر الملائكة وضوعهم وذلم لعظمتهم وجلاله بعد أن شاهدوا من ابليس ماجرى له ومن هاروت وماروت ما شاهدوه أعلى وأكمل مما كان قبله وهذه حكمة الرب ولهذا كان شكر الأبياء وأتباعهم بعد أن عاينوا هلاك أعدائهم وانتقام الرب منهم وما أنزل بهم من بأسه أعلى وأكمل وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة وهم يشاهدون أعداءه المكذبين لرسله المشركين به في ذلك العذاب فلا ريب أن شكرهم حينئذ ورضاهم وعجبهم لربهم أكمل وأعظم مما لو قدر اشتراك جميع الخلق في النعم فالجنة الحاصلة من أوليائه له والرضا والشكروهم يشاهدون بين جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم \* فالصديق حسنه الصديق \* وبضدها تبين الأشياء \* ولولا خلق التسبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن ولولا خلق الظلام لما عرفت فضيلة النور ولولا خلق أنواع البلاء لما عرفت قدر العافية ولولا الجحيم لما عرفت قدر الجنة ولو جعل الله سبحانه الهار سمرمدا لما عرف قدره ولو جعل الليل سمرمدا لما عرف قدره. وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء وأعرفهم بقدر الفقر من قاسى مرار الفقر والحاجة ولو كان الناس كلهم على صورة واحدة من الجمال لما عرف قدر الجمال وكذلك لو كانوا كلهم مؤمنين لما عرف قدر الإيمان والنعمة به فتبارك من له في خلقه وأمره الحكيم البالغ والنعم السوابغ يوضحه الوجه السابع عشر أنه سبحانه يجب أن يبدى بأنواع العبودية ومن أعلاها وأجها عبودية الموالاة فيه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه والجهاد فيه وسيله وبذل مبيع النفوس في مرضاته ومعارضة أعدائه وهذا النوع هو ذروة ستام العبودية وأعلى مراتبها وهو أحب أنواعها إليه وهو موقوف على نال يحصل بدونه من خلق الارواح التي تواليه وتشكره وتؤمن به والارواح الملقى تصاديه وتكفر به ويسلط بعضها على بعض لتحصل بذلك محابه على أتم الوجوه وتقرب أوليائه إليه لجهاد أعدائه ومعارضتهم فيه واذلالهم وكبتهم ومخالفة سيدهم فتعلو كلمته ودعوته على كلمة الباطل ودعوته ويتبين بذلك شرف علوها وظهورها ولو لم يكن للباطل والكفر والشرك وجود فقل أى شئ كانت كلمته ودعوته تملى فإن العلو أمر لئى يستلزم غالبا ما يلى عليه وعلو الشئ على نفسه محال والوقوف على الشئ لا يحصل بدونه يوضحه الوجه الثامن عشر أن من عبوديته التقى والصدقة والايثار والمواسة والعفو والصفح والصبر وكظم النغيظ واحتيال المكارة ونحو ذلك مما لا يتم الا بوجود متملقه وأسبابه فلو لا لم تحصل عبودية التقى فالرق من أثر الكفر ولولا الظلم والاساءة والعدوان لم تحصل عبودية الصبر والمغفرة وكظم النغيظ ولولا الفقر والحاجة لم تحصل عبودية الصدقة والايثار والمواسة فلو سوى بين خلقه جميعهم لتعملت هذه البوديات التي هي أحب شئ إليه ولاجلها خلق الجن والانس ولاجلها شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل فخلق الدنيا والآخرة وكان ذلك من صفات كماله فلو لم يقدر الاسباب التي يحصل بها ذلك لثاب هذا الكمال وتعملت أحكام تلك الصفات كما مر توضيحه الوجه التاسع عشر أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده اذا تاب إليه أعظم فرح يقدر أو يخضر بال أو يدور في خلد وحصول هذا الفرح موقوف على التوبة الموقوفة على وجود ما يتاب منه

وما يتوقف عليه الشيء لا يوجد بدونه فإن وجود الملزوم بدون لازمه محال ولا ريب أن وجود الفرح أكمل من عدمه فمن تمام الحكمة تقدير أسبابه ولو أزمه وقد نه أعلم الخلق بالله على هذا المعنى بعينه حيث يقول في الحديث الصحيح لو لم يذنبوا لذهب الله بكم ولجاء قوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي فلن يبتغى وعلى من يتوب وعن يفر ويسقط حقه ويظهر فضله وجوده وحمله وكرمه وهو واسع المغفرة فكيف يعطل هذه الصفة أم كيف يتحقق بدون ما يبتغى ومن يبتغى له ومن يتوب وما يتاب عنه فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والتحالفات إلا هذا وحده لكفى به حكمة وغاية محمودة فكيف والحكم والمصالح والغايات المحمودة التي في ضمن هذا التقدير فوق ما يخاطر بالبال وكان بعض السباد يدعو في طوافه اللهم اعصمني من المعاصي ويكرر ذلك فقيل له في المنام أنت سألتي العصمة وعبادي يسألوني العصمة فإذا عصمتكم من الذنوب فلن أغفر وعلى من أتوب وعن أغفر ولو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخلق عليه يوضحه الوجه العشرون أنه قد يترتب على خلق من يكفر به ويشرك به ويعاديه من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدون ذلك فلو لا كفر قوم نوح لما ظهرت آية الطوفان وبقيت يتحدث بها الناس على مر الزمان ولو لا كفر عاد لما ظهرت آية الريح العقيم التي دمرت مامرت عليه ولو لا كفر قوم صالح لما ظهرت آية اهلاكهم بالصيحة ولو لا كفر فرعون لما ظهرت تلك الآيات والعجائب يتحدث بها الامم أمة بعد أمة واهتدى من شاء الله فهلك بها من هلك عن بينة وحى بها من حى عن بينة وتظهر بها فضل الله وعدله وحكمته وآيات رسله وصدقهم فعارضه الرسل وكسر حججهم ودحضها والجواب عنها واهلاك الله لهم من أعظم أدلة صدقهم وبراهينه ولو لا يحيى المشركين بالحد والحديد والمدد والشوكة يوم بدر لما حصلت تلك الآية العظيمة التي يترتب عليها من الايمان والهدى والخير ما لم يكن حاصلًا مع عدمها وقد بينا أن الموقوف على الشيء لا يوجد بدونه ووجود الملزوم بدون لازمه ممنوع فله كم عمرت قصة بدر من ربيع أصبح أهلاً بالايمان وقد فتحت لاولى النبي من باب وصلوا منه الى الهدى والايقان وكم حصل بها من محبوب للرحمن وغيف للشیطان وتلك المفسدة التي حصلت في ضمنها للكفار مغمورة جدا بالنسبة الى مصالحها وحكمها وهي كفسدة المطر اذا قطع المسافر ويل الثياب وخرب بعض السيوف بالنسبة الى مصلحة العامة وتأمل ما حصل بالطوفان وغرق آل فرعون للامم من الهدى والايمان الذي غمر مفسدة من هلك به حتى تلاشت في جنب مصلحته وحكمته فكم لله من حكمة في آياته التي ابتلى بها أعداءه وأكرم فيها أوليائه وكم له فيها من آية وحجة وتبصرة وتذكيرة ولهذا أمر سبحانه رسوله أن يذكر بها أنه فقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك للاء لمن ربكم عظيم) فذكرهم بأيامه وانماهم ونجاتهم من عدوهم واهلاكهم وهم ينظرون فحصل بذلك من ذكره وشكره ومحبته وتعظيمه واجلاله ما تلاشت فيه مفسدة اهلاك الابناء وذبحهم واضمحلت قائم صاروا الى التعميم وخلصوا من مفسدة البردية لفرعون اذ اكبروا وسومهم له سوء العذاب وكان الالم الذي

ذاته الايون عند الفتح أيسر من الآلام التي كانوا يخبرونها باستعباد فرعون وقومه لهم بكثير فخطي بذلك الآباء والابناء وأراد سبحانه أن يرى عباده ماهو من أعظم آياته وهو أن يرى هذا المولود الذي ذبح فرعون ماشاء الله من الاولاد في طلبه في حجر فرعون وفي بيته وعلى فراشه فكم في ضمن هذه الآية من حكمة ومصلحة ورحمة وهداية وتبصرة وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها ولم تكن لتوجد بدونها فانه تمتع فضلة تلك الآية وحكمها غمرت مفسدة ذبح الابناء وجعلها كان لم تكن وكذلك الآيات التي أظهرها سبحانه على يد الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الصديق والنجائب والحكم والمصلح والقوائد التي في تلك القصة التي تريد على الالف لم تكن لتحصل بدون ذلك السبب الذي كان فيه مفسدة حزونة يعقوب ويوسف ثم انقلبت تلك المفسدة مصالح اضمحلت في جنبها تلك المفسدة بالكلية وصارت سببا لاعظم المصلح في حق يوسف وحق اخوته وحق امرأة العزيز وحق أهل مصر وحق المؤمنين الى يوم القيامة فكم جنى أهل المعرفة باثمه وأسمائه وصفاته ورسبه من هذه القصة من ثمرة وكما استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة وكذلك المفسدة التي حصلت لايوب من مس الشيطان له بنصب وعذاب اضمحلت وتلاشت في جنب المصلحة والمنفعة التي حصلت له ولنفسه عند مفارقة البلاء وتبدله بالنعاء بل كان ذلك السبب المكروه هو الطريق الموصل اليها والشجرة التي جنت ثمار تلك الثمرة وكذلك الاسباب التي أوصلت خليل الرحمن الى أن صارت النار عليه بردا وسلاما من كفر قومه وشركهم وتكسيرة أعضائهم وغضبهم لها وإيجاد التيران العظيمة له والقائه فيها بالجنس حق وقع في روضة خضراء في وسط النار وصارت آية وحجة وعبرة ودلالة للامم قرنا بعد قرن فكم لله سبحانه في ضمن هذه الآية من حكمة بالغة ونعمة سافرة ورحمة وحقيقة لو لم تطل تلك الاسباب لتعطلت هذه الحكم والمصلح والآيات وحكمته وكلامه المقدس يأتي ذلك وحصول الشيء بدون لازمه تمتع وكما بين ماوقع من المفاسد الجزئية في هذه القصة وبين جعل صاحبها امانة للحنفاء الى يوم القيامة وهل تلك المفاسد الجزئية الا دون مفسدة الحر والبرد والمطر والتلج بالنسبة الى مصالحها بكثير ولكن الانسان كما قال الله تعالى ظلوم جهول ظلوم لنفسه جهول بربه وعظمته وجلاله وحكمته وأقنان صنمه وكما بين اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة على تلك الحال ودخوله اليها ذلك الدخول الذي لم يفرح به بشر جورا لله وقد اكتشفه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله والمهاجرون والانصار قد أحذقوا به والملائكة من فوقهم والوحي من الله ينزل عليه وقد أدخله حرمه ذلك الدخول فآين مفسدة ذلك الاخراج الذي كان كأن لم يكن ولولا معارضة السحرة لموسى بإلقاء المعى والحبال حتى أخذوا أعين الناس واسترهبوهم لما ظهرت آية عصا موسى حتى ابتلعت عصيهم وجاهلهم ولهذا أمرهم موسى أن يلقوا أولان ثم يلقى هو بدمهم ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وكمال اقتداره وحكمته أن يخلق مثل جبريل صلوات الله وسلامه عليه الذي هو أطيب الارواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصلح ويخلق بقبابه مثل روح القليل ابليس الذي هو أخبث الارواح وأقبحها وشرها وهو الداعي الى كل شر وأصله ومادته وكذلك من تمام قدرته وحكمته ان خلق الضياء والظلام والارض والسماء والجنة والنار

وسدرة المنتهى وشجرة الزقوم وولية القدر وولية الوفاء والملائكة والشياطين والمؤمنين والكفار والابرار والفجار والحري والبرد والنداء والدواء والآلام والذنات والاحزان والمسرات واستخرج سبحانه من بين ما هو من أحب الاشياء اليه من أنواع العبوديات والتصرف الى خلقه باطوار الدلالات ولولا خلق الشياطين والهوى والنفس الامارة لما حصلت عبودية الصبر ومجاهدة النفس والشيطان ومخالفتها وترك ما يهواه البدن ومحبه الله فان لهذه العبودية شأنًا ليس لغيرها ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد ولما نال أهله درجة الشهادة ولما ظهر من يقدم محبة قاطره وخالفه على نفسه وأهله وولده ومن يقدم أدنى حظ من الحظوظ عليه فابن صبر الرسل واتباعهم وجهادهم ومجاهداتهم لله أنواع المكابر والمناق وأنواع البسودية المتسقة بالدعوة وأظهارها لولا وجود الكفار. وتلك البسودية تقضي عليه وفصله وحكمته ويستخرج منه حمده وشكره ومحبه والرضا عنه يوضحه الوجه الحادى والعشرون انه قد استقرت حكمته سبحانه ان السعادة والتعظيم والراحة لا يوصل اليها الا على جسر المشقة والتعب ولا يدخل اليها الا من باب المكابر والصبر وعمل المناق ولذلك حجب الجنة بالمكارم والثار بالشهوات ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها له واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار الابد الثبوت والنصب فأخرجها منها الا ليدخلها اليها ثم دخول الله كم بين السخول الاول والدخول الثانى من التفاتون وكم بين دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في جواد المطعم بن عدى ودخوله اليها يوم الفتح وكم بين راحة المؤمنين وادخولهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لنهم لو دخلوا فيها وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهدهاء بعد ضلاله ونجى قلبه بعد شتائه وفرحة من لم يذق تلك المرارات وقد سبقت الحكمة الالهية ان المكابر أسباب الذنات والحيرات كإتال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

وربما كان محكروه النفوس الى محبوها سيما ما منه سبب

يوضحه الوجه الثانى والعشرون ان الفناء قاطبة متفقون على استحسان انساب النفوس في تحصيل كالاتها من العلم النافع والعمل الصالح والاخلاق الفاضلة وطلب محمده من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالا وأرفع قدرا وكذلك يستحسنون انساب النفوس في تحصيل النفي والزهو والتشرف ويذمون القاعدة عن ذلك وينسبون الى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر

دع المكابر لاتهض لبيتها • واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وهذا التعب والكبد يستأزم آلاما وحصول مكابر ومشاقه الى تلك الكمالات ولم يقدحوا بعمل تلك في حكمة من مجملها ولا يمدونه عائيا بل هو السقل الوافر ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدوله هذا في مصالح الماشى فكيف يصالح الحياة الابدية الدائمة والتعظيم ككيف لا يكون الأمر بالتعب القليل في الزمن اليسير الموصل الى الخير الدائم حكيم راجيا محسنا ناجحا لمن يأمره وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التى تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة هذا الى ما في أمره من به من مصالح الحاجة التى بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه

مضرته وعطيه وشقاوته فأمر الرب تعالى رحمة واحسان وغذاء ودوام وغذاء للقلوب وزينة للظاهر والباطن وحياة للقلب والبدن وكرم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرعة عين فا يسميه هؤلاء تكاليف انما هو قرعة العيون وبهجة النفوس وحياة القلوب ونور القول وتكميل للفطر واحسان تام الى النوع الانساني اعظم من احسانه اليه بالصحة والعافية والطعام والشراب واللباس فنعتم على عبادته بارسال انزل اليهم واتزال كتبه عليهم وتعرفهم امره ونهيه وما يحبه وما يبغضه اعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها بل لا تصغر رحمتهم بالشمس والقمر والقيث والتبات الى رحمتهم بالعلم والايمان والشرائع والحلال والحرام فكيف يقال أى حكمة في ذلك وانما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة فوالله ان من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لاضل من الانعام وأساء حالا من الخير ونمود بالله من الخذلان والجهل بالرحن وأسيائه وصفاته وهل قامت مصالح الوجود الا بالامر والهي وارسال الرسل واتزال الكتب ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يهارجون في الطرقات ويسافدون تسافد الحيوانات لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ولا يتحشون من قبيح ولا يتدنون الى صواب وأنت ترى الامكنة والازمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها وما دخل عليهم من الجهل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالخلق واستحسان القبائح وفساد العقائد والاعمال فان الشرائع بتدبير الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم ما في ضمناها من مصالح العباد في الماش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والاخرية فجعلها غذاء ودواء وشفاء وعصمة وحصنا وملجأ ووجه ووقاية وكانت بالقياس الى مصالح الابدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمرا يصلح لكل مرض ولكل ألم وجعله مع ذلك غذاء للاصحاء فن يفتدى به من الاصحاء غذاء ومن يداوى به من المرض شفاء وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه وانما هو تمثيل وتقريب فلا أحسن من أمره ونهيه وتحليله وتحريمه أمره قوت وغذاء وشفاء ونهيه حمية وصيانة فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولا اعتبارا بل رحمة واحسانا ومصالحة ولانهاهم عصا تنهاهم عنه بخلافه عليهم بل حماية وصيانة مما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر ان تناولوه فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لاجلها ولهذا استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة واستفتوا بها عن طلب المجزئة وهذا من أحسن الاستدلال فان دعوة الرسل من أكبر شواهد صدقهم وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم اذا رأى حاذقا قد صنف فيه كتابا جليلا عرف أنه من أهل ذلك العلم ينظره في كتابه وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة باقوال الرسل ودعوتهم اذا نظر في هذه الشريعة قطع قطعاً نظير القطع بالمحسوسات ان الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق وان الذي شرعها أحكم الحاكمين ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام وانه لم يطرق العالم ناموس أكل ولا أحكم هذه شهادة الاعداء وشهد لها من زعم أنه من الاولياء بانها لم تشرع لحكمة ولا مصلحة وقالوا أى حكمة في الازلام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة وأى مصلحة للمكلف في ذلك وأى غرض للمكلف وماهى الامحش المشينة المجردة من قصد غاية أو حكمة ولو استحي هؤلاء من العقلاء لنهم الحياء من تسويد القلوب والاوراق بمثل ذلك وهل تركت الشريعة خيراً ومصالحة الاجابات به وأمرت به ونذبت اليه وهل تركت شراً ومفسدة الا بهت عنه وهل تركت لمفرح أفرحا



أولتست تمتأ أولسائل مطلباً فن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون وعند نفاة الحكم أنه يجوز عليه ضد ذلك الحكم من كل وجه وأنه لا فرق بينه وبين ضده في نفس الامر الا مجرد التحكم والميضية فلواجتمع حكمة جميع الحكماء من أول الدهر الى آخره ثم قيس الى حكمة هذه الشريعة الكاملة الحكمة الفاضلة كانت كقطرة من بحر واتما نفى بذلك الشريعة التي أنزلها الله على رسوله وشرعها للامة ودعاهم اليها لا للشريعة المبذلة ولا المؤولة ولا ما غلط فيه الغالطون وتأوله المتأولون فان هذين النوعين قد يشتملان على فساد وشر بل الشر والفساد الواقع بين الامة من هاتين الشريعتين اللتين نسبتا الى الشريعة المنزلة من عند الله عمداً أو خطأ أو الا للشريعة على وجهها خير محض ومصلحة من كل وجه ورحمة وحكمة ولطف بالمكلفين وقيام مصالحهم بها فوق قيام مصالح أبدانهم بالطعام والشراب فهي مكملة لقطر العقول مرشدة الى ما يحبه الله ويرضاه ناهية عما يفيضه ويسخطه مستعملة لكل قوة وعضو خركة في كماله الذي لا كمال له سواء أمرة بمكارم الاخلاق ومعالها ناهية عن دينها وسفاسها واحتمار ذلك انه شرع استعمال كل قوة وكل عضو وكل حركة في كمالها ولا سبيل الى معرفة كمالها على الحقيقة الابالوحي فكانت الشرائع ضرورية في مصالح الخلق وضرورتها له فوق كل ضرورة تقدر فهي أسباب موصلة الى سعادة الدارين ورأس الاسباب الموصلة الى حفظ صحة الدين وقوته واستتغراخ اخلاطه ومن لم يتصور الشريعة على هذه الصورة فهو من أبعد الناس عنها وقد جعل الحكم العالم لكل قوة من القوى ولكل حاسة من الحواس ولكل عضو من الاعضاء كلاً حسيّاً وكلاً معنويّاً وقد كاله المعنوي شر من فقد كاله الحسي فكماه المعنوي بمنزلة الروح والحسي بمنزلة الجسم فاعطاه كاله الحسي خلقاً وقدراً واعطاه كاله المعنوي شرعاً وأمرأ فبلغ بذلك غاية السعادة والانتفاع بنفسه فلم يدع للإحسان اليه والاعتناء بمصلحه وارشاده اليها واعاته على تحصيلها أفرحاً يفرحه ولا شفاء يطلب بل أعطاه من ذلك ما لم يصل اليه أفرحه ولا يدرك معرفته ويكني العاقل البصير الحى القلب فكرة في فرع واحد من فروع الامر والآهي وهو الصلاة وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة والمصالح الباطنة والظاهرة والمنافع المتصلة بالقلب والروح والبدن والقوى التي لواجتمع حكماء العالم قاطبة واستفرغوا قواهم وأذهانهم لما أحاطوا بتفاصيل حكمها وأسرارها ونباياتها المحمودة بل انقطعوا كلهم دون أسرار الفاتحة وما فيها من المعارف الالهية والحكم الربانية والعلوم النافعة والتوحيد التام والاتما على الله باصول أسمائه وصفاته وذكر أقسام الخلقة باعتبار نباياتهم ووسائلهم وما في مقدماتها وشروطها من الحكم الحميمة من تطوير الاعضاء والتياب والمكان وأخذ الزينة واستقبال بيته الذي جعله اماماً للناس وتفرغ القلب لله وإخلاص النية وإفتتاحها بكلمة جامعة لمعانى اليهودية دالة على أصول البناء وفروعه مخرجة من القلب الالتفات الى ماسواه والإقبال على غيره فيقدم بقلبه الوقوف بين يدي عظيم جليل أكبر من كل شيء وأجل من كل شيء وأعظم من كل شيء بلا سبب في كبرياته السموات وأظلت الارض وما أقلت والموا لم كلها غنت له الوجود وخضعت له الرقاب وذلت له الجيابة قاهر فوق عبادته ناظر اليهم عالم بما تكن صدورهم يسمع كلامهم ويرى مكانهم لا يخفى عليه خافية من أمرهم ثم أخذ في تسيحه وحمده وذكر تبارك اسمه وتعالى جده وقرده بالالهية ثم أخذ في البناء عليه بأفضل ما ينشئ عليه به من حمده وذكر ربوبيته للعالم واحسانه اليهم

ورحمته بهم وتمجيده بالملك الاعظم في اليوم الذي لا يكون فيه ملك سواه حتى يجمع الاولين والآخرين في صعد واحد ويدينهم بأعمالهم ثم افراده بنوعى التوحيد توحيد ربوبيته استعانة به وتوحيده بلميته عبودية له ثم سؤاله أفضل مسؤول وأجل مطلوب على الاطلاق وهو هداية الصراط المستقيم الذي نصبه لآيائمه ورسله واتباعهم وجعله صراطا موصلان سلكه اليه والى جنته وأنه صراط من اختصهم بنعمته بان عرفهم الحق وجعلهم متبعين له دون صراط امم الغضب الذي عرفوا الحق ولم يتبعوه واهل الضلال الذين ضلوا عن معرفته واتباعه فقصمت تعرف الرب والطريق الموصل اليه والغاية بسد الوصول وقصمت الثناء والمدح وأشرف الغايات وهي العبودية وأقرب الوسائل اليها وهي الاستعانة مقدما فيها على الوسيلة والمعبود المستعان على الفعل ايذا لا لاختصاصه وان ذلك لا يصلح الاله سبحانه وتضمنت ذكر الالهية والربوبية والرحمة فيثنى عليه ويبعد بلميته ويخلق ويرزق ويميت ويحيى ويدير الملك ويضل من يستحق الاضلال ويفض على من يستحق الغضب بربوبيته وحكمته وينعم ويرحم ويجود ويعفو وينقر ويهدي وتوب برحمته فقد كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد وحقائق الايمان ثم يأخذ بسد ذلك في تلاوة ويسع القلوب وشفاء الصدور ونور البصائر وحياة الارواح وهو كلام رب العالمين فيحل به في ماشاء من روضات موقات وحدائق معجبات زاهية ازهارها موقفة ثمارها قد ذلت قطوفها تذليلا وسهلت لتساوها تسهلا فهو يجتني من تلك الثمار خيرا يؤمر به وشرا ينهى عنه وحكمة وموعظة وتبصرة وتذكرة وعبرة وتقريرا لحق ودحضا لباطل وازالة لشبهة وجوابا عن مسئلة وايضا لمشكل وترغيبا في أسباب فلاح وسعادة وتمجيذا من أسباب خسران وشفاعة ودعوة الى هدى وردع عن ردى فنزل على القلوب نزول النيث على الارض التي لاحياة لها بدونه ويحل منها محل الارواح من ابدانها فاني نعيم وقرّة عين ولفّة قلب واتّباع وسرور لا يحصل له في هذه المتابعة والرب تعالى يسمع لكلامه جارا على لسان عبده وقول محمدي عبدي اثني على عبدي محمدي عبدي ثم يعود الى تكبيره عز وجل فيجد ربه عند التذكرة كونه أكبر من كل شيء بحق عبوديته وما ينبغي أن يعامل به ثم يرجع جاثيا له ظهره خضوعا لعظمته وتذلا لزمته واستكانة لجبروته مسبحا له بذكر اسمه العظيم فتزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع قد تاملن وطأنا رأسه وطوى ظهره ورهب فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه فهو ركن تنظيم واجلال كما قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب ثم عاد الى حاله من القيام حامدا لربه مثنيا عليه باكل حماده وأجماها وأعماها مثنيا عليه بانه أهل الثناء والمجد معترفا بعبوديته شاهدا بتوحيده وانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه لا ينفع أصحاب الجدد والاموال والحظوظ جدودهم عنه ولو عظمت ثم يعود الى تكبيره ويخبر له ساحدا على أشرف ما فيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلا بين يديه ومسكنا وانكسارا وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الاثامل ورؤس الاصابع ونذب له أن يسجد معه ثيابه وشعره فلا يكفيه وأن لا يكون بضه محمولا على بعض وان يتأسر التراب بجبهته وينال قبل وجهه المصل ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلا للخضوع والتذليل لمن له الزكاه والعظمة كلها وهذا أيسر اليسير من حقه على عبده فلو

دام كذلك من حين خلق الى أن يموت لما أدى حق ربه عليه ثم أمر أن يسبح ربه الاعلى فيذكر علومه سبحانه في حال سفوله هو وبزهره عن مثل هذه الحال وإن من هو فوق كل شيء وعال على كل شيء ينزه عن السفول بكل معنى بل هو الاعلى بكل معنى من معاني الطول ولما كان هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال فامر أن يجتهد في الدعاء لقربه من القريب المحيب وقد قال تعالى فاسجد واقترب وكان الركون كالفقدمة بين يدي السجود والتوطئة له فينتقل من خضوع الى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأنًا وفصل بينهما بركن مقصود في نفسه يجتهد فيه بالحمد والتناء والتمجيد وجعل بين خضوع خضوع قلبه وخضوع بعده وجعل خضوع السجود بعد الحمد والتناء والمجد كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك فتأمل هذا الترتيب المحيب وهذا التنقل في مراتب السودية كيف ينتقل من مقام التناء على الرب بأحسن أوصافه وأسمائه وأكل محامده الى من له خضوعه وتذلل أن له هذا التناء ويستصحب في مقامه خضوعه بما يناسب ذلك المقام ويليق به فتذكر عظمة الرب في حال خضوعه وعوله في حال سفوله ولما كان أشرف اذكار الصلاة القرآن شرع في أشرف أحوال الانسان وهي هيئة القيام التي قد اتصّب فيها قائما على أحسن هيئة ولما كان أفضل أركانها الفعلية السجود شرع فيها بوصف التكرار وجعل خاتمة الركعة وغايتها التي انتهت اليها مطابق اقتراح الركعة بالقرآن واحتتامها بالسجود أول سورة اتفتح بها الوحي قائما بدت بالقراءة وحثّت بالسجود وشرع له بين هذين الحضيضين أن يجلس جلسة العبد ويسأل ربه أن يغفر له ويرزقه ويهديه ويبقيه وهذه الدعوات تجمع له خير دنياه وآخرته ثم شرع له تكرار هذه الركعة مرة بدمرة كما شرع تكرار الاذكار والدعوات مرة بعد مرة ليستمد بالاول لتكميل ما بعده ويجبر بما بعده ما قبله وليشبع القلب من هذا الفناء وليأخذ رواءه ونصيبه واخره من الدواء ليقاومه فان منزلة الصلاة من القلب منزلة الفناء والدواء فاذا تناول الجائع الشديد الجوع من اللقمة أو اللقمتين كان غناؤها عنه وسدها من جوعه يسرا جدا وكذلك المرض الذي يحتاج الى قدر يغنى من الدواء اذا أخذ منه المريض قيراطا من ذلك لم يزل مرضه بالكيفية وأزال بحسبه فما حصل الفناء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة وهي لصحته ودوائه بمنزلة غذاء البدن ودوائه ثم لما أكل صلاته شرع له أن يقدمقدمة البدن التليل المسكين لسيدته وثني عليا بأفضل التحيات ويسلم على من جاء بهذا الحظ الخزيل ومن نالته الامة على يده ثم يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله المشاركين له في هذه العبودية ثم يشهد شهادة الحق ثم يعود فيصلي على من علم الامة هذا الخير ودلهم عليه ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب مادام بين يدي ربه مقبلا عليه فاذا قضى ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة هذا الى ما تضمنته الاحوال والمعارف من أول المقامات الى آخرها فلا يجد منزلة من منازل السير الى الله ولا مقاما من مقامات العارفين الا وهو في ضمن الصلاة وهذا الذي ذكرناه من شأنها كقطرة من بحر فكيف يقال أنها تكليف محض لم يشرع لحكمة ولا لغاية قصدوا الشارع بل هي محض وكلفة ومشقة مستندة الى محض المشيئة لا لغرض ولا لفائدة البتة بل مجرد قهر وتكليف وليست سيلاشي من مصالح الدنيا والآخرة ثم تأمل أبواب التريفة ووسائلها وغاياتها كيف

محبها مشحونة بالحكم المقصودة والغايات الحميدة التي شرعت لاجلها التي لولاها لكان الناس كالبهائم بل أسوأ حالا فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبدن وقهرج للقلب وتنشيط للجوارح وتخفيف من احوال ما وأوجبه الطبيعة والقامعز النفس من درن الخلفات فهي منقطة للقلب والروح والبدن وفي غسل الجنابة من زيادة النعمة والاخلاق على البدن نظير ما يحمل منه بالجنابة ما هو من أضع الامور وتأمل كون الوضوء في الاطراف التي هي محل الكسب والعمل فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق وهذه الابواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها منها يدخل اليها ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش وتأخذ ويمطى ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعى ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح وجعل ذلك مخرجا للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان يطيشها يده مع الماء أو مع آخر قطر فاذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها رجله مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج قريبا من الذنوب رواء مسلم وفي صحيح مسلم أيضا عن عثمان ابن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى يخرج من تحت أظفاره فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده وقال قتادة الحكمة أنه تكليف ومشقة وعناء محض لاصلاحه فيه ولا حكمة شرع لاجلها ولو لم يكن في مصلحته وحكمته الا أنه سياء هذه الامة وعلايمهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الامم ليست لاحد غيرهم ولو لم يكن فيه من المصلحة والحكمة الا أن التوضؤ يظهر يديه بلباء وقلبه بالتوبة ليستمد للدخول على ربه ومناجاة والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقاب قاي حكمة ورحمه ومصلحة فوق هذا ولما كانت الشهوة تجري في جميع البدن حتى ان تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنابة الى حيث سرت الشهوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان تحت كل شعرة جنابة فامر أن يوصل الماء الى أصل كل شعرة فيبرد حرارة الشهوة فتسكن النفس وتطمئن الى ذكر الله وتلاوة كلامه والوقوف بين يديه فوالله لو أن أبقراط ودونه أوصوا بمثل هذا لخصع اتباعهم لهم فيه وعظموهم عليه غاية التعظيم وأبدوا لهم من الحكم والفوائد ما قدروا عليه ثم لما كان البعد خارج الصلاة مهمل جوارحه قد أسامها في مراتع الشهوات والحظوظ أمر اليهودية بجميع جوارحه كلها على ربه وتأخذ بحظها من عباديته فيسلم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربه عز وجل واقفا بين يديه مقبلا بكله عليه معرضا عن سواه متصلا من اعراضه عنه وجنابته على حقه ولما كان هذا طبعه وذاته أمر أن يمجده هذا الركوع اليه والاقبال عليه وقتا بعد وقت للثلا يطول عليه الامد فينمي ربه وينقطع عنه بالكلية وكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه وأفضل هداياه التي ساقها اليه قاي فتاة الحكمة الاجعلها كلفة وعناء ونسبا للحكمة ولا لاصلاح البسة الا مجرد القهر والمشقة وقد فتح ذلك الباب ففاق الشريعة كلها من أولها الى آخرها هذا المساق واستدل بما ظهر لك على ما خفي عنك ولعل الحكمة فيها لم تلمه أعظم منها فيها علمته فان الذي علمته على قدر عقلك وفهمك وما خفي عنك فهو فوق

عقلك وفهمك ولو تتبعنا تفصيل ذلك لحياه عدة اسفار فيكتفي منه بادي بينة والله المستعان والوجه الثالث والعشرون ان هذه الجمادات والحيوانات المختلفة الاشكال والمقادير والصفات والمنافع والقوى والاغذية والنباتات التي هي كذلك فيها من الحكم والمنافع ما قد أكرت الامم في وصفه ويحيرته على عمر الدهور ومع ذلك فلم يصلوا منه الا الى ايسر شيء وأقله بل لو اتفق جميع الامم لم يحيطوا علما بجميع ما أودع واحدا من ذلك النوع من الحكم والمصالح هذا الى ما في ضمن ذلك من الاعتبار والدلالة الظاهرة على وجود الخالق ومشيبته واختياره وعلمه وقدرته وحكمته فان المادة الواحدة لا تحتمل بنفسها هذه الصور الفريسة والاشكال المتنوعة والمنافع والصفات ولو تركت مع غيرها فليس حدوث هذه الانواع والصور بنفس التركيب أيضا ولا هو مفيض له فحصل هذا التنوع والتفاوت والاختلاف في الحيوان والنبات من أعظم آيات الرب تعالى ودلائل ربوبيته وقدرته وحكمته وعلمه وأنه فعال لما يريد اختيارا ومشيبته فتشوبع مخلوقاته وحدونها شيئا بعد شيء من أظهر الدلالات وتأمل كيف أرشد القرآن الى ذلك في غير موضع كقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء قاتحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقوله ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألستكم وألوانكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وقوله هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون يثبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وقال تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمسي على بطنه ومنهم من يمسي على رجلين ومنهم من يمسي على أربع يخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير فأقول كيف نبه سبحانه باختلاف الحيوانات في المشي مع اشتراكها في المادة على الاختلاف فيا وراء ذلك من أعضائها واشكالها وقواها وافعالها وأغذيتها وما كنها فبه على الاشتراك والاختلاف فيسير منه الطير كلها تشترك في الريش والجناح وتفاوت فيها وراء ذلك أعظم تفاوت واشتراك ذوات الحوافر في الخافر كالفرس والحمار والبغل وتفاوتها في ما وراء ذلك واشتراك ذوات الاظلاف في الظلف وتفاوتها في غير ذلك واشتراك ذوات القرون فيها وتفاوتها في الخلق والمنافع والاشكال واشتراك حيوانات الماء في كونها سباحة تأوى فيها وتكون فيها وتفاوتها أعظم تفاوت عجز البشر الى الآن عن حصره واشتراك الوحوش في البعد عن الناس والتفاوت عنهم وعن مساكنهم وتفاوتها في صفاتها واشكالها وطبائنها وأفعالها أعظم تفاوت يعجز البشر عن حصره واشتراك الماشي منها على بطنه في ذلك وتفاوت نوعه واشتراك الماشي على رجلين في ذلك وتفاوت نوعه أعظم تفاوت وكل من هذه الانواع له علم وادراك وتحيل على جلب مصالحه ودفع مضاره يعجز كثير منها نوع الانسان فمن أعظم الحكم الدلالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستولى بهوته وقدرته وحكمته على ذلك كله بحيث جاءت كلها مطبوعة متفاداة مناسبة الى ما خلقها له على وفق مشيبته وحكمته وذلك أدل شيء على قوته

القاهرة وحكمته البالغة وعلمه الشامل فيعلم احاطة قدرة واحدة وعلم واحد وحكمة واحدة أسمى بالتوهم من قادر واحد حكيم واحد بجميع هذه الانواع وأضعافها بما لا تملأ العقول البشرية كما قال ويخلق ما لا تعلمون وقال فلا أقسم بما تصرون وما لا تبصرون فيجمع غايات فضله وحكمة خلقه وأمره الى غاية واحدة هي منتهى الغايات وهي إلهية الحق التي كل الهية سواها فهي باطل ومحال فهي غاية الغايات ثم ينزل منها الى غايات أخر هي وسائل بالنسبة اليها وغايات بالنسبة الى مادونها وان الى ربك المنتهى فليس وراءه معلوم ولا مطلوب ولا مذكور الا العدم المحض وليس في الوجود الا الله ومفعولاته وهي آثار أفعاله وأفعاله آثار صفاته وصفاته قائمة به من لوازم ذاته والمقصود ان الغايات المطلوبة العلم باحاطة علم واحد من عالم واحد وفعل واحد من فاعل واحد وقدرة واحدة من قادر واحد وحكمة واحدة من حكيم واحد بجميع ما فيه على اختلاف ما فيه واجتمعت غايات فعله وأمره الى غاية واحدة وذلك من أظهر أدلة توحيد الالهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد وقادر واحد ورب واحد ودل على الامرين أعني توحيد الربوبية والالهية النظام الواحد والحكمة الجامعة للأنواع المختلفة مع ضدها وتعديها ودل اقتدار بعضها الى بعض وتشبك بعضها ببعض ومعاونة بعضها ببعض وارتباطه به على أنها صنع فاعل واحد ورب واحد فلو كان معه آلهة وأرباب غيره كما لا رضى ملوك الدنيا أن يحتاج ملوك أحدهم الى ملوك غيره مثله لما في ذلك من النقص والغيب المتأني لمكالم الاقتدار والفناء ودل انتظامها في الوجود ووقوعها في ثباتها واختلافها على أكل الوجوه وأحسنها على انتهائها الى غاية واحدة ومطلوب واحد هو إلهها الحق ومعبودها الاعلى الذي لا إله لها غيره ولا معبود لها سواه فتأمل كيف دل اختلاف الموجودات وثباتها واجتماعها فيها اجتمعت فيه وافترقا فيها افرقت على إله واحد ورب واحد ودلت على صفات كماله ونموته - بلاله - الموجودات بأسرها كسكر واحد له ملك واحد وسلطان واحد يحفظ بعضه وينظم مصالح بعضه ويسد خلل بعضه فيمد هذا بهذا ويقوى هذا بهذا وينقص من هذا فيزيده في الآخر يوجب الليل في النهار ويوجب النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويبدد هذا فينشى مكانه من خبئه ما يقوم مقامه ويسد مسده فيشهد حدوث الثاني ان الذي أحدثه وأوجده هو الذي أحدث الاول لا غيره وان حكمته لم تتغير وعلمه لم ينقص وقدرته لم تضعف وأنه لا يتغير بتغيير ما يغير منها ولا يصححل باضمحلاله ولا يتلاشى بتلاشيه بل هو الحي القيوم العزيز الحكيم هذا الى ما في لوازم مكبرها وانتظام بعضها ببعض وما يصدر عنها من الافعال والآثار من حكم وأفعال أخرى وغايات أخر حكمها حكم موادها وحواملها كما نشهده في أشخاصها وأعيانها مثال ذلك في حدوثه واحدة أنك ترى المدة تشاق الغذاء وتجذبه اليها فانظر لوازم ذلك قبل تناوله ولوازمه بعد تناوله وما يقرب على تلك الوازم من عارة الدنيا فاذا جذبه اليها أفضجته وطبخته كما تتعجب القدر ما فيها فتضجعه الانفجاج الذي تعدد لتمتد جميع أجزاء البدن وقواه وأرواحه وهي اذا أفضجته لاجل نصيبها الذي ينالها منه فهو قليل من كثير بالنسبة الى انتفاع غيرها به فيدفع ما فضل عن غذائها عنها الى من هو شديد الحاجة اليه على قدر حاجته من غير أن يقصد ذلك أو يشمر به ولكن قد قصد وأحكمه من هو بكل شيء عالم وعلى كل شيء قدير يديره بحكمته واطفه وساقه في المجارى التي لا ينفذ

فيها الأبرار لذة مسالكها حتى أوصله إلى المحتاج إليه الذي لأصلاحه الأوصوله إليه وكانت طينة الكبد ومزاجها في ذلك تلى طيبة المعدة وفعلها تلى فعلها وكذلك الإمعاء وبقي الأعضاء كالكبد للقلب في أعداد النفاة والقلب للرئة والرئة للقلب في أعداد الهواء وأصلاحه فالأعضاء الموجودة في الشخص إذا تأملتها وتأملت أفعالها ومنافعها وما تضمنه كل واحد منها من حكمة اختصت به كشكله ووصفه ومزاجه ووضع من الشخص بذلك الموضع المعين علمت علما يقينا أن ذلك صادر عن خالق واحد ومدير واحد وحكيم واحد فانتقل من هذا إلى أشخاص العالم شخصا شخصا من النوع الإنساني تجد الحكمة الواحدة الظاهرة في تلك الأفراد الكثيرة قد تضمنت بعضهم بعض وأعان بعضهم بعض حراثا لزراع وزراعا لحاصد وحائك لحياط وخياط للحجار ونجارا لبناء فهذا يمين هذا يده وهذا برجله وهذا يمينه يمينه وهذا باذنه وهذا بلسانه وهذا بعاله وأذا تقدر أحدهم على جميع مصالحه ولا يقوم بحاجة ولا توجد في كل واحد منهم جميع خواص نوعه فهم بأشخاصهم الكثيرة كالإنسان واحد يقوم بعضه بمصالح بعض قد كمل خواص الإنسانية في صفاته وأفعاله وصنائه وما يراه منه فإن الواحد منهم لا يفي بأن يجمع جميع الفضائل البلية والعملية والقوة والبقاء فجعل ذلك في النوع الإنساني بجملته والله سبحانه قد فرق كالات النوع في أشخاصه وجعل لكل شخص منها ما هو مستعد قابله بحيث لو قيل أكثر من ذلك لأعطاء فانه جواد لذاته قد فاض جوده وخيره على العالم كله وفضل غته أضعاف مائة فاض عليه فهو يفيضه على تعاقب الآت أبدأ وكذلك يفضل في الجنة فضل عن أهلها فينتهي لما خلقا يسكنهم فضاء وانما يخص فضلهم بحسب استعداد البوائ والمعدات وذلك بمشيئته وحكمته فهو الذي أوجدها وهو الذي أعدها وهو الذي أمدّها ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق لم يكن بدمن بقاء كثير منه مبدولا في الوجود مهملًا وهذا كنهه الشمس مثلا فإن مصالح الحيوان لاسم الأبهوى تشرق على مواضع فضلت عن حوائج بني آدم والحيوان وكذلك المطر والنبات وسائر النعم ومع ذلك فلم يبطل وجودها عن حكم ومصالح وعبر ودلالات وعطاء الرب ولمسه أوسع من حوائج خلقه فلا بد أن يبقى في المياه والاقوات والنبات وغير ذلك أجزاء مهمة لا يقال ما الحكمة في خلقها فإن هذا سؤال جاهل ظالم فإن الحكمة في خلق الأرض وما عليها ظاهرة لكل بصير والمعمور بعضها لأكلها والرب تعالى واسع الجود دائم جوده وخيره عام دائم فلا يكون الا كذلك فإن ذلك من لوازم علمه وقدرته وحكمته ولعلمه وقدرته وحكمته الموم والشمول والكمال المطلق بكل اعتبار فيعلم من استقراء العالم وأحواله انه آؤه إلى عالم واحد وقادر واحد وحكيم واحد أقن نظامه أحسن الاتقان وأوجده على أتم الوجود وهو سبحانه ناظم أفعال الفاعلين مع كثرتها ورباط بعضها ببعض ومعين بعضها ببعض وجعل بعضها سببا لبعض وغاية لبعض وهذا من أدل الدليل على أنه خالق واحد ورب واحد وقادر واحد دل على قدرته كثرة أفعاله وتوابعها في الوقت الواحد وتعاقبها على توالي الآت وتعين تصرفاته في مخلوقاته على كثرتها ودل على علمه وحكمته كون كل شيء كبير وصغير و دقيق وجايل داخل في النظام الحكمي ليس منها شيء حتى مسام الشجر في الجلد وبراشح الساب في اللحم وبجاري الشعب الدقيقة من العروق في أصغر الحيوانات التي تعجز عنها أبصارنا ولا تلتها تدرت وهذا فيها دق لصغره وفيها جل لعظمه كالرياح الحاملة للسحب إلى الأرض

الجزر التي لانبات بها فيمطرها عليها فيخرج بها نباتاً ويحيي بها حيواناً ويعمل فيها جزئين من الطعام والشراب والاقوات والادوية دع ما فوق ذلك من تسخير الشمس والقمر والنجوم واختلاف مطالعها ومغاربها لاقامة دولة الليل والنهار وفصول العام التي بها نظام مصالح من عليها فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبنى المد فيه جميع عبادته قالها مسقفه والارض بساطه والنجوم زينة والشمس سراجها ومصالح سكانها والليل سكنهم والنهار معاشهم والمطر سقيهم والنبات غذائهم ودوامهم وفاقتهم والحيوان خدومهم ومنه قوتهم ولباسهم والخواهر كنوزهم وزخائرهم كل شيء منها لما يصلح له فغروب النبات لجميع حاجتهم وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه وقدرته فلم يكن لون السماء أزرق اتفاقاً بل لحكمة باهرة فان هذا اللون أشد الانوار موافقة للبصر حتى ان في وصف الأطباء لمن أصابه ما أضر بصره أو كلف بصره ادمان النظر إلى الحضرة ومقارب منها إلى السواد فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليسك الابصار الراجحة فلا يتكاثر فيها فهذا الذي أدركه الناس بعد الفكر والتجربة قد وجد مفروفاً منه في الحقيقة ولكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولا حكمة مطلوبة فكم من حكمة ومصلحة في ذلك من اقامة الليل والسكن فيه والنهار والمعيش فيه فلو جعل الله عليهم الليل سرمداً لتمطلت مصالحهم وأكثر معاشهم والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر ولكن تأمل الحكمة في غروبها إذ لا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا راحة وكان الكد الدائم يتكاثر أبدانهم وتسرع فسادها وكان ما على الارض يحرق بدوام شروق الشمس من حيوان ونبات فصار الثور والظلة على تضادها متاولين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانخفاضها لاقامة هذه الازمنة الاربع وما في ذلك من الحكمة فان في الشتاء نفور الحرارة في الشجر والنبات فيؤثر من ذلك مواد النار وتكيف الهواء فتنشأ منه السحاب ويحدث المطر الذي به حياة الارض والحيوان وتشتد أفعال الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية وفي الربيع تتحرك الطياع وتظهر المواد الكامنة في الشتاء وفي الصيف يسخن الهواء فتضج الثمار وتحلل فضول الأبدان ويحرف وجه الارض فيها للبناء وغيره وفي الخريف يصفو الهواء ويتبدل فيذهب بسورة حر الصيف وسمومه إلى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم وكذلك الحكمة في ثقل الشمس قالها لو كانت واقفة في موضع واحد لفاتت مصالح العالم ولما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات لأن الحيات والجدران يجربانها عنها فاقضت الحكمة الباهرة ان جعلت تطلع أول النهار من المشرق وتشرق على ما قبلها من وجه الغرب ثم لا تزال تنشئ وجهها بعد وجه حتى تنهي إلى الغرب فتشرق على ما استتر عنها أول النهار فتأخذ جميع الجهات منها قسطاً من النفع وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار إلى هذا الحد فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة لتمطت المصالح والمنافع وفسد النظام وكذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقتاً من أخذها في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حاله الأولى فكم في ذلك من حكمة ومصلحة ومنفعة للخلق فان بذلك يعرفون الشهور والسنين والآجال وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الاعمار ومدد الاجارات وغيرها وهذا وان كان يحصل بالشمس إلا أن معرفته بالقمر وزيادته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم وكذلك الحكمة في



آثار القمر والكواكب في ظلمة الليل فانه مع الحاجة الى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وورد الهواء عليه وعلى النبات لم يجعل الليل ظلما محضا لاضياء فيه فلا يمكن فيه سفر ولا عمل وربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولشدة الحر فيمتكنون في ضوء القمر من أعمال كثيرة وجعل نوره باردا ليقاوم حرارة نور الشمس فبرد سمومه فيعتمد الامر ويكسر كيفية كل منهما كيفية الآخر ويزيل ضررها وكذلك الحكمة في خلق النجوم فان فيها من الهداية في البر والبحر والاستدلال على الأوقات ووزنة الساء وغير ذلك ما لم يكن حاصلا بمجرد الاتفاق كما يقوله فناء الحكمة واقتضت هذه الحكمة ان جعلت نوعين نوعا منها يظهر وقتا ويختبئ آخر ونوعا آخر لا يزال ظاهرا غير محتجب بل جعل ظاهرا بمنزلة الاعلام التي يهتدى بها الناس في الطرقات المجهولة وهم ينظرون اليها متى أرادوا ويهتدون بها الى حيث شاؤوا وجعلت الحكمة في النوع الاول الاستدلال بظهوره على أمور تعاديه متى طلع في وقت يعنى دل على تلك الأمور فقامت المصلحة والحكمة بالتوعين مع ما في خلقها من حكم أخرى ومصالح لا يهتدى اليها العباد فاخلى الله شيئا سدى وقد نظم الله سبحانه الحوادث الارضية بالازواج والاجرام العلوية أكل نظام يعجز عقول البشر عن الاحاطة ببعضه وقد استغرقت الامم السابقة قوى أذهانها في ادراك ذلك فلم يصل منه الى ما لا نسبة له الى ما خفي عليها بوجهه ما وقد جعل الخلق العلم سبحانه النجوم فرقتين فرقة منها لازمة مراكزها من الفلك ولا تسير الا بسيره وفرقة أخرى مطلقة يتقبل في البروج وتسير بانفسها غير سير فلكها فلكل منها مسيران مختلفان أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق وقد شبه هذا النوع بثلمة تدب على رجا والرحا تدور ذات اليعين والتملة تدور ذات الشمال فلثلمة في تلك الحال حركتان مختلفتان احدهما حركة بنفسها تتوجه امامها والآخرى يديرها هي مقهورة عليها تبعا للرحى فيجذبها الى خلفها فلذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لا يمدوه فزع فناء الحكمة ان ذلك أمر اتقيا للحكمة ولا لغرض مقصود فان قلت فإلغى الغرض المقصود بذلك وأي حكمه فيه قيل استدل بما عرفت من الحكمة على ما خفي عنك منها ولا يجعل ما خفي عليك دليلا على بطلانها مع ان من بعض الحكم في ذلك انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي تكون من تغل المتسلسل منها ومسيرها في كل واحد من البروج كما يستدل على أمور كثيرة وحوادث جمة بثقل الشمس والقمر والسبارات في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه فانه انما يقاس مسير المنتقلة منها بتقلها في البروج الراتبة كما يقاس سير السائر على الأرض بالمنازل التي يقطعها وبالجملة فلو كانت كلها بحال واحدة لبطل النظام الذي اقتضته الحكمة التي جعلها هكذا ففلك تقدير العزيز العليم وصنع الرب الحكيم وكيف يرتب ذو بصيرة ان ذلك كله تقدير مقدر حكيم أعين ماضيه وأحكم مادبره ويعرف بما فيه من الحكم والمصالح والمتافع الى خلقه فشدت العقول والفطر بانه ذو الحكمة الباهرة والقدرة القاهرة والعلم التام المحيط وانه لم يخلق ذلك باطلا ولا من الحكمة عاطلا وكذلك الحكمة في تمايز الحر والبرد على التدرج على أبدان الحيوان والنبات فان قيامها وكاملها لما كان بذلك اقتضت الحكمة الالهية ان لا يدخل أحدهما على الآخر وهلة فلا يتحملة بل بالتدرج قليلا قليلا الى أن ينتهي منها ويحصل المقصود به من غير ضرر يعم وهذا كله بسبب هي

منشأ الحكم والمصالح فلا يطل السبب بآيات الحكمة ولا الحكمة بالسبب ولا السبب والحكمة بالمشيئة فيكون من الذين يبغضون حظه من العقل والسمع وكذلك الحكمة في خلق النار على ما هي عليه كاملة في حاملها فانها لو كانت ظاهرة كالماء والماء والتراب لا حرق العالم وما فيه ولم يكن يمدن ظهورها في الاحياء للحاجة اليها فجعلت مخزونة في الاجسام تورى عند الحاجة اليها فتفسك بالمادة والعلطب ما احتيج الى بقائها ثم تحبوا اذ استغنى عنها فجعلت على خلقه وتقدير وتدير حصل به الاستمتاع بها والاتقاء مع السلامة من ضررها ثم في النار خلقه اخرى وهي انما مما خص به الانسان دون سائر الحيوان فان الحيوانات لا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما اقتضت الحكمة الباهرة ذلك اغنت الحيوانات عنها في لباسها وقوتها فاعطيت من الشعور والاولار ما يغنيها عنها وجعلت أغذيتها بالفرادات التي لا تحتاج الى طبخ وخز ولما كانت الحاجة اليها شديدة جعل من الآلات والاسباب ما يمكن به من اثارها اذا شاء ومن ابطالها ومن حكمها هذه المصاييح التي يوقدها الناس فيتمكنون بها من كثير حاجتهم ولولاها لكان نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور واما منافها في انضاج الاعذية والادوية والدفء فلا يخفى وقد نبه تعالى على ذلك بقوله أفرأيت النار التي نورون انهم انشأتم شجرها أن يحن المشئون نحن جعلناها نذكرة ومتاعا للمقوين أى تذكر بنار الآخرة فيحتز منها ويستمتع بها المقوون وهم التازلون بالقيفاء وهي الارض الحالية وخض هؤلاء بالذكر لشدة حاجتهم اليها في خبزهم وطبخهم حيث لا يجدون ما يشترونه فينتهم عن ما يصنعونه بالنار وكذلك الحكمة في خلق التسليم وما فيه من المصالح والعبر فانه حياة هذه الابدان وقوامها من خارج ومن داخل وفيه طرد هذه الاصوات فيؤديها الى السامع وهو الحامل لهذه الارييح يؤديها الى السامع وينقلها من موضع الى موضع وهو الذي يزجي السحاب ويسوقه من مكان الى مكان على ظهره كالروايا على ظهور الابل وهو الذي يسير السحاب أولا فيكون كسفا متفرقة فيؤلف بيته ثانيا فيصير طبقا واحدا ثم يلقحه ثالثا كما يلقح الفحل الاثني فيحمل الماء كما تحمل الاثني من لقاح الفحل ثم يسوقه رابعا الى احوج الاماكن والحيوان اليه ثم يصرمه خامسا حتى يخرج ماؤه ثم يذروا ماءه بعد عصره سادسا حتى لا يسقط جملة فيهلك ما يقع عليه ثم يربي الثبات سابعا فيكون له بمنزلة الماء والغذاء يحفظه بجمارته ثامنا ثلاثا يقف ولا يمكن بقاؤه ولهذا اقتضت الحكمة الباهرة ان تكون الرياح مختلفة المهاب والصفات والطباع فزعم قاعة الحكمة ان هذا كله أمر اتفاق لاسبب ولا غاية وهذا لو تتبعناه لجاء عدة أسفار بل لو تتبعنا خلقه الانسان وحده وما فيها من الحكم والغايات لمعجزنا نحن وأهل الأرض عن الاطالة تفصيل ذلك فلترجع الى جواب قاعة الحكمة والتعليل فتقول في الوجه الرابع والعشرين قولهم أى حكمة في خلق ابليس وجنوده ففي ذلك من الحكم مالا يحيط بتفصيله الا الله فنها أن يكمل لآيائه وأوليائه مراتب البودية بمجاهدة عدو الله وخزبه ومخالفة مومر اغته في الله واغافلته واغائلة لآيائه والاستفادة به منه والنجاة اليه أن يبيد من شره ويكده فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والاخرية ما لم يحصل بدونه وقدمننا أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنوبهم بعد مشاهدوا من حال ابليس لما شاهدوه وسقوطه من المرتبة الملكية الى المنزلة الابليسية يكون أقوى وأثم ولا ريب ان الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم

عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخوف آخر كما هو المشاهد من حال عبد الملك إذا رآه قد أمان أحدهم الأمانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد ومنها أنه سبحانه جعله عبداً لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصر على معصيته كما جعل ذنب أبي البشر عبداً لمن ارتكب فيه أو عصي أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه فاقبل أبوي الحزن والانس بالذنب وجعل هذا الاب عبداً لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الاب عبداً لمن تاب ورجع إلى ربه فله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ومنها أنه محك امتحن الله به خلقه لئين به خبيثهم من طيبهم فانه سبحانه خلق الثور الأسفاني من الأرض وفيها السهل والحزن والطيب والحديث فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعاً أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على مثل ذلك منهم الطيب والحديث والسهل والحزن وغير ذلك فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في الخلق منها فاقضت الحكمة الإلهية أخراجه وظهوره فلا بد لنا من سبب يظهر ذلك وكان ابليس محكاً يميز به الطيب من الخبيث كما جعل أنبياءه ورسله محكاً لذلك التمييز قال تعالى ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أثم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فأرسل رسوله إلى المكلفين وفيهم الطيب والخبيث فأضاف الطيب إلى الطيب والخبيث إلى الخبيث واقضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم وجعل لهؤلاء داراً على حدة ولهؤلاء داراً على حدة حكمة بالغة وقدرة قاهرة ومنها أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة واليأس والسياطين وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيئته وسلطانه فانه خلق الأضداد كالسماء والأرض والضياء والظلام والجنة والنار والماء والنار والبحر والبرد والطيب والخبيث ومنها أن خلق أحد الضدين من كمال حسن ضده فان الضد انما يظهر حسنه بضده فلولا القسيح لم تعرف فضيلة الجليل ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنا كما تقدم بيانه قريباً ومنها أنه سبحانه يحب أن يشكر بمحققة الشكر وأنواعه ولا ريب أن أوليائه نالوا بوجود عدو الله ابليس وجنوده وامتحنهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلى بعبده ثم اجتبه ربه وتاب عليه وقبله ومنها أن الحبة والانهة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه وهذه العبودية انما تتحقق بالجهد وبذل النفس لله وتقديم محبته على كل مساوم فالجهاد ذروة ستام العبودية وأحبا إلى الرب سبحانه فكان في خلق ابليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتواصيها التي لا يحصى حكمها وقوائدها وما فيها من المصالح إلا الله ومنها أن في خالق من يضاد رسوله ويكذبهم ويمادهم من تمام ظهور آياته ومجائب قدرته ولطائف صنعه ما لوجوده أحب إليه وأتقن أوليائه من عدمه كما تقدم من ظهور آية الطوفان والصفا والبد وفاق البحر والقاء الخليل في النار وأضفاف أضاف ذلك من آياته وبراينه قدرته وعلمه وحكمته فلم يكن بدمن وجود الاسباب التي يرتب عليها ذلك كما تقدم ومنها أن المادة النارية فيها الاحرار والعلو والفساد وفيها الاشرار والاضاعة والثور فالخرج منها سبحانه هذا وهذا كما أن المادة الترابية الارضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والاحمر والاسود والابيض فالخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ليس

كثته شيء وهو السمع البصير ومنها أن من أسأله الخافض الرافع المزمع المنزل الحكم العدل المتقم وهذه الاسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها إحكامها كاسماء الاحسان والرزق والرحمة ونحوها ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه ومنها أنه سبحانه الملك التام الملك ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتويعه بالثواب والعقاب والاكرام والاهانة والعدل والفضل والاعزاز والاذلال فلا بد من وجود من يتعلق به أحد التويعين كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر ومنها أن من أسأله الحكيم والحكمة من صفاته سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواء فاقضت خلق المتضادات وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الاحكام والصفات والخصائص وهل تم الحكمة الا بذلك فوجود هذا النوع من تمام الحكمة كما أنه من كمال القدرة ومنها ان حمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه فهو محمود على عدله ومنه وخفضه وانقائه واحسانه كما هو محمود على فضله وعطائه ورفهه وأكرامه فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا وهو يحمد نفسه على ذلك كله ويحمده عليه ملائكته ورسله وأوليائه ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم وما كان من لوازم كمال حمده وتماه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة كماله عليه الحمد التام فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته ومنها أنه سبحانه يجب أن يظهر لمباهه حلمه وصبره وإثابة وسعته ورحمته وجوده فاقضى ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجهده في مخالفته ويسعى في مسأخله بل يشبهه سبحانه وهو مع ذلك يسوق اليه أنواع الطيبات ويرزقه ويقابله ويمكن له من أسباب ما يندب به من أصناف الثم ويغيب دعاءه ويكشف عنه السوء ويعامله من برة واحسانه بضد ما يمايله هو به من كفره وشركه واسأله فانه قد كفي في ذلك من حكمة وحمد وتجب الى أوليائه ويتعرف بأنواع كماله كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأحد أصبر على أذى يسمعه من الله يحملون له الولد وهو يرزقهم ويقاقهم وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك أما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد وأما تكذيبه إياي فقله لن يصيدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون عليه من اعادته وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويقاقبه ويدفع عنه ويدعوه الى حبه وقبل توبته اذا تاب اليه ويدله بسيئاته ههنا ويطلق به في جميع أحواله ويؤهله لارسال رسله ويأمرهم بان يبنوا له القول ويرفعوا به قال الفضيل بن عياض ما بين ليلة يخلط ظلامها الا نادى الجليل جل جلاله من أعظم مني جودا الخلاق لي عاصون وأنا أكلاهم في مضاجعهم كأنهم لم يصوني وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا أجود بالفضل على العاصي وأفضل على المسيء من ذا الذي دعاني فلم ألب ومن ذا الذي سألتني فلم أعطه أنا الجواد ومنى الجود أنا الكريم ومنى الكريم ومن كرمي اني أعطيت العبد مائتي وأعطيه مائة يسألني ومن كرمي اني أعطيت التائب كأنه لم يصني فإن عني يهرب الخلق وأين عن باقي يتبعني الماصون وفي أثر إلهي اني والانس والجن في بنا عظيم أخلق ويميدعري وارزق ويشكر سواي وفي أثر حسن ابن آدم ما أصفني خبري اليك نازل وشرك الى صاعدكم أحب اليك بالتم وأناغني عنك وكم تنقبض الى بالمعصي وأنت فقير الى ولا يزال الملك الكريم يرجع الى منك بعمل قبيح وفي الحديث الصحيح لو لم تذببوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم

يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم فهو سبحانه لكمال محبته لاسيائه وصفاته أفاض حده وحكمته أن يخلق خلقا يظهر فيهم أحكامها وآثارها فالجنة للعفو خلق من يحسن العفو عنه ولجنة للمغفرة خلق من يغفر له ويعلم عنه ويصبر عليه ولا يماحله بل يكون يحب أمانه وأمهاله ولجنة لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته ولجنة للجد والاحسان والبر خلق من يمايله بالإساءة والصيان وهو سبحانه يمايله بالمغفرة والاحسان فلو لا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والخالفات لفات هذه الحكم والمصالح وأضافها وأضاف أضعافا تبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ذو الحكمة البالغة والتم السابقة الذي وصلت حكمته الى حيث وصلت قدرته وله في كل شيء حكمة باهرة كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات اتبادرنا منه قطرة من بحر والا فقول البشر أعجز وأضنف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه فكم حصل بسبب هذا الخلق البغيض للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى تصل في حبه ما حصل به من مكروهه والحكم الباهر المحكمة هو الذي يحصل أحب الامرين اليه باحتمال المكروه الذي يفضيه ويسخطه اذا كان بطرفا الى حصول ذلك المحبوب ووجود الملزوم بدون لازمه محال فان يكن قد حصل بعدو الله ابليس من السرور والمعاصي ما حصل فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب الى الله وأرضى له من جهاد في سيده ومخالفة هوى النفس وشهواتها له ويحتمل المشاق والمكاره في محبة ومراضاته وأحب شيء الحبيب أن يرى محبه يتحمل لاجله من الاذى والوصب ما يصدق محبة من أجلك قد سجلت خدي أرضا للشامت والجود حتى رضا

وفي أثر الهى بقي ما يتحمل المتحملون من أحلى فقه ما أحب اليه احتمال عبه اذا أعدائه لهم فيه وفي مرضاته وما أنفع ذلك الاذى لهم وما أحدهم لعاقبه وما ذائلون به من كرامة حبيهم وقربه قرة عيونهم به ولكن حرام على منكرى عبه الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة أو يدخلوا من هذا الباب أو يدوقوا من هذا الشراب

قتل الصيون النعى للشمس أعين سواك يراها في مغيب ومطلع

وسامع يؤسلم يؤهل لحبهم فاحسن التخصيص في كل موضع

فان أغضب هذا الخلق ربه فقد أرضاه فيه أنيائه ورسله وأوليائه وذلك الرضاء أعظم من ذلك الغضب وان أسخطه ما يجرى على يديه من المعاصي والخالفات فانه سبحانه أشد فرحا بتوبة عبده من النقاد لراحته التي عليها طعامه وشرابه اذا وجدها في المناويز الملهكات وان أغضب ما جرى على أنيائه ورسله من هذا العدو فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من حربه ومعيسته ومرامته وكتبه وغضبه وهذا الرضاء أعظم عنده وابر لديه من فوات ذلك المكروه المستازم لنوات هذا الرضى المحبوب وان أسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه توبته وأتابته وخضوعه وتذله بين يديه وانكساره له وان أغضبه اخراج أعدائه لرسوله من حرمة وبلده ذلك الخروج فقد أرضاه أعظم الرضاء دخوله اليها ذلك الاذخول وان أسخطه قناعم أوليائه وأحبابه وتزيق لحومهم ورافة دماهم فقد أرضاه نياهم الحياة التي لا أطيب منها ولا أنعم ولا آله في قربه وجواره وان أسخطه معاصي عباده فقد أرضاه شهود ملائكتهم وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة

مفقرته وغفوره وكرمه وجوده والتناء عليه بذلك وحده وتمجيده بهذه الاوصاف التي حده بها وأثنى عليه بها أحب اليه وأرضى له من قوات تلك الماصي وقوات هذه المحبوبات واعلم أن الحمد هو الاصل الجامع لذلك كله فهو عقد نظام الخلق والامر والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه فاخلق شيئاً ولا حكم بشئ الا وله فيه الحمد فوصل حده الى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه والتناء عليه والاقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمر به فتعطيل حكمته غير تعطيل محمده كما تقدم يانه فكما أنه لا يكون الا حميداً فلا يكون الا حكيماً مفيداً وحكمته كلمه وقدرته وحياته من لوازم ذاته ولا يجوز تعطيل بشئ من صفاته وأسبابه عن مقتضياتها وآثارها فان ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبريائه وعظمته يوضحه \* الوجه الخامس والعشرون انه كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والتناء انه يمجود ويعطى وينفع فيها أن يمد وينصر ويغث فكما يجب أن يلوذ به اللائذون يجب أن يمؤد به العائذون وكال الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويمؤدوا بهم كما قال أحد بن حسين الكندي في ممدوحه

يامن الود به فيما أوصله ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يخبر الناس عظما أنت كاسره ولا يبرضون عظما أنت جاره

ولو قال ذلك في ربه وظهره لكان أسعد به من مخلوق مثله والمتصور أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به بمالكه وأن يمؤدوا به كما أمر رسوله أن يستعذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده اذا أعاذه وأجاره من عبده فلم يكن اعادته واجارته منه بأدنى التمتعين والله تعالى يجب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين ويريمهم نصرة لهم على عدوهم وحياتهم منه ونظرهم بهم فيالها من نعمة كل بها سرورهم ونعيمهم وعبدل أظهره في أعدائه وخصائمه

وما منهما الا له فيه حكمة يصغر عن ادراكها كل باحث

الوجه السادس والعشرون قوله أي حكمة في ابقائه بليس الى آخر الدهر وامانة الرسل فكذلك في ذلك من حكمة تضيق بها الاوهام ففما أنه سبحانه لا يجعله محكوماً ويخرج به الطبيب من الخيط ووليهم من عدوه اقتضت حكمته ابقائه ليحصل الفرض المطلوب بحلقه ولو امانته لفات ذلك الفرض كما ان الحكمة اقتضت بقاء اعدائه الكفار في الارض الى آخر الدهر ولو أهلكتهم البتة لتعطلت الحكم الكثيرة في ابقائهم فكما اقتضت حكمته امتحان ابي البشر اقتضت امتحان اولاده من يده به فتحصل السعادة لمن خالفه ونعاده ويخاف اليه من وافقه والامر ومنها أنه لما سبق حلقه وحكمته أنه لا نصيب له في الآخرة وقد سبق له طاعة وعبادة جزاء بها في الدنيا بان أعطاه البقاء فيها الى آخر الدهر فانه سبحانه لا يظلم أحداً حسنة عملها فاما المؤمن فيجزه بمحسناته في الدنيا وفي الآخرة وأما الكافر فيجزه بمحسنتات ماعمل في الدنيا فانها أقصى الى الآخرة لم يكن له شئ كما ثبت هذا المعنى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان ابقائه لم يكن كرامة في حقه فانه لو مات كان خيرا له وأحق لعذابه وأقل لشرة ولكن لما غلظ ذنبه بالاصرار على المعصية ومخاصمة من ينبغي التسليم لحكمه والقدح في حكمته والخلف على اقتطاع عبادته وصدهم عن عبوديته كانت عقوبة الذنب أعظم عقوبة مجسب تنلظه فابقى في الدنيا

وأملى له ليزداد هذا أمّا على أتم ذلك الذنب فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره فيكون رأس أهل الشر في العقوبة كما كان رأسهم في الشر والكفر ولما كان مادة كل شر فغته ينشأ جوزى في النار مثل فعله فكل عذاب ينزل بأهل النار يبدأ به فيه ثم ينرى منه الى اتباعه عدلا ظاهرا أو حكمة بالغة ومنها أنه قال في مخاطبته لربه أرأيتك هذا الذي كرمت على لئلا أخترنى الى يوم القيامة لاحتسكن ذرته الا قليلا وعلم سبحانه أن في الثيرة من لا يصلح لمساكنته في داره ولا يصلح الا لا يصلح له الشوك والروت أبقاه له وقال له بلسان القدر هؤلاء أمحباك وأوليائك فاجلس في انتظارهم وكلما مر بك واحد منهم فثأبك به فلو صلح لي لما ملكتك منه فأتى الصالحين وهم الذين يصلحون لي وأنت ولي المجرمين الذين غنوا عن موالاتي وابتغوا مرضاتي قال تعالى (أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) أمّا سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فاما امانة الانبياء والمرسلين فلم يكن ذلك هو انهم عليه ولكن ليصلوا الى محل كرامته ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعدائهم واتباعهم وليحى الرسل بمدحهم يرى رسولا بعد رسول فقامت عليهم أصح لهم وللأمة أمّا هم فلما احتج من الدنيا ولطوهم بالرفق الاعلى في أكل لذة وسرور ولا سبأ وقد خبرهم بهم بين البقاء في الدنيا واللحاق به وأما الامم فعمل أنهم لم يطيعوه في حياتهم خاصة بل أطاعوه بعد مماتهم كما أطاعوه في حياتهم وان اتباعهم لم يكونوا يعبدونهم بل يعبدون الله بأمرهم ونهيهم والله هو الحى الذى لا يموت فكيف في امماتهم من حكمة ومصلحة لهم وللأمم هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقه قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الارض يخلف بعضهم بعضا فلو أنهم لفات المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف ولضاق بهم الارض فاموت كمال لكل مؤمن ولولا الموت لما طاب العيش في الدنيا ولا إبقاء لاهلها بها فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة الوجه السابع والشعرون قوله أى حكمة ومصلحة في اخراج آدم من الجنة الى دار الابتلاء والامتحان فالحجاب أن يقال كم لله سبحانه في ذلك من حكمة وكفى فيه من نعمة ومصلحة تعجز العقول عن معرفتها على التفصيل ولو استغرقت قواها كلها في معرفة ذلك وأهاب آدم واخراجه من الجنة كان يسر كماله ليعود اليها على أحسن أحواله وهو سبحانه أمّا خلقه ليستبصره وذريته في الارض ويجعلهم خلفاء يخلف بعضهم بعضا تخلفهم سبحانه ليأمرهم ونهيهم ويتبهم وليست الجنة دار ابتلاء وتكليف فأخرج الابوين الى الدار التي خلقوا منها وفيها يترددوا منها الى الدار التي خلقوا لها فإذا عرفوا دار التكليف ونسبها عرفوا قدر تلك الدار وفضلها ولو نشأوا في تلك الدار لما عرفوا قدر نعمته عليهم بها فلكنتهم دار الامتحان وعرضهم فيها لامره ونهيهم لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه وكرامته وكان من الممكن أن يحصل لهم النعم المقيم هناك لكن الحاصل عقيب الابتلاء والامتحان وممات الموت وما بعده وأجل القيامة والعبور على الصراط نوع آخر من النعم لا يدرك قدره وهو أكل من نعيم من خالق في الجنة من الولدان والحوار العين بما لا يشبه بينهما بوجه من الوجوه ومن الحكم في ذلك أنه سبحانه أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلا وأنبياء وشهداء يحجهم ويحيونه وينزل عليهم كتبه ويمهد اليهم عهده ويستعبد لهم في السراء والضراء ويؤثرون محابه ومراضيه على شهواتهم وما يحبون ويهرونه فالتجسس سكتهم انزاعهم الى دار ابتلاءهم فيها بما ابتلاهم ليكملوا بذلك الابتلاء مراتب

عبوديته ويسبونه بما تكرهه نفوسهم وذلك محض البودية والافن يعبد الله الانما يحبه وهو الله في الحقيقة انما يسب نفسه وهو سبحانه يحب من اوليائه ان يوالوا فيه ويمادوا فيه ويبذلوا نفوسهم في مرضاته ومحابه وهذا كله لا يحصل في دار النعيم المطلق ومن الحكمة في اخراجه من الجنة ما تقدم التنبيه عليه من اقتضائهم الله الحسن لمسياتها ومتعلقاتها كالغفور الرحيم الثواب الغفور المنتقم الخافض الرفع المذل المذل المحي المميت البوارث ولا يد من ظهور أثر هذه الاسماء وجود ما يتعلق به فاقضت حكمته ان ازال الابوين من الجنة ليظهر مقتضى اسمائه وصفاته فيهما وفي ذريتهما فلو تربت الذرية في الجنة لفات آثار هذه الاسماء وتعلقاتها والكمال الالهي بأثر ذلك فانه الملك الحق المبين والملك هو الذي يأمر وينهى ويكرم ويهين ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويمزق وبذل قاتل الابوين والذرية الى دار تجري عليهم هذه الاحكام وأيضا قائمهم أنزلوا الى دار يكون لعائهم تما فان الايمان قول وعمل وجهاد وصبر واحتفال وهذا كله انما يكون في دار الامتحان لاني جنة النعيم وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم أبو الوفاين عقيل وغيره ان أعمال الرسل والانبياء والمؤمنين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة قالوا لأن نعيم الجنة حظههم وتتمتعهم فإين يقاس الى الايمان وأعماله والصلوات وقرائهم القرآن والجهاد في سبيل الله وبذل النفوس في مرضاته وإثاره على هواها وشهواتها قالوا الايمان متعلق به سبحانه وهو حقه عليهم ونيهم الجنة متعلق بهم وهو حظهم فهم لما خلقوا للعبادة والجنة دار نعيم لا دار تكليف وعبادة وأيضا فانه سبحانه نسق حكمه وحكمته بان يجعل في الارض خليفة وأعلم بذلك ملائكته فهو سبحانه قد أراد يكون هذا الخليفة وذريته في الارض قبل خلقه لانه في ذلك من الحكم والغايات الحميدة فلم يكن يريد من اخراجه من الجنة الى دار قد سكنتم فيها قبل أن يخلقهم وكان ذلك التقدير بأسباب وحكم فمن أسبابه التهي عن تلك الشجرة وتخليته بينه وبين غدوه حتى وسوس اليه بالاكل وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية وكانت تلك الأسباب موصلة الى غايات محمودة مظلوية يترتب على خروجه من الجنة ثم يترتب على خروجه أسباب أخر جعلت غايات لحكم أخر ومن تلك الغايات عوده اليها على أكمل الوجوه فذلك التقدير وتلك الأسباب وغاياتها صادرة عن محض الحكمة البالغة التي يحمده عليها أهل السموات والارض والدنيا والآخرة فاقدر أحكم الحاكمين ذلك باطلا ولا يذره عبثا ولا أخلاء من حكمته البالغة وجهه التام وأيضا فانه سبحانه قال للملائكة (إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وتحسد لك قال اني أعلم ما لا تعلمون) ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذي خفي على الملائكة من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه بان جعل من نسله من اوليائه وأجابه وزسله وأنشأته من يتقرب اليه بأنواع القرب وبذل نفسه في محبة ومرضاته يسبح بحمده أثناء الليل وأطراف النهار ويذكره قائما وقاعدا وعلى جنبه ويسبده ويذكره ويشكره في السراء والضراء والعافية والبلاء والشدة والرخاء فلا يثنيه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء ولا فقر ولا مرض ويعبده مع ممارسة الشهوة وغلبات الهوى وتماضد الطامع لاحكامها ومهاداة بني جنسه وغيرهم له فلا يفسده ذلك عن عبادته وشكره وذكره والتقرب اليه فان كانت عبادتكم لي بلا معارض ولا مانع فبإذنه هؤلاء لي مع هذه المعارضات والموانع والشواغل وأيضا فانه سبحانه أراد أن يظهر لهم



ما خفي عليهم من شأن ما كانوا يعظمونه ويحولونه ولا يعرفون ما في نفسه من الكبر والحسد والشر  
فذلك الخير وهذا الشر كامن في نفوسهم لا يعلونها فلا بد من اخراجه وإبرازه لكي يعلم حكمة  
أحكام الحاكمين في مقابلة كل منهما بما يليق به وأيضا فانه سبحانه لما خلق خلقه أطوارا وأصنافا  
وسبق في حكمه وحكمته تفضيل آدم وبنه على كثير ممن خلق تفضيلا جعل عبوديتهم أكل من  
عبودية غيرهم وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم أعنى العبودية الاختيارية التي يأتون  
بها طوعا واختيارا لا كرها واضطرارا ولهذا أرسل الله جبريل الى سيد هذا النوع الانساني يخبره  
بين أن يكون عبدا رسولاً أو ملكاً نبياً فاختار بتوفيق ربه أن يكون عبداً رسولاً وذكره سبحانه  
بأنهم العبودية في أشرف مقاماته وأفضل أحواله كقيام الدعوة والتحدى والاسراء وانزال القرآن  
وانه لما قام عبد الله يدعوه وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا سبحانه الذي أسرى بعبدته تبارك  
الذي نزل الفرقان على عبده فآتى عليه ونوه به لمبؤذته الثامنة له ولهذا يقول أهل الموقف حين  
يطلبون الشفاعة اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له فاقدم من ذنبه وما تأخر فلما كانت العبودية أشرف  
أحوال بني آدم وأحبها الى الله وكان لها لوازم وأسباب مشروطة لا يحصل الا بها كان من أعظم  
الحكمة أن أخرجوا الى دار تجري عليهم فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها فكان  
اخراجهم من الجنة تكديلاً لهم وانعاماً لتمتع عليهم مع ما في ذلك من محبوبات الرب تعالى فانه يجب  
اجابة الدعوات وقربج الكربات واغانة الاهلّات ومفطرة الزلات وتكفير السيئات ودفع إلبات  
واعزاز من يستحق العز واذلال من يستحق الذل ونصر المظلوم وجبر الكبير ورفع بعض خلقه  
على بعض وجعلهم درجات ليعرف قدر فضله وتخصيصه فاقتضى ملكه التام وحمده الكامل أن  
يخرجهم الى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه وان كان لكثير منها طرق وأسباب يكرها فلو قوف  
على الشيء لا بدونه وإيجاد لوازم الحكمة من الحكمة كما أن إيجاد لوازم العدل من العدل كما  
ستقف عليه في فصل ايلام الاطفال ان شاء الله \* الوجه الثامن والعشرون أنه سبحانه أبرز خلقه  
من المدم الى الوجود ليجرى عليه أحكام أسمائه وصفاته فيظهر كماله المقدس وان كان لم يزل كاملاً  
فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره وقضائه وقدره ووعدته وعيده ومنه وأعطائه وأكرامه  
وأهائه وعدله وفضله وعفوه وانما به وسعة حلمه وشدة بطشه وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه انه  
كل يوم هو في شأن فمن جملة شؤونه أن يفر ذنباً ويخرج كريباً ويشفي مريضاً ويكف عانياً وينصر  
مظلوماً ويثبت ملبوفاً ويبر كسيراً ويغيث فقيراً ويحب دعوة رقيق ويزيل ذليلاً ويذل متكبراً  
ويقسم جباراً ويميت ويحيي ويصحك ويبكي ويخفف ويرفع ويعطي ويتع ويرسل رسله من الملائكة  
ومن البشر في تنفيذ أوامره وسوق بمقاديره التي قدرها الى موافقتها التي وقها لها وهذا كله يمكن  
ليحصل في ذات البقاء وانما اقتضت حكمته البالغة حصوله في دار الامتحان والابتلاء بموضع الوجه  
التاسع والعشرون أن كمال ملكه التام اقتضى كمال تصرفه فيه بأنواع التصرف ولهذا جعل الله سبحانه  
الدور ثلاثة داراً أحصاها للنعم واللذة والبهجة والسرور وداراً أحصاها للألم والتعب وأنواع البلاء  
والسرور وداراً أحصاها خيرها وشرها ومنجها بشقاءها ومنجها لذتها بألمها بلقياناً وبطالان وجعل  
عمارة بيتك الدارين من هذه الدار وأجرى أحكامه على خلقه في الدور الثلاثة بمقتضى روبيته

والهيئة وعزته وحكمته وعدله ورحمته فلو أسكنهم كلهم دار البقاء من حين أوجدتهم لتعطلت أحكام هذه الصفات ولم يرتب عليها آثارها يوضحه الوجه الثالثون أن يوم المعاد الأكبر يوم مظهر الأسماء والصفات وأحكامها ولهذا يقول سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وقال (يوم لا يملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) حتى إن الله سبحانه ليترف إلى عباده ذلك اليوم بسماه وصفات لم يعرفوها في هذه الدار فهو يوم ظهور المملكة العظمى والأسماء الحسنى والصفات العلى فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه وظهور عزته تعالى وعظمته وعدله وفضله ورحمته وآثار صفاته المقدسة التي لو خلقوا في دار البقاء لتعطلت وكاله سبحانه يتنى ذلك وهذا دليل مستقل لمن عرف الله تعالى وأسمائه وصفاته على وقوع المعاد وصدق الرسل فيما أخبروا به عن الله عنه فيطابق دليل العقل ودليل السمع على وقوعه الوجه الحادى والثلاثون أن الله سبحانه يجب أن يعبد بأنواع العبادات كلها ولا يليق ذلك إلا بعظمته وجلاله ولا يحسن ولا ينبغي الإله وحده ومن المعلوم أن أنواع العبادة الحاصلة في دار الآيات والامتحان لا يكون في دار المجازاة وإن كان في هذه الدار بعض المجازاة وكلها وتماها إنما هو في تلك الدار وليست دار عمل وإنما هي دار جزاء وثواب أوجب كاله المقدس أن يجزى فيها الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فلم يكن يد من دار تقع فيها الإساءة والاحسان ويجزى على أهلها أحكام الأسماء والصفات ثم يقبها دارا يجازى فيها الحسن والمسيء ويجزى على أهلها فيها أحكام الأسماء والصفات فتعطيل أسمائه وصفاته متمتع ومستحيل وهو تعطيل لربوبيته والهيته وملكوته وعزه وحكمته فمن فتح له باب من الفقه في أحكام الأسماء والصفات وعلم اختصاصها لآثارها ومتعلقاتها واستحالة تعطيلها علم أن الأمر كما أخبرت به الرسل وأنه لا يجوز عليه سبحانه ولا ينبغي له غيره وأنه يتره عن خلاف ذلك كما يتره عن سائر الصوب والقائص وهذا باب عزيز من أبواب الإيمان يفتحته الله على من يشاء من عباده ويحرمه من يشاء الوجه الثاني والثلاثون أنه كم لله سبحانه من حكمة وحده وأمر ونهى وقضاء وقدر في جبل بعض عباده فتنة لبعض كما قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) وقال تعالى (وجعلنا بعضهم فتنة لبعض فتنة أتصبرون) فهو سبحانه جعل أوليائه فتنة لأعدائه وأعداءه فتنة لأوليائه والملوك فتنة لفرعية والرعية فتنة لهم والرجال فتنة للنساء وهن فتنة لهم والاعتناء فتنة للفقراء والفقراء فتنة لهم وأبلى كل أحد بضد جعله متقابلا فما استقرت أقدام الأيون على الأرض الا وضدهما مقابلهما واستمر الأمر في القرية كذلك إلى أن يطوى الله الدنيا ومن عليها وكم له سبحانه في مثل هذا الابتلاء والامتحان من حكمة بالغة ونعمة سائفة وحكم نافذة وأمر ونهى وتصريف دال على ربوبيته وإلهيته وملكوته وحده وكذلك ابتلاء عباده بالخير والشر في هذه الدار هو من كمال حكمته ومقتضى حمده الثام الوجه الثالث والثلاثون أنه لو لا هذا الابتلاء والامتحان لما ظهر فضل الصبر والرضا والثوكل والجهاد والمقة والشجاعة والحلم والقفو والصفح والله سبحانه يحب أن يكرم أوليائه بهذه الكمالات ويحب ظهورها عليهم لينبى بها عليهم هو وملائكته وينالوا باتصافهم بها غاية الكرامة والذلة والسرور وإن كانت مرة المبادئ فلا أحلى من عواقبها ووجود المألوم بدون لازمه متمتع وقد أجرى الله سبحانه حكمته بأن كمال الغايات تامة لقوة أسبابها وكلها وقضائها لتقصانها فمن كل

أسباب النعيم واللذة كملت له غاياتها ومن حرماها حرماها ومن تنصها تنصها له من غاياتها وعلى هذا قام  
الجزء بالقسط والتواب والعقاب وكفى بهذا العالم شاهدا لتلك قرب الدنيا والآخرة وأحد وحكمته  
مطررة فيهما وله الحمد في الأولى والآخرة قوله الحكم واليه ترجعون بوضحة الوجه الرابع والثلاثون  
وهو أن أفضل المطاوعة وأجله على الإطلاق الإيمان وجزاؤه وهو لا يمتحن إلا بالامتحان والاختبار  
قال تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يمتحنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن  
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يملكون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون  
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنا مجاهدون لنفسه إن الله  
لغني عن العالمين) فذكر سبحانه في هذه السورة أنه لا بد أن يمتحن خلقه ويثبتهم ليتبين الصادق من  
الكاذب والمؤمن من الكافر ومن يشكره ويمدحه ممن يكفره ويعرض عنه ويبدد غيره وذكر أحوال  
المتحدين في العاجل والآجل وذكر أئمة المتحدين في الدنيا وهم الرسل وأتباعهم وعاقبة أمرهم  
وماصروا إليه وافتح بالإنكار على من يحسب أنه يتخلص من الامتحان والفتنة في هذه النار إذا  
دعى الإيمان وإن حكمته سبحانه وشأنه في خلقه يأتي ذلك وأخبر عن سر هذه الفتنة والحكمة وهو  
تبيين الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر وهو سبحانه كان يعلم ذلك قبل وقوعه ولكن اقتضى  
عدله وحده أنه لا يجرى البعاد بمجرد علمه فيهم بل بمعلومه إذا وجد وتحقيق الفتنة هي التي أظهرته  
وأخرجته إلى الوجود فثبت حسن وقوع الجزاء عليه ثم أنكر سبحانه على من لم يترحم الإيمان به  
ومتابعة رسله خوفاً للفتنة والحكمة التي يمتحن بها رسله وأتباعهم طئه وحساباً له أنه باعراشه عن الإيمان  
وتصديق رسله يتخلص من الفتنة والحكمة فإن بين يديه من الفتنة والحكمة والعذاب أعظم وأشق مما  
فرعته فإن المكلفين بعد إرسال الرسل إليهم بين أمرين إما أن يقول أحدهم آمنت وأمان لا يقول  
بل يستمر على الشكيات فمن قال آمنا امتحنه الرب تعالى وأتبعه لتحقيق بالإيمان حجة إيمانه وثباته  
عليه وأنه ليس بإيمان عافية ورهاء فقط بل إيمان ثابت في حالتي النعماء والبلاء ومن لم يؤمن فلا يحسب  
أنه يعجز ربه تعالى ويفوته بل هو في قبضته وناصيته يده فله من البلاء أعظم مما يتلى به من قال  
آمنت فمن آمن به ورسله فلا بد أن يتلى من أعدائه وأعداء رسله بما يؤله ويشق عليه  
ومن لم يؤمن به ورسله فلا بد أن يماقه فيحصل له من الألم والمشقة أضعاف أضعاف المؤمنين فلا بد  
من حصول الألم لكل نفس مؤمنة أو كافرة لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا أشد من يتقطع  
ويقبه أعظم اللذة والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم يتقطع ويقبه أعظم الألم والمشقة  
وهكذا حال الذين يتبعون الشهوات فيلتذون بها ابتداء ثم تعقبها الآلام بحسب ما مالوا منها والذين  
يصبرون عنها يتألمون ببقعها ابتداء ثم يقب ذلك الألم من اللذة والسرور بحسب ما صبروا عنه  
وتركوه منها فالألم واللذة أمر ضروري لكل إنسان لكن الفرق بين العاجل المتقطع والسرور والآجل  
الدائم العظيميون ولهذا كان خاصة العقل الناظر في المواقف والغايات فمن ظن أنه يتخلص من الألم بحيث  
لا يسهى البتة فقلته أكذب الحديث فإن الإنسان خلق عرصة للذة والألم والسرور والحزن والفرح  
والنعم والهم ذلك من جهتين من جهة تركه وطبيعته وهيئة قلة مركب من اخلاط متفاوتة متضادة  
يتسع أو يوزع اعتدالها من كل وجه بل لا بد أن يبقى بعضها على بعض فيخرج عن حد الاعتدال

فيحصل الالم ومن جهة بنى جنسه فانه مدنى بالمبلغ لا يمكنه أن يعيش وحده بل لا يعيش الا معهم وله ولهم لذات ومطالب متضادة ومتعارضة لا يمكن الجمع بينها بل اذا حصل منها شيء فالت منها أشياء فهو يريد منهم أن يوافقوه على مطالبه وارادته وهم يريدون منه ذلك فإن وافقهم حصل له من الالم والمشقة بحسب ما فاته وان لم يوافقهم آذوه وعذبوه وسعوا في تعطيل مراداته كما لم يوافقهم على مرادهم فيحصل له من الالم والتعذيب بحسب ذلك فهو في ألم ومشقة وعناء وافقهم أو خالفهم ولا سيما اذا كانت موافقتهم على أهو يعلم أنها عقائد باطلة وارادات فاسدة وأعمال تضره في عواقبها ففي موافقتهم أعظم الالم وفي مخالفتهم حصول الالم قائلقل والدين والمرودة والبلغ تأمره باحتيال أخف الالام نخلصا من أشدهما وباثنا المنقطع منهما لينجو من الدائم المستمر فن كان ظهيرا للمجرمين من الظلمة على ظلمهم ومن أهل الاهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم ليتخاص بمظاهرهم من الالم اذا هم أصابه من الالم الموافقة لهم عاجلا وأجلا أضاف أضاف ما فر منه وسنة الله في خلقه أن يعذبهم بما يذر من إيمانهم وظواهرهم وأن يسر على ألم مخالفتهم ومجانبتهم أعقب ذلك لذة عاجلة وأجلة تزيد على لذات الموافقة بأضاف مضاعفة وسنة الله في خلقه أن يرفقه عليهم ويذلهم لمحبس صبره وقواه وتوكل وإخلاصه واذا كان لا من الالم والعذاب فذلك في الله وفي رضاه ومتابعة رسله أولى وأقنع منه في الناس ورضائهم وتخصيل مرادهم ولما كان زمن التألم والعذاب قصيره طويل فاقفاه ساعات وساعات أيام وأيامه شهور وأعوام بلا سبحانه المتخمين فيه بأن ذلك الابتلاء آجالهم ينقطع وضرب لاهل آجال لبقائه يسلمهم به ويشكر قوسهم ويرون عليهم أثقاله فقال (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم) فاذا تصور العبد أجل ذلك البلاء واقطاعه وأجل لقاء المتي سبحانه وإتياته هان عليه ما هو فيه وخف عليه حمله ثم لما كان ذلك لا يحصل الا بمجاهدة النفس وللشيطان ولبنى جنسه وكان المامل اذا علم أن ثمرة علمه وتعبه يمود عليه وحده لا يشركه فيه غيره كان أتم اجتهادا وأوفر سعيًا فقال تعالى (ومن جاهد قائما يحاهد نفسه ان اقلق عن المالمين) وأيضاً فلا يتوهم متوهم أن منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتياط يعود على الله سبحانه فانه غنى عن المالمين لم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم بل أمرهم بما يعود نفعه ومصلحته عليهم في ماشئهم وممادهم ونهاهم عما يعود مضرتهم وعته عليهم في ماشئهم وممادهم فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان مختصة بهم وأقتضت حكمتهم ان نصب ذلك سببا مقصيا الى تميز الحديث من الطيب والشرق من الغوى ومن يصلح له من يصلح له من لا يصلح قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الحديث من الطيب فابتلاهم سبحانه بارسال الرسل اليهم بأوامره ونواهيه واختياره قائما برسله طيبهم من خبيثهم وجيدهم من رديهم فوق الثواب والعقاب على معلوم أظهره ذلك الابتلاء والامتحان ثم لما كان المتحن لا بد أن يحرف عن طريق الصبر والمجاهدة لدواعي طبيعته وهواه ووضعه عن مقاومة ما أتى به وعده سبحانه أن يتجاوز له عن ذلك ويكفره عنه لانه لما أمر به والزم طاعته أقتضت رحمة ان كفر عنه سيئاته وجازاه بإحسن أعماله ثم ذكر سبحانه ابتلاء العبد بابويه وما أمر به من طاعتها وصبره على مجاهدتها له على أن لا يشركه به فيصبر على هذه المحبة والفتنة ولا يطيعها بل يصاحبهما على هذه الحال معروفا ويعرض عنهما الى متابعة سبيل رسله

وفي الأعراض عنهما وعن سيالهما والاقبال على من خالفهما وعلى سبيله من الامتحان والابتلاء ما فيه ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الايمان على ضعف عزم وقلة صبر وعدم ثبات على الحق والابتلاء وانه اذا اودى في الله كما جرت به سنة الله وانتجت حكمته من ابتلاء أوليائه باعدائه وتسليطهم عليهم بأنواع المكاره والاذى لم يصبر على ذلك وجزع منه وفر منه ومن أسبابه كما يفرض من عذاب الله لجعل فتنة الناس له على الايمان وطاعة رسوله كعذاب الله لمن يذب على الشرك ومخالفة رسوله وهذا يدل على عدم البصيرة وان الايمان لم يدخل قلبه ولا ذاق حلاوته حتى سوى بين عذاب الله له على الايمان بالله ورسوله وبين عذاب الله لمن لم يؤمن به ورسوله وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد لم ترسخ قدمه في الايمان وعبادة الله فهو من المقتولين المذنبين وان فر من عذاب الناس له على الايمان ثم ذكر حال هذا عند نصرة المؤمنين وانهم اذا نصروا لحق اليهم وقال كنت معكم والله سبحانه يعلم قلبه خلاف قوله ثم ذكر سبحانه ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الا خمسين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه فابتلاهم بالفرق ثم بسده بالحرق ثم ذكر ابتلاء ابراهيم بقومه وبارودا عليه وابتلاهم بطاعته ومتابته ثم ذكر ابتلاء لوط بقومه وابتلاهم به وامصارا اليه أمره وأمرهم ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاهم به وما انتهت اليه حالهم وحاله ثم ذكر ما ابتلي به عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان وجنودهم من الايمان به وعبادته وحده ثم ما ابتلاهم به من أنواع العقوبات ثم ذكر ابتلاء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنواع الكفار من المشركين وأهل الكتاب وأمره أن يمحى أهل الكتاب بالحق هي أحسن ثم أمر عباده المبشرين باعدائه أن يهاجروا من أرضهم الى أرض الواسعة فيبعدونه فيها ثم نبههم بالثقل الكبير من دار الدنيا الى دار الآخرة على ثقلهم الصغرى من أرض الى أرض وأخبرهم أن مرجعهم اليه فلا قرار لهم في هذه الدار دون لقاءه ثم بين لهم حال الصابرين على الابتلاء في أنه يوفوهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فلاهم عن أرضهم ودارهم الى تركوها لاجله وكانت مباء لهم بان يروا دارا أحسن منها وأجمع لكل خير ولذة ولعيم مع خلود الابد وان ذلك بصبرهم على الابتلاء وتوكلهم على ربهم بأنه ضامن لرزقهم في غير أرضهم كما كان يرزقهم في أرضهم فلا يهتموا بحمل الرزق فكف من دابة سافرت من مكان الى مكان لا تحمل رزقها ثم أخبرهم أن مدة الابتلاء والامتحان في هذه الدار قصيرة جدا بالنسبة الى دار الحيوان والبقاء ثم ذكر سبحانه عاقبة أهل الابتلاء ممن لم يؤمن به وان مقامهم في هذه الدار تمتع وسوف يعلمون عند الثقل منها ما فاتهم من النعيم المقيم وما حصلوا عليه من العذاب الاليم وذكر عاقبة أهل الابتلاء ممن آمن به واطاع رسوله وجاهد نفسه وعدوه في دار الابتلاء ما به هاديه وناصره فاخبر سبحانه ان أجل عطاء وأفضله في الدنيا والآخرة هو لأهل الابتلاء الذين صبروا على ابتلائه وتوكلوا عليه وأخبر أن أعظم عذاب وأنقذ هو للذين لم يصبروا على ابتلائه وفروا منه وآثروا النعيم المأجل عليه فمضون هذه السورة هو سر الخلق والامر قائمها سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة ومن تأمل فاتها ووسطها وخاتمها وجد في ضمتها أول الامر ابتلاء وامتحان ووسطه صبر وتوكل وآخره هداية ونصر والله المستعان بوضحه \* الوجه الخامس والثلاثون وهو أنه سبحانه أخبر أنه خلق السموات والارض العالم النلوى والسفلى

ليلوأنا أحسن عملا وأخير أنه زين الارض بما عليها من حيوان ونبات ومعادن وغيرها لهذا الابتلاء وأنه خلق الموت والحياة لهذا الابتلاء فكان هذا الابتلاء غاية الخلق والامر فلم يكن من بد من دار يقع فيها هذا الابتلاء وهي دار التكليف ولما سبق في حكمته أن الجنة دار تسم لأدار ابتلاء وامتحان جبل قبلها دار الابتلاء جسرا يبر عليه إليها ومزرعة يبدر فيها ويمتاز زود منها وهذا هو الحق الذي خلق الخلق به ولاجله وهو أن يعبد وحده بما أمر به على السنة رسله فامر ونهى على السنة ووعدا بالتواب والعقاب ولم يخلق خلقه سدى لئلا يأمروهم ولا ينهواهم ولا يتركهم هملا لا يتيهم ولا يماقهم بل خلقوا للأمر والنهي والتواب والعقاب ولا يلبق بحكمته وحده غير ذلك

فصل وقد عرف من هذا الجواب عن قولهم أى حكمه في خلق النفوس مريدة للخير والشر وهلا خلقت مريدة للخير وحده وكيف اقتضت الحكمة تمكينها من الشر مع القدرة على منعتها منه وأى حكمه في إعطائها قوة وأسبابا يعلم المعطى أنها لا يفعل بها الا الشر وحده وأى حكمه في إقرار هذه النفوس على غيها وظلها وعدوانها ومعلوم أن يفعل لحكمة لا يفعل ذلك وإن من يفعل لحكمة إذا رأى عيده يقتل بعضهم بعضا ويفسد بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا وهو قادر على منهم فلا بدعة حكمته وهما هم بحيث يتركهم كذلك فلما أن يكون عالما بما يأتون أولا يكون قادرا على منهم أولا يكون ممن يفعل لفرض وحكمة والاولان مستحيلان في حق الرب تعالى فتبين الثالث ومبنى هذه الشبهة على أصل قاسد وهو قياس الرب على خلقه وتشبيههم في أفعاله بحيث يحسن منه ما يحسن منهم ويشبح منه ما يشبح منهم ولهذا كانت القدريه مشبهة الافعال ومتأخرونهم جموعا بين هذا التشبيه وبين تعطيل الصفات فصاروا معطلين للصفات مشبهين في الافعال وهذا الاصل الفاسد بما رده عليهم سائر العقلاء وقالوا قياس أفعال الرب على أفعال المباد من أنفسه القياس وكذلك قياس حكمته على حكمته وصفاته على صفاتهم ومن المعلوم ان الرب تعالى علم ان عباده يقع منهم الكفر والظلم والفسوق وكان قادرا على أن لا يوجدهم وان يوجدهم كلهم أمة واحدة على ما يحب ويرضى وان يحول بينهم وبين نفي بعضهم ولكن حكمته البالغة أبت ذلك واقتضت إيجابهم على الوجه الذي هم عليه وهو سبحانه خلق النفوس أصنافا فصنف مريد للخير وحده وهي نفوس الملائكة وصنف مريد للشر وحده وهي نفوس الشياطين وصنف فيه ارادة التوعين وهي النفوس البشرية فالاولى الخير لم طباع وهي محودة عليه وللشر للنفوس الثانية طباع وهي مذمومة عليه والصنف الثالث بحسب الغالب عليه من الوصفين فمن غلب عليه وصف الخير التحق بالصف الاول ومن غلب عليه وصف الشر التحق بالصنف الثالث فانما اقتضت الحكمة وجود هذا الصنف الثالث فان يقتضى وجود الثاني أولى وأحرى والرب تعالى اقتضت قدرته وعزته وحكمته إيجاد المتقابلات في القدرات والصفات والافعال كما تقدم وقد نوع خلقه تنويما دالا على كمال قدرته وورويته فمن أعظم الجهل والضلال أن يقول القائل هلا كان خلقه كلهم نوعا واحدا فيكون العالم علوا كله أو نورا كله أو الحيوان ملكا كله وقد يقع في الاوهام الفاسدة ان هذا كان أولى وأكمل ويعرض الوهم الفاسد ما ليس ممكنا كالا الوجه السادس والثلاثون قوله وأى حكمه في إيلام الحيوانات غير المكلفة فهذه مسئلة تكلم الناس فيها

فيها قدما وحديثا وتباينت طرقهم في الجواب عنها فالجادون للفاعل المختار الذي يفضل بمشيئته وقدرته يحلون ذلك على الطبيعة المجردة وأن ذلك من لوازمها ومقتضياتها ليس بفضل فاعل ولا قدرة قادر ولا ارادة مريد ومنكروا الحكمة والتعليل يردون ذلك الى محض المشيئة وصرف الارادة تخصص مثلا على مثل بلاموجب ولا غاية ولا حكمة مطلوبة ولا سبب أصلا ونظروا أنهم بذلك يتخلصون من السؤال ويسدون على نفوسهم باب المطالبة وأما سدوا على قلوبهم باب معرفة الرب وكماله وكل أسائه وأوصافه وأفعاله فغطوا حكمته وحقيقة إلهيته وحجده وكانوا كالستجيرين من الرضاء بالنار وأما من أثبت حكمة وتعليل لا يمدوا الى الخالق بل الى الخلق سلكوا طريقة التعويض على تلك الآلام في حق من يبعث للثواب والعقاب وقالوا قد يكون في ذلك إجابة لآلامهم بصبرهم وتألمهم وإجابة لهم وتعويضا في القيامة بما نالهم من تلك الآلام فلما أورد عليهم إيلام لحيوانات التي لا تائب ولا تقاب (١) وأما المثبتون لحقائق أساء الرب وصفاته وحكمته التي هي وصفه ولاجلها تسمى بالحكم وعنها صيدر خلقه وأمره فهم أعلم الفرق بهذا الشأن ومسلكتهم فيه أصح المسالك وأنسلم من التناقض والاضطراب قائم جموا بين اثبات القدرة والمشيئة العامة والحكمة الشاملة التي هي غاية الفعل وربطوا ذلك بالإساءة والصفات فصادق عندهم السمع والعقل والشرع والفطرة وعلموا أن ذلك مقتضى الحكمة البالغة وأنه من لوازمها وإن لازم الحق لازم العدل ولوازم الحكمة من الحكمة فاعلم أن ههنا أمرين نفسا متحركة بالارادة والاختيار وطبيعة متحركة بغير الاختيار والارادة وإن الشر منشأ من هذين المتحركين وعن هاتين الحركتين وخلق هذه النفس وهذه الطبيعة على هذا الوجه فهذه تحرك لكاملها وهذه تحرك لكاملها وينشأ عن الحركتين خير وشر كما ينشأ عن حركة الأفلاك والشمس والقمر وحركة الرياح والماء والنار خير وشر فالحركات الناشئة عن هذه الحركات مقصودة بالقصد الاول أما لذاتها وأما لكونها وسيلة الى خيرات أتم منها والشرور الناشئة عنها غير مقصودة بالذات وإن قصدت قصد الوسائل وباللوازم التي لا بد منها فاجلست عليه النفس من الحركة هوم من لوازم ذاتها فلا تكون النفس البشرية نفسا إلا بهذا اللازم فإذا قيل لمخلقت متحركة على الدوام فهو بمنزلة أن يقال لم كانت النفس نفسا ولم كانت النار نار والريح ريحا فلو لم يخلق هذا ما كانت نفسا ولو لم يخلق الطبيعة هكذا ما كانت طبيعة ولو لم يخلق الانسان على هذه الصفة والحلقة ما كان انسانا فان قيل فلم خلقت النفس على هذه الصفة قبل من كمال الوجود خلقها على هذه الصفة كما تقدم وكذلك كمال فطرها ومبدعها اقتضى خلقها على هذه الصفة لما في ذلك من الحكم التي لا يحصيها الابدع سبحانه وإن كان في إيجاد هذه النفس شرا فهو شر جزئي بالنسبة الى الخير الكلي الذي هو سبب إيجادها فوجودها خير من أن لا توجد فلو لم يخلق مثل هذه النفس لكان في الوجود نقص وفوات حكم ومصلح عظيمة موقوفة على خالق مثل هذه النفس ولهذا لما اعترضت الملائكة على خلق الانسان وقالوا (أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) أجابهم سبحانه بأن في خلقه من الحكم والمصلح ما لا تلمسه الملائكة والخالق سبحانه يعلمه وإذا كانت الملائكة لا تلمس ما في خلق هذا الانسان الذي يفسد في الارض ويسفك الدماء من الحكم والمصلح فخيرهم أولى أن لا يحيط به علما فخلق هذا الانسان من تمام الحكمة والرحمة والمصلحة وإن كان وجوده مستلزما لشر فهو شر

مغمور بما في إيجاده من الخير كاتزال المطر والتلج وهبوب الرياح وطلوع الشمس وخلق الحيوان والنبات والحيال والبحار وهذا كما أنه في خلقه فهو في شرعه ودينه وأمره فان ما أمر به من الاعمال الصالحة خيره ومصلحته راجح وان كان فيه شر فهو مغمور جدا بالنسبة الى خيره وما نهى عنه من الاعمال والاقوال القبيحة فشره ومفسده راجح والخير الذي فيه مغمور جدا بالنسبة الى شره فسته يستجانه في خلقه وأمره فعل الخير الخالص والراجح والأمر بالخير الخالص والراجح. فاذا تناقضت أسباب الخير والشر والجمع بين التقيضين محال قدم أسباب الخير الراجحة على المرجوحة ولم يكن تقويت المرجوحة شرا ودفع أسباب الشر الراجحة بالاسباب المرجوحة ولم يكن حصول المرجوحة شرا بالنسبة الى ما ندفع بها من الشر الراجح وكذلك سته في شرعه وأمره فهو يقدم الخير الراجح وان كان في ضمنه شر مرجوح ويمطل الشر الراجح وان فات بتعطيله خير مرجوح هذه سته فيها مجده ويدعه في سمواته وأرضه وما بأمره وينهى عنه وكذلك سته في الآخرة وهو سبحانه قد أحسن كل شئ خلقه وقد أقرن كل ماسنع وهذا أمر يله المالمون بالله جملة ويتفاوتون في العلم بتفاصيله واذا عرف ذلك فالآلام والمشاق اما احسان ورحمة واما عدل وحكمة واما اصلاح وتبئية خير يحصل بعدها واما لدفع ألم هو أصعب منها واما لتولدها عن لذات ولعم يولد عنها أمر لازم لتلك اللذات واما أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والاحسان فيكون من لوازم الخير التي ان عطلت ملزوماتها فات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام والشرع والقدر أعدلا شاهد بذلك فكم في طلوع الشمس من ألم لمسافر وحاضر وكم في نزول القيث والثلوج من اذى كما سيأه الله بقوله وان كان بكم اذى من مطر وكم في هذا الحر والبرد والرياح من اذى موجب لانواع من الآلام لصنوف الحيوانات وأعظم لذات الدنيا لذة الاكل والشرب والتكاح واللباس والرياسة ومعظم آلام أهل الارض أكلها ناشئة عنها ومتولدة منها بل الكمالات الانسانية لا تتصل الا بالآلام والمشاق كالعلم والشجاعة والزهد والفقه والحلم والمرؤة والصبر والاحسان كما قال

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفتقر والاقدام قتال

واذا كانت الآلام أسبابا للذات أعظم منها وأدوم كان العقل يقضى بأجلها وكثيرا ماتكون الآلام أسبابا لصحة لولا تلك الآلام لفات وهذا شأن أكبر أمراض الابدان فهذه الحى فيها من المنافع للابدان ما يلهه الا الله وفيها من اذابة الفضلات وانضاج المواد الفجة واخراجها ما لا يصل اليه دواء غيرها وكثير من الامراض اذا عرض لصاحبها الحى استبشر بها الطبيب واما انتفاع القلب والروح بالآلام والامراض فأمر لا يمس بالامن فيه حياة فصحة القلوب والارواح موقوفة على آلام الابدان ومشاقها وقد أصبحت فوائد الامراض فزادت على مائتة فائدة وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بأنواع المكثرة وجعلها جبرا موصلا اليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات والذات وجعلها جبرا موصلا اليها ولهذا قالت القلاء قاطبة على أن التعم لا يدرك بالتعم وان الراحة لا تتال بالراحة وان من أثر اللذات فاته اللذات فهذه الآلام والامراض والمشاق من أعظم التعم اذهى أسباب التعم وما تال الحيوانات غير المكلفة منها فغمور جدا بالنسبة الى مصالحها ومنافعها كما يتألفها من حر



الصيف وبرد الشتاء وجبن المطر والتلج وألم الحبل والولادة والسمي في طلب أقواتها وغير ذلك ولكن لذاتها أضفاف أضفاف الآلها وما ينالها من المتافع والحيرات أضفاف ما ينالها من الشرور والآلام فسنة الله في خلقه وأمره هي التي أوجبا كمال علمه وحكمته وعزبه ولواجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقتزحوا أحسن منها لمجزوا عن ذلك وقيل لكل منهم أرجع بصر العقل فهل ترى من خلل (ثم أرجع البصر كرتين يتقلب اليك البصر خشيًا وهو حسير) فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها والأشياء من خلافها فأخرج الحى من الميت والميت من الحى والرطب من اليابس واليابس من الرطب فكذلك أنشأ اللذات من الآلام والآلام من اللذات فأعظم اللذات ثمرات الآلام وأعظم الآلام ثمرات اللذات وتأنجها وبمد فاللذة والسرور والخير والتمتع والمغايرة والمصاحبة والرحمة في هذه الدار المملوءة بالحن والبلاء أكثر من أضدادها بأضفاف مضاعفة فإن الآلام الحيوان من لذته وأين سقمه من محنته وأين جوعه وعطشه من شبعه ووربه ونبيه من راحته قال تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) ولئن قلب عسر يسرين وهذا لأن الرحمة غلبت الغضب والمغفر سبق العقوبة والنعمة تقدمت العقوبة والخير في الصفات والأفعال والشر في المفصولات لاني الأفعال قاصوفاه كمالها وأفعالها كلها خيريات فان ألم الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم أوتيته لقوة ومحة وكال أو عوضا لانسبة لذلك الألم إليه بوجه ما قآلام الدنيا جميعا نسبتها إلى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة إلى جبال الدنيا بكثير وكذلك لذات الدنيا جميعا بالنسبة إلى آلام الآخرة والله سبحانه لم يخلق الآلام واللذات سدى ولم يقدرهما عبثا ومن كمال قدرته وحكمته أن جعل كل واحد منهما يشر الأخرى هذا ولوازم الخلق يستحيل ارتفاعها كاستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والثقص عن الخلق فلا يكون الخلق الاقتراب محتاجا ناقص العلم والقدرة فلو كان الإنسان وغيره من الحيوان لايجوع ولا يبطش ولا يتألم في عالم الكون والفساد لم يكن حيوانا ولكانت هذه الدار دار بقاء ولذة مطلقة كاملة والله لم يجعلها كذلك وإنما جعلها دارا متمزجا أليها بلذتها وسرورها باحزائها وغموها ومحنتها يسقمها حكمته منه بالغة

﴿فصل﴾ ولما كانت الآلام أدوية للأرواح والأبدان كانت كمالا للحيوان خصوصا لنوع الإنسان فان قاطره وبارئه أنما أمرضه ليشفيه وأنما ابتلاه ليعافيه وأنما أماته ليحييه فهو سبحانه يسوق الحيوان والإنسان في مراتب كماله طورا بدمطورا إلى آخر كماله بإسباب لا بد منها وكماله موقوف على تلك الأسباب ووجود الملزوم بدون لازمه متمتع كوجود المخلوق بدون الحاجة والفقر والثقص ولوازم ذلك ولوازم تلك اللوازم ولكن أكثر النفوس جاهلة بالله وحكمته وعلمه وكماله فيقرض أمورا متمتعة ويقدرها تقديرا ذنينا ويحسب أنها كل من الممكن الواقع ومع هذا فرها يرحمها لجهاها ويعجزها وقصها فان اعترفت بذلك واعترفت له بكمياله وحمده وقامت بمقتضى هذين الاعترافين كان نصيبها من الرحمة أوفر والله سبحانه اقتضح الخلق بالحمد وختم أمر هذا العالم بالحمد فقال (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) وقال (وقضى بينهم بالحق) وقيل الحمد لله رب العالمين) وأزل كتابه بالحمد وشرع دينه بالحمد وأوجب نواياه وعقابه بالحمد فحمده من لوازم ذاته اذ يستحيل أن يكون الأمحوذا فالحمد سبب الخلق وغاية الحمد أوجبه للحمد وجد فحمده وأسع

لما وسعه علمه ورحمته وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما فلم يوجد شيئا لم يقدره ولم يشعه الا بحمده  
والحمده وكل ما خلقه وشعره فهو متضمن للقائات الحيدة ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها ولهذا  
ملا حمده سمواته وأرضه وما بينهما وما شاء من شيء بعد عما خلقه وبخلقته بعد هذا الخلق  
فحمده ملائكة ذلك كله وحمده تعالى أنواع حمد على ربوبيته وحمده على قدره بها وحمده على الوهنية  
وقدره وحمده على نعمته وحمده على منته وحمده على حكمته وحمده على عدله في خلقه  
وحمده على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل وحمده على كماله الذي لا يليق بغيره فهو  
محمود على كل حال وفي كل آن ونفس وعلى كل مافعل وكل ماشرع وعلى كل ما هو متصف به وعلى  
كل ما هو منزعه عنه وعلى كل ما في الوجود من خير وشر ولذة وألم وعافية وبلاء فكما أن الملك كله  
له والقدرة كلها له والمنة كلها له والعلم كله له والجمال كله له والحمد كله له كما في الدعاء المأثور اللهم لك  
الحمد كله ولك الملك كله ويسندك الخير كله واليك يرجع الأمر كله وأنت أهل لئن محمد وما عمرت  
الدنيا الا بحمده ولا الجنة الا بحمده ولا النار الا بحمده حتى ان أهلها ليحمدونه كما قال الحسن لقد دخل  
أهل النار النار وان قلوبهم لتحمده ما وجدوا عليه من حجة ولا سبيل

﴿نصل﴾ فان قيل فأي لذة وأي خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم الذي لا يتقطع ولا يفتقر  
عن أهله بل أهله فيه أبد الآباد كلما ضجعت جلودهم بدلوا جلودا غيرها لا يشفى عليهم فيموتوا  
ولا يخفف عنهم طرفة عين قيل لعمرك الله هذا سؤال يقلقل الجبال فضلا عن قلوب الرجال وعن هذا  
السؤال أنكر من أنكر حكمة العزيز الحكيم ورد الأمر إلى مشيئة محضه لا سبب لها ولا غاية وجوز  
على الله أن يذنب أهل طاعته وأوليائه ويؤلمهم إلى أسفل الجحيم وينعم أعداءه المشركين به ويرفعهم  
إلى أعلى جنات النعيم أبد الآباد وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلا وإن تفاوت بين  
أهلها مع مساوئهم في الاعمال ويسوى بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الاعمال وإن يذنب الرجل  
بذنب غيره وإن يطل حسنة كلها فلا يشبه بها أو يثيب بها غيره وكل ذلك جائز عليه لا يعلم أنه  
لا يفعله الا بخبر صادق اذنسية ذلك وضده اليه على حد سواء وقالوا ولا تخلص عن هذا السؤال الا  
بهذا الاصل وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه ولم يجمعوا بينه وبين أدلة المدله  
والحكمة وتعليل الامور باسبانها وترتيبها عليها وآثار الموازنة والمقابلة وأخطأوا في فهم القرآن كما  
أخطأوا في وصف الرب بما لا يليق به وفي التجوز عليه بما لا يجوز عليه وقابلهم مثبتوا الاسباب  
والحكم من القدرة وزعموا أنهم يخلصون من قبيح القول بما أثبتوه من الحكمة والتعليل ولكن  
وقموا في نظيره أو ما هو شر منه حيث أوجبوا على الله سبحانه تخليد من أثنى عمره في طاعته ثم  
أرتكب كبيرة واحدة ومات مصرا عليها في النار مع أعدائه الكفار أبد الآباد ولم يرقبوا له طاعة  
ولم يرفعوا له اسلا ما وهم في هذا المذهب شر قولا من اخواتهم الجبرية فان أولئك لم يوجبوا على الله  
ذلك الحكم وانما جوزوه عليه وجوزوا أن لا يفعله وهؤلاء أوجبوا عليه تخليد أهل الكبرائر مع  
الكفار ولم يجوزوا عليه إخراجهم منها وأصابهم في غلظهم على القرآن والسنة وما يجوز على الرب وما  
لا يجوز عليه ما أصاب اخواتهم من الجبرية ولما ظن غيرهم من أهل النظر والبحث ان هذا هو الفساد  
الذي أخبرت به الرسل وعلما أن هذا مناف للحكمة والرحمة والعدل والمصلحة قالوا ان ذلك

تخوف وتخييل لإحقاقه يزع النفوس السبية والبهيمة عن عدوانها وشهواتها فتقوم بذلك مصلحة الوجود وكان من أكبر أسباب الحاد هؤلاء وكفرهم بالله واليوم الآخر نسبة أولئك مذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة إلى الرسل وأخبارهم أنهم دعوا إلى الإيمان بها كما أصابهم تعميم في باب مسألة حدوث العالم حيث أخبرهم أن الرسل أخبرت عن الله أنه لم يزل مشغلا عن الفعل والفعل غير ممكن منه ثم انقلب من الاحالة الذاتية إلى الامكان الذاتي عند ابتدائه بلا تجديد سبب ولا أمر قام بالفاعل وقالوا من لم يستقد هذا فليس يؤمن ولا مصدق للرسل فهذا في المبدأ وذلك في المعاد ثم جاءت بطائفة أخرى فطغوا بساط الخلق والأمر حجة وقالوا كل هذا محال وتليس ومائم وجودان بل الوجود كله واحد ليس هناك خالق ومخلوق ورب ومربوب وطاعة ومعبودية وما الأمر الانساق واحد والتفريق من أحكام الوهم والخيال فالسماوات والارض والدنيا والآخرة والازل والابد والحسن والقيس كل شيء واحد وهو من عين واحدة ثم استبدكوا فقالوا لا بل هو العين ونشأ الناس الامن شاء الله بين هؤلاء الطوائف الاربع لا يعرفون سوى أقوالهم ومذاهبهم فعضمت البلية واشتدت المصيبة وصار أذكاء الناس زنادقة العالم وأدناهم إلى الخلاص أهل البلاة والبله والعقل والسمع عن هذه الفرق بمنزل ومنازلهم منها أي منزل فقول وبالله التوفيق والله المستعان وعليه التكلان دل القرآن والسنة والقطرة وأدلة العقول أنه سبحانه خلق السماوات والارض وما بينهما بالحق ولم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ولا باطلا وأما أوجد العالم العلوي والسفلي ومن فيها بالحق الذي هو وصفه واسمه وقوله وقته وهو سبحانه الحق المبين فلا يصدر عنه الاحق لا يقول الاحقا ولا يفضل الاحقا ولا يأمر الابالحق ولا يجازي الابحق قال باطل لا يضاف اليه بل الباطل مالم يصف اليه كالحكم الباطل والذين الباطل الذي لم يأذن فيه ولم يشعه على السنة رسله والمعبود الباطل الذي لا يستحق العبادة وليس أهلا لها فبإدنه باطلة ودعوتيه باطلة والقول الباطل هو الكذب والزور والحال من القول الذي لا يتناقض بحق موجود بل متعلقه باطل لإحقاقه وهو سبحانه أتما خلق الخلق لعبادته ومعرفته وأصل عبادته محبة على الآله ونعمه وعلى كماله وجلاله وذلك أمر فطري ابتدأ الله عليه خلقه وهي فطرته التي فطر الناس عليها كما فطرهم على الاقرار به كما قالت الرسل لأمهم (أني الله شك فاطر السماوات والارض) فالخلق مفطورون على معرفته وتوحيده فلو خلقوا وهذه القطرة لنشأوا على معرفته وعبادته وحده وهذه القطرة أمر خلق خلقوا عليه ولا تبدل خلقه ففضي الناس على هذه القطرة قرونا عديدة ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة مما يوجب خروجها عن الصحة إلى الانحراف فأرسل رسله ترد الناس إلى فطرتهم الأولى التي فطروا عليها فاقسم الناس معهم ثلاثة أقسام منهم من استجاب لهم كل الاستجابة وأتقوا إليهم كل الانقياد فرجعت فطرته إلى ما كانت عليه مع ما حصل لها من الكمال والتمام في قوتي العلم النافع والعمل الصالح فازدادت فطرتهم كمالا إلى كمالها ف هؤلاء لا يبحثون في المعاد إلى تهذيب وتأديب ونار تذيب فضائلهم الحبيثة وتطهرهم من الادران والافساح فان اتقاهم للرسل ازال عنهم ذلك كله وقسم استجابوا لهم من وجه دون وجه فبقيت عليهم بقية من الادران والافساح التي تاتي الحق الذي خلقوا له فيأثمهم المليم الحكم من الادوية الأبتلا والامتحان بحسب تلك الادواء

التي قامت بهم فان وقت بالخلاص منها في هذه الدار والافق البرزخ فان في بالخلاص والافق موقف القيامة وأحوالها ما يختصهم من تلك البقية فان وفيها والافلاذ من المداواة بالدواء الاعظم وآخر الطب الكلي فيدخلون كير المحيص والتخليص حتى اذا هذبوا ولم يبق للدواء قائدة أخرى جوا من مارستان المرضى الى دار أهل العافية كما دل على ذلك السنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصرح به في قوله حتى اذا هذبوا وقوا أذن لهم في دخول الجنة وكذلك قوله تعالى (طوبى لفاصلها خالدن) فلم يأذن لهم في دخولها الا بعد طيبهم فلما دار الطيبين فليس فيها شيء من الخبث أصلا ولهذا يلبث هؤلاء في النار على قدر حاجتهم الى التطهر وزوال الخبث \* القسم الثالث قوم لم يستجيبوا للرسل ولا اتقوا لهم بل استمروا على الخروج عن الفطرة ولم يرجعوا اليها واستحكم فسادها فيهم أنهم استحكم لا يرجع لهم صلاح هؤلاء لا يفي بجي الدنيا ومصائب الموت وما بعده وأحوال القيامة بزوال أوصافهم وأدرانهم ولا يبق بحكمة العليم الحكيم أن يجاورهم الطيبين في دارهم ولم يخلقوا لقتناء هؤلاء أهل دار الابتلاء والامتحان باقون فيها بقاء مامهم من درن الكفر والشرك والنار انما أوقدت عليهم بأعمالهم الخبيثة فمناهم بنفس أعمالهم السيئة لهم منها صور من العذاب يناسبها ويشاكلها فالعذاب باق عليهم ما بقيت حقائق تلك الاعمال وما تولد منها فما دامت موجبات العذاب باقية فالعذاب باق \* يتيقن أن يقال فهل ذهب أثر الفطرة الاولى بالكلية بحيث صارت كأن لم تكن وبطلت بالكلية وانتقل الاجرام الى المراض المفسدة لما وعلى هذا فلا سبيل الى خلاصهم من العذاب إذ هو أثر ذلك الفساد الذي أزال الفطرة أو يقال الفطرة لم تذهب بالكلية وانما استعجم مرضها وفسادها وأصلها باق كما يستحكم مرض البدن وفساده والحياة قائمة به لكنها حياة لا تنفع فإذا قدر دواء كرهه صعب التناول لا سبيل الى الصحة الا بتكرير تناوله مرارا كثيرة العدد جدا يزيل ذلك المرض المراض فيظهر أثر الفطرة الاولى فلا يحتاج بمده الى الدواء هذا سر المسئلة ومن يذهب الى هذا التقدير الثاني فانه يقول العقل لا يدل على امتناع ذلك اذ ليس فيه ما يحيله وتقول بل قد دل العقل والقتل والفطرة على أن الرب تعالى حكيم رحيم والحكمة والرحمة تأتي بقاء هذه النفوس في العذاب سرمدنا أبدا لا يباد بحيث يدوم عذابها بدوام الله فهذا ليس من الحكمة والرحمة قالوا وقد دلت الدلائل الكثيرة من النصوص والإعتبار على أن ما شرعه الله في هذه الدار وقدره من العذاب والعقوبات قائما هو لتعذيب النفوس وتصفيها من الشر الذي فيها والحصول مصلحة الزجر والانتماظ وفضما للنفوس عن المعادة وغير ذلك من الحكم التي اذا حصلت خلا التعذيب عن الحكمة والمصلحة فيطلقه تعذيب علم حكم رحيم لا يمتدب سمدى ولا تنفع يمود اليه بالتعذيب بل كلا الامر من محال واذا لا يقع التعذيب الا لمصلحة التعذيب أو مصلحة غيره ومعلوم أنه لا مصلحة له ولا غيره في بقاءه في العذاب سرمدنا أبدا لا يباد قالوا فما دل عليه القرآن والسنة ان جنس الآلام لمصلحة بني آدم قوله تعالى (ذلك بأنهم لا يصيبهم نصب ولا غصصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح) وقوله (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فاختبر أن ألم القتل والجراح في سبيله تحمص أي تطهر وتصفية للمؤمنين ويشر الصابرين على ألم الجرح والخوف والفقر وقد الاحباب وغيرهم بصلافة عليهم ورحمته وهدايته وقال تعالى (من يعمل سواء يجزيه)

قال أبو بكر الصديق يارسول الله جاءت قاصمة الظهر وأتانا لم نعمل سوا فقال ياأبا بكر ألست تنصب  
 ألست تحزن ألست يصببك الأذى قال بلى قال فذلك مما يحزنون به وقال تعالى (وما أصابكم من  
 مصيبة فبما كسبت أيديكم) وفي هذا تبشير وتحذير إذا علمنا أن مصائب الدنيا عقوبات لتوبتنا وهو  
 أرحم من أن يثني العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من بلى بشئ  
 من هذه القاذورات فستره الله فامره إلى الله أن شاء غنبه وإن شاء غفر له ومن عوقب به في الدنيا  
 فآله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده وفي الحديث الحدود كفارات لاهلها وفي الصحيحين من  
 حديث عبادة ومن أصاب من ذلك شيئا فموقب به في الدنيا فهو كفارة له وفي الصحيح عنه صلى الله  
 عليه وسلم ما يصاب المؤمن من وسب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى يشاها لا يشاها الا كفر  
 الله بها من خطيائه وقال لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة  
 وفي حديث آخر ان المؤمن اذا مرض خرج مثل البردة في صفاتها ولونها وفي الحديث الآخر ان  
 الحمى تنفي الذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد وفي حديث آخر لا يسي الحمى قلبها تذهب خطايا بني  
 آدم ومن أساء الحمى مكفرة الذنوب وفي الحديث الصحيح يقول الله عز وجل يوم القيامة عدى  
 مرضت فلم تعدنى قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال مرض عبيدى فلان فلم تعد اما لوعده  
 لوجدتني عنده وهذا أبلغ من قوله في الاطعام والاسقاء لوجدت ذلك عندى فهو سبحانه عند  
 المبتلى بالمرض رحمة منه له وخيرا وقربا منه لكسر قلبه بالمرض فانه عند المنكسرة قلوبهم وهذا أكبر  
 من أن يذكر ورب الدنيا والآخرة واحد وحكمته ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة بل ظهور  
 رحمته في الآخرة أعظم فعذاب المؤمنين بالنار في الآخرة هو من هذا الباب كما ذابهم في الدنيا  
 بالمصائب والحدود وكذلك حبسهم بين الجنة والنار حتى يهذبوا ويقوا وقد علم بالتبصيص الصحيحة  
 الصريحة ان عذابهم في النار متفاوت قدرها ووقتا بحسب ذنوبهم وانهم لا يخرجون منها جملة واحدة  
 بل شيئا بعد شيء حتى يبقى رجل هو آخرهم خروجا وكذلك عذاب الكفار فيها متفاوت تفاوتها  
 عظيما فالتنافوت في دركها الاسفل وأبو طالب أخف أهلها عذابا في ضحضاح من نار يغلى منه دماغه  
 وآل فرعون في أشد العذاب قالوا فإذا كان العذاب في النار التي فيها رحمة واحدة من مائة رحمة  
 هو رحمة باهله ومصلحته لهم ولطف بهم فكيف في النار التي يظهر فيها مائة رحمة كل رحمة منها طابق  
 ما بين السما والارض وقد قال تعالى (ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)  
 فاختبر أنه يذيقهم رحمة بهم ليردهم العذاب إليه كما يذب الاب الشفيق ولده اذا فرغ منه إلى عدوه  
 ليرجع إلى بره وكرامته وقال الله تعالى (ما يصل الله بعبادكم ان شكرتم وأمنتم) وأنت تجد تحت هذه  
 الكلمات أن تعذبه لكم لا يزيد في ملكه ولا يتنفع به ولا هو سدى خال من حكمة ومصلحة وانكم  
 اذا بدلتهم الشكر والايمن بالكفر كان عذابكم منكم وكان كفركم هو الذي عذبتم به والافأى شيء  
 يلحقه من عذابكم وأى فزع يصل اليه منه قالوا وحيثما فالحكمة تقتضى أن النفوس الشريرة لا بد  
 لها من عذاب يهذبها بحسب وقوعها كما دل على ذلك السمع والعقل وذلك يوجب الانتهاء لا الدوام  
 قالوا والله تعالى لم يخلق الانسان عبثا وإنما خلقه ليرحمه لا لينذبه ولما اكتسب موجب العذاب بعد  
 خلقه له فرحمته لا سبقت غضبه وموجب الرحمة فيه سابق على موجب الغضب وغالب له ولتعذبه ليس

هو الغاية لحلقه وانما تعذيبه بالحكمة وورحة والحكمة والرحمة تأتي أن يتصل عذابه سرمداً الى غير نهاية أما الرحمة فظاهر وأما الحكمة فلأنه انما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها ولم يخلق عليه من أصل الخلق ولا خلق له فهو لم يخلق للإشراك ولا للمذاب وأما خلق للبادة والرحمة ولكن طرأ عليه موجب المذاب فاستحق عليه المذاب وذلك الموجب لادوام له فانه باطل بخلاف الحق الذي هو موجب الرحمة فانه دائم بدوام الحق سبحانه وهو الغاية وليس موجب المذاب غاية كأن المذاب ليس بناية بخلاف الرحمة فلها غاية وموجبها غاية فأمله حق التأمل فانه سر المسئلة قالوا والرب تعالى تسمى بالغفور الرحيم ولم تسمى بالمعاقب بل جعل المذاب والعقاب في أفعاله كما قال تعالى (نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو المذاب الاليم) وقال تعالى (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (ان بطش ربك لشديد) انه هو يبدئ ويبدى وهو الغفور الودود) وقال (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وهذا كثير في القرآن فانه سبحانه يمدح بالغفور والمغفرة والرحمة والكرم والحلم وتسمى ولم يمدح بانه المعاقب ولا العذب ولا المذاب ولا المسقم الا في الحديث الذي فيه تعديد الاسماء الحسنى ولم يثبت وقد كتب على نفسه كتابا بان رحمته سبقت غضبه وكذلك هو في أهل النار فان رحمته فيها سبقت غضبه فانه رحيم انواعاً من الرحمة فيسل ان أغضبوه يشركهم ورحمهم في حال شركهم ورحمهم باقامة الحجة عليهم ورحمهم بدعوتهم اليه يمد أن أغضبوه وأذوا رسله وكذبوه وأهملهم ولم يماجلهم بل وسعهم رحمته فرحمته غلبت غضبه ولولا ذلك لحرب العالم وسقطت السموات على الارض وخرت الحبال واذا كانت الرحمة غالباً للغضب سابقة عليه امتنع أن يكون موجب الغضب دائماً بدوامه غالباً لرحمته قالوا والتعذيب اما أن يكون عبثاً أو لمصلحة وحكمة وكونه عبثاً مما ينزه أحكم الحاكمين عنه ونسبته اليه نسبة لما هو من أعظم النقص اليه وان كان لمصلحة فالمصلحة هي المنفعة ولو ازعمها ولمزوماتها وهي اما أن تعود على الرب تعالى وهو يتعالى عن ذلك ويتقدس عنه واما أن تعود الى الخلق اما نفس المذاب واما غيره أوهما والاول ممتنع ولا مصلحة له في دوام العقوبة بلا نهاية واما مصلحة غيره فان كانت هي الإثمات والأزجار فقد حصلت وان كانت تكميل لذته وبهجهته وسروره بان يرى عدوه في تلك الحال وهو في غاية التعم فهذا لو كان أقصى الخلق لرق لعدوه من طول عذابه ودوام ما يقاسيه فلم يبق الا كسر تلك النفوس الجبارة الشديدة ومداوتها كما تصل الى مادة أدوائها وأمر انفسها فتجسمها وتلك المادة شرطاً على خير خلقت عليه في ابتداء فطرتها قالوا والافاسام الممكنة في الخلق خمسة لا يزيد عليها خير محض ومقابله وخير ارجح ومقابله وخير وشر متساويان والحكمة تقتضى إيجاد قسمين منها هما الخير الخالص والارجح وبالشرا الخالص أو ارجح فان الحكمة لا تقتضى وجوده بل تأتي ذلك فان كل ما خلقه الله سبحانه قائما خلقه لحكمة وجودها أولى من عدمها وخلق الدواب الشريرة والافعال التي شر لما يترتب على خلقها من الخير المحبوب فلم يخلق لجرد الشر الذي لا يستلزم خيراً بوجه ما هذا غاية الحال فالخير هو المقصود بالذات بالقصد الاول والشرا بما قصد قصد الوسائل والمبادئ لا قصد الغايات والنهايات وحيث أن حصلت الغاية المقصودة بخلقها بطل وزال كما تبطل الوسائل عند الانتهاء الى غاياتها كما هو معلوم بالحق والمقتل وعلى هذا فالعذاب شر وله غاية تطلبه

وهو وسيلة اليها نادا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة الى المقصد فاذا وصل بها السائر الى مقصده لم يبق لسلكها فائدة وسر المسئلة أن الرحمة غاية الخلق والامر لالذباب فالذباب من مخلوقاته وذلك مقتضى أنه خلقه لغاية محمودة ولا بد من ظهور أسائه وأثر صفاته عموما وإطلاقا فان هذا هو الكمال والرب جل جلاله موصوف بالكمال منزعه عن النقص قالوا وقد قال تعالى (وأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وقال (النار مثواكم خالدين فيها الاما شاء الله) قال أبو سعيد الخدري هذه قضى على كل آية في القرآن ذكره البهقي وحرب وغيرهما وقال عبد الله بن مسعود لياثين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن عمر بن الخطاب وأبي هريرة مثله ذكره جماعة من المصنفين في السنة وهذا يقتضى أن النار التي لا يبق فيها أحد هي التي يلبث فيها أهلها أحقابا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة فقال تعالى (عطاء غير مجدود) ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار قالوا ويكفيها ما في سورة الانعام من قوله (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الاما شاء الله إن ربك حكيم عليم) الى قوله (يامعشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم بقصص عليكم آياتي وينذركم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وهذا خطاب للكفار من الجن والانس من وجوه أجدهما استكبارهم منهم أي من إغوائهم وإضلالهم وأما استكبروا من الكفار الثاني قوله (وقال أولياؤهم من الانس) وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فزب الشيطان هم أولياؤه والثالث قوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) ومع هذا فقال (النار مثواكم خالدين فيها الاما شاء الله) ثم جزم الآية بقوله (إن ربك حكيم عليم) فتعذيبهم متعلق بعلمه وحكمته وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة فهو علم بما يفعل بهم حكيم في ذلك قالوا وقد ورد في القرآن أنه سبحانه اذا ذكر جزء أهل رحمته وأهل غضبه معا أبد جزء أهل الرحمة وأطلق جزء أهل الغضب كقوله (فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك عطاء غير مجدود) وقوله (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) وقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا المذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وقد يقرن بينهما في الذكر ويقضى لهم بالخلود كقوله (ومن يعص الله ورسوله قال له ناوله من جنهم خالدون فيها أبدا) وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويصدق الله ويخبره ناوله خالدون فيها) ولكن مجرد ذكر الخلود والتأيد لا يقتضى عدم النهاية بل الخلود هو الملك الطويل كقولهم قيد مخلد وتأيد كل شيء يحجب فقد يكون التأيد ندة الحياة وقد يكون لمدة الدنيا قال تعالى عن اليهود (ولن يتمنوه

أبدا بما قدمت أيديهم) ومعلوم أنهم يتنونه في التاريخ يقولون يا مالك ليض علبنا ربك وإنما استفيد عدم أنها نعيم الجنة بقوله (إن هذا لرزقنا ماله من نقاد) وقوله (عطاء غير مجدود) وقوله (لم أجر غير ممنون) أي مقطوع ومن قال لا يمن به عليهم فقد أخطأ أقبح الخطأ ولم يحجى مثل ذلك في عذاب أهل النار وقوله عز وجل (وما هم بخارجين من النار وما هم منها يخرجون) وقوله (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقوله تعالى (كما أرادوا أن يخرجوا منها أعبدوا فيها) في موضعين من القرآن وقوله (كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) غير مصروف عن ظاهره وحقيقته على الصحيح وقد زعمت طائفة أن إطلاق هذه الآيات مقبند بآيات التقيد بالاستثناء بالمشية فيكون من باب تخصيص العموم وهذا كأنه قول من قال من السلف في آية الاستثناء أنها تقضى على كل وعيد في القرآن والصحيح أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها ولكن ليس فيها ما يدل على أن نفس النار دائمة بدوام الله لانتهاء لها هذا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه بوجه ما وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائما بدوامها وبين أن يكون هي أبدية لا انقطاع لها فلا تستحيل ولا تنمحل فهذا شيء وهذا شيء لا يقال فلا فرق على هذا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة إذ كان كل منهما بضمحل وينقطع قيل ما ظهر الفرق بينهما والأمر أبين من أن يحتاج إلى فرق وأيضا فعذاب الدنيا ينقطع بموت المعذب وانقلاع العذاب عنه وأما عذاب الآخرة فلا يموت من استحق الخلود فيه ولا يقلع العذاب عنه ولا يدفعه عنه أحد كما قال تعالى (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) وهو لازم لا ينفك قال تعالى (إن عذابها كان غراما) أي لازما ومنه سمي الغرم غريما لازما ومنه غريمه

﴿فصل﴾ وأما الآثار في هذه المسئلة فقال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن سلم حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الله بن مسهر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم يأتيان على جهنم يوم كأنها ورق هاج واحمى تحفق أبوابها وقال حرب في مسائله سألت اسحاق قلت قول الله عز وجل (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا من شاء ربك) قال آمنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا متمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نصره عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية تأتي في القرآن كله الا من شاء ربك انه فعال لما يريد قال المتمر قال أي كل وعيد في القرآن ثم تأول حرب ذلك فقال من شاء عندي والله أعلم أنها تأتي على كل وعيد في القرآن لاهل التوحيد وكذلك قوله الا من شاء ربك استثنى من أهل القبلة الذين يخرجون من النار وهذا التأويل لا يصح لأن الاستثناء إنما هو في وعيد الكفار فانه سبحانه قال يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه فهم شق وسعيد فاما الذين شقوا في النار الآية ثم قال وأما الذين سعدوا في الجنة فاهل التوحيد من الذين سعدوا شقوا وآية الانعام صريحة في حق الكفار كما تقدم بيانه قال حرب وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي ثنا شعبة عن أبي مليح سمع عمر بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال يأتيان على جهنم يوم تصطق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بمد ما يلثون فيها أحقابا حدثنا عبيد الله ثنا أبي ثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال أما الذي أقول أنه سيأتي على جهنم يوم لا يبق فيها أحد وقرأ فاما الذين شقوا في النار الآية قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعني بها



الموحدين وقد تقدم ان هذا التأويل لا يصح وقال عبد بن حميد في تفسيره أخبرنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر لو لبث أهل النار في النار بقدر ومل عاجل لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه وقال أخبرنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال لو لبث أهل النار في النار عدد ومل عاجل لكان لهم يوم يخرجون فيه ورواة هذا الاثر أئمة ثقات كلهم والحسن سمعه من بعض التابعين ورواه غير منكر له فدل هذا الحديث انه كان متداولاً بين هؤلاء الأئمة لا ينكرونه وقد كانوا يشكرون على من خرج عن السنة أدنى شيء ويروون الاحاديث المبطله لفعله وكان الامام أحمد يقول احاديث حماد بن سلمة هي الشجا في حلق المبتدعة فلو كان هذا القول عندهم من البدع المخالفة للسنة والاجماع لسارعوا الى رده وانكاره وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (قال النار مثواكم خالدون فيها الاما شاء الله ان ربك حكيم عليهم) قال لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً قال الطبري وروى عن ابن عباس أنه كان يتأول في هذا الاستثناء ان الله جعل أمر هؤلاء في مبلغ عذابه ايامهم الى ميثبه وهذا التفسير من ابن عباس يطول قول من تأول الآية على أن معناه سوى ما شاء الله من أنواع العذاب أو قال المعنى الامدة مقامهم قبل الدخول من حين بشوا الى أن دخلوا أو أنها في أهل القبلة وما ينبغي من أو أنها يعني الواو أي وما شاء الله وهذه كلها تأويلات باردة ركيكة لا تلقى بالآية ومن تأملها جزم بطلانها وقال السدي في قوله تعالى (لائين فيها أصحاباً) قال سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم كالف سنة مما تعدون وتقييد لهم فيها بالاحقاب يدل على مدة مقدرة بمصرها العدد هنا قول الاكثرين ولهذا تأول الزجاج الآية على أن الاحقاب تقييد القول لا يدقون فيها بردوا لشراباً وأما مدة مصمتهم فيها فلا يتقدر بالاحقاب وهذا تأويل فاسد فانه يقتضى أن يكونوا بعد الاحقاب ذائقين للبرد والشراب وقالت طائفة أخرى الآية منسوخة بقوله (وما هم منها بمخرجين) وقوله (هم فيها خالدون) وهذا فاسد أيضاً إن أرادوا بالنسخ الرفع فانه لا يدخل في الخبر الا اذا كان بمعنى الطلب وإن أرادوا بالنسخ البيان فهو صحيح وهو انما يدل على أن عذابهم دائم مستمر مادامت باقية فهم فيها خالدون وما هم بمخرجين وهذا حق معلوم دلالة القرآن والسنة عليه لكن الشأن في أمر آخر وهو أن النار أبدية دائمة بدوام الرب فأين الدليل على هذا من القرآن أو السنة بوجه من الوجوه وقالت طائفة هي في أهل التوحيد وهذا أنجح مما قبله وسياق الآيات يردّه رحاً صريحاً ولما رأى غيرهم بطلان هذه التأويلات قال لا يدل ذكر الاحقاب على النهاية قائمها غير مقدرة بالعدد فانه لم يقل عشرة ولا مائة ولو قدرت بالعدد لم يدل على النهاية الا بالمفهوم فكيف إذا لم يقدر قالوا ومعنى الآية انه كلما مضى حقب تبعه حقب لالى نهاية وهذا الذى قاله لائدل الآية عليه بوجه وقولهم ان الاحقاب فيها غير مقدرة فيقال لو أريد بالآية بيان عدم انتهاء مدة العذاب لم يقيّد بالاحقاب فان مالا نهاية له لا يقال هو باقى أحقاباً ودهوراً واعصاراً أو نحو ذلك ولهذا لا يقال ذلك في نعم أهل الجنة ولا يقال للأبدى الذى لا يزول هو باقى أحقاباً أو الآفا من السنين فالصحابة أفهم الآية لعماني القرآن وقد فهم منها عمر بن الخطاب خلاف فهم هؤلاء كما فهم ابن عباس من آية الاستثناء خلاف فهم أولئك وفهم الصحابة في

القرآن هو الغاية التي عليها المعمول وقد قال ابن مسعود لياثين على جهنم زمان مخفق أبوها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً وقال ابن جرير حديث عن المسيب عن ذكره عن ابن عباس خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود فذكره وقال حدثنا محمد بن حنبل ثنا جرير عن يان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمراً وأسرعها خراباً قلت لا يدل قوله أسرعها خراباً على خراب الدار الأخرى كما في قوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وقوله (آفة خير أمة أخرجت للناس) وقوله في الحديث الله أعلا وأجل وقوله أسرعها عمراً لا يحتمل معنيين أحدهما مسارعة الناس إلى الأعمال التي يدخلون بها جهنم وإبطاؤهم عن أعمال الدار الأخرى والثاني أن أهلها يدخلونها قبل دخول أهل الجنة إليها فإن أهل الجنة إنما يدخلونها بعد عبورهم على الصراط وبعد حبسهم على القنطرة التي وراءهم وأهل النار قد تبوأوا أماناً لهم منها فقام لا يجوزون على الصراط ولا يحسبون على تلك القنطرة وأيضا في الحديث الصحيح أنه لما نادى المنادى لتبع كل أمة ما كانت تعبد فتبع المشركون أولادهم وأهملهم فتساقط بهم في النار وتبقى هذه الأمة في الموقف حتى يأتيها ربها عز وجل ويقول ألا تطلقون حيث انطلق الناس وقد ذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة سهل بن عبيد الله بن داود ابن سليمان أبو نصر البخاري حدثنا محمد بن نوح الجندسابوري حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الثاقف حدثنا سهل بن عبيد الله بن مسهر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على جهنم يوما ما فيها من بني آدم أحد يتحقق أبوابها كلها أبواب الموحدين وليس البعثة على هذا وحده فإن أسنده ضعيف وقد روى من وجه آخر عن ابن مسعود وقد تقدم

﴿فصل﴾ والذين قطعوا بأبدية النار وإنما لا تفي لهم طرق أحدتها الآيات والاحاديث الدالة على خلودهم فيها وأنهم لا يموتون وما هم منها بمخرجين وأن الموت يذبح بين الجنة والنار وأن الكفار لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وأمثال هذه النصوص وهذه الطريق لا يدل على ما ذكره وإنما يدل على أنها مادامت باقية فهم فيها فأين فيها ما يدل على عدم فنائها الطريق الثاني دعوى الإجماع على ذلك وقد ذكرنا من أقوال الصحابة والتابعين ما يدل على أن الأمر بخلاف ما قالوا حتى لقد ادعى إجماع الصحابة من هذا الجانب استنادا إلى تلك القول التي لا يعلم عنهم خلافها الطريق الثالث أنه كالمعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن الجنة والنار لا فناء بل هما باقيتان ولهذا أنكر أهل السنة كلهم على أبي الهذيل وجهنم وبشيقهما ممن قال بفنائها وعدوا أقوالهم من أقوال أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ولا ريب أن هذا من أقوال أهل البدع التي خرجوا بها عن السنة ولكن من أين تصح دعوى العلم النظري أن النار باقية بقاء الله دأمة بدوامه فضلا عن العلم الضروري فأين في الأدلة الشرعية أو العقلية دليل واحد يقتضي ذلك الطريق الرابع أن السنة المستنصفة أو المتواترة أخبرت بخروج أهل التوحيد من النار دون الكفار وهذا معلوم من السنة قطعا وهذا الذي قالوه حق لا ريب فيه ولكن أهل التوحيد خرجوا منها وهي باقية لم تقن ولم تدم والكفار لا يحصل لهم ذلك بل هم باقون فيها ما بقيت الطريق الخامس أن العقل يدل على

خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها فإن نفوسهم غير قابلة للخير فأنهم لو خرجوا منها لمادوا كفارا كما كانوا وقد أشار تعالى الى ذلك بقوله (ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه) وهذا يدل على غاية عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه فلا تصلح نفوسهم للثبوت الحثيثة الا للمذاب ولو صلحت لصلحت على طول المذاب بحيث لم يؤثر عذابهم تلك الاحقاب الطويلة في نفوسهم ولم يطيبها علم انه لا قابلية فيهم للخير أصلا وان أسباب المذاب لم يطف من نفوسهم فلا يطف المذاب المترتب عليها وهذه الطريق وان أنكرت بهادى الرأي فهي طريق قوية وهي ترجع الى طريق الحكمة وان الحكمة التي اقتضت دخولهم هي التي اقتضت خلودهم ولكن هذه الطريق محرم سلوكها على ثقافة الحكمة وعلى مثبتها من المتزلة والقدرية أما الثبوت فالحكمة عندهم ان عذابهم لمصلحتهم وهذا انما يصح اذا كان لهم حالتان حالة يذبون فيها لاجل مصلحتهم وحالة يزول عنهم المذاب لتحصل لهم تلك المصلحة والا فكيف تكون مصلحتهم في عذاب لا انقطاع له أبدا وأما من ثبت حكمة راجعة الى الرب تعالى فيمكنهم سلوك هذه الطريق لكن يقال الحكمة لا تقتضى دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه وهو لم يغير انه خلقهم لذلك وانما يذبون لغاية محودة اذا حصلت حصل المقصود من عذابهم وهو سبحانه لا يذب خلقه مدى وهو قادر على أن ينشئهم بعد المذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والحجائب التي كانت في نفوسهم وقد أزالها طول المذاب فأنهم خلقوا قابلين للخير على الفعارة وهذا القبول لازم لحلقهم به أقروا بصانعهم وقاتلهم وانما طرأ عليه ما بطل مقتضاه فزال ذلك الطارئ بالمذاب الطويل بقي أصل القبول بلا معارض وأما قوله تعالى (ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه) فهذا قيل متاثرهم بالمذاب قال تعالى (ولو ترى إذ أقفوا على النار قالوا يا ليتنا وردنا نكتب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخشون من قبل ولو ردوا لمادوا لما نهوا عنه وأنهم لكانذبون) فذلك الحياث والشرور قائمة بنفوسهم لم ترها النار فلو ردوا لمادوا لقيام المقتضى للعود ولكن أين أخبر سبحانه أنه لو ردهم بعد المذاب الطويل السرمدى لمادوا لما نهوا عنه وسر المسئلة ان الفطرة الاصلية لا بد أن تعمل عملها كما عمل الطارئ عليها عمله وهذه الفطرة عامة لجميع بني آدم كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مولود الا يولد على الفطرة وفي لفظ على هذه الملة وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد الجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال اني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا فاخبر ان الاصل فيهم الحنيفية وأنهم خلقوا عليها وان صدعا عارض فيهم باقسطاع الشياطين لهم غما فافن الممتع أن يعمل أثر اقسطاع الشياطين ولا يعمل أثر خلق الرحمن جل جلاله عمله والكل خلقه سبحانه فلا خالق سواه ولكن ذاك خلق يحبه ويرضاه ويضاف أثره اليه وهذا خلق يغيضه ويسخطه ولا يضاف أثره اليه فان الشر ليس اليه والخير كله في يده فان قيل فقد قال سبحانه (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) وهذا يقتضى انه لا قابلية فيهم ولا خير عندهم البتة ولو كان عندهم لمخرجوا به من النار مع الموحدين فانه سبحانه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى متقلدرة من خير فلم ان هؤلاء ليس معهم هذا القدر اليسير من الخير قيل الخير في هذا الحديث هو الايمان

بأنه ورسله كما في اللفظ الآخر أدنى أدنى أدنى متقال ذرة من إيمان وهو تصديق رسله والاعتقاد لهم بالقلب والجوارح وأما الخبر في الآية فالمراد به القبول والركاء ومعرفة قدر النعمة وشكر المتعم عليها فلو علم الله سبحانه ذلك فهم لاسمعهم إسماعا يتفقون به فلهم قد سمعوا سماعا يقوم به عليهم الحجة فذلك القابلة ذهب أثرها وتمطلت بالكفر والجحود وعادت كالشيء المدموم الذي لا يتنفع به وإنما ظهر أثرها في قيام الحجة عليهم ولم يظهر أثرها في انتفاعهم بما عملوه ويتقنوه فإن قيل فالعلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وقال نوح عن قومه ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي مرفوعا أن نبي آدم خلقوا على طبقات شق ففهم من يولد مؤثما ويحي مؤثما ويموت مؤثما ومنهم من يولد كافرا ويحي كافرا ويموت كافرا الحديث قيل هذا لا يناقض كونه مولودا على الفطرة فإنه طبع وولد مقدرا كفره إذا عقل والا فني حال ولادته لا يعرف كافرا ولا إيمانا فهي حال مقدرة لا مقارنة للعامل فهو مولود على الفطرة ومولود كافرا باعتبارين صحيحين ثابتين له هذا بالقبول وإثبات الإسلام لو خلى وهذا بالفعل والارادة إذا عقل فإذا جمت بين الفطرة السابعة والرحمة السابعة والمالية والحكمة البالغة والتقى التام وفرت بين فطرته ورحمته وحكمته وغناه تبين لك الأمر للطريق السادس قياس دار العدل على دار الفضل وأن هذه كما أنها أبدية فالأخرى كذلك لأن هذه توجب عدله وعدله ورحمته من لوازم ذاته وهذه الطريق غير نافذة فإن العدل حقه سبحانه لا يجب عليه أن يستوفيه ولا يلحقه بتركه نقص ولا ذم بوجهه من الوجوه والفضل وعده الذي وعده عباده وأحقه على نفسه والفرق بين الدارين من وجوه عديدة شرعا وعقلا أحدها أن الله سبحانه أخبر بأن نعيم الجنة ماله من فساد وإن عطاء أهلها غير مجزؤ وأنه غير ممنون ولم يحيى ذلك في عذاب أهل النار الثاني أنه أخبر بما يدل على انتهاء عذاب أهل النار في عدة آيات كما تقدم ولم يخبر بما يدل على انتهاء نعيم أهل الجنة ولهذا احتاج القائلون بالتأيد الذي لا انقطاع إلى التأييد تلك الآيات ولم يحيى في نعيم أهل الجنة ما يحتاجون إلى تخصيصه بالتأويل الثالث أن الأحاديث التي جاءت في انتهاء عذاب النار لم يحيى شيء منها في انتهاء نعيم الجنة الرابع أن الصحابة والتابعين إنما ذكروا انقطاع العذاب ولم يذكر أحد منهم انقطاع النعيم الخامس أنه قد ثبت أن الله سبحانه يدخل الجنة بلا عمل أصلا بخلاف النار السادس أنه سبحانه ينشئ في الجنة خلقا ينعم فيها ولا ينشئ في النار خلقا يذنبهم بها السابع أن الجنة من مقتضى رحمته والنار من مقتضى غضبه وإن الذين يدخلون النار أضاف أضاف الذين يدخلون الجنة فلو دام عذاب هؤلاء كدوام نعيم هؤلاء لقلب غضبه رحمته فكان الغضب هو الثالب السابق وهذا متعم الثامن أن الجنة دار فضله والنار دار عدله وفضله يغلب عدله التاسع أن النار دار استيفاء حقه الذي له والجنة دار وقاه حقه الذي أحقه هو على نفسه وهو سبحانه يترك حقه ولا يترك الحق الذي أحقه على نفسه العاشر أن الجنة هي الناية التي خلقوا لها في الآخرة وأعمالها هي الناية التي خلقوا لها في الدنيا بخلاف النار فإنه سبحانه لم يخلق خلقه للكفر به والاشراك وإنما خلقهم لعبادته وليرحمهم الحادي عشر أن النعيم من موجب أسائه وصفاته والعذاب انما هو من أفضاله قال تعالى (نبي) عبادي أتوا بالظهور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم وقال (أن ربك لسريع العقاب وأنه لنفور رحيم) وقال (اعلموا أن الله شديد العقاب

وان الله غفور رحيم وما كان من مقتضى أسأله وصفاته فانه يدوم بدوامه فان قيل فان العذاب صادر عن عزته وحكمته وعدله وهذه أسأله حسنى وصفات كمال فيدوم ماصدر عنها بدوامها قيل لعمر الله ان العذاب صدر عن عزة وحكمة وعدل واثباته عند حصول المقصود منه يصدر عن عزته وحكمة وعدله فلم يخرج العذاب ولا انقطاعه عن عزته وحكمته وعدله ولكن عند اثباته يكون عزة مقرونة برحمة وحكمة مقرونة بمجود واحسان وعفو وصفة فالعزة والحكمة لم يزلوا ولم ينقصا بل صدر جميع ما خلقه ويخلقه وأمر به وأمر به عن عزته وحكمته \* الثاني عشر ان العذاب مقصود لغيره لال نفسه وأما الرحمة والاحسان والعمم فقصود لنفسه فالاحسان والعمم غاية والعذاب والام وسيلة فكيف يقاس أحدهما بالآخر \* الثالث عشر انه سبحانه أخبر ان رحمته وسعت كل شيء وان رحمته سبقت غضبه وانه كتب على نفسه الرحمة فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المذنبين فلو بقوا في العذاب لآلى غاية لم تسهم رحمته وهذا ظاهر جدا فان قيل فقد قال سبحانه عقيباً كتبها للذين يتقون الى آخر الآية يخرج غيرهم منها لخروجهم من الوصف الذى يستحق به قيل الرحمة المكتوبة لهؤلاء هي غير الرحمة الواسعة لجميع الخلق بل هي رحمة خاصة خصم بها دون غيرهم وكتبها لهم دون من سواهم وهم أهل الفلاح الذين لا يميزون بل هم أهل الرحمة والقور والعمم وذكر الخاص بعد العام استطراداً وهو كثير في القرآن بل قد يستلزم من الخاص الى العام كقوله (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما نفشاها حملت حملاً خفيفاً فرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) فهذا استطراد من ذكر الابوين الى ذكر القرية ومن الاستطراد قوله (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وجعلنا هارجوما للشياطين) فائق جعلت وجوما ليستهي التي زينت بها السماء ولكن استطراد من ذكر النوع الى نوع آخر وأعاد ضمير الثاني على الاول لدخولهما تحت جنس واحد فهكذا قوله ورحمى وسعت كل شيء فسا كتبها للذين يتقون فالملكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة والمقصود ان الرحمة لا بد أن تسع أهل النار ولا بد أن تنهى حيث ينتهى العلم كما قالت الملائكة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما \* الرابع عشر انه قد صح عنه صلى الله عليه وسلم حديث الشفاعة قول أولى العزم ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وهذا صريح في ان ذلك الغضب العظيم لا يدوم وهو معلوم ان أهل النار اذا دخلوها بذلك الغضب فلو دام ذلك الغضب لدام عذابهم اذ هو موجب ذلك الغضب فاذا رضى الرب تبارك وتعالى وزال ذلك الغضب زال موجب عذابه وهذا كما أن عقوبات الدنيا المامة وبلاؤها آثار غضبه فاذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء فاذا رضى وزال غضبه زال البلاء وخلقته الرحمة الخامس عشر ان رضاه أحب اليه من غضبه وعفوه أحب اليه من عقوبته ورحمته أحب اليه من عذابه وعطاؤه أحب اليه من منعه وانما يقع الغضب والقوة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصفات والاسماء وهو سبحانه كما يحب اسماء وصفاته ويجب آثارها وموجبها كما في الحديث انه وتر يحب الوتر جميل يحب الجمال فليقتضى يجب النظافة عفو يحب العفو وهو شكور يحب الشاكرين عالم يحب العالمين جواد يحب أهل الجود حتى ستر يحب أهل الحياء والتر صبور يحب الصابرين رحيم يحب الرحماء فهو

يكره ما يضاف ذلك وكذلك كره الكفر والفسوق والمصيان والظلم والجهل لمضادة هذه الاوصاف  
لاوصاف كماله الموافقة لاسماؤه وصفاته ولكن يريد سبجانه لاستلزامه ما يحبه ويرضاه فهو مراده  
ارادة القوازم المقصودة لغیرها اذ هي معصية الى ما يجب فاذا حصل بها ما يحبه وأدت الى الغاية  
المقصودة له سبجانه لم يبق مقصودة لانفسها ولا لغیرها فتزول ويحذفها أعداها التي هي أحب اليه  
سبجانه منها وهي موجب أسماؤه وصفاته فان فهمت سر هذا الوجه والا تجاوزوه الى ما قبله ولا  
تسجل بانكاره هذا وسر المسئلة انه سبجانه حكيم رحيم انما يخلق بحكمة ورحمة فاذا عذب من يذب  
الحكمة كان هذا جاريا على مقتضاها كما يوجد في الدنيا من العقوبات الشرعية والقدرية من التهذيب  
والتأديب والزرع والرحمة والاعطف ما يركي النفوس ويطيها ويمحصها ويخلصها من شرها وخشها  
والنفوس الشريرة الظالمة التي لو ردت الى الدنيا قبل المذب لمادت لما نهى عنه لايصلح أن تسكن  
دار السلام التي تنافي الكذب والشر والظلم فاذا عذبت هذه النفوس بالنار عذابا يخلصها من ذلك  
الشر ويخرج خشها كان هذا معقولا في الحكمة كما يوجد في عذاب الدنيا وخلق من فيه شر يزول  
بالتأديب من تمام الحكمة أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة وانما خلقت للشر المحض  
وللمذاب السرميد الدائم بدوام خالقها سبجانه فهذا لا يظهر موافقته للحكمة والرحمة وان دخل تحت  
القدرة فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليست بالبين فهذا ما وصل اليه النظر في هذه المسئلة التي  
تكع فيها عقول الفلاء وكنت سألت عنها شيخ الاسلام قدس الله روحه فقال لي هذه المسئلة  
عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشئ ففسي على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي  
بعض تلك الآثار التي ذكرت فارسلت اليه الكتاب وهو في مجلده الاخير وعلمت على ذلك الموضوع  
وقلت للرسول قل له هذا الموضوع يشكل عليه ولا يدري ما هو فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله  
عليه فمن كان عنده فضل علم فليحدثه فان فوق كل ذي علم عليم وانما في هذه المسئلة على قول أمير  
المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فانه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار  
ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال وفضل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء وعلى مذهب عبد الله بن  
عباس رضى الله عنهما حيث يقول لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم الجنة ولا ناراً  
وذكر ذلك في تفسير قوله (قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) وعلى مذهب أبي سعيد  
الحدرى حيث يقول انتهى القرآن كله الى هذه الآية (ان ربك فعال لما يريد) وعلى مذهب قتادة  
حيث يقول في قوله الا ما شاء ربك الله أعلم بنيه على ما وقعت وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول  
أخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار والقول  
بان النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فان لم يكن مطابقا لغيره عن نفسه بذلك والا  
كان قولاً عليه بغير علم والصواب لا تفهم ذلك والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وهاتنا مذاهب أخرى باطلة منها قول من قال أنهم يعذبون في النار مدة لنهم  
في الدنيا وقول من قال أنها تغلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الحرب بالحك  
وقول من يقول أنها تنفى هي والجنة جميعا ويمودان عدما وقول من يقول تنفى جركتها وتبقى  
أهلها في سكون دائم ولم يوفق للصواب في هذا الباب غير الصحابة ومن سلك سبيلهم

وبالله التوفيق

﴿صل﴾ فان قيل فما الحكمة في كون الكفار أكثر من المؤمنين وأهل النار أضعاف أضعاف أهل الجنة كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وقليل من عبادي الشكور) وقيل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتليل ما هم) وقال (وان تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وبنت النار من كل ألف تسعمائة وتسمة وتسعون وواحد الى الجنة وكيف نشأ هذا عن الرحمة الغالبة وعن الحكمة البالغة وهلاك كان الامر بالضد من ذلك \* قيل هذا السؤال من أظهر الأدلة على قول الصحابة والثمانين في هذه المسئلة وان الامر يعود الى الرحمة التي وسعت كل شيء وسبق الغضب وغلبته وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية ثم قول المادة الارضية اقتضت حصول التفاوت في النوع الانساني كما في المسند والترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فكان منهم الحديث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك فاقضت مادة النوع الانساني تفاوتهم في اخلاقهم وارادتهم واعمالهم ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم ان ابتلى الخلق من هذه المادة بالشهوة والغضب والحب والبغض ولوازمها وابتلاه بعدوه الذي لا يألوه خبلا ولا يفقل عنه ثم ابتلاه مع ذلك بزينة الدنيا وبالهوى الذي أمر بمخالفته هذا على ضيقه وحاجته وزين له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واللؤلؤ المسومة والانعام والحراث وأمره بترك قضاء أوطاره وشهوانه في هذه النار الحاضرة البتة المشاهدة الى دار أخرى غايته انما تحصل فيها بعد طي الدنيا والذهاب بها وكان مقتضى الطبيعة الانسانية أن لا يثبت على هذا الابتلاء أحد وان يذهب كلهم مع ميل الطبع ودواغى الغضب والشهوة فلم يحل بينهم وبين ذلك خالفهم وقطرهم بل أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم مواقع رضاه وغضبه ووعدهم على مخالفة هواهم وطبايعهم. أكل الذوات في دار النعيم فلم تقو عقول الاكثرين على إشار الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا كيف يساغ نقد حاضر وهو قبض باليد بنسيئة مؤخرة وعدنا بمحصلها بعد طي الدنيا وخراب العالم ولسان حال أكثرهم يقول (خذ ما تراه ودع شيا سمعت به) فساعد التوفيق الالهى من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمد بقوة إيمان وبصيرة رأى في ضوئها حقيقة الآخرة ودوامها وما أعد الله فيها لاهل طاعته وأهل معيته ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها وقلة فائتها وظلم شركائها وأنها كما وصفها الله سبحانه لب وهو وزينة وقفاخر بين أهلها وتكثر في الاموال والاولاد وأنها كفتيت أعجب الكفار نباته ثم يبرج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فتشأنا في هذه النار ونغن منها ونبوها لاننا لاف غيرها وحسكت الماديات وقهر سلطان الهوى وساعده داعى النفوس وقاضاه موجب الطباع وغلب الحس على العقل وكانت الدولة له والناس على دين الملك ولأرب أن الذى يخرق هذه الحجب ويقطع هذه الملائق ويخالف الموائد ولا يستجيب لدواغى الطبع ويمضى سلطان الهوى لا يكون الا الاقل ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاء لهذا الصنف من المادة الترابية لثقل النار وطيشها وكثرة ثقافتها وسرعة حركتها وعدم ثباتها والماء المادة الملكية فتربه من ذلك فلذلك كان الخلق خيرا كله فالعقلاء المخاطبون مخوقون من هذه المواد الثلاث واقتضت الحكمة ان يكونوا على هذه المصلحة والخلفة

ولو كانوا على غير ذلك لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء وتنوع العبودية وظهور آثار الاسماء والصفات فلو كان أهل الإيمان والخير هم الاكثرين التاليين لفاتت مصلحة الجهاد وتوابعه التي هي من أجل أنواع العبودية وفاتت الكمال المترتب على ذلك فلا أحسن مما اقتضاه حكمة أحكم الحاكمين في الخلق من هذه المواد ثم أنه سبحانه يخلص ما في الخلق من نيك المسادين من الحب والشكر ويحصه ويستخرج طيبه الى دار الطيبين ويطبق خبثه حيث تلقى الجائحات والوساخ وهذا غاية الحكمة كما هو الواقع في جواهر المعادن المتفتح بها من الذهب والفضة والحديد والصفرة فخلاصة هذه المواد وطيبها أقل من وسخها وخبثها والناس زرع الأرض والخير الصافي من الزرع بعد زوائه وقصه وعصفه وتنه أقل من بقية الاجزاء وتلك الاجزاء كالصور له والوقاية كالخطب والشوك لاسم والتراب والحجارة للمعادن النفيسة

﴿فصل الوجه السابع والثلاثون﴾ قوله وأى حكمة في تسلط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب فكلم الله في ذلك من حكم باهرة منها حصول محبوبه من عبودية الصبر والجهاد وتحمل الأذى فيه والرضى عنه في السراء والضراء والثبات على عيوديته وطاعته مع قوة المعارض وغلبته وشوكته وتحميص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع يذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم وتميز الصادق من الكاذب ومن يريد ويصبره على جميع الحالات بمن يعبده على حرف وليحصل له مرتبة الشهادة التي هي من أعلى المراتب ولا شيء أبر عند الطبيب من بذل حجة نفسه في مرضاه ومجاهدة عدوه فكلم الله في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة وإذا شئت أن تعلم ذلك فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله (قد نزلت من قبلكم سنن) الى قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) الى قوله (ما كان الله ليجزي المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والمقاومة والحكم وكظم الغيظ ولا حلوة النصر والظفر والقهر فان الاشياء يظهر حسنها باضدادها ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الاعداء الحق والاهانة والكره فاستخرج ذلك التسليط من القوة الى الفضل ما عند أوليائه فاستحقوا كرامتهم عليه ولمحمد أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عليه فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين وهو العزيز الحكيم (الوجه الثامن والثلاثون) قوله وأى حكمة في تكليف الثقلين وعمر بعضهم بذلك النقوبة وأنواع المشاق فاعلم أنه لولا التكليف لكان خلق الانسان عبثا وسدى والله يتعالى عن ذلك وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص قال تعالى (أحسب أنما خلقناكم عبثا وانكم لنا لاترجعون) وقاله (أحسب الانسان أن يترك سدى) قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى ومعلوم أن ترك الانسان كاليهم مهلا معطلا مضادا للحكمة فانه خلق لغاية كماله وكماله أن يكون عارفا بربه محبسا قائما بعبوديته قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال (تسلطوا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما) وقال (ذلك ليعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم) فهذه المعرفة وهذه العبودية هما غاية الخلق والأمروهما أعظم كمال الانسان والله تعالى من غنايته وبرحمته له عرضه لهذا الكمال وهيأ له أسبابه الظاهرة والباطنة ومكنه منها



ومدار التكليف على الاسلام والايمان والاحسان وهي ترجع الى ذكر النعم كلها دقيقا وجليلا  
منه وتنظيمه واجلاله ومعاملته بما يليق أن يعامل به بتذكر الآؤه وتشكره فلا يكفر ويطاع فلا  
يصى ويذكر فلا ينسى هذا مع تضمن التكليف لأصناف العبد بكل خلق جميل وابانة بكل فعل  
نجيل وقول سديد واجتنابه لكل خلق سيئ وترك كل فعل قبيح وقول زور فتكليفه متضمن  
للكرام الاخلاق ومحاسن الافعال وصدق القول والاحسان الى الخليفة وتكميل نفسه باتواع الكمالات  
وهجر أصدقاء ذلك والتزبه عنها منع تعريضه بذلك للتكليف للثواب الجزيل الدائم ومجاورة به في  
دار البقاء فأى الامرين البقى بالحكمة هذا أو أربابه همل كالجيل والبال والحبر يأكل ويشرب وينكح  
كالبهائم أيقضى كماله المقدس ذلك فعلى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم وكيف يليق  
بذلك الكمال طى بساط الأمور والهي والتواب والمقاب وترك ارسال الرسل وإزال الكتب وشرع  
الشرائع وتقرير الاحكام وهل عرف الله من جاوز عليه خلاف ذلك وهل ذلك الامن سوء الظن به  
قال تعالى (وما قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) حسن التكليف في القول  
كحسن الاحسان والانعام والتفضل والطول بل هو من أبلغ أنواع الاحسان والانعام ولهذا سمي سبحانه  
ذلك نعمة ومنه وفضلا ورحمة وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعم المشتركة بين الازرار والفقجار  
قال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) فنعمة الله هاهنا نعمت بمحمد صلى الله عليه وسلم وما يمنه به  
من المسمى ودين الحق وقال (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتنا  
وزكهم ويهديهم الى الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال تعالى (هو الذى بعث في  
الامين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويهديهم الى الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال  
مبين وآخرين منهم لما لم يلحقوا بهم) وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل  
العظيم وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير  
مما يجمعون) وقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال  
(وإذاذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال (واعلموا ان فيكم  
رسول الله لو يطعكم في كثير من الامر لنعم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره  
اليكم الكفر والفسق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقال رسوله  
(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك بما تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وهل النعمة والفضل في  
الحقيقة الا ذلك وتوابعه وثمرته في القلوب والابدان في الدنيا والآخرة وهل في القول السليمة والفطر  
المستقيمة أحسن من ذلك وألحق بكمال الرب وأسماؤه وصفاته (الوجه التاسع والثلاثون) قوله في مناظرة  
الاشعري للجبائي في الاخوة الثلاثة الذين مات أحدهم صغيرا وبلغ الآخر كافرا والثالث مسلما أنها  
مناظرة كافية في ابطال الحكمة والتعليل ورعاية الاصابع \* فلعمر الله أنها مبطله لطريقة أهل البدع  
من المعتزلة والقدرة الذين يوجبون على ربه مراعاة الاصلح لكل عبد وهو الاصلح عندهم  
فيشرعون له شريعة بمقتولهم ويحجرون عليه ويحرمون عليه ان يخرج عنها ويوجبون عليه القيام بها  
وكذلك كانوا من أحمق الناس وأظلمهم تشبها بالخالق بالخلق في افضاله وأعظمهم تعطيل عن  
صفات كماله فزهوه عن صفات الكمال وشهوه بمحاكاة في الافعال وأدخلوه تحت الشريعة الموضوعة

بأراء الرجال وسما ذلك عدلا وتوحيدا بالزور والبهتان. وتلك كسبية مأثزل الله بها من سلطان  
 فالعدل قيامه بالقسط في أمثاله والتوحيد وإثبات صفات كماله شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة  
 وأولو النعم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم ان الذين عند الله الاسلام فهم العدل والتوحيد  
 الذي جاء به المرسلون وذلك التوحيد والعدل الذي جاء به المظلون والمقصود ان هذه المناظرة  
 وان أبطلت قول هؤلاء وزلزلت قواعدهم قائما لا تبطل حكمة الله التي احتص بها دون خلقه  
 وطوى بساط الاحاطة بها عنهم ولم يطلعهم منها الا على ما نسبتهم الى ما خفي عنهم كقطرة من بحار  
 الدنيا فكيف سبحة من حكمة في ذلك الذي أخرجه صغيرا وحكمة في الذي مدله في العمر حتى  
 بلغ وأسلم وحكمة في الذي أبقاء حتى بلغ وكفر ولو كان كل من علم انه اذا بلغ يكفر يحترمه صغيرا  
 لتصل الجهاد والعبودية التي يحياها الله ويرضاها ولم يكن هناك معارض. وكان الناس أمة واحدة  
 ولم تظهر آياته وعجائبه في الامم ووقائمه وأهله في أعدائه واقامة الحجة وجدل أهل الباطل بما  
 يدحض شبهتهم وينصر الحق ويظهر على الباطل الى أضعاف أضاعف ذلك من الحكم التي لا يحصى  
 الا الله والله سبحانه يجب ظهور أسماؤه وصفاته في الخليقة فلو اخترع كل من علم أنه يكفر اذا بلغ  
 لفات ذلك وفواته مناف لكمال تلك الاسماء والصفات واقتضاها لآثارها وقد تقدم بسط ذلك أتم  
 من هنا ( الوجه الرابعون ) قوله انه سبحانه رد الامر الى محض مشيئة بقوله ( يعذب من يشاء  
 ويرحم من يشاء ) وقوله ( فيفرض من يشاء ويمذهب من يشاء ) وقوله ( فان الله يضل من يشاء ويهدي من  
 يشاء ) وقوله ( لا يسئل عما يفعل ) فهذا كله حق ولكن أين فيه ابطال حكمته وحججه والفايات المحموده  
 المطلوبه بفعله وانه لا يفعل شيئا لشي ولا يأمر بشي لأجل شي ولا سب لفعله ولا غاية أفترى أصحاب  
 الحكمة والتلليل يقولون أنه لا يفعل بمشيئته أو أنه يسئل عما يفعل بل يقولون أنه يفعل بمشيئته مقارنا  
 للحكمة والمصلحة ووضع الاشياء مواضعها وأنه يفعل ما يشاء باسباب وحكم وفايات مطلوبه وعواقب  
 حميدة فهم يثبتون للملك وحده وغيرهم ثبت ملكا بلاحد أو نوعا من الحمد مع هضم الملك إذ  
 الرب تعالى له كمال الملك وكمال الحمد فكونه يفعل ما يشاء يتبع أن يشاء باسباب وحكم وفايات وانه  
 لا يشاء الا ذلك وأما قوله ( لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ) فهذا لكمال علمه وحكمته لالعدم ذلك  
 وأيضا فسباق الآتي في معنى آخر وهو ابطال إلهية من سواه وإثبات الاولية له وحده فانه سبحانه  
 قال ( أم اتخذوا آلهة من الارض هم يشتركون لو كان فيها آلهة الا الله لتفسدنا فسيقان الله رب  
 العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ) قائل في هذا ما يدل على ابطال التعليل بوجه من  
 الوجود ولكن أهل الباطل يعلقون بالفاظ زلواها على باطلهم لانتزاعها عليه ويتمان متشابهة يشبه فيها  
 الحق بالباطل فمصدتهم المتشابه من الالفاظ والمعاني فاذا فصلت وبينت يبين أنها لا دلالة فيها وانها مع  
 مع ذلك قد تدل على تقيض مطلوبهم وإلغاء التوفيق

### الباب الرابع والعشرون

في قول السلف من أصول الايمان بالايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومصره  
 قد تقدم ان القدر لا شر فيه بوجه من الوجود فانه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض

وكال من وجه فالشر ليس الى الرب تعالى بوجه من الوجوه لافي ذاته ولا في اسمائه ولا في صفاته ولا في افعاله وانما يدخل الشر الجزئي الاضافي في المقصى المقدر ويكون شرًا بالنسبة الى محل وخيرا بالنسبة الى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة الى المحل القائم به من وجه كما هو شر لمن وجه بل هذا هو الغالب وهذا كالتقصص واقامة الحدود وقتل الكفار فانه شر بالنسبة اليهم لامن كل وجه بل من وجه دون وجه وخير بالنسبة الى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والكمال ومنع الناس بعضهم بعضا وكذلك الآلام والامراض وان كانت شرورًا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة وقد تقدم تقرير ذلك فالخير والشر من جنس اللذة والالام والرفع والضرر وذلك في المقصى المقدر لافي نفس صفة الرب وفصله القائم به فان ~~الشر~~ يد الهارق شر مؤلم يضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل خير وحكمة ومصلحة كما يأتي في الباب الذي بعده ان شاء الله \* فان قيل فما الفرق بين كون القدر خيرا شرًا وكونه حلوا ومرا \* قيل الخلاوة والمرارة تعود الى مباشرة الاسباب في العاجل والخير والشر يرجع الى حسن العاقبة وسوها فهو حلو ومر في مبدئه وأوله وخير وشر في منتهاه وعاقبته وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن حلاوة الاسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل ومرارتها تعقب الخلاوة بخلاف الدنيا من الآخرة ومن الدنيا حلو الآخرة وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل اللذات تشر الآلام والآلام تشر اللذات والقضاء والقدر منظم لذلك انتظاما لا يخرج عنه شيء البتة والشر مرجعه الى اللذات واسبابها واخير المطلوب هو اللذات الدائمة والشر المرهوب هو الآلام الدائمة فانسبب هذه الشرور وان اشتملت على لذة ما وأسباب تلك خيرات وان اشتملت على ألما فأن تعقب اللذة الدائمة أولى بالاثار والتحمل من لذة تعقب الالام الدائم فذرة ساعة في جنب ألم طويل كذرة ساعة في جنب لذة طويلة كذا ألم

### الباب الخامس والعشرون

في امتناع اطلاق القول نفيًا وإثباتًا ان الرب تعالى مريد للشر وفاعله

هذا موضع اختلف فيه مذهبو القدر وقناه فقال النفاة لا يجوز أن يقال ان الله سبحانه مريد للشر أو فاعله له قالوا لا يريد الشر وفاعله شرير هذا هو المعروف لغة وعقلا وشرعا كما أن الظالم فاعل الظلم والفاجر فاعل الفجور ومريده والرب تعالى ويتزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له فان اسمائه كلها حسنى وأفعاله كلها خير فيستحيل أن يريد الشر فالشر ليس بإرادته ولا بفعله قالوا وقد قام الدليل على ان فعله سبحانه غير مقبولة والشر ليس بفعله له فلا يكون مقبولا له وقابا بهم الجبرية فقالوا بل الرب سبحانه يريد الشر وفعله قالوا لان الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق الا الله وهو سبحانه انا يخلق بإرادته فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله ووافقوا اخوانهم على أن الفعل عين المفعول والخالق نفس المخلوق ثم قالوا والشر مخلوق له ومقبول فهو فعله وخالقه واقع بإرادته قالوا وانما لم يطلق القول أنه يريد الشر ويشمل الشر أدبا لفظيا فقط كما لا يطلق القول بأنه رب الكلاب والحنازير ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه قالوا وأما قولكم ان الشرير مريد الشر وفاعله فجوابه من وجهين \* أحدهما انما يقع ذلك بان الشرير من قام به الشر وفعل الشر لم يقع بذات الرب فان أفعاله

لا تقوم به إذ هي نفس مفعولاته وإنما هي قائمة بالخلق وكذلك اشتقت لهم منها الاسماء كالفاجر والفاسق والمصل والمصلح والواجب والناهي ونحوها\* الجواب الثاني أن أسماء الله تعالى توقفية ولم يسم نفسه الا باحسن الاسماء قالوا والرب تعالى أعظم من أن يكون في ملكه مالا يريد ولا يخلق فانه الغالب غير المغلوب\* وتحقيق القول في ذلك أنه يتجوز اطلاق ارادة الشر عليه وفعله قيا وإثباتا لما في اطلاق لفظ الارادة والفعل من إيهام المعنى الباطل ونفى المعنى الصحيح فان الارادة تطلق بمعنى المشيئة وبمعنى المحبة والرضا فالاول كقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم يوقله (ومن أراد أن يضله) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) والثاني كقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فالارادة بمعنى الاول تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبة والرضا به وبالمعنى الثاني لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبة فاتها لا تقسم بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له ففرق بين ارادة أفعاله وارادة مفعولاته فان أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام وهذا إنما يتحقق على قول أهل السنة إن الفعل غير المفعول والخلق غير المخلوق كما هو الموافق للمقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث واجماع أهل السنة كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم وبغى هذا فها هنا ارادتان ومرادان ارادة أن يفعل ومرادها فعله القائم به وارادة أن يفعل عبده ومرادها مفعوله المنفصل عنه وليسما يتلازمان فتقدريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه اعادته على الفعل وتوقيفه له وصرف موافقته كما أراد من إبليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود ووقفه له ويثبت قلبه عليه ويصرفه اليه ولو أنزاد ذلك منه لسجد له لاحالة وقوله (فما لما يريد) إخباره عن ارادته لفعله لا لانفعال عبده وهذا الفعل والارادة لا ينقسم الى خير وشر كما تقدم وعلى هذا فاذا قيل هو مريد للشر أوهم أنه يحب له راض به واذا قيل أنه لم يره أوهم أنه لم يخلق ولا كونه وكلاهما باطل ولذلك اذا قيل ان الشر فعله أو أنه يفعل الشر أوهم ان الشر فعله القائم به وهذا محال واذا قيل لم يفعله أو ليس بفعله له أوهم أنه لم يخلق ولم يكنه وهذا محال فانظر ما في اطلاق هذه الالفاظ في إثباتي والاثبات من الحق والباطل الذي يبين بالاستقصاء والتفصيل وان الضوابط في هذا الباب مادل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف الى الرب تعالى لاوصفا ولا فعلا ولا يسمى باسمه بوجه من الوجوه وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم كقوله تعالى (قل أنعوذ برب الفلق من شر ما خلق) فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أي من شر الذي خلقه أو من شر مخلوقه وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمن الحق (وأننا لا ندري أي شر أريد من في الارض أم أراد بهم ربهم وشدا) وقد يستدل الى محله القائم به كقول ابراهيم الخليل الذي خلقني فهو يهدين والذي هو بطمعي ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقول الحضرة أما السفينة فكانت لمساكن يعملون في البحر فادرت أن أعيها وقال في بلوغ الغلامين فاراد ربك أن يبلغا أشدهما وقد جمع الانواع الثلاثة في الفاتحة في قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) والله تعالى إنما نسب الى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتنزل من تشاء يسدك الخير أنك على

كل شيء قد ير وأخطأ من قال المني يدك الخير والشر ثلاثة أوجه أحدها أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف بل ترك ذكره قصداً أو يانا أنه ليس بمراده الثاني أن الذي يد الله تعالى نوحان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بين الله ملائكة لا يفيضها نفقة سبحانه الليل والنهار أرايت ما أتفق منذ خلق الخلق قاله لم يفيض ما في يمينه ويده الأخرى القسط يخفض ويرفع فالفضل لاحدى الديين والمدل للأخرى وكلهما خير لا شر فيه بوجه الثالث أن قول النبي صلى الله عليه وسلم ليك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر إليه مع اثبات عموم خلقه لكل شيء

**فصل** والرب تعالى يشق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به فلو كان يشق له اسم باعتبار المخلوق المتفصل يسمى متكوناً ومتحركاً وساكناً وطويلاً وأيضاً وغير ذلك لأنه خالق هذه الصفات فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم إنما يشق أسمائه من أفعاله وأوصافه القائمة به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يسمى باسمه ولهذا كان قول من قال أنه يسمى متكلاً بكلام منفصل عنه وخلق في غيره ومريد بارادة منفصلة عنه وعادلاً ببدل مخلوق متفصل عنه وخالقاً بمخلوق منفصل عنه هو المخلوق قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللفة مع تناقضه في نفسه فإن اشق له اسم باعتبار مخلوقاته لزم طرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه وإن خص ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض كان حكماً لا معنى له وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يتم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا إرادة ولا فعل البتة ومن تجههم منهم نفى حقائق الصفات وقال لم يتم به صفة نبوتية ففوا صفاته وردوها إلى السلوب والاضافات ونفوا أفعاله وردوها إلى المصنوعات المخلوقات وحقيقة هذا أن أسمائه تعالى لفئات فارغة عن المعاني لاحقائق لها وهذا من الجاد فيها وإنكار أن يكون حسناً وقد قال تعالى (وله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الاسماء له سبحانه وصفاً كقوله تعالى (إن القوة لله جميعاً) وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (فاعلموا إنما أنزل بطل الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا جرت سبحانه وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقول عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضاك من سخطك وقوله أسألك الغيب وقد تركت على الخلق وقوله أعوذ بمن ترك أن تملني ولولا هذه المصادر لاتفت حقائق الاسماء والصفات والأفعال فإن أفعاله غير صفاته وأسمائه غير أفعاله وصفاته فأذا لم يتم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد وهو بمنزلة صوت لا يحدد شيئاً وهذا غاية الإلحاد

### الباب السادس والعشرون

فيما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك  
من عقوبتك واعوذ بك منك لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك  
من تحقيق القدر وأبانه وما تضمنه الحديث من الإسرار العظيمة

قد دل هذا الحديث العظيم القدر على أمور \* منها أنه يستأذى بصفات الرب تعالى  
كما يستأذى بذاته وكذلك يستأذى بصفاته كما يستأذى بذاته كما في الحديث يا حي يا قيوم  
يا دافع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام لا إله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني  
كله ولا تنكلي الي قضي طرفتي ولا إلى أحد من خلقك وكذلك قوله في الحديث الآخر أعوذ بعزتك  
أن تضلني وكذلك استأذنه بكلمات الله التامات وبوجه الكرم وتعظيمه وفي هذا ما يدل على أن هذه صفات  
ثابتة وجودية إذ لا يستأذى بالعدم وانها قائمة به غير مخلوقة إذ لا يستأذى بالمخلوق وهو احتياج صحيح  
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعين بمخلوق ولا يستغيث به ولا يدل أمته على ذلك \* ومنها  
أن المفعول من صفات الفعل القائمة به وفيه رد على من زعم أن فعله عين مفعوله فإن المفعول مخلوق  
ولا يستأذى به \* ومنها أن بعض صفاته هو أقواله سبحانه أفضل من بعض فأن المستأذى به أفضل من  
المستأذى منه وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق ولذلك  
كلامه سبحانه هو صفته معلوم أن كلامه الذي يثنى على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل  
من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم ولهذا كانت سورة الاخلاص أفضل من سورة  
تبت وكانت تعدل ثلث القرآن دونها وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن ولا تصح إلى قول من  
غلط بحجابه أن الصفات قديمة والقديم لا يتفاضل فإن الأدلة السمية والعقلية تبطل قوله وقد  
جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة يده اليمنى وما كان من العبد  
والقبض يده الأخرى ولهذا جعل أهل السعادة في قبضة اليمنى وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى  
والمقسطون على منابر من نور عن يمينه والسموات مطويات بيمينه والأرض بالأرض ومنها أن  
الغضب والرضا والعفو والعقوبة لما كانت متعاقبة استأذى بأحدهما من الآخر فلما جله إلى الغلات  
المقدسة التي لا ضد لها ولا مقابل قال وأعوذ بك منك فاستأذى بصفة الرضى من صفة الغضب  
وبطل العفو من فضل العقوبة وبالموصوف بهذه الصفات والأفعال منه وهذا يتضمن كمال الإثبات  
للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فإن الذي يستأذى منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء  
الرب تعالى وقدره وهو المتفرد بخلقهم وتقديره وتكوينه فإذ شاء كان وما لم يشاء لم يكن فالتأذى منه  
أما وصفه وأما فعله وأما مفعوله الذي هو أثر فعله والمفعول ليس إليه تقع ولا ضر ولا يضر الا بأذن  
خالقه كما قال تعالى في أعظم ما يضر به العبد وهو السحر (وما هم بضارين به من أحد الا بأذن الله)  
فالذي يستأذى منه هو بمشيئته وقضائه وقدرته وإعاذته منه وصرفه عن المستأذى إنما هو بمشيئته  
أيضا وقضائه وقدره فهو المهيمن بغيره بقدره ومن ما يصدره عن مشيئته وأزادته بما يصدره عن

مشيته وأرادته والجميع واقع بإرادته الكونية التقديرية فهو يعيد من إرادته بإرادته إذ الجميع خلقه وقدره وقضاه، فليس هناك خلق لغيره فيعيد منه هو بل المستعاد منه خلق له هو الذي يعيد عبده من نفسه بنفسه فيعيد مما يريد به بما يريد به فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيد منها المستعبد به كما يستعيد من رجل ظلمه وقهره رجل أقوى أو نظيره فالمستعاد منه هو الذنوب وعقوباتها والآلام وأسبابها والسبب من قضائه والمسبب من قضاؤه والاعادة بقضائه هو الذي يعيد من من قضائه بقضائه فلم يعد إلا بما قدره وشاء وذلك الاستمادة منه وشأنها وقدر الاعادة وشامها فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيته فتجرت هذه الكلمة التي لوقالها غير الرسول لبأدر المتكلم الجاهل إلى أنكارها وردها أنه لا يملك الضر والنفع والخلق والامر والاعادة غيرك وإن المستعاد منه هو يدك وتحت تصرفك ومخلوق من خلقك فما استعدت إلا بك ولا استعدت إلا منك وهذا نظير قوله في الحديث الآخر لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك فهو الذي ينبغي من نفسه بنفسه ويعيد من نفسه بنفسه وكذلك القزاريض عبده منه إليه وهذا كله تحقيق للتوحيد والقدر وأنه لا رب غيره ولا خالق سواه ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضرا ولا قضا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بل الأمر كله لله ليس لأحد سواه منه شيء كما قال تعالى لا كرم خلقه عليه وأحسنهم ليه (ليس لك من الأمر شيء) وقال جوابا لمن قال هل لنا من الأمر شيء (قل إن الأمر كله لله) فالملك كله والامر كله والمحمد كله والشفاععة كلها له والخير كله في يده وهذا تحقيق تقرده بالربوبية والالوهية فلا إله غيره ولأرب سواه (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ولن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) فاستعد به منه وفر منه إليه واجعل لحاكم منه إليه فلا امر كله له لا يملك أحد معه منه شيئا فلا يأتي بالחסنات إلا هو ولا يذهب بالسيئات إلا هو ولا تحرك ذرة فافوتها إلا بأذنه ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بأذنه ومشيته يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عن يشاء فأعرف الخلق به وأقراهم بتوحيده من قال في دعائه وأعوذ بك منك فليس للخلق معاذ سواه ولا مستعاد منه إلا وهو ربه وخالقه ومليك وتحت قهره وسلطانه ثم ختم الدعاء بقوله لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اعترافا بأن شأنه وعظمته وضوت كلاله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيها أحد من الخلق أو يبلغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه فهو توحيد في الاسماء والصفات والعمود وذلك توحيد في السبودية والتسأل وأفراده تعالى بالحق والرجاء والاستمادة وهذا مفاد الشرك وذلك مضاد التعليل وبالله التوفيق

## الباب السابع والعشرون

في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد  
والحكمة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك  
عدل في قضائك وبيان ما في هذا الحديث من القواعد

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال اللهم ابق  
عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيق يدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك  
سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك  
أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي ألا أذهب الله عنه  
وغمه وأبدله مكانه فرحا قالوا يا رسول الله أفلا تسلمن قال بلى ينبغي لمن يسمعن أن تسلمن فقد  
دل هذا الحديث الصحيح منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب فالحاصل هو  
مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول  
مكروه إذا تذكره أحدث له حزنا والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم  
فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وادوائه وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلص  
منها وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لا يحصى إلا الله بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو  
يتوهم أنه يخلصه منها وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في التخلص منها لا يزيدنا الأشدة  
لن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبرائها إلى أصغرها ولكن يتداوى منها باللهو واللعب  
والفناء وسماع الأصوات المطربة وغير ذلك فأكثر سعى بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور  
والتخلص منها وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله إزالتها وهو  
دواء مركب من مجموع أمور حتى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره وأعظم أجزاء هذا الدواء هو  
التوحيد والاستغفار قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي  
الحديث قال الشيطان قول أهلك بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله فلما رأيت ذلك بشت  
فيهم الأهواء فهم يتوبون ولا يتوبون لاتهم محسبون أنهم يحسنون صنعا ولذلك كان الدعاء المفرج للكرام  
محض التوحيد وهو لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا هو رب العرش العظيم لا إله إلا هو رب  
السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة  
أخي ذى النون مادعاها مكروب الأفرج الله كره لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين  
فالتوحيد يدخل البعد على الله والاستغفار والثوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب  
عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه زال عنه همه وغمه وحزنه وإذا انقطع عنه حصرته المحوم  
والنوم والاحزان وأتته من كل طريق ودخلت عليه من كل باب فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب  
لهم والغم والحزن بالاعتراف له بالمبودية حقاً منه ومن آياته ثم اتبع ذلك باعترافه بأنه في قبضته  
وملكه ومحت تصرفه يكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء كما يقاد من أمسك بناصره شديد القوى



لا يستطيع الا الاقياد له ثم اتبع ذلك باقراره له بفاذ حكمه فيه وحرية له عليه شاء أم أبى وإذا حكم فيه بحكم لم يستطيع غيره برده أبدا وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه واعتراف من نفسه بنهاية العجز والنصف كفاة قال أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قوى قاهر غالب وإذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد ثم اتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية يتفدحها فيه هذا لحاكم فهي عدل محض منه لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه فقال ماض في حكمك عدل في قضائك وهذا يعم جميع أفضيته سبحانه في عبده قضائه السابق فيه قبل إيجاده وقضائه فيه المقارن لحياه وقضائه فيه بعد مآته وقضائه فيه يوم معاده ويتناول قضاءه فيه بالذنب وقضائه فيه بالجلاء عليه ومن لم يثلج صدره لهذا ويكون له كالم ضروري لم يعرف ربه وكفاله وقضيه وعينه ولا عدل في حكمه بل هو جهول ظالم فلاح ولا إنصاف وفي قوله ماض في حكمك عدل في قضائك رد على طائفتي القدرة والجبرية وان اعترفوا بذلك بالنتهم فاصولهم تناقضه فان القدرة تنكر قدرته سبحانه على خلق ما به يهتدى البعد غير ما خلفه فيه وجهه عليه فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعي بالامر والنهي ومعلوم أنه لا يصح حمل الحديث على هذا الحكم فان البعد يطعمه نارة وبصيص نارة بخلاف الحكم الكوني القدرى فإنه ماض في البعد ولا بد (١) قائمة بكلمات الثامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ثم قوله بعد ذلك عدل في قضائك دليل على ان الله سبحانه عادل في كل ما فعله بسببه من قضائه كله خيره وشره حلوه ومره فله وجزائه فدل الحديث على الايمان بالقدرة والايمان بان الله عادل فيما قضاء فالاول التوحيد والثاني العدل وعند القدرة النفاة لو كان حكمه فيه ماضيا لكان ظلما بلاضلاله وعقوبته أما القدرة الجبرية فنندهم الظلم لاحقية له بل هو المستع لذاته الذي لا يدخل تحت القدرة فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما يسمى ظلما حتى يقال ترك الظلم وقيل العدل فعلى قولهم لا فائدة في قوله عدل في قضائك بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضاءه ولا بد وهو معنى قوله ماض في حكمك فيكون تكريرا لا فائدة فيه وعلى قولهم فلا يكون ممدوحا يترك الظلم إذ لا يمدح بترك المستحيل لذاته ولا فائدة في قوله انى حرمت الظلم على نفسى أو يظن مضافا الى حرمت على نفسى مالا يدخل تحت قدرتي وهو المستحيلات ولا فائدة في قوله (فلا يخاف ظلما ولا ضما) فان كل أحد لا يخاف من المستحيل لذاته أن يقع ولا فائدة في قوله (وما الله يريد ظلما للعباد) ولا في قوله (وما أنا بظلام للعبيد) فتفوز حكمه في عبادته بملكه وعدله فيهم بحمد هو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود أنه قال (انى نوكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) قوله مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها مثل قوله ناصيتي يبك ماض في حكمك وقوله ان ربي على صراط مستقيم مثل قوله عدل في قضائك أى لا يتصرف في تلك التواصى الا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة لا يظلم أصحابها ولا يباغهم بما لم يعلموه ولا يهضمهم حسنا ما علموه فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وقوله يقول الحق ويضل الخير والارشاد وقد أخبر سبحانه أنه على الصراط المستقيم في سورة هود وفي سورة النحل فأخبر في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في التواصى التي هي في قبضته وتحت يده وأخبر في النحل أنه يأمر بالعدل ويفعله وقد زعمت الجبرية ان العدل هو المقدور وزعمت القدرة

أن العدل اخراج أصل الملائكة والجن والانس عن قدرته وخلقه وأخطأ الطائفتان جميعا في ذلك والصواب أن العدل وضع الاشياء في مواضعها التي تليق بها وانزالها منازلها كأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد تسمى سبحانه بالحكم العدل والقدرية تكرر حقيقة اسم الحكم وترد الى الحكم الشرعي الديني وتزعم أنها تثبت حقيقة العدل والعدل عندهم انكار القدر ومع هذا فينبونه الى غاية الظلم فاتهم يقولون أنه يخلد في العذاب الاليم من أفعى عمره في طاعته ثم قتل كبيرة ومات عليها فان قيل فالقضاء بالجزاء عدل إذ هو عقوبة على الذنب فيكون القضاء بالذنب عدلا على أصول أهل السنة وهذا السؤال لا يلزم القدرية ولا الجزية أما القدرية فتدفعهم أنه لم يقض المعصية وأما الجزية فتدفعهم أن كل مقدور عدل وانما يلزمكم أتم هذا السؤال قيل نعم كل قضاء عدل في عبده فانه وضع له في موضعه الذي لا يحسن في غيره فانه وضع العقوبة ووضع القضاء بسببها وموجبها في موضعه فانه سبحانه كما يجازى بالعقوبة فانه يعاقب بنفس قضاء الذنب فيكون حكمه بالذنب عقوبة على ذنب سابق فان الذنوب تحسب بعضها بعضا وذلك الذنب السابق عقوبة على غفلة عن ربه واعراضه عنه وتلك الغفلة والاعراض هي في أصل الحيلة والنشأة فمن أراد أن يكمله أقبل بقلبه اليه وجذب به اليه وألهمه رشده وألقى فيه أسباب الخير ومن لم يرد أن يكمله تركه وطبعه وخلق بيته وبين نفسه لانه لا يصلح للتكميل وليس محله أهلا ولا قابلا لما وضع فيه من الخير وهانئا انتهى علم العباد بالقدر وأما كونه تعالى جل هذا يصلح وأعطاه ما يصلح له وهذا لا يصلح فنه ما لا يصلح له فذلك موجب ربهيته وإلهيته وعلمه وحكمته فانه سبحانه خالق الاشياء وأضدادها وهذا مقتضى كماله وظهور أسبائه وصفاته كانت دم قريره والمقصود أنه أعدل العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالسبب فما قضى في عبده قضاء الا وهو واقع في محله الذي لا يليق به غيره إذ هو الحكم العدل النقي الخبيد

فصل وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمت أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان كانت الرواية محفولة هكذا فقها لإشكال فانه جصل ما أنزله في كتابه أو علمه أحدا من خلقه أو استأثرت به في علم الغيب عنده قسما لما سمي به نفسه ومعلوم أن هذا تقسيم وتفصيل لما سمي به نفسه فوجه الكلام أن يقال سميت به نفسك فأنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فان هذه الاقسام الثلاثة تفصيل لما يسمى به نفسه وجواب هذا الاشكال أن أو حرف عطف والمعطوف بها اخص بما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام فان ماسمى به نفسه يتناول جميع الانواع المذكورة بعده فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام فان قيل المعبود من عطف الخاص على العام أن يكون بالواو دون سائر خروف المعطف قيل المسموع لذلك في الواو وهو تخصيص المعطوف بالذکر لمرتبته من بين الجنس واختصاصه بمخاصة غيره منه حتى كأنه غيره أو أرادتين لذكر مرتبتين باسمه الخاص وبلفظ العام وهذا لا فرق فيه بين المعطف بالواو أو باو مع أن في المعطف بأو على العام قائدة أخرى وهي بناء الكلام على التقسيم والتنويع كما بنى عليه تأما فيقال سميت به نفسك فاما أنزلته في كتابك وإما علمته أحدا من خلقك وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة بل

هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها فان الله يقسم عليه بشيء من خلقه فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الأديين وتسمياتهم وأيضاً فإن أسمائه مشتقة من صفاته وصفاته قديمة به فاسماؤها غير مخلوقة فان قيل فالاسم عندهم هو المسمى أو غيره قيل طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى فانما قلت قال الله كذا واستوى الله على عرشه وسمع الله ورأى وخلق فهذا المراد به المسمى نفسه وإذا قلت الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحمان من أسماء الله والرحمن وزنه فلان والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك فالاسم ههنا للمسمى ولا يقال غيره لما في لفظ النير من الاجمال فان أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى غنى وان أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق نفسه إسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنهم فهذا من أعظم الضلال والاختلاف فقوله في الحديث سميت به نفسك ولم يقل خلقته لنفسك ولا قال سماك به خلقك دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه كما سمي نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة بأسمائه وقوله أو استأثرت به في علم الغيب عنده دليل على أن أسمائه أكثر من تسعة وتسعين وان له أسماء وصفات استأثرت بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره وعلى هذا فقوله أن الله تسعة وتسعين إسماء من أحصاها دخل الجنة لا ينبغي أن يكون له غيرها والكلام جهة واحدة أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة كما يقال فلان مائة عبداً عدهم للتجارة وله مائة فرس أعداهم للجهاد وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسمائه متحصر في هذا العدد وقد دل الحديث على أن التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أحب إليه وأقرب للعبد من التوسل إليه بمخلوقاته وكذلك سائر الأحاديث كما في حديث الاسم الأعظم اللهم أني أسألك بأنك الحمد لا إله إلا أنت المتان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم وفي الحديث الآخر أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وفي الحديث الآخر اللهم أني أسألك بعلمك الغيب وقد تركت على الخلق وكلها أحاديث صحاح رواها ابن حبان والامام أحمد والحاكم وهذا تحقيق لقوله تعالى (وقه الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقوله أن يجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري يجتمع أصابن الحياة والتور فان الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الربيع فيسأل الله لعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته أن يجعل كتابه الذي جعله روحاً للعالمين ونوراً وحياة لقلوب بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض ونوراً له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض والحياة والتور جماع الخير كله قال تعالى (ومن كان ميتاً فأحييناه وجميلنا نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحنا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً يهتدي به من نشاء من عبادنا) فأخبر أنه روح يحصل به الحياة ونور يحصل به الحياة ونور يحصل به الهداية فاتباعه لهم الحياة والهداية ومخالفوه لهم الموت والضلال وقد ضرب سبحانه المثل لأوليائه وأعدائه بهذين الايتين في أول سورة البقرة وفي وسط سورة التور وفي سورة الزعد وهما المثل المائي والمثل الثاري وقوله وجلاء حزني وذهاب همي وعلمي إن جلاء ههنا يتضمن إزالة المؤذي الضار وذلك يتضمن تحصيل النافع السار فقصم

الحديث طلب أصول الخير كله ودفع الشر وبالله التوفيق

### الباب الثامن والعشرون

في احكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس

في ذلك وتحقيق القول فيه

هذا الباب من تمام الايمان بالقضاء والقدر وقد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين وهما وجهان لاصحاب أحمد فمنهم من أوجبه واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله رباً وذلك واجب واحتج بآثر اسرائيلي من لم يرض بقضائي ولم يصير على بلائي فليتخذ له رباً سواي ومنهم من قال هو مستحب غير واجب فان الايجاب يستلزم دليلاً شرعياً ولا دليل يدل على الوجوب وهذا القول أرجح فان الرضا من مقامات الاحسان التي هي من أعلى المسدوبات وقد غلط في هذا الاصل طائفتان أجمع غلط فقالت القدرة التامة الرضا بالقضاء طاعة وقرية والرضا بالمعاصي لا يجوز فليست بقضائه وقدره وقالت غلاة الجبرية الذين طواوا بساط الامم والنهي المباحي قضاء الله وقدره والرضا بالرضا بالقضاء قرية وطاعة فتحن رضى بها ولا تسخطها واحتلفت طرق أهل الامبات في جواب الطائفتين فاجابهم طائفة بأن لها وجهين وجهها يرضى بها منه وهو اضافتها الى الله سبحانه خلقاً ومشيئة ووجه يسخط منه وهو اضافتها الى العبد فعلا واكتساباً وهذا جواب جيد لو لوابه فان الكسب الذي أثبت كثير منهم للاحقية له اذ هو عندهم مقارنة الفعل للارادة والقدرة إيجاداً به من غير أن يكون لهما تأثير بوجه ما وقد تقدم الكلام في ذلك بما فيه كفاية وأجابهم طائفة أخرى بأن ما يرضى بالقضاء الذي هو فعل الرب ونسخط المقتضى الذي هو فعل العبد وهذا جواب جيد لو لم يعدو اعليه بالتقضى والابطال فاتهم قالوا الفعل غير المفعول فالتقضاء عندهم نفس المقتضى فلو قال الاولون بان للكسب تأثيراً في إيجاد الفعل وأنه سبب لوجوده وقال الآخرون بان الفعل غير المفعول لاسبابوا في الجواب وأجابهم طائفة أخرى بان من القضاء ما يؤمر بالرضا به ومنه ما ينهى عن الرضا به فالتقضاء الذي يحبه الله ويرضاه رضى به والذي ينفسه ويسخطه لا يرضى به وهذا كما أن من المحلوقات ما ينفسه ويسخطه وهو خالقه كالاجنان المسخوطة له فهكذا الكلام في الاضال والاقوال سواء وهذا جواب جيد غير أنه يحتاج الى تمام محقول الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني فالديني يجب الرضا به وهو من لوازم الاسلام والكوني منه ما يجب الرضا به كالتعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعاصي والذنوب التي يسخطها الله وان كانت بقضائه وقدره ومنه ما يستحب الرضا به كالصائب وفي وجوبه قولان هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقتضى وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وقدره ومشيبته فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكا ومدبراً فهذا التفصيل يتبين الصواب ويحول اللبس في هذه المسئلة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس فان قيل فكيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كاره له والالم يقتض الكراهة والبغض المضاد للرضا

واجتماع الضدين حال قيل الشيء قد يكون محبوباً مرضياً من جهة ومكروها من جهة أخرى كمشرب الدواء الطافع الكره فان المريض يرضى به مع شدة كراهته له وكصوم اليوم الشديد الحر فان الصائم يرضى به مع شدة كراهته له وكالجهد للاعفاء قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فالجهد المخلص يعلم أن القتال خير له فرضى به وهو يكرهه لما فيه من الضر من اتلاف النفس وألها ومفارقة المحبوب ومتى قوى الرضا بالشيء وتمكن اقتلبت كراهته محبة وإن لم يخل من الألم قال لا بالشيء لا ينساق المرئيه وكراهته من وجهه لا ينافي محبته وإرادته والرضاء به من وجه آخر فان قيل فهذا في حكم رضا العبد بقضاء الرب فهل يرضى سبحانه ملقضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه قيل هذا الموضع أشكل من الذي قبله قال كثير من الأشعرية بل جمهورهم ومن اتبعهم أن الرضا والحبة والإرادة في حق الرب تعالى بمعنى واحد وأن كل ما شاء وإرادته فقد أحبه ورضيه ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يقال أنه يرضى بها ولكن لأعلى وجه التخصيص بل يقال يرضى بكل ما خلقه وقضاه وقدره ولا يفرّد من ذلك الأمور المذمومة كما يقال هو رب كل شيء ولا يقال رب كذا وكذا لا لبساً بالحقيقة الحسية وهذا تصريح منهم بأنه راض بها في نفس الامر وإنما امتنع الإطلاق أدباً واحتراماً فقط فلما أورد عليهم قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) أجابوا عنه بجوابين أحدهما عن لم يقع منه وأما من وقع منه فهو يرضاه إذ هو بمشيئته وإرادته والثاني لا يرضاه لهم ديناً أي لا يشترعه لهم ولا يأمُرهم به ورضاه منهم كونا وعلى قولهم فيكون معنى الآية ولا يرضى لعباده الكفر حيث لم يوجد منهم فلو وجد منهم أحبه ورضاه وهذا في البطلان والفساد كما تراء وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك وإن وقع بمشيئته كما قال تعالى (وهو معهم إذ يثبتون ما لا يرضى من القول) فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه وكذلك قوله سبحانه (والله لا يحب الفساد) فهو سبحانه لا يحب كونا ولا ديناً وإن وقع بتقديره كما لا يجب إبليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربهم وخالقهم فمن جعل المحبة والرضا بمعنى الإرادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محباً لإبليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم وظلمة وفعلهم وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والاجماع المعلوم بالضرورة فهو خلاف ما عليه فطر الملائكة التي لم تغير بالتواطى والتواصى بالأقوال الباطلة وقد أخبر سبحانه أنه يمتنع أملاً كثيرة ويكرها ويغضها ويسخطها فقال (ولا تسخطوا ما أنجى أوؤكم من النساء ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقباً وساء سبيلاً) وقال (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) وقال (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال (ولكن كره الله أنيمانهم فنبطهم) ومحال حل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الامرية لأنه أمرهم بالجهد وقال (كل ذلك كان سيئاً عند ربك مكروهاً) فآخر أنه يكره ويغض ويمتنع ويسخط ويمادى ويذم ويلعن ومحال أنه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكره ويمتنع عن محبة ذلك وعن الرضا به بل لا يليق ذلك بسببه فانه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبغى والكفر ويرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك الى الله تبارك وتعالى وهذا الاحتمال من أعظم ما غلط فيه كثير من متبني القدر وغلطهم فيه يوازن غلط النفاة في إنكار القدر أو هو أقبح منه به تساطع عليهم النفاة وتمادوا على قبح قولهم وأعظموا الشناعة

عليهم به فهو لاء قالوا يجب الكفر والفسوق والمصيان والظلم والبغي والفساد وأولئك قالوا لا يدخل تحت مشيئة وقدرته وخلقه وأولئك قالوا لا يكون في ملكه الامايجه ويرضاه وهؤلاء قالوا يكون في ملكه ما لا يشاء وينشاء ما لا يكون فسيبحان الله وتعالى عما يقول الفرثان علوا كبيرا والحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا أرسل به رسوله وأتزل به كتابه وفطر عليه عبادته وبرأنا من يدع هؤلاء وهؤلاء فله الحمد والمئة والفضل والنعمة والثناء الجسن ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا مضلات البدع والفتن

### الباب التاسع والعشرون

في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والامر والاذن والجعل والكلمات

والبعث والارسال والتحرير والانشاء الى كوفي متعلق بخلقه والى ديني

متعلق بأمره وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال

هذا الباب متصل بالباب الذي قبله ونقل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كوفي فهو متعلق بربوبيته وخلقه وما كان من الديني فهو متعلق بالاحية وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والامر فالخلق قضاءه وقدره وقضاه والامر شرعه ودينه فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكمه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولاخروج لاحد عن حكمه الكوني القمري وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه التجار والفساق والأمران غير متلازمين فقد يقضى ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادته ولعناتهم وينتفي الأمران عالم يقع من المعاصي والفسق والكفر ونفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يقضه المسامور وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي اذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان كوفي قدري كقوله (فلما قضينا عليه الموت) وقوله (وقضى بينهم بالحق) وشرعي ديني كقوله (وقضى ربك ألا تنبدوا الاياله) أى أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عاهد غير الله والحكم أيضا نوعان فالكوني كقوله (قل رب احكم بالحق) أى افعل ما تنصير به عبادك وتخذل به أعداءك والدينى كقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ان الله يحكم ما يريد) وقد يرد بالثنين معا كقوله (ولا يشرك في حكمه أحدا) فهذا يتناول حكمه الكوني وحكمه الشرعي والارادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى (فقال لا يريد) وقوله (واذا أردنا أن تهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) والدينية كقوله (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لاحد منا ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الامر والارادة هل هما متلازمان أم لا فضالت القدرة الامر يستلزم الارادة واحتجوا بمجيج لاتدفع وقالت المثبتة الامر لا يستلزم الارادة واحتجوا بمجيج لاتدفع والصواب أن الامر يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية فانه لا يأمر الا بما يريد شرعا ودينيا وقد يأمر بما لا يريد كونا وقدرا كما بان

من أمره ولم يوفقه للإيمان مراده دينا لاكونا وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونه وقدرنا وأمر رسوله بتجسين صلاة ولم ير ذلك كونا وقدرنا وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق فانه سبحانه لم يجب من إبراهيم ذبح ولده وإنما أحب منه عزمه على الاستئصال وأن يوطن نفسه عليه وكذلك أمره محمد صلى الله عليه وسلم ليله الاسراء بتجسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فانه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به ويرسله ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ووقفه له وخذل بعضهم فلم يمتعه ولم يوفقه فلم يحصل مصلحة الامر منهم وحصلت من الامر بالذبح

﴿فصل﴾ وأما الكتابة فالكونية كقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقوله (كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير) والشرعية الامرية كقوله (كتب عليكم الصيام) وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم) الى قوله (كتاب الله عليكم) وقوله (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) فالاولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الامر

﴿فصل﴾ والامر الكوني كقوله (إنما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) وقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقوله (وكان أمر الله مفعولا) وقوله (وكان أمرا مقضيا) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها) فهنا أمر تقدير كوني لأمر ديني شرعي فان الله لا يأمر بالفحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه وقالت طائفة بل هو أمر ديني والمعنى أمرناهم بالطاعة غفلونا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوه: أحدها أن الاخبار على خلاف الاصل فلا إصرار اليه الا اذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه الثاني أن ذلك يستلزم اخبارين أحدهما أمرناهم بطاعتنا الثاني غفلونا وعصونا ونحو ذلك الثالث أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به فنه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لايضهم الخطاب غير هذا الرابع أنه سبحانه جعل سبب هلاك القرية أمره المذكور ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح ان يكون سبب الهلاك بل هو سبب للتجاة والفوز فان قيل أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك قيل هذا يبطل بالوجه الخامس وهو أن هذا الامر لا يخص بالترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الامر بالطاعة بالمترفين بوضحة الوجه السادس ان الامر لو كان بالطاعة لكان هو نفس ارسال رسله اليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال ارسلنا رسلنا الى مترفيا ففسقوا فانه فان ارسال لو كان الى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل اليها السابع أن ارادة الله سبحانه لاهلاك القرية إنما يكون بدارسار الرسل اليهم وتكذيبهم والاقبل ذلك هو لا يريد اهلاكهم لانهم معذرون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة اليهم قال تعالى (وما كان الله ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فإذا أرسل الرسل فكذبهم أراد اهلاكها فامر رؤسائها ومترفيا أمرا كونيا قدريا لاشريعا دينا بالفسق في القرية فالجمع أعلاها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالاهلاك والمقصود ذكر الامر الكوني والديني ومن الدين قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وهو كثر

﴿فصل﴾ وأما الاذن الكوني فكقوله لمالى (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) أى بمشيئته وقدره وأما الدينى فكقوله (ما قسطم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أى بإمره ورضاه وقوله (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم أى على الله تفترون) وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

﴿فصل﴾ وأما الجبل الكونى فكقوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) وقوله (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وهو كثير وأما الجبل الدينى فكقوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أى ما شرع ذلك ولا أمر به ولا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته وأما قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) فهذا يتناول الجبلين قائما جعلها كذلك بقدره ونشرعه وليس هذا استعمالا للمشترك في معنيه بل اطلاق اللفظ وارادة القدر المشترك بين معنيه قائمه

﴿فصل﴾ وأما الكلمات الكونية فكقوله (وكذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات الى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فبهذه كلماته الكونية التى يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هى التى يأمر بها وينهى لكانت بما يجاوزهن الفجار والكفار وأما الدينى فكقوله (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) والمراد به القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم فى النساء واستحلتم فروجهن بكلمة الله أى بإباحته ودينه وقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وقد اجتمع الثوعان فى قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) فكتبه كلماته التى يأمر بها وينهى ويحرم ويحلل التى يخلق بها ويكون فآخبر أنها ليست جهمية تنسك كلمات دينه وكلمات تكوينه ويحملها خلقا من جهة مخلوقاته

﴿فصل﴾ وأما البعث الكونى فكقوله (فإذا جاء وعد أولاهما بسنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديدا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) وأما البعث الدينى فكقوله (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم) وقوله (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)

﴿فصل﴾ وأما الارسال الكونى فكقوله (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا) وقوله (وهو الذى أرسل الرياح) وأما الدينى فكقوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) وقوله (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا)

﴿فصل﴾ وأما التحريم الكونى فكقوله (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقوله (قال فاتها محرمة عليهم أربعين سنة) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وأما التحريم الدينى فكقوله (حرمت عليكم أيمانكم) وحرمت عليكم الميتة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وأحل الله البيع وحرم الربا

﴿فصل﴾ وأما الايتاء الكونى فكقوله (والله يؤتى ملكه من يشاء) وقوله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما) وأما الايتاء الدينى فكقوله (وما أناكم



الرسول نغذوه) وقوله (خذنوا ما آتيناكم بقوة) وأما قوله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) فهذا يتناول النوعين فإنه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا وإلهاما

(فصل) وآياتؤه ورسله واتباعهم حظهم من هذه الأمور الدينية منها وأعداؤه واقفون مع التقدير الكوني بحيث مآمال القدر مآلوا معه فدينهم دين القدر ودين افرسل واتباعهم دين الأمر فهم يدينون بامرء ويؤمنون بقدره وخصما لله يصون أمره ويحتجون بقدره لا يقولون نحن واقفون مع مراد الله نبيهم مع مراده الديني أو الكوني ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده اذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ولم يعاقبه ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله وبالله التوفيق

### الباب الموفى ثلاثين

في ذكر الفطرة الاولى ومعناها واختلاف الناس في المراد بها

وانما لالتنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

قال تعالى (واقم وجهك للدين حنيفا فطرنا الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكره الناس لايملكون مبين اليه واقوه واقموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ينتج البهيمة جماء هل يحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ثم قرأ أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي لفظ آخر ما من مولود الا يولد على هذه الملة وقد اختلف في معنى هذه الفطرة والمراد بها فقال القاضي أبو يعنى في معنى الفطرة هاهنا روايتان عن أحمد احدهما الاقرار بمعرفة الله تعالى وهو المهد الذي اخذته الله عليهم في أصلا بآبائهم حتى مسح ظهر آدم فاخرج من ذريته الى يوم القيامة أمثال النمر وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا على فليس أحد الا وهو يقر بأن له صانعا ومدبرا وان ساء بغير اسمه قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فكل مولود يولد على ذلك الإقرار الأول قال وليس الفطرة هنا الاسلام لوجهين أحدهما أن معنى الفطرة ابتداء الخلق ومنه قوله تعالى (فاطر السموات والارض) أى مبتدئها واذ كانت الفطرة هي الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقست لأول الخليفة وجرت في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لأن تلك حالة ابتدائهم ولانها لو كانت الفطرة هنا الاسلام لوجب انما ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثها ولا يرثانه مادام طفلان لانه مسلما ومسلما واختلاف الدين يمنع الإرث ولو وجب أن لا يصح استرقاقه ولا يحكم باسلامه باسلام أبيه لانه مسلم قال وهذا تأويل ابن قتيبة وذكره ابن بطي في الآية قال وليس كل من ثبت له المعرفة حكم باسلامه كالبالغين من الكفار فان المعرفة حاصلة وليسوا بمسلمين قال وقد أومأ أحمد الى هذا التأويل وفي رواية الميموني

فقال الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها فقال له الميموني الفطرة الدين قال نعم قال القاضي وأراد  
أحمد بالدين المعرفة التي ذكرناها قال والرواية الثانية الفطرة هنا ابتداء خلقه في بطن أمه لأن حمله  
على المهد الذي أخذه عليهم وهو الاقرار بمعرفته حل للفطرة على الاسلام لأن الاقرار بالمعرفة  
اقرار بالايان والمؤمن مسلم ولو كانت الفطرة الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثاه  
ولا يرثهما قال ولأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقا لله وأصول أهل السنة بخلافه قال وقد أوما  
أحمد الى هذا في رواية على بن سعيد وقد سأله عن قوله كل مولود يولد على الفطرة فقال على الشقاوة  
والسعادة ولذلك نقل محمد بن يحيى الكحال أنه سأله فقال هي التي فطر الناس عليها شق أو سعيد  
وكذلك نقل جليل عنه قال الفطرة التي فطر الله عليها المباد من الشقاوة والسعادة قال وهذا كله  
يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة هاهنا ابتداء خلقه في بطن أمه قال شيخنا أبوالمباس ابن تيمية  
أحمد لم يذكر المهد الأول وإنما قال الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها وهي الدين وقال في غير  
موضع إن الكافر اذا مات أبواه أو أحدهما حكم بإسلامه واستدل بهذا الحديث قدل على أنه فسر  
الحديث بأنه يولد على فطرة الاسلام كجاء ذلك مصرح به في الحديث ولولم تكن الفطرة عنده الاسلام  
لما صح استدلاله بالحديث وقوله في موضع آخر يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة لا ينافي ذلك  
فإن الله سبحانه قدر السعادة والشقاوة وكنتهما وقدر أنها تكون بالاسباب التي تحصل بها كفضل الابوين  
فهو يد الابوين وتصيرهما أو تجبسهما هو ما قدره الله أنه فضل بالمولود والمولود ولد على الفطرة سليما وولد  
على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الابوان كما قدر سبحانه ذلك وكتبه كما مثل التي صلى الله عليه وسلم  
ذلك بقوله كما تلج البهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء فين أن البهيمة تولد سائمة ثم يجدها الناس  
وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد على الفطرة سليما ثم يفسده أبواه وذلك أيضا بقضاء  
الله وقدره وإنما قال أحد وغيره من الائمة على ما فطر عليه من شقاوة أو سعادة لأن القدرة محتججون  
بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره بل مما بدأ الناس لإحداثه ولهذا قالوا  
لسالك بن أنس أن القدرة محتججون علينا بأول الحديث فقال احتجوا عليهم بآخره وهو قوله الله  
أعلم بما كانوا عاملين فين الامام أحمد وغيره أنه لا حجة فيه للقدرة قائم لا يقولون ان نفس الابوين  
خلقاً تهويده وتصيره بل هو تهود وتصير باختياره ولكن كانا سببا في حصول ذلك بالتعليم والتلقين  
فاذا أضيف اليهما هذا الاعتبار فلا ن يضاف الى الله الذي هو خالق كل شئ بطريق الأولى لأنه  
سبحانه وان كان خلقه مولودا على الفطرة سليما فقد قدر عليه ماسيكون بعد ذلك من تغييره وعلم  
ذلك كما في الحديث الصحيح ان الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو بلغ لارهق أبوه  
طنيانا وكفرا فقوله طبع يوم طبع أى قدر وقضى في الكتاب أنه يكفر لأنا كفره كان موجودا  
قبل أن يولد ولا في حال ولادته فانه مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر ومن  
نظن أن الطبع على قلبه وهو الطبع المذكور على قلب الكفار فهو غلط فإن ذلك لا يقال فيه طبع  
يوم طبع اذ كان الطبع على قلبه انما يوجد بعد كفره وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد  
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال خلقنا عباده كفرا فحفظناهم  
فاحتالهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وهذا

صرح في أنه خلقهم على الخيفة وان الشياطين احتالهم بعد ذلك وكذلك في حديث الاسود بن سريع الذي رواه أحمد وغيره قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فافضى بهم القتل الى النزرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما حكمكم على قتل النزرة قالوا يا رسول الله اليسوا أولاد المشركين قال أوليس خياركم أولاد المشركين ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال الا أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه غطيته لهم بهذا الحديث عقيب نبيه لهم عن قتل أولاد المشركين وقوله لهم أوليس خياركم أولاد المشركين نص أنه أرادهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طراً بعد ذلك ولو أراد أن المولود حين يولد يكون إما مسلماً وإما كافراً على ما سبق له به القدر لم يكن فيما ذكر حجة على ما قصد من نفيه عن قتل أولاد المشركين وقد ظن بعضهم أن معنى قوله أوليس خياركم أولاد المشركين أنه قد يكون في علم الله أنهم لو بقوا لأمروا فيكون النبي راجعاً الى هذا المعنى من التجويز وليس هذا معنى الحديث لكن معناه أن خياركم هم السابقون الاولون وهؤلاء من أولاد المشركين فإن آباهم كانوا كفاراً ثم ان البين أسلموا بعد ذلك فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمناً فإن الله إنما يجزيه بعمله لا بعمل أبويه وهو سبحانه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن كما يخرج الحلي من الميت ويخرج الميت من الحلي

(فصل) وهذا الحديث قد روى بالفاظ تفسر بعضها في الصحيحين والفاظ للبخاري عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جهلاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قالوا يا رسول الله أقرأيت من يموت صغيراً قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيح قال الزهري صلى على مولود يتوفى وإن كان ٣ من أجل أنه ولد على فطرة الاسلام إذا أسهل صارخاً ولا نصل على من لم يستهل من أجل أنه سقط فإن أباه ريرة كان يحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جهلاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها وفي الصحيحين من رواية الاعمش ما من مولود الا هو على الملة وفي رواية ابن معاوية عنه الاعلى هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه فهذا صريح بأنه يولد على ملة الاسلام كما فسره ابن شهاب راوى الحديث واستشهد أبي هريرة بالآية يدل على ذلك قال ابن عبد البر وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزى أن يقتله وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة وقال أبو عمر وقد ذكر النزاع في تفسير الحديث وقال آخرون الفطرة هاهنا الاسلام قالوا وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل قد أجمعا في تأويل قول الله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الاسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث أقرؤا ان شتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وابراهيم والضحاك وقادة في قوله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الاسلام لا تبديل لخلق الله قالوا لدين الله واحتجوا بحديث محمد بن اسحاق عن ثور بن زيد عن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن عابد الأزدي عن عياض بن حاد الجاشعي أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما ألا أحدثكم بما حدثني الله في الكتاب إن الله خلق آدم وبنه حنفاء مسلمين وأعطاهم المال حلالا لأحرام فيه فجعلوا ما أعطاهم الله حراما وحلالا الحديث قال وكذلك روى بكر بن مهاجر عن ثور بن يزيد بإسناده مثله في هذا الحديث حنفاء مسلمين قال أبو عمر روى هذا الحديث قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عياض ولم يسمه قتادة من مطرف ولكن قال حدثني ثلاثة عقبة بن عبد التاجر وزيد بن عبد الله بن الشخير والملاء بن زياد كلهم يقول حدثني مطرف عن عياض عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه واني خلقت عبادي حنفاء كلهم لم يقل مسلمين وكذلك روى الحسن عن مطرف ورواه ابن اسحاق عن لايتهم عن قتادة بإسناده قال فيه واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ولم يقل مسلمين قال فدل هذا على حفظ محمد بن اسحاق وأتقانه وضبطه لأنه ذكر مسلمين في روايته عن ثور بن يزيد لهذا الحديث واسقطه من رواية قتادة وقصر فيه عن قوله مسلمين وزاده ثور بإسناده قاله أعلم قال والخيف في كلام العرب المستقيم المخلص ولا استقامة أكثر من الاسلام قال وقد روى عن الحسن الحنيفة حج البيت وهذا يدل أنه أراد الاسلام وكذلك روى عن الضحاك والسدي قال حنفاء حجاجا وعن مجاهد حنفاء متبعين قال وهذا كله يدل على أن الحنيفة الاسلام قال وقال أكثر العلماء الحنيف المخلص وقال الله عز وجل (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) وقال تعالى (ملة إبراهيم حنيفا مسلما) وقال (ملة أئيم إبراهيم هو سبأكم المسلمين من قبل) وقال الشاعر وهو الراعي

أخليفة الرحمن إنا مشعر حنفاء فمسجد بكرة وأصيلا  
عرب ترى لله في أموالنا حق الزكاة منزلا تزيلا

قال فهذا وصف الحنيفة بالاسلام وهو أمر واضح لا خفاء به قال وما احتج به من ذهب في هذا الحديث إلى أن الفطرة في هذا الحديث الاسلام قوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة وروى عشر من الفطرة قال شيخنا والدلائل على ذلك كثيرة ولولم يكن المراد بالفطرة الاسلام لما سألوا عقيب ذلك إرأيت من يموت من أطفال المشركين لأنه لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سأله والعم القديم وما يجري مجراه لا يتغير وقوله قابوا يهودانه بين فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر عليها وأيضا فإنه شبه ذلك بالهبة التي تولد بمجتمعة الخلق لا نقص فيها ثم مجع بعد ذلك فعمل أن التفسير وارد على الفطرة السليمة التي ولد السبد عليها وأيضا فإن الحديث مطابق للقرآن كقوله (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وهذا يعم جميع الناس فعمل أن الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة وأيضا فإنه أضاف الفطرة إليه إضافة مدح لا إضافة ذم فعمل أنها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله وبيته وناقته وأيضا فإنه قال قائم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأيضا فإن هذا تفسير السلف قال ابن جرير يقول فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد بطاعته وهي الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله يقول صنعة الله التي خلق الناس عليها ونسب فطرة على المصدر معنى قوله قائم وجهك للدين حنيفا لأن المعنى فطر الله الناس على ذلك فطرة قال ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ثم روى عن ابن زيد قال فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الاسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرنون بذلك وعن مجاهد فطرة الله قال

الدين الاسلام ثم روى عن يزيد بن أبي مرزوق قال عمر لما ذن جيل فقال ما قوام هذه الامة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة والطاعة وهي الصمة فقال عمر صدقت وقوله لا تبديل لحق الله يقول لا تبديل دين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل. قال ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تبديل لحق الله أي لدين الله ثم ذكر أن مجاهدا أرسل الى عكرمة يسأله عن قوله لا تبديل لحق الله قال هو الحضا فقال مجاهد خطأ لا تبديل لحق الله إنما هو الدين ثم قال لا تبديل لحق الله ذلك الدين القيم وروى عن عكرمة لا تبديل لحق الله قال لدين الله وهو قول سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم التيمي وابن زيد وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد هو الحضا ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى (ولا مرهن فليتبكن أذان الانعام ولا مرهنهم فليغيرن خاق الله) فتفسير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لحاقه والحضا وقطع أذان الانعام تغيير لحاقه أيضا ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما بالآخر فاولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ما خلق عليه بدنه

**فصل** ولما صار القدرية محتجون بهذا الحديث على قولهم صار الناس يتأولونه على تأويلات يخرجونها بها عن مقتضاه فقالت القدرية كل مولود يولد على الاسلام والله سبحانه لا يضل أحدا وإنما أبواه يضللانه قال لهم أهل السنة أتمم لا تقولون بول الحديث ولا يأخره أما أوله فانه لم يولد أحد عندكم على الاسلام أصلا ولا جعل الله أحدا مسلما ولا كافرا عندكم وهذا أحدث نفسه الكفر وهذا أحدث لنفسه الاسلام والله لم يخلق واحدا منهما ولكن دعاهما الى الاسلام وأزاح عليهما وأعطاهما قدرة مائة فيما يصلح للضدين ولم يخص المؤمن بسبب يقتضى حصول الايمان فان ذلك عندكم غير مقدور له ولو كان مقدورا لكان منع الكافر منه ظالما هذا قول عامة القدرية وان كان أبو الحسن يقول انه خص المؤمن بداعي الايمان ويقول عند الداعي والقدرية يجب وجود الايمان وهذا في الحقيقة موافق لقول أهل السنة قالوا قائم قلتم ان معرفة الله لا تحصل الا بالنظر المشروط بالقل ويستحيل أن تكون المعرفة عندكم ضرورة أو تكون من فعل الله وأما كونكم لا تقولون بأخره فهو انه ينسب فيه التهود والتصير الى الابوين وعندكم أن المولود هو الذي أحدث لنفسه التهود والتصير دون الابوين والابوان لا قدرة لهما على ذلك البتة وأيضا فقله الله أعلم بما كانوا عاملين دليل على ان الله يعلم ما يصبرون اليه بعد ولادتهم على الفطرة هل يقولون عليها فيكونون مؤمنين أو يغيرون فيصبرون كفارا فهو دليل على تقدم العلم الذي ينكره غلاة القدرية واتفق السلف على تكفيرهم بانكاره فالتى استدلهم به من الحديث على قولكم الباطل وهو قوله فابواه يهودانه وينصرانه لاحجة لكم بل هو حجة عليكم فغير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد بل المراد بالحديث دعوة الابوين الى ذلك وتربيتهما له وتربيتهما على ذلك بما يجعله العلم والمرى وخص الابوين بالذكور على الغالب انه جعل أبوان والا فذلك يقع من أحدهما أو من غيرها

(فصل) قال أبو عمر بن عبد البر اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلافا كثيرا وكذلك اختلفوا في الاطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة فمثل عنه ابن المبارك فقال تفسيره آخر

الحديث وهو قوله الله اعلم بما كانوا عاملين هكذا ذكر ابو عبيد عن ابن المبارك لم يزد شيئاً وذكر انه سأل محمد بن الحسن عن تأويل هذا الحديث فقال كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر الناس بالجهاد هذا ما ذكره أبو عبيدة قال ابو عمر أما ما ذكره عن ابن المبارك فقد روى عن مالك نحو ذلك وليس فيه مقتع من التأويل ولا شرح موعب في أمر الاطفال ولكنها تؤدي الى الوقوف عن القطع فيهم بكفر وإيمان أو حنة ونار ما لم يبلغوا العمل قال وأما ما ذكره عن محمد بن الحسن فانظر محمد واحد عن الجواب فيه أما لاشكاله وأما لجهله به أو لاشاء الله وأما قوله ان ذلك كان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر الناس بالجهاد فلا أدري ما هذا فان كان أراد ان ذلك منسوخ فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في اخبار الله ورسوله اذ الخبر بشئ كان أو يكون اذا رجع عن ذلك لم يخل رجوعه من تكذيبه لنفسه أو غلطه فيما أخبر به أو نسيانه وقد جل الله عن ذلك وعصم رسوله منه وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه احد وقول محمد بن الحسن ان هذا كان قبل أن يؤمر الناس بالجهاد ليس كما قال ان في حديث الاسود بن سريع ما يبين ان ذلك كان منه بعد الامر بالجهاد ثم روى بإسناده عن الحسن بن الاسود بن سريع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان فقال رجل اوليس انما هم اولاد للمشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس خياركم اولاد المشركين انه ليس من مولود يولد الاعلى الفطرة حتى يعبر عنه لسانه ويهوده أو يصرانه قال وروى هذا الحديث عن الحسن جماعة منهم أبو بكر المنزني والعلاء بن زياد والمسري بن يحيى وقد روى عن الاخنف بن الاسود بن سريع قال وهو حديث بصري صحيح قال وروى عوف الاعرابي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فسادا الناس يارسل الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين قال شيخنا اما ما ذكره ابو عمر عن مالك وابن المبارك فيمكن أن يقال ان المقصود ان آخر الحديث يبين ان الاول قد سبق في علم الله يعملون اذا بلغوا أو ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة ومنهم من يكفر فيدخل النار فلا يحتاج بقوله كل مولود يولد على الفطرة على نفي التدركا احتجت القدرية به وعلى ان اطفال الكفار كلهم في الجنة لكونهم ولدوا على الفطرة فيكون مقصود مالك وابن المبارك ان حكم الاطفال على ما في آخر الحديث وأما قول محمد فانه رأى الشريعة قد استقرت على ان ولد اليهودي والنصراني يتبع أبوه في الدين في أحكام الدنيا فيحكم له بحكم الكفر في أنه لا يصل عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يره المسلمون ويجوز استراقتهم فلم يجوز لاحد ان يخرج بهذا الحديث على ان حكم الاطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تمرب عنهم السنهم وهذا حق ولكن ظن أن الحديث اقتضى الحكم لهم في الدنيا بأحكام المؤمنين فقال هذا منسوخ كان قبل الجهاد لأنه بالجهاد أبيض استرقاق النساء والاطفال والمؤمن لا يسترق. ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الاحكام الدينية أمر مازال مشروعاً وما زال الاطفال تبعاً لآبائهم في الامور الدينية والحديث لم يقصد بيان هذه الاحكام وانما قصد بيان ما ولد عليه الاطفال من الفطرة

﴿ فصل ﴾ وما ينبغي أن يعلم انه اذا قيل انه ولد على الفطرة أو على الاسلام أو على هذه

الملة أو خلق خفيفا فليس المراد به أمهين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريد أن الله يقول (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا) ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الاسلام لقروبه وعجته ففس الفطرة تستلزم الاقرار بمخالفة ونجته واخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة اذا سلت من المعارض وليس المراد أيضا مجرد قبول الفطرة لذلك فان هذا القول تغير بهويد الابوين وتصبيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها وان سميا بين بينهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول وأيضا فان هذا القول ليس هو الاسلام وليس هو هذه الملة وليس هو الخفيفة وأيضا فانه شبه تغير الفطرة بجمع البسمة الجماء ومعلوم انهم لم يغيروا قوله ولو تغير القبول وزال لم يبق عليه الحجة بإرسال الرسل وأزال الكتب بل المراد ان كل مولود فانه يولد على فطرته لفطرته واقارده له بربوبيته وأدعائه له بالعبودية فلو خلى وعدم المعارض لم يدل على ذلك الى غيره كأنه يولد على حجة ما يلائم بدنه من الاغذية والاشربة فيشتهي اللبن الذي يناسبه وينضجه وهذا من قوله تعالى (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقوله (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديا الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته ثم قد يمرض لكثير من الابدان ما يقصد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والمادة الصحيحة فهكذا ما ولد عليه من الفطرة ولهذا شبهت الفطرة باللبن بل كانت اياه في التأويل للرؤيا ولما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء اللبن والحرأخذ اللبن فقبل له أخذت الفطرة ولو أخذت الحمر لفوت أمتك فتناسبه اللبن لبده وصلاحه عليه دون غير متناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها

﴿فصل﴾ قال ابن عبد البر وقالت طائفة المراد بالفطرة في هذا الحديث الحلقة التي خلق عليها المولود من المعرفة بربه فكأنه قال كل مولود يولد على خلقه يعرف بهارها اذا بلغ مبلغ المعرفة يريد انه خلق خلقته مخالفة لحلقة البهائم التي لاتصل بخلقها الى معرفة ربها قالوا والقاهر هو الخالق وأنكرت أن يكون المولود يفطر على ايمان أو كفر قال شيخنا صاحب هذا القول ان أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها فهذا ضعيف فان مجرد القدرة على ذلك لا يقتضي أن يكون خفيفا ولأن يكون على الملة ولا يحتاج أن يذكر تغير أبويه لفطرته حين يستل عن مات صغيرا ولأن القدرة في الكبير أكل منها في الصغير وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان فقالوا انهم أولاد المشركين قال أوليس خياركم أولاد المشركين ما من مولود الا ويولد على الفطرة ولو أريد القدرة لكانت بالبليون كذلك مع كونهم مشركين مستوجبين للقتل وان أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع ارادتها بالقدرة الكاملة مع الارادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور فدل على انهم فطروا على القدرة على المعرفة وارادتها وذلك مستلزم للايمان

﴿فصل﴾ قال أبو عمر وقال آخرون معنى قوله يولد على الفطرة يعنى البداية التي ابتدأهم عليها يريد انه مولود على ما فطر الله عليه خلقته من انه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء الى ما يصيرون اليه عند البلوغ من قولهم غير ايمانهم واعتقادهم قالوا والفطرة في كلام العرب البداية وألفاظ المبتدئ وكأنه قال يولد على ما ابتدأ الله عليه من الشقاء والسعادة وغير ذلك مما يصير اليه

وقد فطر عليه واحتجوا بقوله الم (كابدأ كم تمودون فرقا هدى وفرقا حق عليه الضلالة) وروى  
 بأسناده الى ابن عباس قال لم أدب ما فطر السموات والارض حتى أنا اعرابيان يختصمان في بئر  
 فقال أحدهما أنا فطرنا أي ابتدأنا وذكر دعاء على الهم جبار القلوب على فطرنا شقيقا وسعيدا  
 قال شيخنا حقيقة هذا القول ان كل مـ لو فطنه يولد على ماسبق في علمه أنه صائر اليه ومعلوم ان جميع المخلوقات  
 بهذه المثابة فجميع البهائم مولودة على ماسبق في علم الله لها والاشجار مخلوقة على ماسبق  
 في علم الله وخيئذ فيكون كل نـ خلق قد خلق على الفطرة وأيضا فلو كان المراد ذلك لم يكن  
 لقوله قابوا يهودانه معنى فأنها مـ مـ مـ ولد عليها وعلى هذا القول فلا فرق  
 بين اليهود والتتير وبين تلقى الاسلام وتلقيه وبين تعلم سائر الحرف والصنائع فان ذلك كله  
 واحد فيما سبق به العلم وأيضا فتحته ذلك بالهيئة التي ولدت جمعا ثم جدعت ثنين ان أبوه غيرا  
 ولعليه وأيضا قوله على هذه الملة وقوله اني خلقت عبدا حنفا مخالفا لهذا وأيضا فلا فرق بين  
 حال الولادة وسائر أحوال الانسان فانه من حين كان جنينا الى مـ مـ مـ له من أحواله على ماسبق  
 في علم الله تخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بلا تخصيص وقد ثبت في الصحيح  
 انه قيل حين فُخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فلو قيل كل مولود ينفخ فيه الروح  
 على الفطرة لكان أشبه بهذا المعنى مع ان النفخ هو بعد الكتابة

﴿فصل﴾ قال أبو عمر قال محمد بن نصر المروزي وهذا المذهب شيه بما حكاه أبو عبيد عن  
 ابن المبارك انه سئل عن هذا الحديث فقال يفسره قوله الله أعلم بما كانوا عاملين قال المروزي وقد  
 كان أحمد بن حنبل يذهب الى هذا القول ثم تركه قال أبو عمر وما رسمه مالك في موطنه وذكر  
 في أبواب القدر فيه من الآثار ما يدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا قال شيخنا أئمة السنة مقصودهم  
 ان الخلق صائر الى ماسبق في علم الله فيهم من ايمان وكفر كما في الحديث الآخر ان الغلام الذي  
 قتله الحضر طبع يوم طبع كافرا والطبع الكتاب اى كتب كافرا كما في الحديث الصحيح فيكتب  
 رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد وليس اذا كان الله كتبه كافرا يقتضى انه حين الولادة كافر بل  
 يقتضى انه لابد أن يكفر وذلك ان الكفر هو التشهير كما أن البهيمة التي ولدت جمعا وقد سبق في علمه  
 انها مجمدة كتب انها مجمدة يجمع يحدث لها بعد الولادة ولا يجب أن تكون عند الولادة مجمدة

﴿فصل﴾ وكلام أحد في أجوبة له أخرى بذل على ان الفطرة عنده الاسلام كما ذكر محمد  
 ابن نصر عنه انه آخر قوله فانه كان يقول ان صبيان أهل الحرب اذا سبوا بدون الابوين كانوا  
 مسلمين وان كانوا معهم فهم على دينهما فان سبوا مع أحدهما ففيه عنه روايتان وكان يحتج بالحديث قال  
 الحلال في الجامع أنأنا أبو بكر المروزي أنأنا عبد الله قال سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا  
 صفارا وان كانوا مع أحد الابوين وكان يحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قابوا يهودانه  
 ونصرانه قالوا ما أهل التتير فيقولون اذا كان مع أبويه انهم يخفرونه على الاسلام قال ونحن لا نذهب الى  
 هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قابوا يهودانه ونصرانه قال الحلال أنأنا عبد الملك الميموني قال  
 سألت أبا عبد الله قبل المجلس عن الله غير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه فقال ان مات صلى عليه  
 المسلمون قلت يكره على الآلهة قال اذا كانوا صفارا يصلون عليهم أكره عليه قلت فان كان



به أبو الهاء قال اذا كان معه أبو الهاء أو أحدهما لم يكره ودينه على دين أبيه قلت الى أي شيء يذهب  
 الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبو الهاء قال نعم وعمر بن  
 عبد العزيز قاضي به ففرده الى بلاد الروم الا وحكمه حكمهم قالت في الحديث كان معه أبو الهاء قال لا  
 وليس ينبغي الا أن يكون منه أبو الهاء قال الحلال مارواه الميموني قرأ أول لابي عبد الله ولتلك نقل  
 اسحاق بن منصور ان أبا عبد الله قال اذا لم يكن معه أبو الهاء فهو مسلم قلت لا يميزه على الاسلام  
 اذا كان معه أبو الهاء أو أحدهما قال نعم قال الحلال وقد روى هذه المسئلة عن أبي عبد الله  
 خلق كلهم قال اذا كان مع أحد أبيه فهو مسلم وهؤلاء الذين سمعوا من أبي عبد الله بعد  
 الحبس وبعضهم قبل وبعد والذي أذهب اليه مارواه الجماعة قال الحلال وحدثنا أبو بكر المروزي  
 قال قلت لابي عبد الله اني كنت بواسط فسالوني عن الذي عوت هو وامراته ويدعا طليين ولهما  
 عم ماقول فيهما فانهم قد كتبوا الى البصرة فيها فقال أكره أن أقول فيها برأيي دع حتى أنظر  
 لعل فيها من تقدم فلما كان بعد شهر عادته قال نظرت فيها فانا النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 فابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس له أبوان قلت يجبر على الاسلام قال نعم هؤلاء مسلمون لقول  
 النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك نقل يعقوب بن سحبان قال قال أبو عبد الله اذا مات الذمي أبو الهاء وهو  
 صغير أجبر على الاسلام وذكر الحديث فابواه يهودانه وينصرانه وتقل عنه عبد الكريم بن الهيثم  
 الماقلوني في المجوسين يولد لهما ولد فيقولان هذا مسلم فيمكت خمس سنين ثم يتوفي قال ذلك يدينه  
 المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه وقال عبد الله بن أحمد سألت أبا  
 عن قوم يزجون بناتهم من قوم على انه ماكان من ذكر فهو للرجل مسلم وماكان من أمتي فهي  
 مشركة يهودية أو مجوسية أو نصرانية فقال يجبر هؤلاء من أبائهم على الاسلام لأن أباهم مسلموا  
 الحديث النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه يردون كلهم الى الاسلام ومثل هذا كثير  
 في أجوبة يحتاج بالحديث على انما يصير كافرا بأبويه فاذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم فلو لم  
 تكن الفطرة الاسلام لم يكن يعدم أبويه يصير مسلما فان الحديث انما دل على انه يولد على الفطرة  
 وتقل عنه الميموني ان الفطرة هي الدين وهي الفطرة الاولى ذل الحلال أخبرني الميموني انه قال  
 لابي عبد الله كل مولود يولد على الفطرة يدخل عليه اذا كان أبو الهاء يعني أن يكون حكمه حكم  
 ما كانوا صانعا فقال لي نعم ولكن يدخل عليك في هذا فتناظر انما يدخل على من هذا القول  
 وبما يكون فقوله قلت لابي عبد الله فما تقول انت فيها والى أي شيء يذهب قال أقول انما مادري  
 أخبرك هي مسلمة كما ترى ثم قال لي والذي يقول كل مولود يولد على الفطرة ينظر أيضا الى  
 الفطرة الاولى التي فطر الناس عليها قلت له فما الفطرة الاولى أي الدين قال نعم فمن الناس من  
 يحتاج بالفطرة الاولى مع قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة قلت لابي عبد الله  
 فما تقول لاعرف قولك قال أقول انه على الفطرة الاولى قال شيخنا فابواب احمد انه على الفطرة

الاولى وقوله انما الدين يوافق القول بانه على دين الاسلام

فصل واما جواب احمد انه على ما فطر من شقاء وسعادة الذي ذكر محمد بن نصر  
 انه كان يقول به ثم تركه فقال الحلال أخبرني محمد بن يحيى الكدالي انه قال لابي عبد الله كل

مولود يولد على الفطرة ما تصيرها قال هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها شقي أو سعيد وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد وجليل وأبو الحارث أنهم سمعوا أبا عبد الله في هذه المسئلة قال الفطرة التي فطر الله المباد عليها من الشقاوة والسعادة وكذلك نقل عنه علي بن سعيد أنه سأل أبا عبد الله عن كل مولود يولد على الفطرة قال الشقاوة والسعادة قال يرجع الى ما خلق وعن الحسن بن بواب قال سألت أبا عبد الله عن اولاد المشركين قلت ان ابن ابي شبة ابا بكر قال هو على الفطرة حتى يهوداه ابراه أو ينصرانه فلم يجبه شيء من هذا القول وقال كل مولود من اطفال المشركين على الفطرة يولد على الفطرة التي خلق عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في ام الكتاب ارفع ذلك الى الاصل هذا معنى كل مولود يولد على الفطرة فمن اصحابهم قال هذا قولاً قدما له ثم تركه ومنهم من جعل المسئلة على روايتين واطلق ومنهم من حكى عنه فيها ثلاث روايات الثالثة الوقت

(فصل) قال شيخنا والاجماع والآثار المتقولة عن السلف لاندل الا على القول الذي رجحناه وهو أنهم على الفطرة ثم صاروا الى ماسبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة لا يدل على أنهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سليمة مقتضية للإيمان ومستلزمة له لولا العارض وروى ابن عبد البر بإسناده عن موسى بن عبيدة سمعت محمد بن كعب القرظي في قوله (كا بدأكم تمودون فرقا هدى وفرقا حق عليهم الضلالة) قال من ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل بعمل اهل الضلالة ومن ابتدأ خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل بعمل اهل الهدى خلق ابدأ جليس على الضلالة وعمل بعمل اهل السعادة مع الملائكة ثم رده الله الى ما ابتدأ خلقه عليه من الضلالة فقال وكان من الكافرين وابتدأ خلق السحرة على الهدى وعملوا بعمل اهل الضلالة ثم هدهم الله الى الهدى والسعادة وتوفاهم عليها مسلمين فهذا المتقول عن محمد بن كعب بين ان الذي ابتدأهم عليه هو ما كتب أنهم سائررون اليه وانهم قد يعملون قبل ذلك غيره وان من ابتدئ على الضلالة اى كتب ان يموت ضالا فقد يكون قبل ذلك عاملا بعمل اهل الهدى وحينئذ فن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لا يمنع ان يعرض لها ما يغيرها فيصير الى ماسبق به القدر كما في الحديث الصحيح ان أحدكم يعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان أحدكم يعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة وقال سعيد بن جبير في قوله كابدأكم تمودون قال كما كتب عليكم تكونون وقال مجاهد كما بدأكم تمودون شقي وسعيد وقال أيضا بيعت المسلم مسلما والكافر كافرا وقال أبو المألية عادوا الى علمه فيهم فرقا هدى وفرقا حق عليهم الضلالة قلت هذا المعنى صحيح في نفسه دل عليه القرآن والسنة والآثار السلفية واجماع اهل السنة وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه والذي يظهر من الآية ان معناها معنى نظرائها ومثلها من الآيات التي يحتاج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالاولى وعلى المعاد بلبدأ فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان فقال كما بدأكم تمودون كقوله (يا أيها الناس ان كنتم في ريب مما نزلنا فبما خلقناكم من تراب) وقوله (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) الآية وقوله (أعجب الانسان ان يترك سدى ألم يك نلفقه من منى يعني ثم كان علقه خلق فسوى) الى قوله (اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) وقوله

(فلينظر الانسان ثم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجه لقادر) أى على رجع الانسان حيا بعد موته هذا هو الصواب في معنى الآية يبقى أن يقال فكيف يرتبط هذا بقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال فيقال هذا الذى أوجب لاصحاب ذلك القول ما تأولوا به الآية ومن تأمل الآية علم أن القول أولى بها ووجه الارتباط أن الآية تضمنت قواعد الدين علما وعملا واعتقادا فأمر سبحانه فيها بالتسبط هو الذى هو حقيقة شرعه ودينه وهو يتضمن التوحيد فإنه أعدل العدل والعدل في معاملة الخلق والعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة ويتضمن الامر بالاقبال على الله واقامة عبوديته في تيموه ويتضمن الاخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق واعادته فذلك الايمان بالمبدأ والمعاد ثم أخبر عن القدر الذى هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فتضمنت الآية الايمان بالقدر والشرع والمبدأ والمعاد والامر بالعدل والاخلاص ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الامر بأنه قد دأبوا للشيطان دون ربه وأنه على ضلال وهو يحسب انه على هدى والله أعلم

﴿فصل﴾ وقال آخرون بنى قوله كل مولود يولد على الفطرة ان الله فطرهم على الانكار والمعرفة وعلى الكفر والايمان فآخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال الست بربكم قالوا جميعا بلى فاما اهل السعادة فقالوا بلى على معرفة له طوعا من قلوبهم واما اهل الشقاء فقالوا بلى كرها غير طوع قالوا ويصدق ذلك قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قالوا وكذلك قوله (كأبدكم ثم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) قال محمد بن نصر المروزي سمعت اسحاق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى واحتج بقول ابى هريرة اقرأوا إن شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال الحق تقول لا تبديل للخلقة التى جيل عليها ولد آدم كلف بنى من الكفر والايمان والمعرفة والانكار واحتج بقوله تعالى (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) الآية قال اسحاق أجعب أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد واستنطقهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قالوا نظروا أن لا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آبائنا من قبل وذكر حديث أبى بن كعب في قصة الغلام الذى قتله الحضرة قال وكان الظاهر ما قال موسى اقلنت قضا زكية بغير نفس فأعلم الله الحضرة ما كان الغلام عليه من الفطرة التى فطره عليها وأنه لا تبديل لخلق الله فأمر بقتله لانه كان قد طبع كافرا وفي صحيح البخارى ان ابن عباس كان يقرأها وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين قال اسحاق فلو ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس ولم يبين لهم حكم الاطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين لانهم لا يدرون ما جيل كل واحد عليه حتى اخرج من ظهر آدم فبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم الاطفال في الدنيا بأن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه يقول اتم لا تعلمون ما طبع عليه في الفطرة الاولى لكن حكم العقل في الدنيا حكم أبوه فأعرفوا ذلك بالابوين فمن كان صغيرا بين أبوين مسلمين الحق يحكم الاسلام وأما ايمان ذلك وكفره مما يصير اليه فمطل ذلك الى الله ويعلم ذلك فضل الله الحضرة في علمه هذا على موسى إذ أطلعه الله عليه في ذلك الغلام وخصه بذلك قال ولقد سئل ابن عباس عن ولدان

المسلمين والمشرّكين فقال حسبك ما اخصم فيه موسى والحضر قال اسحاق الارى الى قول عائشة حين مات صبي من الانصار بين ابيون مسلمين طوى له عصفور من عصافير الجنة فرد عليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما يعاتشة وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا قال اسحاق فهذا الاصل الذي يستمد عليه أهل العلم وسئل حاد بن سلمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم قال ابن قتيبة يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال شيخنا أصل مقصود الأئمة صحيح وهو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفى القدر لكن لا يحتاج مع ذلك ان يفسر القرآن والحديث الا بما هو مراد الله ورسوله ويجب أن يتبع في ذلك ما دل عليه الدليل وما ذكره ان الله فطرهم على الكفر والايان والمعرفة والسكره ان أرادوا به ان الله سبق في علمه وقدره بأنهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون ويشكرون وان ذلك كان بمشيئة الله وقدره وخلقهم بهذا حق ترد القدرية فغلاتهم يشكرون العلم وجميعهم يشكرون عموم خلقه ومشيئته وقدرته وان أرادوا ان هذه المعرفة والسكره كانت موجودة حين أخذ الميثاق كافي ظاهر المتقول عن اسحاق فهذا يتضمن شيئين أحدهما انهم حينئذ كانت المعرفة والايان موجودا فيهم كما قال ذلك طوائف من السلف وهو الذي حكى اسحاق الإجماع عليه وفي تفسير الآية نزاع بين الأئمة وكذلك في خلق الارواح قبل الاجساد قولان معروفان لكن المقصود هنا ان هذا ان كان حقا فهو توكيد لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والاقارب فهذا لا يحتاج ما دلت عليه الاحاديث من أنه يولد على الفطرة وان الله خلق خلقه خفيا بل هو مؤيد لذلك وأما قول القائل انهم في ذلك الاقرار انقسموا الى مطيع وكافر فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيها أعلم الا عن السدي في تفسيره قال لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره النبي فخرج منه ذرة بضاء مثل اللؤلؤ كثرة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرة سوداء كثرة الذر فقال ادخلوا النار ولا ابالي ذلك قوله وأصحاب الجين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائمين وطائفة كارهين على وجه التبعة فقال هو والملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فليس أحد من ولد آدم الا هو يعرف الله بأنه وبذلك قوله عز وجل (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وكذلك قوله (قل فقه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) يعني يوم أخذ الميثاق قال شيخنا وقيل هذا الاثر لا يوثق به فان في تفسير السدي أشياء قد عرف بطلان بعضها وهو ثقة في نفسه وأحسن أحوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل ان كان مأخوفا عن النبي صلى الله عليه وسلم فكيف اذا كان مأخوفا عن أهل الكتاب ولو لم يكن في هذا الامارضة لسائر الآثار التي تضمن التسوية بين جميع الناس في الاقرار لكنني واما قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) فانما هو في الاسلام الموجود منهم بعد خلقهم لم يقل انهم حين العهد الاول اسلموا طوعا وكرها يدل على ذلك ان الاقرار الاول جعله الله عليهم حجة على من ينسب ولو كان فيهم كاره لقال لم أقر طوعا بل كرها فلا يقوم به عليه حجة واما احتجاج احمد بقول ابي هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي

فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فهذه الآية فيها قولان أحدهما أن معناها التي كما تقدم عن ابن جرير أنه فطرها فقال أي لا تبدلوا دين الله الذي فطر عليه عباده وهذا قول غير واحد من المفسرين لم يذكروا غيره والثاني ما قاله اسحاق وهو أنها خبر على ظاهرها وأن خلق الله لا يبدله أحد وظاهر اللفظ خبر فلا يجعل نهيًا بخبر حجة وهذا أصح وحينئذ فيكون أفراد أن ما جيلهم عليه من الفطرة لا يبدل فلا يميلون على غير الفطرة لا يقع هذا أصلاً والمعنى أن الخلق لا يتبدل فيخلقون على غير الفطرة ولم يرد بذلك أن الفطرة لا تتغير بعد الخلق بل نفس الحديث يبين أنها تتغير ولهذا شبهها بالهيئة التي تولد جماعتهم تجتمع ولا تولد يسمه مختصة ولا مجدوعة وقد قال تعالى عن الشيطان ولا أمرهم فليقرن خلق الله قاله أئمة الخلق على أن يفروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وأما تبديل الخلق بأن يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لا يقدر عليه إلا الله والله لا يضلها كما قال لا تبديل لخلق الله ولم يقل لا تتغير فإن تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله ولكن إذا غير بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة وأما قول القائل لا تبديل للخلق التي جبل عليها بنو آدم كلهم من كفر وإيمان فإن عنى به ما سبق به القدر من الكفر والإيمان لا يقع خلافه فهذا حق ولكن ذلك لا يقتضي أن تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس مجتمع ولأنه غير مقدور بل البعد قادر على ما أمره الله به من الإيمان وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر وعلى أن يبدل حسناً باليسئات وسيئاته بالחסنات كما قال الله الامن ظلم ثم يبدل حسناً بعد سوء وهذا التبديل كله قضاء الله وقدره وهذا بخلاف ما فطر وأعطاه حين الولادة فإن ذلك خلق الله الذي لا يقدر على تبدله غيره وهو سبحانه لا يبدله بخلاف تبديل الكفر بالإيمان وبالعكس فإنه يبدله كثيراً والبعد قادر على تبديله بقدر الله على ذلك وما يوضح ذلك قوله تعالى (قام وجهك للدين حقيقاً والبعد قادر على تبديله بقدر الله على ذلك وما يوضح ذلك قوله تعالى (قام وجهك للدين حقيقاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) فهذه فطرة محمودة أمر الله بها نبيه فكيف تقسم إلى كفر وإيمان مع أمر الله تعالى بها وقد تقدم تفسير السلف لا تبديل لخلق الله أي لدين الله وأوالتى عن الخصاوصحوة ولم يقل أحد منهم أن المعنى لا تبديل لأحوال العباد من كفر إلى إيمان وعكسه فإن تبديل ذلك موجود ومهما وقع كان هو الذي سبق به القدر والرب تعالى عالم بما سيكون لا يقع خلاف معلومه فإذا وقع التبديل كان هو الذي علمه وأما قوله عن الغلام أنه طبع يوم طبع كافراً فالمراد به أنه كتب كذلك وقدر وختم فهو من طبع الكتاب ولفظ الطبع لما صار يستعمله كثير من الناس في الطبيعة التي هي بمعنى الحلقة والحيلة ظن الظان أن هذا مراد الحديث وهذا الغلام الذي قتله الحضرة ليس في القرآن ما يبين أنه كان غير بالغ ولا مكلف بل قراءتين عباس يدل على أنه كان كافراً في الحال وتسميته غلاماً لا يمنع أن يكون مكلفاً قريب العهد بالصغر ويدل عليه أن موسى لم يشكر قتله لصغره بل لكونه زاكياً ولم يقتل قصاً لكن يقال في الحديث الصحيح ما يبدل على أنه كان غير بالغ من وجهين أحدهما أنه قال فر بصي يلعب مع الصبيان الثاني أنه قال ولو أدرك لارهق أبوه طغياناً وكفراً وهذا دليل على كونه لم يدرك بعد فيقال الكلام على الآية على التقديرين فإن كان بالنسبة وقد كفر فقد قتل على كفره الواقع بعد البلوغ ولا إشكال وإن كان غير بالغ فلعل تلك التسمية كان فيها التكليف قبل الاحتلام عند قوة عقل الصبي وكما تميزه وإن لم يكن التكليف قبل البلوغ بالشرائع وأما فلا يمنع وقوعه بالتوحيد ومعرفة الله كما قاله طوائف من

أهل الكلام والفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم وعلى هذا فيمكن أن يكون مكلفا بالإيمان قبل البلوغ وأن لم يكن مكلفا بشرايته وكفر الصبي المميز عند أكثر العلماء مؤاخذه فاذا ارتد صار مردا لكن لا يقتل حتى يبلغ الفلام الذي قتله الحضر أما أن يكون كافرا بسد البلوغ فلا إشكال وأما أن يكون غير بالغ وهو مكلف في تلك الشريعة فلا إشكال أيضا وأما أن يكون مكلفا بالتوحيد والمعرفة غير مكلف بالشرايع فيجوز قتله في تلك الشريعة وأما أن لا يكون مكلفا قتل لثلاثي فتن أبوه عن دينها كما يقتل الصبي الكافر في ديننا إذا لم يندفع ضرره عن المسلمين الأباقتل وأما قتل صبي لم يكفر بعد بين أبيون مؤمنين للعلم بأنه إذا بلغ كفر وقتن أبوه فقد يقال ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه وأيضاً فإن الله لم يأمر أن يعاقب أحد بما يعلم أنه يكون منه قبل أن يكون منه ولا هو سبحانه يعاقب البادع على ما يعلم أنهم سيعملونه حتى يفعلونه وقائل هذا القول يقول أنه ليس في قصة الحضر شيء من الإطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس وإنما فيها علمه بأسباب لم يكن علم بها موسى مثل علمه بأن السفينة لما كين يسلون وراثتهم ملك ظالم وهذا أمر يعلمه غيره وكذلك كون الجدار كان لفلانين يتيمين وإن أباهما كان رجلاً صالحاً وإن تحته كنزاً لهما مما يمكن أن يعلمه كثير من الناس وكذلك كفر الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه لكن لهما ما لا يتيقن أن عليه أو لا يقبل منهما فإن كان الأمر على ذلك فليس في الآية حجة على قولهم أصلاً وإن ذلك الفلام لم يكفر بعد ولكن سبق في العلم أنه إذا بلغ كفر فمن يقول هنا يقول أن قتله دفعا لشربه كما قال نوح (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) إنك ان تذرهم يعطوا عبادك ولا يفلأوا إلا فاجراً كفاراً) وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافراً وقراءتا بن عباس وأما الفلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين ظاهرة أنه كان حينئذ كافراً فإن قيل فهذا الفلام كان أبواه مؤمنين فلو كان مولوداً على فطرة الإسلام وهو بين أبيون مسلمين لكان مسلماً تبعاً لهما وبمحكم الفطرة فكيف يقتل والحالة هذه قيل إن كان بالغاً فلا إشكال وإن كان مميزاً وقد كفر فصيح كفره وردته عند كثير من العلماء وأن لا يقتل حتى يبلغ عندهم قلل في تلك الشريعة يجوز قتل المميز الكافر وإن كان صغيراً غير مميز فيكون قتله خاصاً به لأن الله أطلع الحضر على أنه لو بلغ لا يختار غير دين أبيون وعلى هذا يدل قول ابن عباس لنجدة وقد سأله عن قتل صبيان الكفار فقال لأن علفت فيهم ما علمه الحضر من الفلام فاقتلهم فإن قيل إذا كان مولوداً على الفطرة وأبواه مؤمنين فمن أين جاء الكفر قيل إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك على الغالب والألّا لكفر قد يأتيه من قبل غير أبويه فهذا الفلام إن كان كافراً في الحال فقد جاء الكفر من غير جهة أبويه وإن كان المراد أنه إذا بلغ سيكفر باختياره فلا إشكال (فصل) وأما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم فابواهم يودونه ويصبرونه ويعبسانه أنه أراد به مجرد الإلحاق في أحكام الدنيا دون أن يكون أراد أنها يغيران الفطرة فهذا خلاف ما يدل عليه الحديث فإنه شبه تكفير الأطفال بمجدة الهائم تشبهاً بالتشهير بالتشهير وأيضاً فإنه ذكر هذا الحديث لما قتل أولاد المشركين فهاهم عن قتلهم وقال اليس خباركم أولاد المشركين كل مولود يولد على الفطرة فلو أراد أنه تابع لأبويه في الدنيا لكان هذا حجة لهم يقولون هم كفار كابائهم وكون الصغير يتبع أبواه في أحكام الدنيا هو لضرورة بهاته في الدنيا فإنه لا بد له من مرب يريه وإنما يريه أبواه فكان

تأبوا لها ضرورة ولهذا من سبي منفردا عنها صار تأبوا لسايبه عند جمهور العلماء كإبي حنيفة والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم لكونه هو الذي يريه وإذا سبي منفردا عن أحدهما أو معهما ففيه نزاع بين العلماء واحتجاج الفقهاء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سبي منفردا عن أبويه يصير مسلما إذا استلزم أن يكون المراد بكفير الابوين لهما مجرد لحاقه لهما في الدين ولكن وجه الحجة أنه إذا ولد ولد على الملة فاقمسا ينقله عنه الابوان الذان يفرانه عن الفطرة ففي سباه المسلمين منفردا عنها لم يكن هناك من يغير دينه وهو مولود على الملة الحنيفة فيصير مسلما بالفتوى السالم عن المعارض ولو كان الابوان يحملانه كافرا في نفس الامر بدون تعليم وتلقين لكان الصبي المسي بمنزلة البالغ الكافر ومعلوم ان البالغ الكافر إذا سباه المسلمون لم يصير مسلما لانه صار كافرا حقيقة فلو كان الصبي التابع لأبويه كافرا حقيقة لم ينتقل عن الكفر بالسبأ فلم أنه كان يجرى عليه حكم الكفر في الدنيا تبعا لأبويه لأنه صار كافرا في نفس الأمر تبين ذلك أنه لو سباه كفار ولم يكن معه أبواه لم يصير مسلما فهو هنا كافر في حكم الدنيا وإن لم يكن أبواه هوداء ونصرأه فلم ان المراد بالحديث ان الابوين يلتقاه الكفر ويعلمانه إياه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الابوين لانهما الاصل العام الغالب في تربية الاطفال فان كل طفل فلا بد له من أبوين وهما الذان يريانه مع بقائهما وقدرتهما وما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فلما شاكرا وإما كفورا فجعله على الفطرة نألى أن يعقل ويميز فحينئذ يتبين له أحد الأمرين ولو كان كافرا في الباطن بكفر الابوين لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه وكذلك قوله في الحديث الصحيح انى خلقت عبادى حنفاء فاتحاهم الشيطان وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا صريح في أنهم خلقوا على الحنيفة وان الشياطين اختلستهم وحرمت عليهم الحلال وأمرتهم بالشرك فلو كان الطفل يصير كافرا في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يملأه أحد الكفر ويلقنه إياه لم تكن الشياطين هم الذين غيروه عن الحنيفة وأمرهم بالشرك

(فصل) ومنشأ الاشتباه في هذه المسئلة اشتباه أحكام الكفر في الدنيا بأحكام الكفر في الآخرة فان أولاد الكفار لما كان يجرى عليهم أحكام الكفر في الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لأبهم وحضانتهم لهم وتمكنهم من تعليمهم وتأديبهم والموازنة بينهم وبين دينهم واسترقاقهم وغير ذلك صار يظن من يظن أنهم كفار في نفس الامر كالذى تكلم بالكفر وعمل به ومن هاهنا قال محمد بن الحسن ان هذا الحديث وهو قوله كل مولود يولد على الفطرة كان قبل أن تنزل الاحكام فلذا عرف أن كونهم ولدوا على الفطرة لا ينافي أن يكونوا تبعا لأبائهم في أحكام الدنيا وقد زالت الشبهة وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن يكتم إيمانه ولا يطمئ المسلمون حاله فلا ينسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين وهو في الآخرة من أهل الجنة كما أن المنافقين في الدنيا يجرى عليهم أحكام المسلمين وهم في الدرك الاسفل من النار حكم النار الآخرة غير حكم النار الدنيا وقوله كل مولود يولد على الفطرة إنما أراد به الاخبار

بالحقيقة التي خلقوا عليها وعلى الثواب والعقاب في الآخرة اذا عملوا بموجبها وسلمت عن الممارض ولم يردبه الاخبار بإحكام الدنيا فانه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول أن أولاد الكفار تبع آباءهم في احكام الدنيا وان أولادهم لا يتزعمون منهم اذا كانوا ذمة فان كانوا محاربين استرقوا ولم يتنازع المسلمون في ذلك لكن تنازعوا في الطفل اذا مات أبواه أو أحدهما هل يحكم بإسلامه وعن أحمد في ذلك ثلاث روايات احدها ان يحكم بإسلامه بموت الابوين أو أحدهما لقوله فابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس منه أبواه وهو على الفطرة وهي الاسلام لما تقدم فيكون مسلما والثانية لا يحكم بإسلامه بذلك وهذا قول الجمهور قال شيخنا وهذا القول هو الاسواب بل هو اجماع قديم من السلف والخلف بل هو ثابت بالنسبة التي لا ريب فيها فقد علم أن اهل الذمة كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينة وادى القرى وخيبر ونجران واليمن وغير ذلك وكان فيهم من يموت وله ولد صغير ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم عليه بإسلام أهل الذمة ولا حلفاءه وأهل الذمة كانوا في زمانهم طبق الارض بالشام ومصر وال عراق وخراسان وفيهم من يتأمامهم عدد كثير ولم يحكموا بإسلام واحد منهم فان عقد الذمة اقتضى ان يتولى بعضهم بعضا فهم يتولون حضنة يتأمامهم كما كان الابوان يتولون تربيتهم وأحد يقول ان الذمة اذا مات ورثه ابنه الطفل مع قوله في احدى الروايات أنه يصير مسلما لأن اهل الذمة ما زال أولادهم يرثوهم لأن الاسلام حصل مع استحقاق الارث لم يحصل قبله ونص على أنه اذا مات الذمي عن حمل منه لم يرثه للحكم بإسلامه قبل وضعه وكذلك لو كان الحمل من غيره كما اذا مات وخلف امرأة ابنه أو أخيه حاملا فاسلمت أمه قبل وضعه لم يرثه لأننا حكمنا بإسلامه من حين اسلمت أمه وكذلك هناك حكمنا بإسلامه من حين مات أبوه وقد وافق الامام احمد الجمهور على ان الطفل اذا مات أبواه في دار الحرب لا يحكم بإسلامه ولو كان يموت الابوين يحمله مسلما يحكم الفطرة الاولى لم يترق الحال بين دار الحرب ودار الاسلام لوجود مقتضى للاسلام وهو الفطرة وعدم المساق وهو الابوان وقد التزم بعض اصحاب الحكم بإسلامه وهو باطل قطعا اذ من المعلوم بالضرورة ان اهل الحرب فيهم من بلغ يقينا لغيره واحكام الكفار المحاربين جارية عليهم والرواية الثالثة ان كفله اهل دينه فهو باق على دين أبويه وان كفله المسلمون فهو مسلم نص عليه في رواية يعقوب بن ميمون (١) كما ذكره الحلال في جامعته عنه قال سئل ابو عبد الله عن جارية نصرانية لقوم فولدت عندهم ثم ماتت ما يكون الولد قال اذا كفله المسلمون ولم يكن له من يكفله الا هم فهم مسلمون قيل له فان مات بعد الام بقليل قال يدقته المسلمون وقال في رواية ابى الحارث في جارية نصرانية لرجل مسلم لها زوج نصراني فولدت عنده وماتت عند المسلم وتولى ولدها عنده ما يكون حكم هذا الصبي قال اذا كفله المسلمون فهو مسلم وهذه الرواية ان لم يذكرها عامة الاصحاب وهي من جامع الحلال فهي اصح الاقوال في هذه المسئلة دليلا وهي التي تختارها وبها تجتمع الادلة فان الطفل يتبع ماله وسايه فكذلك يتبع كفاؤه وحاضنته فانه لا يستقل بنفسه بل لا بد له من يتبعه ويكون معه قبيته لحاضنته وكفاؤه اولى من جملة كافرا يكون أبوه كافرا وقد انقطعت تسميته لهما بخلاف

(١) حكمنا بالاصل ويصير



ماذا كفله أهل دين الأيوين قاتهم يقومون مقامهما ولا أثر لفقد الأيوين إذا كفله جسده أوجده أو غيرهما من أقاربه فهذا القول أرجح في النظر والله أعلم وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلماً قاتاً قد استوفيناها في كتابنا في أحكام أهل الملل بادلها واختلاف العلماء من السلف والخلف فيها وذكر مأخذهم وأما المقصود ذكر الفطرة وأنها هي الخيفية وأنها لا تتأق في القدر السابق بالشقاوة والله أعلم

**فصل** قال أبو عمر وقال آخرون في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة لم ير د رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الفطرة هاهنا كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكاراً وأما أراد أن كل مولود يولد على السلامة خلقاً وطبعاً وبنيّة ليس معها كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار ثم يمتد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ إذا ميز واحتجوا بقوله في الحديث كانت تبع البيمة بيمة جماء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء يعني مقطوعة الأذن فقتل قلوب بني آدم بالبهايم لأنها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد واثوبها فيقال هذه السوائب وهذه البحائر يقول كذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار كالبهايم السالمة فلما بلغوا استوثبهم الشياطين فكفروا كثرهم وعصم الله أقاتهم قالوا ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمرهم ما انتقلوا عنه أبداً فقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون قالوا ويستحيل في العقول أن يكون الطفل في حال ولادته يفضل كفر أو إيماناً لأن الله آخر جهنم من بطون أمهاتهم لا يملكون شيئاً فمن لم يمل شيئاً استحاك منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قال أبو عمر هذا القول أصح أقبل في معنى الفطرة التي تولد الولدان عليها وذلك أن الفطرة السلامة والاستقامة بدليل قوله تعالى في حديث عياض بن حماد أتى خلقت عبادة خفاء يعني على استقامة وسلامة وكأنه والله أعلم أراد الذين خلصوا من الآفات كلها والمأصبي والطاعات فلا طاعة منهم ولا معصية إذا لم يعملوا بواحدة منهما ومن الحجة أيضاً في هذا قول الله تعالى (أما تحجزون ما كنتم تعملون) وكل نفس بما كسبت رهينة) ومن لم يباغ وقت العمل ببرهن بشيء قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبشّر رسولاً) قال شيخنا هذا القائل أن أراد بهذا القول أنهم خلقوا خاليين من المعرفة والإنكار من غير أن تكون الفطرة تنقص واحدة منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الإيمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام فهنا قول فاسد لانه حينئذ لافرق بالنسبة إلى الفطرة بين المعرفة والإنكار واليهود والنصارى والتتير والاسلام وأما ذلك بحسب الأسباب فكان ينبغي أن يقال قابوهم بسلامته ويهوداته وينصرانه ويجهنونه فلما ذكر أن أبويه يكفرون أنه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم أن حكمه في حصول ذلك بحسب منفصل عن حكم الكفر وأيضاً فانه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة ولا عطب ولا استقامة ولا زيغ إذ نسبته إلى كل منهما نسبة واحدة وليس هو لاحدهما يؤولي منه بالآخر كما أن الوح قيل الكتابة لا يثبت له حكم مدح ولا ذم فما كان قابلاً للمدح والذم على السواء لم يستحق مدحاً ولا ذماً والله تعالى

يقول (قام وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فامرهم بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها فكيف لا تكون ممدوحة وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبيعة المجتمعة الخلق وشبه ما طرأ عليها من الكفر بجمع الألف والأذن ومعلوم أن كلاهما محمود وقصصهما مذموم فكيف تكون قبل التقص لا محمود ولا مذمومة

(فصل) وإن كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من العلماء أن المراد أنهم ولدوا على الفطرة السليمة التي لو تركت مع حبها لا حارت المعرفة على الإنكار والإيمان على الكفر ولكن بما عرض لها من الفساد خرجت من هذه الفطرة فهذا القول قد يقال لا يرد عليه ما يرد على القول الذي قبله فإن صاحبه يقول في الفطرة قوة تميل بها إلى المعرفة والإيمان كما في البدن السليم قوة يجب بها الأغذية الثافهة وبهذا كانت محمودة وذم من أفسدها لكن يقال فهذه الفطرة التي فيها هذه القوة والقول والاستعداد والصلاحية هل هي كافية في حصول المعرفة أو تنفست المعرفة على أدلة من خارج فإن كانت المعرفة تنفست على أدلة من خارج أمكن أن يوجد تارة ويعدم أخرى ثم ذلك السبب يتجمع أن يكون موجبا للمعرفة بنفسه بل غايته أن يكون معروفاً ومذكراً فعند ذلك أن وجب حصول المعرفة كانت واجبة لحصول عند وجود ذلك الأسباب والأفلا وحينئذ فلا يكون فيها الا قبول المعرفة والإيمان وحينئذ فلا فرق فيها بين الإيمان والكفر والمعرفة والإنكار إنما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج وهذا هو القسم الاول الذي ابطناه وبنا أنه ليس في ذلك مدح للفطرة وأما أن كان فيها قوة تقتضي المعرفة بنفسها وإن لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة فيها بدون ما يسمع من الأدلة سواء قيل أن المعرفة ضرورية فيها أو قيل أنها تحصل بأسباب تنظم في النفس وإن لم يسمع كلام مستدل فإن النفس قد يقوم بها من النظر والاستدلال ما يحتاج معه إلى كلام الناس فإن كان كمن مولود يولد على هذه الفطرة لزم أن يكون المقتضى للمعرفة حاصل لكل مولود وهو المطلوب والمقتضى التام مستلزم مقتضاة قتيبن أن أحد الأمرين لازم أما كون الفطرة مستلزماً للمعرفة وأما استواء الأمرين بالنسبة إليها وذلك ينفي مدحها وتلخيص ذلك أن يقال المعرفة والإيمان بالنسبة إليها يمكن بل لا يربح فاما أن تكون هي موجبة مستلزماً لذلك وأما أن لا تكون مستلزماً له فلا يكون واجبا لها فإن كان الثاني لم يكن فرق بين الكفر والإيمان بالنسبة إليها أو كلاهما يمكن لما ثبت أن المعرفة لازمة لها الآن يعارضها معارض فإن قيل ليست موجبة مستلزماً للمعرفة ولكن هي إليها الميل مع قبولها للتكثرة قيل حينئذ إذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدمت تارة وهي وحدها لا يحصلها فلا تحصل الا بشخص آخر كالأبوين فيكون الاسلام واليهود والتتبع والتنجيس ومعلوم أن هذه أنواع بعضها ابدع عن الفطرة من بعض كالتنجيس فإن لم تكن الفطرة مقتضية للاسلام صار نسبها إلى ذلك كنبسة اليهود والتتبع إلى التنجيس فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك ويكون هذا كمن يكون الفطرة لا يقضي الرضاع الا بسبب منفصل وليس كذلك بل الطفل يختار مع اللبن بنفسه فإذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة فارتضاءه ضروري إذا لم يوجد معارض وهو مولود

على أن يرضع فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية لاحالة اذا لم يوجد معارض  
وأبضا فان حب النفس لله وخضوعها له واخلاسها له من الكفر به والشرك والاعراض عنه ونسيان  
ذكره اما أن يكون نسبهما الى الفطرة سواء أو الفطرة مقتضية للاول دون الثاني فان كانا سواء  
لزم انتفاء المدح كإقدم وان لم يكن فرق بين دعائها الى الكفر ودعائها الى الإيمان ويكون محجسها  
كتحنيها وقد عرف بطلان هذا وان كان فيها مقتض لهذا فاما أن يكون المقتضى مستلزما لمقتضاء  
عند عدم المعارض واما ان يكون متوقفا على شخص خارج عنها فان كان الاول ثبت ذلك من توازنها  
وانها مفطورة عليه لإعقد الا اذا فسدت الفطرة وان قدر أنه متوقف على شخص فذلك الشخص  
هو الذي يحملها حنيفة كما يحملها مجوسية وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا واذا قيل هي الى الحنيفة  
أميل كان كإقبال هي الى غيرها أميل فتبين أن فيها قوة موجبة لحب لله والذلة واخلاس الدين  
له وانها موجبة لمقتضاها اذا سلت من المعارض كما أن فيها قوة تقتضي شرب اللبن الذي فطرت  
على محبته وطلبه مما يبين هذا ان كل حركة ارادية فان الموجب لها قوة في المريد فاذا أمكن في  
الانسان أن يحب الله ويصده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضي ذلك اذ الانفصال الارادية  
لا يكون سببها الامن نفس الى المريد الفاعل ولا يشترط في ارادته بمجرد الشعور بالمراد  
نفسا في النفوس من قوة المحبة له اذا شعرت به تقتضي حبه اذا لم يحصل معارض وهذا موجود  
في محبة الطعمة والاشربة والنكاح والعلم وغيرها وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والاخلاس  
والذلة له والخضوع وان فيها قوة الشعور به فيلزم قطعا وجود المحبة له والتعظيم والخضوع بالفعل  
لوجود المقتضى اذا سلم من المعارض وتبين أن المعرفة والمحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل  
وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك كالخطوب الجائع أو الظمان يوصف طعام أو خطوب المقتسم  
يوصف النساء فان هذا مما يذكر ويحركه ويشير شهوته الكامنة بالقوة في نفسه لأنه يحدث له نفس  
تلك الارادة والشهوة بعد ان لم تكن فيه فيحصلها موجودة بعد ان كانت عدما فكذلك الاسباب  
الخارجية عن الفطرة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق ومحبه وتنظيم والخضوع  
له وان كان ذلك مذكرا ومحركا ومنها ومن يلا للمعارض المانع ولذلك سمى الله سبحانه ما كمل به  
موجبات الفطرة بذكرا وذكرى وجعل رسوله مذكرا فقال (فذكرا نمتا أنت مذكر) وقال  
(فذكر ان نمت الذكرى) وقال (وما يتذكر الامن فيب) وقال (وما يتذكر الاووال الاباب)  
وقال (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال  
(فاما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) وهذا كثير في القرآن يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما  
هو مركز في فطرهم من معرفته ومحبه وتنظيم واجلاله والخضوع له والاخلاس له ومحبة  
شرعه الذي هو العدل الحنف وإيثاره على ما سواه فالفطر مركز في معرفته ومحبه والاخلاس له  
والاقرار بشرعه وإيثاره على غيره فهي تعرف ذلك وتشر به بحملا ومفصلا بعض التفصيل لجأت  
الرسول تذكرها بذلك وتبها عليه وتفصله لها وتبينه وترفعها الاسباب المعارضة لموجب الفطرة

المانعة من اقتنائها أثرها وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل فاتها أمر معروف ونهى عن منكر وإباحة طيب وتحريم خبيث وأمر بسدل ونهى عن ظلم وهذا كله مركز في الفطرة وكال تفصيله وتبينه موقوف على الرسل وهكذا باب التوحيد واثبات الصفات فان في الفطرة الاقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه للخالق سبحانه ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلق خلافا لمن قال من المتكلمين انه لم يبق دليل عقل على تنزيهه عن النقائص وانما علم بالاجماع

قبحا لهاتيك القول فانها عقول على أحمائها ووبال

فليس في القول أبين ولا جلي من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص وجاءت الرسل بالتذكيرة بهذه المعرفة وتفصيلها وكذلك في الفطر الاقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها وجزائها بكسبها في غير هذه الدار وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم الا بالرسل وكذلك فيها معرفة العدل ومحبة وإثارة وأما تفاصيل العدل الذي هو شرع الرب تعالى فلا يعلم الا بالرسل تذكر بما في الفطر وتفصيله وتبينه ولهذا كان العقل الصريح موافقا للنقل الصحيح والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان خلافا لمن قال اذا تعارض العقل والوحي قدمنا العقل على الوحي

فقبحا لعقل ينقض الوحي حكمه ويشهد حقا انه هو كاذب

والمقصود ان الله فطر عباده على فطرة فيها الاقرار به ومحبة والاخلاص له والابانة اليه واجلاله وتعظيمه وان الشخص الخارج عنها لا يحدث فيها ذلك ويجعلها فيها بعد ان لم يكن وانما يذكرها بما فيها وينبها عليه ويحركها له وفضله لها وبينه ويعرفها الاسباب المقتوية والاسباب الممارضة له والمسانة من كاله كما ان الشخص الخارج لا يحصل في الفطرة شهوة البين عند الرضاع والاكل والشرب والتمتع وانما تذكر النفس وتحركها لما هو مركز فيها بالقوة

﴿ فصل ﴾ وعما بين ذلك ان الاقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبة والخضوع له والاخلاص الدين له لا يكون نافعا بل الاقرار به مع الاعراض عنه وعن محبته وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقا للمذاب فلا بد ان يكون للفطرة مقتضى للعلم ومقتضى للمحبة والمحبة مشروطة بالعلم فان مالا يشعر به الانسان لا يحبه والحب للمجوبات لا يكون بسبب من خارج بل هو جلي فطري فانما كانت المحبة خيلية فطرية فطرطها وهو المعرفة أيضا جلي فطري فلا بد ان يكون في الفطرة محبة الخالق مع الاقرار به وهذا أصل الخيفية التي خلق الله خلقه عليها وفطرته فطرهم عليها فلم ان الخيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها والحب لله والخضوع له والاخلاص هو اصل أعمال الخيفية وذلك مستلزم للاقرار والمعرفة ولازم للالزام لازم وملزوم فالفطرة ملزومة لهذه الاحوال وهذه الاحوال لازمة لها

﴿ فصل ﴾ فقد تبين دلالة الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف على ان الخلق مفطورون

على دين الله الذي هو مرقته والافراز به ومجته والخضوع له وان ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها يجب حصوله فيها ان لم يحصل ما يمارضه ويقضى حصول ضده وان حصول ذلك فيها لا يقف على وجود شرط بل على انتفاء المانع فاذا لم يوجد فهو لوجود منافيه للعدم مقتضيه ولهذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لوجود الفطرة شرطا بل ذكر ما يمنع موجبها حيث قال فاباؤه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حصول هذا اليهود والتصير موقوف على اسباب خارجة عن الفطرة وحصول الخليفة والاخلاص ومعرفة الرب والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة وان توقف كاله وتقصيله على غيرها وإبائه التوفيق

﴿فصل﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى اني خلقت عبادي خنفاء فاخترتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم يتضمن أصلين عظيمين مقصودين لأقسامهما ووسيلة تعيين عليهما أحدهما عبادته وحده لأشريك له والثاني انما يبعد بما شرعه وأجبه وأمر به وهذان الاصلان هما المقصود الذي خلق له الخلق، فصددهما الشرك والبدع فالشرك يبعد مع الله غيره وصاحب البدعة يقترب الى الله بما يأمر به ولم يشرعه ولا أجبه وجعل سبحانه حل الطيبات مما يستعان به على ذلك ويتوسل به اليه فدار الدين على هذين الاصلين وهذه الوسيلة فآخر سبحانه ان الشياطين اقتطعت عبادته عن هذا المقصود وعن هذه الوسيلة فامرهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا وهذا يتناول الاشرار الملبوسين بالحق بان يصدمه غيره والاشراك بعبادته الحقة بان تسب بغير شرعه وكثيرا ما يمتنع الشركان فيبعد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يتعبد له بها وقد يتفردا أحد المشركين فيشرك به غيره في نفس العبادة التي شرعها أو يعبده وحده بعبادة شركية لم يشرعها أو يتوسل الى عبادته بتحريم ما أحله وقد ذم الله سبحانه المشركين على هذين النوعين في كتابه في سورة الانعام والاعراف وغيرهما يذكر فيها ذمهم على ما حرموه من المطاعم والملابس وذهمهم على ما أشركوا به من عبادة غيره أو على ما بدعوه من عبادته بما لم يشرعه وفي المسند أحب الدين الى الله الخفيفة السمحة فهي خفيفة في التوحيد وعدم الشرك سمحة في العمل وعدم الاضرار والاعلال بتحريمهم من الطيبات الحلال فيبعد سبحانه بما أجبه ويستعان على عبادته بما أحله قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وهذا هو الذي فطر الله عليه خلقه وهو محبوب لكل أحد مستقر سنته في كل فطرة فانه يتضمن التوحيد والاخلاص والقصد والحب لله وحده وعبادته وحده بما يجب أن يعبده به والامر بالمعروف الذي ينجي القلوب والتي عن المنكر الذي تبغضه وتفر منه وبحل الطيبات النافعة وتحريم الخبائث الفاسدة

﴿فصل﴾ وهذا أجبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ان كل مولود يولد على الفطرة الخفيفة هو الذي تقوم الادلة العقلية على صحته وانه كما أخبر به الصادق المصدق ومن خالف ذلك فقد غلط ويان ذلك من وجوه أحدها ان الانسان قد يحصل له من الاعتقادات والارادات ما يكون حقا وقد يحصل له منها ما يكون باطلا اذ اعتقاداته قد تكون مطابقة لمقتضاها وهي الحق

والخير عنها يسمى صدقا وقد تكون غير مطابقة وهي الباطل والخير عنها يسمى كذبا والارادات تنقسم الى ماتكون نافعة له متضمنة لمصلحته ومرادها هو الخير والحسن والى ما هو ضارة له مخالفة لمصلحته ومرادها هو الشر والقبح واذا كان الانسان تارة يكون مقتدا للحق مریدا للخير وتارة يكون مقتدا للباطل مریدا للشر فلا يخلو اما أن تكون نسبة نفسه الباطنة الى التويعين نسبة واحدة بحيث لا يكون فيها مرجحا لاحدهما على الآخر أو تكون نفسه مرجحة لاحد الامرين على الآخر فان كان الاول لزم أن لا يوجد أحد التويعين الا مرجح منفصل عنه فاذا قدر رجحان أحدهما ترجيح هذا والآخر ترجيح هذا فاما ان يتكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما فان تكافأ لزم أن لا يحصل واحد منهما وهو خلاف المعلوم بالضرورة فاننا نعلم انه اذا عرض على كل أحد ان يستند الحق ويصدق وان يريد ما ينفعه وعرض عليه ان يستند الباطل ويكذب ويريد ما يضره مال فطرته الى الاولى وقرعن الثاني فم لم ان فطرة الانسان قوة تقتضى اعتقاد الحق وارادة الخير وحيث ان الاقرار بوجود قاطره وخالفه ومعرفته ومحبه والايمان به وتظيمه والاخلاس له اما أن يكون من النوع الاول أو الثاني وكونه من الثاني معلوم الفساد بالضرورة فتبين أن يكون من الاول وحيث ان يجب ان يكون في الفطرة ما يقتضى محبه ومعرفته والايمان به والتوسل اليه بمحابه الوجه الثاني ان عبادته وحده بما يحبه اما أن يكون أكمل للناس علما وقصدا أو الاشتراك به أكل والثاني معلوم الفساد بالضرورة فتبين الاول وهو أن يكون في الفطرة مقتضى يقتضى توحيد وتأله وتظيمه الوجه الثالث ان الخيفة التي هي دين الله ولا دين له غيرها اما أن تكون مع غيرها من الاديان متماثلين أو الخيفة ترجيح أو تكون مرجوحة والاول والثالث باطلان قطعاً فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الخيفة وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الاديان الى الفطرة سواء الوجه الرابع انه اذا ثبت ان في الفطرة قوة تقتضى طلب معرفة الحق وإثاره على ماسواه وأن ذلك حاصل مركوز فيها من غير تعلم الابوين ولا غيرها بل لو فرض ان الانسان ترى وحده ثم عقل وميز لوجد نفسه مائلة الى ذلك نافرة عن ضده كما يجحد الصبي عند أول تمييزه يعلم ان الحادث لا بد له من محدث فهو يلتفت اذا ضرب من خلقه لعله ان تلك الضربة لا بد لها من ضارب فاذا شر به يكي حتى يقتض له منه فيسكن فقد ركز في فطرته الاقرار بالصانع وهو التوحيد ومحبة القصاص وهو العدل واذا ثبت ذلك ثبت ان نفس الفطرة مقتضية لمعرفته سبحانه ومحبه وإجلاله وتظيمه والخضوع له من غير تعليم ولا دعاء الى ذلك وان لم يكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك بل يحتاج كثير منهم الى سبب معين للفطرة مقوها وقد بينا ان هذا السبب لا يحدث في الفطرة ما لم يكن فيها بل يبينها ويذكرها ويقوئها فيمت الله التيسير مبشرين ومسندين يدعون العباد الى موجب هذه الفطرة فاذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها استجابت لدعوة الرسل ولا بد بما فيها من المقتضى لذلك كن دعاءنا أو تظاناً الى شراب وطعام لتزيد نافع لاتبعة فيه عليه ولا يكلفه منه فانه ما لم يحصل هناك مانع فانه يحبه ولا بد من الوجه الخامس اما نعلم بالضرورة ان الطفل حين ولادته ليس له معرفة بهذا الامر ولا عنده ارادة له ويعلم انه كلما حصل فيه قوة العلم والارادة

حصل له من معرفته به وحجته ما يناسب قوة فطرته وضعفها وهذا كما يشاهد في الأطفال من حجة جلب المنافع ودفع المضار بحسب كمال التمييز وضعفه فكلهما أمر حاصل مع الشأنة على التدرج شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى حده الذي ليس في الفطرة اعتماد لاكثر منه لكن قدر يتقوى لكثير من الفطر موانع متنوعة تحول بينها وبين مقتضاها وموجبها الوجه السادس أنه من المعلوم أن القنوس إذا حصل لها معلم وداع حصل لها من العلم والارادة بحسب ومن المعلوم أن كل قنص قابلة لمعرفة الحق واردة الخير ومجرد التعليم لا يوجب تلك القابلية فلو لا أن في النفس قوة تقبل ذلك لم يحصل لها القبول فإن حصوله في المحل شروط مقبولة له وذلك القبول هو كونه ميلاً له مستعداً لحصوله فيه وقد بينا أنه ينتج أن يكون سببه ذلك وضده إلى النفس سواء \* الوجه السابع أنه من المعلوم مشاركة الانسان لنوع الحيوان في الاحساس والحركة الارادية وحسب للشمور وان الحيوان البهي قد يكون أقوى احساساً وحياة وشغوراً من الانسان وليس يقابل لها الانسان قابل له من معرفة الحق وارادته دون غيره فلو لا قوة في الفطرة والنفس التاطقة اخص بها الانسان دون الحيوان يقبل بها أن يعرف الحق وتريد الخير لكان هو والحيوان في هذا المدم سواء وحينئذ يلزم أحداً من كلاهما تمتع اما كون الانسان قائداً لهذه المعرفة والارادة كغيره من الحيوانات أو تكون حاصلة لها كحصولها للانسان فلو لا أن في الفطرة والنفس التاطقة قوة تقتضي ذلك لما حصل لها ولو كان بغير قوة ومقتضى منها لا يمكن حصوله للحيوانات والحيوانات لكن فطرها وإربتها خصها بهذه القوة القابلية وفطرها عليها بوضعه \* الوجه الثامن أنه لو كان السبب مجرد التعليم من غير قوة قابلة لحصول ذلك في الجمادات والحيوانات لأن السبب واحد ولا قوة هناك يهوي بها هذا المحل من غيره فلم أن حصول ذلك في محل دون محل هو لاختلاف القوابل والاستعدادات \* الوجه التاسع أن حصول هذه المعرفة والارادة في المدم المحض محال فلا بد من وجود المحل وحصوله في موجود غير قابل محال بل لا بد من قبول المحل وحصوله من غير مدد من الفاعل إلى القابل فلو قطع الفاعل أمداده لنتك المحل القابل لم يوجد ذلك المقبول فلا بد من الإيجاد والاعداد والامداد فإذا استحال وجود القبول من غير إيجاد المحل استحال وجوده من غير أعباده وأمداده والخلق العالم سبحانه هو الموجد الممد \* الوجه العاشر أنه من المعلوم أن النفس لا توجب بنفسها لنفسها حصول العلم والارادة بل لا بد فيها من قوة يقبل بها ذلك لا تكون هي المعطية لتلك القوة وتلك القوة لا تتوقف على أخرى والازم التسلسل المتع والصور المتع وكلاهما تمتع فهاتان ثلاثة أمور أحدها وجود قوة قابلة الثاني أن تلك القوة ليست هي المعطية لها الثالث أن تلك القوة لا تتوقف على قوة أخرى فحينئذ يلزم أن يكون فطرها وإربتها قد فطرها على تلك القوة وأعدها بها لقبول ما خلقت له وقد علم بالضرورة أن نسبة ذلك إليها وضده ليسا على السواء \* الوجه الحادي عشر أنا لو فرضنا توقف هذه المعرفة والحجة على سبب خارج أليس عند حصول ذلك السبب يوجد في الفطرة ترجيح ذلك وحجته على ضده فهنا الترجيح والحجة والإصرار مذكور في الفطرة \* الوجه الثاني عشر أنا لو فرضنا أنه لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج لكانت الفطرة مقتضية لارادة المصلح وإيثاره على ماسواه وإذا كان مقتضى موجوداً والمانع مفقوداً وجب حصول الأرفاهة لا يتخلف الالعدم مقتضى أول وجوده

فإذا كان المانع زائلا حصل الأمر بالقبض السالم عن المعارض المقاوم الوجه الثالث عشر أن السبب  
الذي في الفطرة لمعرفة الله ومحبه والاخلاص له أما أن يكون مستلزما لذلك وأما أن يكون مقتضيا  
بدون استلزام أو يستحيل أن لا يكون له أثر البتة وعلى التقديرين يترتب أثره عليه أما وحده على  
التقدير الاول وأما بانضمام أمر آخر إليه على التقدير الثاني الوجه الرابع عشر أن النفس الناطقة  
لا تخلو عن الشعور والارادة بل هذا الخلف متمتع فيها فان الشعور والارادة من لوازم حقيقتها فلا  
يتصور إلا أن تكون شاعرة مريدة ولا يجوز أن يقال إنها قد تخلو في حق خالقها وخالقها عن  
الشعور بوجوده وعن محبه وارادته فلا يكون إقرارها به ومحبه من لوازم ذاتها هذا باطل قطعا فان  
النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها فاتها حية وكل حي  
شاعر متحرك بالارادة وإذا كان كذلك فلا بد لكل فريد من مراد والمراد أما أن يكون مراد نفسه  
أو لغيره والمراد لغيره لا بد أن ينهي إلى مراد نفسه قطعا للتسلسل في الملل الثمانية فاته محال كالتسلسل  
في الملل الفاعلة وإذا كان لا بد للإنسان من مراد لنفسه فهو الله الذي لا اله الا هو الذي تأله  
النفوس وتحمي القلوب وتعرفه الفطر وتقر به المقول وتشهد بأنه ربها ومليكها وخالقها فلا بد لكل  
أحد من إله يأله وصمد يصمد إليه والباد مقطوعون على محبة الاله الحق ومعلوم بالضرورة أنهم  
ليسوا مقطوعين على تأله غيره فلذا إنما فطروا على تأله وعبادته وحده فلو خلوا وفطروهم لما  
عبدوا غيره ولا تألهوا سواه يوضحه الوجه الخامس عشر أنه يستحيل أن تكون الفطرة خالية عن  
التأله والمحبة ويستحيل أن يكون فيها تأله غير الله لوجوه منها أن ذلك خلاف الواقع ومنها أن ذلك  
المخلوق ليس أولى أن يكون إله لكل الخلق من المخلوق الآخر ومنها أن المشركين لم يتفقوا على  
اله واحد بل كل طائفة تبتدع ما تستحسنه ومنها أن ذلك المخلوق إن كان ميتا فالحق أن كل ميت يفتتح  
أن يكون الناس مقطوعين على عبادة الميت وإن كان حيا فهو أيضا مريد لله تأله وحينه فليزم  
الدور المتمتع أو التسلسل المتمتع فلا بد للخلق كلهم من إله يألهوا ولا يأله هو غيره وهذا يرهان  
قطعي ضروري فإن قلت هذا يستلزم أنه لا بد لكل حي مخلوق من إله ولكن لم لا يجوز أن يكون  
مطلوب النفس هو مطلق التأله والمأله لإلهامها معنا كما تقول طوائف الاتحادية فاته هذا يبين بالوجه  
السادس عشر وهو أن المراد إما أن يراد تنوع أوليته فالاول كإرادة العطشان والجائع والمأوى  
تنوع الشراب والطعام واللباس فاته تعاريد النوع وحيث أراد المعين فهو القدر المشترك بين أفراد  
وذلك القدر المشترك كفي لا وجود له في الخارج فيستحيل أن يراد لذاته إذ المراد لذاته لا يكون إلا  
معنا ويستحيل أن يوجد في اثنين فإن ارادة كل واحد منهما لذاته تنافي ارادته لذاته المعنى بإرادته  
لذاته أنه وحده هو المراد لذاته الخاصة وهذا يمنع أن يراد به أن لذاته وإذا عرف ذلك فلو كان  
القدر المشترك بين أفراد النوع أو بين الاثنين هو المراد لذاته لم يمكن أن يكون مخصص به أحد هماليس  
مراد لذاته وكذلك مخصص به الآخر والموجود في الخارج إنما هو الذات المختصة بالكلية المشترك  
الذي تلقى الثالثة بالقدر المشترك لم يكن للخلف في الخارج إله ولكن إلههم أمرا ذهنا وجوده في  
الاذعان لافي الاعيان وهذا هو الذي يأله طوائف أهل الوحدة والجهمية الذين أنكروا أن يكون  
الله تعالى لإخراج العالم ولا داخله فان هذا إنما هو اله مفروض يفرضه الذهن كما يفرض سائر



المتنمات الخارجة ونقطة واجب الوجود وليس هو يمكن الوجود فضلا عن وجوه وهذا يبين ان  
الجمية واخوانهم من القائلين بوحدة الوجود ليس لهم الله معين في الخارج يأهونه ويعبدونه بل  
هو لا اله الا هو الذي خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما  
في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان يجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء  
الحسنى هو الذي فطر القلوب على محبته والاقارب به واجلاله وتظيمه واثبات صفات الكمال له  
وتزيينه عن صفات النقائص والميوب وعلى انه فوق سمواته بائن من خلقه تصعد اليه أعمالهم على  
تماقيب الاوقات وترفع اليه أيديهم عند الرغبات يخافونه من فوقهم ويرجون رحمته تنزل اليهم من  
عنده فهمهم صاعدة الى عرشه تطلب فوقه لها عليا عظيما قد استوى على عرشه واستولى على خلقه  
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرض الله في يوم كان مقداره ألف سنة عما تدعون ذلك عالم  
الغيب والشهادة العزيز الرحيم والمقصود انه انما لم يكن في الحسابات الخارجة عن الاذهان ما هو مراد  
لذاته لم يكن فيها ما يستحق أن يأله أحد فضلا أن يكون فيها ما يجب أن يأله كل أحد قبيح انه  
لا بد من الله معين هو المحبوب المراد لذاته ومن المبتغى أن يكون هذا غير فاطر السموات والارض  
وتين انه لو كان في السموات والارض إله غيره لفسدنا وان كل مولود يولد على فطرته ومعرفته واجلاله  
وتظيمه وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه وبالله التوفيق \* ثم الكتاب والحمد لله

﴿ يقول مصححه عبد المسكين محمد بدر الدين ﴾

الحمد لله حمدا يقتضى رضاه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي اصطفاه  
واختاره لرسالته واجتباها وعلى آله وصحبه التمسكين يهديهم وهذه  
وبعد فقد تم والله الحمد طبع كتاب ( غناء الليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل )  
تأليف الامام أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المروفي بن قيم الجوزية نفعه الله برحمته وأسكننا  
واباء فسيح جنته وذلك بعد عناه تصحيح النصف الاول منه على نسخة وصلت من  
صاحب الفضيلة علامة العراق على الاطلاق الوسى زاده السيد محمود شكرى اقدسى  
حفظه الله مع مقابلة ذلك على النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية بمصر  
ومن ثم الى آخر الكتاب على نسخة دار الكتب الخديوية فقط  
وذلك بالمطبعة الحسينية ذات الادوات اليه ادارة صاحبها  
الارب الاديب السيد محمد عبد الطيف الخطيب  
في سنة ١٣٣٣ هجرية أحسن الله حتامها  
والحمد لله أولا وآخرا وصلى  
الله على سيدنا محمد  
وآله وصحبه وسلم

محمده

- ٢ مقدمة الكتاب
- ٥ فصل في تسمية الكتاب وتعداد ابوابه
- ٢٣ الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض
- ٨ الباب الثاني في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وارزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم
- ١٢ الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى عليهما السلام في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم
- ١٩ الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والخمين في بطن أمه
- ٢٢ الباب الخامس في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر
- ٢٣ الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومي
- ٢٤ الباب السابع في ان سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضي ترك الاعمال
- ٢٦ الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعثون
- ٢٨ الباب التاسع في قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر
- ٢٩ الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر
- ٣٨ الباب الحادى عشر في ذكر المراتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة الكتابة
- ٤٣ الباب الثانى عشر في ذكر المراتبة الثالثة وهى مرتبة المشيئة
- ٤٩ الباب الثالث عشر في ذكر المراتبة الرابعة وهى مرتبة خلق الله الاعمال
- ٦٥ الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم
- ٨٥ الباب الخامس عشر في الطبع والحتم والقفل والفعل والسد والشقاوة والحائل بين الكافر وبين الايمان وان ذلك محمول للرب تعالى
- ١٠٩ الباب السادس عشر فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم
- ١٢٠ الباب السابع عشر في الكسب والجبر وبهاهما لغة واصطلاحاً واطلاقهما تقييداً وإثباتاً
- ١٣٤ الباب الثامن عشر في فعل وأفضل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والافتعال
- ١٣٩ الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعهما مجلس مذاكرة
- ١٥٢ الباب العشرون في ذكر مناظرة بين قدرى وسنى (وقع خطأ بين قدرى سنى)
- ١٧٨ الباب الحادى والعشرون في تزيه القضاء الالهى عن الشر
- \* الباب الثانى والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره واثبات النجايات المطلوبة والعواقب الحميدة التي فعل وأمر لاجلها
- \* الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبه الناظرين للحكمة والتليل وذكر الاجوبة عنها

\* هكذا وقع بالاصل بدون ان يفصل بين الحادى والعشرون والثالث والعشرون

٢٦٨ الباب الرابع والعشرون في قول السلف من أصول الايمان الايمان بالقدر خيره وشره جلوه ومرة

٢٦٩ الباب الخامس والعشرون في امتناع اطلاق القول نقيا واثبات ان الرب تعالى مرید للشر وفاعل له

٢٧٢ الباب السادس والعشرون فيما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك

(الى آخر الحديث) من تحقيق القدر واثباته وما تضمنته الحديث من الأسرار العظيمة

٢٧٤ الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد والحكمة تحت

قول النبي صلى الله عليه وسلم ما ض في حكمك (الحديث) وبيان ما فيه من القواعد

٢٧٨ الباب الثامن والعشرون في احكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه

٢٨٠ الباب التاسع والعشرون في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والاذن والجعل

والكلمات والبيث والارسال والتحریم والانشاء الى كوني متعلق بخلقه والى ديني متعلق بامر

وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال

٢٨٣ الباب العاشر في ذكر الفطرة الاولى واختلاف الناس في المراد بها وانها لا تنافي بالقضاء

والقدر بالشقاوة والضلال ﴿ تم ﴾

( فهرس مطبوعات المكتبة الحلية أنشئت سنة ١٣١٧ هجرية )  
( لأصحابها ) أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه  
( تحت عنوان محمد أمين الخانجي وشركاه )

( بإشراف الحلوجي بمصر )

كتاب المتمرين وطرف أخبارهم ومواعظهم للإمام الحجة أبي حاتم السجستاني  
كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني  
كتاب الظرف والظرفاء ( أو كتاب الموشى ) لابي عبد الله الوشاء تلميذ الميرد  
كتاب مختصر مكاشفة القلوب للإمام أبي حامد محمد الغزالي  
كتاب الحرز المتبوع في أحكام وفوائد الصلاة والسلام على الحبيب الشفيح للجلال السيوطي  
كتاب تعديل الصلاة للإمام أحمد وكتاب أحكام تارك الصلاة لابن قيم الجوزية  
كتاب الديات وأحكامها ودقائقها للإمام أبي بكر أحمد بن عمر والنيل أبي عاصم الضحاك  
فقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة الثعمان مع شرحه للملا علي القاري الحنفي  
الاضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجه لشيخ الاسلام القاضي زكريا الانصاري  
الحكم المتدرجة في شرح المنفرجه باللغة التركية للعلامة الاقروى شارح المنشوي  
ديوان الخطبة مع شرحه لامام أهل الادب أبو الحسن السكري  
كتاب التمهيل في الملل والاهواء والتحل للإمام المجهتد أبي محمد علي بن حزم الظاهري وبهامشه  
كتاب الملل والتحل لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني  
الآلآي المصنوعة في الاحاديث الموضوعه للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي  
كتاب جمع الوسائل لشرح الشمائل للملا علي القاري الحنفي وبهامشه شرح العلامة المحدث عبد الرؤف  
المتاوي الشافعي وهما جزآن كبيران  
كتاب الصناعتين ( التز والنظم ) أو الكتابة والشعر تأليف امام أهل الادب في المائة الرابعة أبي  
هلال العسكري

شرح شواهد مفتي اليبب للعلامة جلال الدين السيوطي أو رد في بيت الشاهد وأقبحه بالقصيدة إلى  
منها الشاهد وتكلم على غريب ما فيها وتطرق لذكر ترجمة شعراء تلك الشواهد  
مفتاح العلوم للإمام السكاكي وبهامشه كتاب اتمام الدراية لقراء التقايع للعلامة جلال الدين السيوطي  
يحتوي على أربعة عشر فقا مميزة عبارة المتن فيه عن الشرح  
محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للإمام نضر الدين الرازي مع  
تلخيص المحصل للعلامة نصير الطوسي وهو كالشرح له وبهامشها كتاب معالم أصول الدين  
للرازي المذكور

كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام أبي حامد محمد الغزالي  
فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للإمام أبي حامد المذكور  
كتاب لمحك النظر في فن التنطق للإمام أبي حامد الغزالي أيضا



اطلبوا من

مكتبة

وفاة

اصحابها احمد ميمون واخوة بشارع

تفسير غريب القرآن الكريم

المسعى

درة التنزيل وغرة التأويل

يبحث في الايات المتشابهات في القرآن الكريم وما فيها من

تشابه في اللفظ والمغلف في الذي قد تشعب كل السور كما هو

مرتب بالهاتف وفي بالمعجب المنار في ذلك الامام الخطيبه الاسكن

وقته ١٠ صاع

مشارق الانوار

في

احاديث النبي المختار

صلى الله عليه وسلم

يشتمل على ٢٢٥٣ حديث شريف

رواية البخاري ومسلم

٥ صاع